وان تجد عيبا في التركيب والإعراب فكن مصلحا بالتصويب

شرح الحكم

للعالم العلامة والحبر البحر الفهامة
وحيد دهره وفريد عصره
محمد بن إبراهيم المعروف بابن عباد النفزى الرندى

على متن الحكم

للإمام المحقق أبي الفضل
احمد بن محمد بن عبد الكريم ابن عطاء الله السكندرى
تغمدهما الله بالرحمة والرضوان وأسكنهما أعلى الجنان
ونفعنا الله تعالى بهما آمين

Ngalap Berkah

بالمعنى على فاترين

قيد العلم بالكتابة



بسم الله الرحمن الرحيم

قال العبد الفقير الى الله تعالى المعتمد في غفران ذنوبه على الله محمد بن ابراهيم بن عبد الله بن ابراهيم
ابن عباد النفزي الرندي لطف الله به الحمد لله المنفرد بالعظمة والجلال المتوحد باستحقاق نعوت
الكمال المنزه عن الشركاء والنظراء والامثال المقدس عن سمات الحدوث من التغير والانتقال
والاتصال والانفصال عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال والصلاة والسلام على سيدنا محمد
الهادي من الضلال وعلى آله واصحابه الذين خلفوه في الاعمال وصفت منهم الاحوال وعلى
جميع من اتبعهم فيما لهم من محامد الصفات ومحاسن الخلال (اما بعد) فكان مما رأينا كتاب الحكم
المنسوب الى الشيخ الامام المحقق العارف المكاشف الولي الرباني ابي الفضل تاج الدين احمد بن
محمد بن عبد الكريم بن عطاء الله السكندري رضي الله عنه ونفعنا به من افضل ما صنف في علم
التوحيد واجل ما اعتمده بالتفهم والتحفظ كل سالك ومريد لكونه صغير الحجم عظيم العلم
ذا عبارات رائقة ومعان حسنة رائقة قصد فيها الى ايضاح طريق العارفين والموحدين وابانة
مناهج السالكين والمتجردين اخذنا في وضع تنبيه يكون كالشرح لبعض معانيه الظاهرة
وكالكشف للمعة يسيرة من انواره الباهرة ولا قدرة لنا على استيفاء جميع ما اشتمل عليه
الكتاب وما تضمنه من لباب اللباب لان كلام الاولياء والعلماء بالله منطو على اسرار مصونة
وجواهر حكم مكنونة لا يكشفها الا هم ولا تتبين حقائقها الا بالتلقي عنهم ونحن في هذه الكلمات
التي نوردها والمناحي التي نقصدها غير متصدين لشرح كلام المؤلف ولا ان ما نذكره فيه هو
حقيقة مذهبهم حسبما يفعل كل مصنف فانا ان ادعينا ذلك كان منا اساءة ادب تؤول بنا والعياذ بالله
الى العطب وكنا قد تعرضنا للخطر والضرر في تعاطي ما لا يليق بنا من شرح كلام السادة من اهل الله
تعالى من غير خوف ولا حذر وانما نورد ذلك على حسب ما فهمناه من كلامهم وما انتهى الينا علمه
من مذاهبهم فان وافقنا فيه حقيقة الامر وعثرنا على مكنون السر كان ذلك من النعم التي لا نحصي
لها شكرا ولا نقدر لها قدرا وان خالفنا ذلك ولم نهتد الى تلك المسالك حملناه على تقصيرنا وجهلنا واتقي
عنا التغرير بقولنا وفعلنا واقتصر الامر في ذلك علينا وكانوا ابرياء مما قلنا وروينا فلا حرج اذا
كان هذا قصدنا الموجود والسلامة التي جعلناها معتمدنا فينبغي لنا ان نقدم اولا كلام المؤلف رحمه الله
تعالى حسبوق ثم نتبعه كلامنا بصيغة الخبر والدعوى ونأتي فيه بعبارة ابسط من عبارته واشارة اجلى
من اشارته للتفهيم بذلك ما عهدنا في تفسير ما ذكره لا ان تفسيره حقيقته مقررة ونذكر في اثناء ذلك

(بسم الله الرحمن الرحيم)
الحمد لله رب العالمين وصلى
الله على سيدنا محمد وعلى
آله وصحبه وسلم (اما بعد)
فيقول المرتجي غفر
المساوي عبد الله بن حجازي
الخلوتي المشهور بالشرقاوي
هذه تقييدات لطيفة
على حكم العارف بالله
سيدي احمد بن عطاء الله
قدس سره قصدت بها
الغالب خطاب المريدين
الصادقين وترقيهم الى مقام
العرفان فينبغي لنا ان
نقتصر على بيان مقصوده
بحسب الامكان ❊ قال
رضي الله عنه

(من علامات الاعتماد على العمل) أى عمل الجوارح من صلوات وأذكار وغيرها (٣) والمعتمد على ذلك العُبّاد والمريدون فالأوّلون يعتمدون عليها في دخول الجنة والتنعم فيها والنجاة من عذاب الله تعالى والآخرون يعتمدون عليها في الوصول الى الله تعالى وكشف الأستار عن القلوب وحصول الأحوال القائمة بها والمكاشفات والأسرار كلاهما مذموم وناشئ من رؤية النفس ونسبة الأعمال اليها حتى ينتج ما ذكر أما العارفون فلا يرون لأنفسهم شيئا حتى يعتمدوا عليه بل يشاهدون أن الفاعل الحقيقي هو الله تعالى وأنهم محل لظهور ذلك فقط • وأشار المصنف رحمه الله تعالى الى علامة يعرف بها العبد نفسه من علامة كونه من القسمين الأولين (نقصان الرجاء) أى رجائه في الله تعالى أن يدخله الجنة وينجيه من العذاب ان كان من العباد وأن يوصله الى مطلوبه المتقدم ان كان من المريدين (عند وجود الزلل) بأن تصدر منه معصية كزنا وغفلة عن الله تعالى وترك أوراد ومن علامة كونه من العارفين فناؤه عن نفسه فاذا وقع في زلة أو أصابه غفلة شهد تصريف الحق فيه وجريان قضائه عليه كما أنه اذا صدرت منه طاعة أو لاح له مشاهدة قلبية لم ير في ذلك حوله وقوته فلا فرق عنده بين الحالين لأنه غارق في بحار التوحيد فقد استوى خوفه ورجاؤه فلا ينقص

كثيرا مما ناسب عندي من الكلام المنبه عليه لتتم بذلك الفائدة في الغرض المتوجه اليه وما ظهر لنا في كلامه من تكرار معان وتداخل فروع ومبان ترابنا التنبيه عليه كالغرض وأحلنا بعضه على بعض وعلى الناسخ لهذا المجموع أن يتبع فيه ما رسمناه ويكتب نص كلام المؤلف بحبر مخالف للون ما يكتب به سواه أو يكتبهما بقلمين مختلفين في الغلظ والرقة ونحو ذلك من ذلك كلا منهما حقيقة ليكون ذلك أقرب الى حصول المرام في استخراج فائدة ترتيب الكلام والله الموفق لا رب غيره ولا خير الا خيره والذي حملني على وضعه وتكلف تصنيفه وجمعه بعد تقدم ارادة الله تعالى التي لا تغلب وتقديره الذي ليس للعبد منه منجى ولا مهرب ثم الرأى الذي رأيناه من المطالب والمقاصد المعظمة ونبهنا عليه في صدر هذه المقدمة الحاح بعض الأصحاب في ذلك علي ووداده بالمسئلة الي لكونهم على اعتقاد صحيح في هذه الطريقة ومحبة خالصة لأهل الحقيقة فأسعفتهم بما طلبوه وحققت لهم الأمل بانجاز ما رغبوه كما شاء الله تعالى وحكم وقضى به علينا وحتم نفعنا الله واياهم بما يجري منه على يدنا ولا جعله حجة علينا ولا علينا ونحن نستغفر الله تعالى مما تعاطيناه من الأمر العظيم واقتحمنا من الخطر الجسيم ونستعيذ به من الوقوع في حبائل العدو الرجيم ونسأله توفيقا يقف بنا على جادة الاستقامة ويصرفنا عن العمل بما يعقب ملامة أو ندامة ونرجوه مع هذا أن يمن علينا بالانتماء الى مذاهبهم والانتساب الى كريم مناسبهم والتعلق بأذيالهم ومحاولة النسج على منوالهم وأن يرزقنا شيئا من تعظيمهم وحبهم وقسطا من تكريمهم وبرهم وأن لا يحرمنا من شفاعتهم ولا يخرجنا من كنف ولايتهم ولا يطردنا عن بابهم الكريم ولا يصرفنا عن منهجهم القويم فهم القوم لا يشقى بهم جليسهم

الى محبة من عزهم • أقدامهم فوق الجباه
ان لم أكن منهم فلي • في حبهم عز وجاه

اللهم انا نتوسل اليك بحبهم فانهم أحبوك ولم يحبوك حتى أحببتهم فبحبك اياهم وصلوا الى حبك ونحن لم نصل الى حبهم فيك الا بعطائك منك فتمم لنا ذلك حتى نلقاك يا أرحم الراحمين وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد خاتم النبيين وعلى آله الطيبين الطاهرين وتابعيهم باحسان الى يوم الدين وسلم عليهم تسليما كثيرا وهذا حين أبتدي • وبالله التوفيق ومنه الهداية الى سواء الطريق قال المؤلف قدس الله سره ﴿ (من علامة الاعتماد على العمل نقصان الرجاء عند وجود الزلل) أقول الاعتماد على الله تعالى نعت العارفين الموحدين والاعتماد على غيره وصف الجاهلين الغافلين كائنا ما كان ذلك الغير حتى علومهم وأعمالهم وأحوالهم أما العارفون الموحدون فانهم على بساط القرب والمشاهدة ناظرون الى ربهم فانون عن أنفسهم فاذا وقعوا في زلة أو أصابتهم غفلة شهدوا تصريف الحق تعالى لهم وجريان قضائه عليهم كما أنهم اذا صدرت عنهم طاعة أو لاح عليهم لائح من يقظة لم يشهدوا في ذلك أنفسهم ولم يروا فيها حولهم ولا قوتهم لأن السابق الى قلوبهم ذكر ربهم ثم أنفسهم مطمئنة تحت جريان أقداره وقلوبهم ساكنة بما لاح لها من أنواره ولا فرق عندهم بين الحالين لأنهم غرقى في بحار التوحيد فقد استوى خوفهم ورجاؤهم فلا ينقص من خوفهم ما يجتنبونه من العصيان ولا يزيد في رجائهم ما يأتون به من الاحسان قال شارح المجالس العارفون قائمون بالله قد تولى الله أمرهم فاذا ظهرت منهم طاعة لم يرجوا عليها أجرا لأنهم لم يروا أنفسهم عمالا وان ظهرت منهم زلة فالقدرة على القائل لم يشاهدوا غيره في الشدة والرخاء قيامهم بالله ونظرهم اليه وخوفهم خشيته ورجاؤهم الأنس به وأما غيرهم فوقفوا مع نفوسهم فنسبوا الأعمال والأفعال اليها وطلبوا الجزاء عليها فاعتمدوا على أعمالهم وسكنوا الى أحوالهم فاذا وقعوا في زلة نقص بذلك رجاؤهم كما أنهم اذا عملوا الطاعة جعلوها من أعظم عددهم وأقوى معتمدهم

العصيان خوفه ولا يزيد الاحسان رجاؤه فمن لم يجد هذه العلامة فيه فليجاهد نفسه بالرياضات والأذكار حتى يصل الى مقام العرفان ومراد المصنف بهذه الحكمة تنشيط السالك ورفع همته عن الاعتماد على شيء سوى مولاه لا التزهيد في الأعمال لأنها سبب عادي في الوصول الى الله تعالى ولا تحقير ما ينتجه من الأحوال وغيرها لأن ذلك منة من الله تعالى لا ينبغي رده * (ارادتك التجريد) أي ميل نفسك أيها المريد الصادق الى التجريد عن الأسباب الظاهرية أي خروجك عنها وعدم معاناتها (مع اقامة الله اياك في الأسباب) (٤)

وعلامة ذلك أن يهيئها لك وأن تجد السلامة في دينك عند معاناتها وينقطع بها طمعك عما بأيدي الناس ولا يشغلك عما أنت فيه من وظائف العبادات الظاهرة والأحوال الباطنة (من الشهوة) أي من شهوات النفوس التي تدعو اليها (الخفية) وكانت شهوة لعدم وقوفك على مراد سيدك وموافقتك مراد نفسك وخفية لأن ظاهر ذلك أن مرادك بالتجرد الانقطاع الى الله تعالى والتقرب اليه وباطنه أن مرادك الشهرة بالولاية لتقصدك الناس بالاعتقاد والتقرب اليك فتقطع عما أنت بصدده فقد قال العارفون اقبال الناس على المريد قبل كماله سم قاتل وربما انقطعت بذلك عن وظائفك وأورادك وصرت تتطلع لما بأيدي الناس (وارادتك الأسباب) أي التسبب والاكتساب (مع اقامة الله اياك في التجريد) أي بأن يسر لك القوت من حيث لا تحتسب وجعل نفسك مطمئنة عند تعذره متعلقة بمولاها ودمت على الاشتغال بوظائف العبادات (انحطاط عن الهمة العلية) لارادتك الرجوع الى الخلق بعد التعلق بالحق ولو لم يكن الا مخالطة أبناء الدنيا فيما هم فيه لكان كافيا في دناءة الهمة فالواجب على السالك أن يمكث فيما أقامه الحق فيه ويرضى به حتى يتولى الله اخراجه منه ولا يخرج بنفسه وارادته وتسويل الشيطان فيقع في بحر القطيعة والعياذ بالله تعالى

فتعلقوا بالأسباب وحجبوا بتغرفهم بها عن رب الأرباب فمن لم يجد هذه العلامة في نفسه فليعرف منزلته وقدره ولا يتعد طوره فيدعي مقامات الخاصة من المقربين وانما هو من عامة أصحاب اليمين وسيأتي اشارات الى هذا المعنى في مواضع من كلام المؤلف قدس الله سره وقد ذكر الشيخ أبو عبد الرحمن السلمي والحافظ أبو نعيم الاصفهاني عن يوسف بن الحسين الرازي رضي الله عنهم قال عارضني بعض الناس في كلام وقال لي لا تستدرك مرادك من عملك الا أن تتوب فقلت مجيبا لو أن التوبة تطرق بابي ما أذنت لها على أني أنجو بها من ربي ولو أن الصدق والاخلاص كانا عبدين لي لبعتهما لزهدي فيهما لأني ان كنت عند الله في علم الغيب سعيدا مقبولا لم أتخلف باقتراف الذنوب والمآثم وان كنت عنده شقيا مخذولا لم تسعدني توبتي واخلاصي وصدقي وان الله خلقني انسانا بلا عمل ولا شفيع كان لي اليه وهداني لدينه الذي ارتضاه لنفسه فقال الله تعالى ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين فاعتمادي على فضله وكرمه أولى بي ان كنت عاقلا من اعتمادي على أفعالي المدخولة وصفاتي المعلولة لأن مقابلة فضله وكرمه بأفعالنا من قلة معرفتنا بالكريم المتفضل قلت وهذه الحكاية وأمثالها ربما تقرع سمع من لا حقيقة عنده من طريق القوم فينكر معناها ولا يعتقده أو يسلمه ويدعيه مقاما لنفسه وكلتا الحالتين مؤدية بصاحبها الى ضرر وخطر فليتق الله تعالى عبد ليس له بصر في هذه الطريقة أن ينكر ما ذكرناه فيقع في الاعتراض على السادة والأولياء وفي ذلك بعده من الله تعالى أو يدعيه مقاما لنفسه من غير أن يستظهر عليها ويتوثق منها ويزنها بالمعيار الذي نبهنا عليه ويحكم وجود ذلك ممن لم يصحح مقام الفناء عن النفس فيرتكب مساخط الله تعالى ويتعدى حدوده ويجعل ذلك حجة لنفسه غلطا وجهلا وهذا باب من الزندقة والعياذ بالله سبحانه وتعالى (ارادتك التجريد مع اقامة الله اياك في الأسباب من الشهوة الخفية وارادتك الأسباب مع اقامة الله اياك في التجريد انحطاط عن الهمة العلية) الأسباب ههنا عبارة عما يتوصل به الى غرض ما ينال في الدنيا والتجريد عبارة عن عدم تشاغله بتلك الأسباب لأجل ذلك فمن أقامه الحق تعالى في الأسباب وأراد هو الخروج منها فذلك من شهوته الخفية وانما كانت من الشهوة لعدم وقوفه مع مراد الله تعالى به وارادته هو خلاف ذلك وانما كانت خفية لأنه لم يقصد بذلك نيل حظ عاجل وانما قصد بذلك التقرب الى الله تعالى بكونه على حال هو أعلى بزعمه لكن فاته الأدب بعدم وقوفه مع مراد الله تعالى من اقامته اياه فيما أقامه فيه وتطلعه الى مقام رفيع لا يليق به في الوقت وعلامة اقامته اياه في الأسباب أن يدوم له ذلك وأن يحصل له ثمرته ونتيجته وذلك بأن يجد عند تشاغله بالأسباب سلامة في دينه وقطعا للطمع عن غيره وحسن نيته في صلة الرحم أو اعانة فقير معدم الى غير ذلك من فوائد المال المتعلقة بالدين ومن أقامه الحق تعالى في التجريد وأراد الخروج منه الى الأسباب فذلك من انحطاط همته وسوء أدبه وكان واقفا مع شهوته الجلية لأن التجريد مقام رفيع أقام الحق تعالى فيه خواص عباده من الموحدين والعارفين فاذا أقامه الحق

والاسباب كطلب رزق الحلال والاشتغال بالعلم الظاهر

الاخذ في اسباب رزق بان يعمل ويجاهد سعيا وراء الكسب الحلال ليعيل نفسه واهله واولاده. اهـ

الظاهر الباطن الظاهر والباطن

تعالى في مقام الخواص فلم ينحط عن رتبتهم الى منازل أهل الانتقاص قال الشيخ أبو عبد الله القرشي رضى الله عنه من لم يأنف من مشاركة الاضداد في الاسباب فهو خسيس الهمة وعلامة اقامته اياه في التجريد ما ذكرناه من الدوام ووجدان الثمرة ومن ثمرات ذلك حصول صفاء قلبه ووجدان راحته من ملابسة الخلق ومخالطتهم والهمة حالة للقلب وهي قوة ارادة وغلبة انبعاث الى نيل مقصود ما وتكون عالية ان تعلقت بمعالي الامور وسافلة ان تعلقت بادانيها * قال الشاعر واجاد

وقائلة لم علتك الهموم * وأمرك ممتثل في الأمم
فقلت ذريني على حالتي * فان الهموم بقدر الهمم

وقال الآخر

اذا أعطشتك أكف اللئام * كفتك القناعة شبعا وريا
فكن رجلا رجله في الثرى * وهامة همته في الثريا
فان اراقة ماء الحيا * ة دون اراقة ماء المحيا

وما ذكرناه من معاني الاقامة في نوعي الاسباب والتجريد هو شيء يفهم مما يقوله بعد هذا من علامة اقامة الحق لك في الشيء ادامته اياك فيه مع حصول النتائج والله أعلم وقد ذكر في التنوير هذه المسئلة بنصها تماما كما عنه في هذا الكتاب وقال اثره وافهم رحمك الله أن من شأن العدو أن يأتيك فيما أنت فيه مما أقامك الله فيه فيحقره عندك لتطلب غير ما أقامك الله فيه فيتشوش عليك قلبك ويتكدر وقتك وذلك أنه يأتي للمتسببين فيقول لهم لو تركتم الاسباب وتجردتم لاشرقت لكم الانوار ولصفت منكم القلوب والاسرار قائلا وكذلك صنع فلان وفلان ويكون هذا العبد ليس مقصودا بالتجريد ولا طاقة له به انما صلاحه في الاسباب فيتركها فيتزلزل ايمانه ويذهب ايقانه ويتوجه الى الطلب من الخلق والى الاهتمام بامر الرزق فيرمى في بحر القطيعة وذلك قصد العدو منه لانه انما يأتيك في صورة ناصح كما أتى أبويك فيما أخبر الله تعالى عنه بقوله تعالى وقال ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة الا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين وقاسمهما اني لكما لمن الناصحين كما تقدم بيانه وكذلك يأتي المتجردين ويقول لهم الى متى تتركون الاسباب ألم تعلموا ان ترك الاسباب تتطلع معه القلوب الى ما في أيدي الناس ويفتح باب الطمع ولا يمكنكم الاسعاف والايثار ولا القيام بالحقوق وعوض ما تكونون منتظرا لما يفتح به عليكم من الخلق فلو دخلتم في الاسباب بقي غيركم منتظرا ما يفتح به عليه منكم الى غير ذلك ويكون هذا العبد قد طاب وقته وانبسط نوره ووجد الراحة بالانقطاع عن الخلق فلا يزال به حتى يعود الى الاسباب فتصيبه كدورتها وتغشاه ظلمتها ويعود القائم في سببه أحسن حالا منه لان ذلك ما سلك طريقا ثم رجع عنها ولا قصد مقصدا ثم انعطف عنه فافهم واعتصم بالله ومن يعتصم بالله فقد هدي الى صراط مستقيم وانما قصد الشيطان بذلك أن يمنع العباد الرضا عن الله تعالى فيما هم فيه وأن يخرجهم عن مختار الله لهم الى مختارهم لانفسهم وما أدخلك الله فيه تولى اعانتك عليه وما دخلت فيه بنفسك وكلك اليه وقل رب أدخلني مدخل صدق وأخرجني مخرج صدق واجعل لي من لدنك سلطانا نصيرا فالمدخل الصدق أن تدخل فيه لا بنفسك والمخرج الصدق أيضا كذلك فافهم والذي يقتضيه الحق منك أن تمكث حيث أقامك حتى يكون الحق سبحانه هو الذي يتولى اخراجك كما تولى ادخالك وليس الشأن أن تترك السبب بل الشأن أن يتركك السبب * قال بعضهم تركت السبب كذا كذا مرة فعدت اليه ثم تركني السبب فلم أعد اليه ودخلت على الشيخ رضى الله عنه وفي نفسي العزم على التجريد قائلا في نفسي ان الوصول الى الله تعالى على هذه الحالة بعيد من الاشتغال بالعلوم الظاهرة ووجود المخالطة للناس فقال لي من غير أن

والحاصل ان العبد ينبغي له ان يرضى بما اقامه الله فيه من الاسباب والتجريد، ويسعى في المسابقة اليه، ولا يتمنى ما لديه. اهـ

التجريد ثلاثة انواع:
١- التجريد الظاهر ومعناه ترك الاسباب الدنيوية التي تشغل الجوارح عن طاعة الله تعالى
٢- التجريد الباطن ومعناه ترك العلائق النفسانية التي تشغل القلب عن حضور الله تعالى
٣- التجريد الظاهر والباطن. ويقال التجريد الكامل ويشتمل المعنيين المذكورين

علامة مقام تجريد

* (سوابق الهمم لاتخرق أسوار الاقدار) هذه الحكمة كالتعليل لماقبلها وتصلح أيضا لما بعدها كأنه قال اركنك أيها المريد خلاف ما أراده مولاك لاتجدى نفعا لأنه اذا كانت سوابق الهمم أى الهمم السوابق أى سريعة التأثير فى الاشياء وهى قوى النفس التى تنفعل عنها الأشياء وتكون للولى كرامة يقال فعل كذا بهمته اذا وجهها اليه فوجد ولغيره كالساحر والعائن اهانة لاتنفعل عنها الأشياء الا بتقدير الله تعالى أى باذنه سبحانه (٦) فالهمم غير السوابق كهمتك أيها المريد لاأثر لها من باب أولى ففى هذا تهديد لنار الحرص المشتعلة فى قلبه حتى يخيل له أن ذلك الشىء طوع يده وأنه يدركه لامحالة والاضافة فى قوله سوابق الهمم من اضافة الصفة الى الموصوف كما تقرر وفى قوله أسوار الأقدار من اضافة المشبه به للمشبه ثم قال (أرح نفسك) أيها المريد (من التدبير) لأمر دنياك وهو أن يقدر الشخص فى نفسه أحوالا يكون عليها على ما تقتضيه شهوته ويدبر لها مايليق بها من أحوال وأعمال ويهتم لأجل ذلك وهذا تعب عظيم استعجله لنفسه ولعل أكثر مايقدره لايقع فيخيب ظنه وفى تعبيره بأرح اشارة الى أن المطلوب تركه للمريد هو مافيه تعب ومعاناة أما تدبير أمور معاشه على وجه سهل يستعين به على مطلوبه فلا بأس به ولذا ورد التدبير نصف المعيشة (فما قام به غيرك عنك لاتقم به لنفسك) يعنى أن الأمر مفروغ منه قد قام به غيرك وهو الله تعالى وما قام به غيرك لافائدة فى قيامك به فيكون قيامك فضولا لاينبغى أن يتلبس به ذوو العقول وأيضا فيه ترك العبودية ومضادة لأحكام الربوبية ومنازعة القدر وانما خاطب المريد بذلك لأنه اذا توجه لحضرة الرب واشتغل بأوراد الطريق وأعماله تعطلت عليه أسباب معاشه فى الغالب فيأتيه الشيطان ويوسوس له ويصير يدبر فى نفسه أمورا لايقع أكثرها وذلك يشغله عما هو بصدده فيرجع عما هو متوجه له ودواء ذلك كثرة الذكر والرياضة حتى يرجع عنه الشيطان وتحصل له الراحة من تعب التدبير ولذا قال

فى

أسأله صحبتى لأنى كنت مشتغلا بالعلوم الظاهرة ومتصدرا فيها وذاق من هذه الطريق شيئا فجاء الى فقال ياسيدى أخرج عما أنا فيه وأتجرد لصحبتك فقلت له ليس الشأن ذا ولكن امكث فيما أنت فيه وما قسم الله لك على أيدينا فهو اليك واصل ثم قال الشيخ ونظر الى وهكذا شأن الصديقين لايخرجون من شىء حتى يكون الحق سبحانه وتعالى هو الذى يتولى اخراجهم فخرجت من عنده وقد غسل الله تلك الخواطر من قلبى ووجدت الراحة بالتسليم الى الله تعالى ولكنهم كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هم القوم لايشقى بهم جليسهم اه كلامه فى التنوير فى هذا المعنى وهو كلام حسن وانما أثبتناه ههنا على طوله لأنه أولى فيه كان مسئلته التى ذكرها فى هذا الكتاب بنفسه بيانا شافيا فنقلناه بلفظه ووددنا لو أن جميع مسائله تكون هكذا * (سوابق الهمم لاتخرق أسوار الأقدار) الهمم السوابق هى قوى النفس التى تنفعل عنها بعض الموجودات باذن الله تعالى وتسميها الصوفية همة فيقولون أحال فلان همته على أمر ما فانفعل له ذلك وهذه الهمم السابقة لاتنفعل الأشياء عنها الا بالقضاء والقدر وهو معنى قولنا باذن الله تعالى فهى على حال سبقيتها ونفوذها لاتخرق أسوار الأقدار ولاتنفذها وهذه الهمم قد تكون للأولياء كرامات وقد تكون لغيرهم استدراجا ومكرا كما تكون للعائن والساحر وقد ثبت أن العين حق والسحر حق ومعناه ماذكرناه * وحاصل ذلك أنه يجب أن يعتقد أنها أسباب لاتأثير لها ولافاعلية وأن الفاعل هو الله تعالى وحده عندها لابها وكان المؤلف رحمه الله انما أورد هذه المسئلة بين يدى كلامه فى التدبير ليعرفك بذلك أن وجود التدبير لاجدوى له ولافائدة لأن الهمة الفعالة اذا لم تفد فى خرق أسوار الأقدار شيئا فكيف يفيد فى ذلك التدبير ومالافائدة فيه فضول لاينبغى أن يتشاغل به ويتعب فيه ذوو العقول ولذلك قال * (أرح نفسك من التدبير فما قام به غيرك عنك لاتقم به لنفسك) تدبير الخلق لأمور دنياهم على الوجه الذى نقوله مذموم لأن الله تعالى قد تكفل لهم بذلك وقام به عنهم وطلب منهم أن يفرغوا قلوبهم منه ويقوموا بحق عبوديته ووظائف تكليفاته فقط وهو أن يقدر العبد لنفسه شئونا يكون عليها من أمر دنياه على ما تقتضيه شهوته وهواه ويدبر لها مايليق بها من أحوال وأعمال ويستعد لذلك ويهتم لأجله وهذا تعب عظيم استعجله لنفسه ولعل أكثر ما يقدره لايقع فيخيب ظنه ويبطل سعيه ثم فيه من ترك العبودية ومضادة أحكام الربوبية ومنازعة القدر واضاعة العمر ما يحمل العاقل على تركه واجتنابه وقطع مواده وأسبابه قال سهل بن عبدالله رضى الله عنه ذروا التدبير والاختيار فانهما يكدران على الناس عيشهم وقال سيدى أبوالحسن الشاذلى ان كان ولابد أن تدبروا فدبروا أن لاتدبروا وهذه المسئلة أساس طريق القوم بل هى جملته وكليته والكلام فيها طويل عريض وانما اقتصرنا فيها على هذا القدر اليسير من التنبيه لأن المؤلف رحمه الله أفرد فى هذا المعنى كتابا سماه التنوير فى اسقاط التدبير أحسن فيه غاية الاحسان وقرب الأمر فيه بحيث يستغنى به عما صنف

(اجتهادك فيما ضمن لك) أي تكفل الله لك به وهو الرزق تفضلا منه وإحسانا قال تعالى وكأين من دابة لا تحمل رزقها الله يرزقها وإياكم إلى غير ذلك من الآيات (وتقصيرك فيما طلب منك) وهو العمل الذي تتوصل به عادة إلى مولاك من أذكار وصلوات وأوراد وغير ذلك من أنواع الطاعات قال تعالى وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون الآية (٧) فالمطلوب من المريد التشمير في قوت الأرواح وهو ذكر المولى وفعل ما يقرب إليه لا قوت الأشباح لأنه قام به غيره وهو مولاه (دليل على انطماس) أي عمى (البصيرة منك) وهي عين في القلب تدرك الأمور المعنوية كما أن البصر يدرك الأمور المحسوسة وفي تعبيره بالاجتهاد إشارة إلى أن طلب الرزق من غير اجتهاد لا بأس به للمريد ولا يدل على انطماس بصيرته ثم قال (لا يكن تأخر أمد) أي زمن (العطاء) بتأخر ما يقع فيه (مع الإلحاح في الدعاء) بزوال أوصاف بشريتك ورفع الحجاب عنك ووصولك إلى مولاك (موجبا ليأسك) أي من إجابة الدعاء (فهو ضمن لك الإجابة) بنحو قوله ادعوني أستجب لكم (فيما يختاره لك لا فيما تختاره لنفسك وفي الوقت الذي يريد لا في الوقت الذي تريد) فقد يكون الحجاب على المريد نعمة له ليجتهد في الأعمال ويدوم خوفه من مولاه لكن الشيطان ربما أتى له وقال له لو كنت من أهل الإرادة لأجابك مولاك وأزال أوصاف بشريتك وحصل لك مقصودك وجهل أن عدم إجابته قد يكون خيرا له وقد تكون بشريته غليظة فلا تنقطع إلا بعد مدة طويلة ولو أتى بما أتى به من المجاهدات والرياضات لا يفيد ذلك في تلك المدة وقد شبه بعض العارفين الطبيعة بأرض ذات شوك فقد يكون الشوك غليظا كثيرا لا ينقطع إلا بعد مدة ومعاناة تامة وقد يكون قليلا ضعيفا أدنى شيء يزيله وكذلك أوصاف النفوس

في هذه الطريق فمن ديوان تحصيله متعين على كل مريد محب ۞ (اجتهادك فيما ضمن لك وتقصيرك فيما طلب منك دليل على انطماس البصيرة منك) الشيء المضمون للعبد هو رزقه الذي يحصل له به قوام وجوده في دنياه ومعنى كونه مضمونا أن الله تعالى تكفل بذلك وفرغ العباد عنه ولم يطلب منهم الاجتهاد في السعي فيه ولا الاهتمام له والشيء المطلوب من العبد هو العمل الذي يتوصل به إلى سعادة الآخرة والقرب من الله تعالى من عبادات وطاعات ومعنى كونه مطلوبا أنه موكول إلى اكتساب العبد واجتهاده فيه ومراعاة شروطه وأسبابه وأوقاته بهذا جرت سنة الله تعالى في عباده قال الله عز وجل في المعنى الأول الذي ضمنه للعبد وكأين من دابة لا تحمل رزقها الله يرزقها وإياكم وقال تعالى في المعنى الثاني الذي طلبه منه وأن ليس للإنسان إلا ما سعى وقد روي في بعض الآثار أن الله تعالى يقول عبدي أطعني فيما أمرتك ولا تعلمني بما يصلحك وذكر في الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال عمال أمتي يشرفون المترفين ويستخفون بالعابدين ويعملون بالقرآن ما وافق أهواءهم وما خالف أهواءهم تركوه فعند ذلك يؤمنون ببعض الكتاب ويكفرون ببعض يسعون فيما يدرك بغير سعي من القدر المقدور والأجل المكتوب والرزق المقسوم ولا يسعون فيما لا يدرك إلا بالسعي من الجزاء الموفور والسعي المشكور والتجارة التي لا تبور وقال إبراهيم الخواص العلم كله في كلمتين لا تتكلف ما كفيت ولا تضيع ما استكفيت فمن قام بهذا الأمر على ما ينبغي له من الوجه الذي ذكرناه من الاجتهاد في الأمر المطلوب منه وتفريغ القلب عن الأمر المضمون له فقد انفتحت بصيرته وأشرق نور الحق في قلبه وحصل على غاية المقصود ومن عكس هذا الأمر فهو مطموس البصيرة أعمى القلب وهذا دليل على ذلك والبصيرة ناظر القلب كما أن البصر ناظر العين وناظر القلب إنما ينظر إلى العاقبة والعاقبة للمتقين فالتقوى هي التي يجب على العبد أن يجتهد فيها ولا يتوانى ويقصر عما يمنع منها وتعبير المؤلف رحمه الله بالاجتهاد إشعار بأن طلب الرزق من غير اجتهاد فيه غير مقصود بالكلام وهو كذلك لأنه مباح ومأذون فيه فلا يدل ذلك على انطماس بصيرة صاحبه إلا أن اقترن به تقصير فيما أمر به قال في التنوير في قوله تعالى وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها لا نسألك رزقا نحن نرزقك أي لم نكلفك رزقك ونحن نقوم لك بقسمتك وعلم بما شيئا ضمنه الله لك فلا تتهمه وشيئا طلبه منك فلا تهمله فمن يشتغل بما ضمن له عما طلب منه فقد عظم جهله واتسعت غفلته وقل أن ينتبه لمن يوقظه بل حقيق على العبد أن يشتغل بما طلب منه عما ضمن له إذا كان الله سبحانه وتعالى قد رزق أهل الجحود كيف لا يرزق أهل الشهود وإذا كان سبحانه قد أجرى رزقه على أهل الكفران كيف لا يجري رزقه على أهل الإيمان فقد علمت أيها العبد أن الدنيا مضمونة لك أي مضمون لك منها ما يقوم بأودك والآخرة مطلوبة منك أي العمل لها لقوله سبحانه وتعالى وتزودوا فإن خير الزاد التقوى فكيف يثبت لك عقل أو بصيرة واهتمامك فيما ضمن لك اقتطعك عن اهتمامك بما طلب منك من أمر الآخرة حتى قال بعضهم إن الله تعالى ضمن لنا الدنيا وطلب منا الآخرة فليته ضمن لنا الآخرة وطلب منا الدنيا ۞ (لا يكن تأخر أمد العطاء مع الإلحاح في الدعاء موجبا ليأسك فهو ضمن لك الإجابة فيما يختاره لك لا فيما تختاره لنفسك وفي الوقت الذي يريد لا في الوقت الذي تريد) حكم العبد أن لا يتخير شيئا على مولاه ولا يجزم بمصلحة حال من الأحوال له

لأنه جاهل من كل وجه فقد يكره الشيء وهو خير له ويحب الشيء وهو شر له * قال سيدي أبو الحسن الشاذلي رضي الله عنه لا تختر من أمرك شيئاً واختر أن لا تختار وفرّ من ذلك المختار ومن فرارك ومن كل شيء الى الله عز وجل وربك يخلق ما يشاء ويختار * ودخل رجل على سيدي أبي العباس المرسي رضي الله عنه وهو بنا لم لمابه فقال ذلك الرجل عافاك الله يا سيدي فسكت ولم يجاوبه ثم سكت ذلك الرجل ساعة وقال الله يعافيك يا سيدي فقال له الشيخ أبو العباس وأنا ما سألت الله العافية فقد سألته العافية والذي أنا فيه هو العافية هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم قد سأل الله العافية وقد قال ما زالت أكلة خيبر تعاودني والآن قد قطعت أبهري وسيدنا أبو بكر رضي الله عنه سأل الله العافية وبعد ذلك مات مسموما وسيدنا عمر رضي الله عنه سأل الله العافية وبعد ذلك مات مطعونا وسيدنا عثمان رضي الله عنه سأل الله تعالى العافية وبعد ذلك مات مذبوحا وسيدنا علي رضي الله عنه سأل الله تعالى العافية وبعد ذلك مات مقتولا فاذا سألت الله تعالى العافية فاسأله من حيث يعلم أنها لك عافية اه فعلى العبد أن يسلم نفسه الى مولاه ويعلم أن الخيرة له في جميع ما به يتولاه وإن خالف ذلك مراده وهواه فاذا دعا وطلب من مولاه شيئا يرى أن له فيه مصلحة أيقن بالاجابة لا محالة قال الله عز وجل وقال ربكم ادعوني أستجب لكم وقال تعالى واذا سألك عبادي عني فاني قريب أجيب دعوة الداع اذا دعان وعن جابر رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما من أحد يدعو بدعاء الا آتاه الله ما سأل أو كف عنه من السوء مثله ما لم يدع باثم أو قطيعة رحم وعن أنس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما من داع يدعو الا استجاب الله له دعوته أو صرف عنه مثلها سوءاً أو حط من ذنوبه بقدرها ما لم يدع باثم أو قطيعة رحم فاذا الاجابة المطلقة حاصلة لكل داع بحق حسبما ورد الوعد الصدق الا أن الاجابة أمرها الى الله تعالى يجعلها متى شاء وقد يكون المنع وتأخر العطاء اجابة وعطاء لمن فهم عن الله تعالى ذلك فلا ييأس العبد من فضل الله تعالى اذا رأى منعا أو تأخرا كان ألح في دعائه وسؤاله وقد يكون تأخير ذلك الى الآخرة خيرا له فقد جاء في بعض الأخبار يبعث عبد فيقول الله تعالى له ألم آمرك برفع حوائجك الي فيقول نعم وقد رفعتها اليك فيقول الله تعالى ما سألت شيئا الا أجبتك فيه ولكن عجزت لك البعض في الدنيا وما لم أعجزه في الدنيا فهو مدخر لك فخذه الآن حتى يقول ذلك العبد ليته لم يقض لي حاجة في الدنيا وقد ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم معنى النهي عن الاستعجال في اجابة الدعاء في قوله يستجاب لأحدكم ما لم يعجل فيقول قد دعوت فلم يستجب لي وقد دعا موسى وهارون عليهما السلام على فرعون كما أخبر الله به عنهما حيث قال ربنا اطمس على أموالهم واشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الأليم ثم أخبر أنه أجاب دعاءهما بقوله سبحانه وتعالى قد أجيبت دعوتكما فاستقيما ولا تتبعان سبيل الذين لا يعلمون قالوا وكان بين قول الله تعالى لهما قد أجيبت دعوتكما وهلاك فرعون أربعون سنة * قال سيدي أبو الحسن الشاذلي رضي الله عنه في قوله تعالى فاستقيما أي على عدم استعجال ما طلبتما ولا تتبعان سبيل الذين لا يعلمون هم الذين يستعجلون الاجابة وناهيك شرفا وحظا ما يتحصل له بسبب مداومة الدعاء من محبة الله تعالى وموافقة رضاه فقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ان الله يحب الملحين في الدعاء وقد جاء في الحديث قال جبريل عليه السلام يا رب عبدك فلان اقض له حاجته فيقول دعوا عبدي فاني أحب أن أسمع صوته رواه أنس بن مالك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ومقتضى هذا أن من الناس من يعجل الله له بنوال حاجته لكراهة صوته وقد روي هذا المعنى أيضا منصوصا فليكن العبد خائفا من ذلك عند تعجيل اجابة دعائه قال أبو محمد عبد العزيز المهدوي رضي الله عنه كل من

قد تكون خبيئة كثيرة فتحتاج الى مدة طويلة وشدة معاناة في قطعها فاذا حصل المقصود ولو في آخر نفس من عمره كان هو الغاية القصوى وكان ما تعب فيه حقيرا بالنسبة لذلك وقد تكون غير ذلك فلا تحتاج الى طول مدة وكثرة معاناة

لا يشككنك في الوعد) الذي وعدك به مولاك في منام أو على لسان ملك أو بإلهام رحماني (عدم وقوع الموعود وإن تعين زمنه) أي وإن كان زمنه معينا بأن ألهمت أنه يحصل لك في الوقت الفلاني فتح أو يحصل في العام رخاء أو غير ذلك (لئلا يكون ذلك الشك (قدحا في بصيرتك وإخمادا لنور سريرتك) فمن وعده مولاه شيئا وإن كان معين الزمان ثم لم يقع ذلك الموعود فلا ينبغي أن يشككه ذلك في صدق وعد ربه لجواز أن يكون وقوع ذلك الموعود معلقا على أسباب وشروط استأثر الحق تعالى بعلمها دون العبد لحكمة يريدها ومن هذا القسم ما يقع لبعض الأولياء أن يخبر بأنه يحصل في هذا العام كذا ثم لا يحصل فيقع بعض الناس في أعراضهم ومنه ما وقع له صلى الله عليه وسلم عام الحديبية من إخباره للصحابة بالفتح ثم لم يحصل في ذلك العام بل في عام بعده فإذا خطر للمريد خاطر رحماني أو ملكي ثم لم يحصل مقتضاه لا ينبغي أن يشك في حصول الموعود بل ينبغي أن يعرف قدره ويتأدب مع ربه ويسكن إليه فيما وعده به ولا يتشكك في ذلك ولا يتزلزل اعتقاده فمن كان كذلك فهو عارف بالله سالم البصيرة منور السريرة وإلا فعلى العكس من ذلك (إذا فتح لك وجهة من التعرف فلا تبال معها أن قل) بفتح الهمزة (عملك) أي بقلة عملك إعلم (٩) أن السالك لابد له في سلوكه من كثرة الأعمال ليقطع عقبات النفوس ويصل إلى حضرة الرب فإذا شرع في المجاهدة وطالت عليه المدة ربما كسل عن بعض أنواع العبادات والأوراد التي رتبت عليه فيحصل عنده شدة الهم والغم وربما تسول له نفسه الترك بالكلية مع كونه قد حصل عنده نوع من معرفة الله تعالى فأرشده الشيخ رضي الله عنه إلى أنه إذا فتح له وجهة من التعرف أي نوعا من المعرفة كأن عرف بطريق الذوق أن الله تعالى حاضر معه مطلع على حاله أو عرف ذوقا أنه لا فاعل إلا الله بأن حصل له تجلي الأفعال الذي هو أول التجليات عندهم فلا يبال حينئذ بقلة العمل لأن القصد من العمل القرب من حضرة الرب وفتح تلك الوجهة دليل على ذلك وعلى أنه معتنى به وأنه سيصير من أهل وده وقد تكون قلة العمل بسبب مرض يعوقه عنه وإذا حصل عنده نوع من المعرفة بأن عرف أن نزول المرض به خير من الصحة الخالية من رقيه وأن الله يفعل به ما يريد فلا يبال حينئذ بقلة العمل (فإنه ما فتحها) أي تلك الوجهة (لك إلا وهو يريد أن يتعرف إليك) أي يواجهك بفضله ويقرب منك ويتجلى عليك بصفاته وأسمائه ولا شك أن ذلك أعظم من كثرة الأعمال الظاهرة (ألم تعلم أن التعرف هو مورده عليك) أي يحمله لك بمحض التفضل (والأعمال أنت مهديها إليه وأين ما تهديه إليه مما هو مورده عليك) فإن هدية العبيد وإن كانت جليلة هي حقيرة بالنسبة إلى هدية السيد وإن كانت قليلة على أن هدية العبد نفعها عائد عليه لا على السيد وحاصل ما ذكر أن قليل العمل مع المعرفة خير من كثير العمل بدونها فإذا حصل للسالك بعض المعرفة ينبغي له أن يوجه قلبه إلى حضرة مولاه ليزيده من معرفته ويرقيه في مقامات قربه لا أن يكثر من اهتمامه بالأعمال الظاهرة ولذا كانت أعمال العارفين الظاهرة قليلة في أواخر أمرهم ولم يزالوا يحنون إلى البداية لما فيها من كثرة الأنوار بسبب كثرة الأعمال ثم قال

لم يكن في دعائه تاركا لاختياره وراضيا باختيار الحق فهو مستدرج وهو ممن قيل له اقضوا حاجته فإني أكره أن أسمع صوته فإذا كان في دعائه مع اختيار الحق تعالى لا مع اختيار نفسه كان مجابا وإن لم يعط والأعمال بخواتيمها اهـ وقد تكون الإجابة مرتبة على شروط لا علم للداعي بها فتتأخر لعدم وقوع ذلك أو بعضه وذلك مثل وجود الاضطرار قال الله تعالى أمن يجيب المضطر إذا دعاه فرتب الإجابة على الاضطرار وقال بعض العارفين إذا أراد الله أن يستجيب دعاء عبد رزقه الاضطرار في الدعاء والاضطرار لا يتحققه العبد من نفسه في جميع حالاته قال بعضهم المضطر الذي إذا رفع إلى الله تعالى يده لم ير لنفسه عملا وهذا حال شريف ومقام منيف يعسر على أكثر الناس الوصول إليه فكيف يتحقق ما ينبني عليه وفي المسألة التي تجاور هذا تنبيه على هذا المعنى (لا يشككنك في الوعد عدم وقوع الموعود وإن تعين زمنه لئلا يكون ذلك قدحا في بصيرتك وإخمادا لنور سريرتك) الحق سبحانه لا يخلف الميعاد فمن وعده مولاه شيئا وإن كان معين الزمن ثم لم يقع ذلك الموعود فلا ينبغي أن يشككه ذلك في صدق وعد ربه لجواز أن يكون وقوع ذلك الوعد معلقا على أسباب وشروط استأثر الحق تعالى بعلمها دون العبد فعلى العبد أن يعرف قدره ويتأدب مع ربه ويسكن إليه فيما وعده به ويطمئن إليه ولا يتشكك في ذلك ولا يتزلزل اعتقاده فيه فمن كان على هذا الوصف فهو عارف بالله تعالى سالم البصيرة منور السريرة وإلا فعلى العكس (إذا فتح لك وجهة من التعرف فلا تبال معها إن قل عملك فإنه ما فتحها لك إلا وهو يريد أن يتعرف إليك ألم تعلم أن التعرف هو مورده عليك والأعمال أنت مهديها إليه وأين ما تهديه إليه مما هو مورده عليك) معرفة الله تعالى هي غاية المطالب ونهاية الآمال والمآرب فإذا أراد الله تعالى بعبده بعض أسبابها وفتح له باب التعرف له منها وأوجد له سكينة وطمأنينة فيها فذلك من النعم الجزيلة عليه فينبغي أن لا يكترث بما يفوته بسبب ذلك من أعمال البر وما يترتب

عليها من جزيل الأجر وليعلم أنه سالك به مسالك الخاصة المقربين المؤدي الى حقائق التوحيد واليقين
من غير اكتساب من العبد ولا بعمل والأعمال التي من شأنه أن يتلبس بها وهي مما كتسابه وبعمله
ولا تسلم من دخول الآفات عليها والمطالبة بوجود الاخلاص فيها وقد لا يحصل له ما يريد من الثواب عند
مناقشة الحاسب وأين أحدهما من الآخر ومثاله مما يصاب به الانسان من البلايا والشدائد التي تنغص
عليه لذات الدنيا وتمنعه من تكثير أعمال البر فان مراده أن يستمر بقاؤه في دنياه طيب العيش ناعم
البال ويكون حاله في طلب سعادة الآخرة كحال المترفين المتورعين فلا تستخف نفسه الا بالأعمال الظاهرة
التي لا كبير مؤنة عليه فيها ولا مشقة ولا تقطع عليه لذته ولا تفوته شهوته ومراد الله منه أن يطهره من
أخلاقه اللئيمة ويحول بينه وبين صفاته الذميمة ويخرجه من أسر وجوده الى متسع شهوده ولا سبيل له
الى الوصول الى هذا المقام على غاية الكمال والتمام الا بما يضاد مراده ويشوش عليه معتاده ويكون
حاله حينئذ المعاملة بالباطن ولا مناسبة بينها وبين الأعمال الظاهرة فاذا فهم هذا علم أن اختيار الله له
ومراده منه خير له من اختياره لنفسه ومراده لها وقد روى أن الله تعالى أوحى الى بعض أنبيائه
أنزلت بعبدي بلاء فدعاني فماطلته بالاجابة فشكاني فقلت عبدي كيف أرحمك من شئ به أرحمك
وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قال الله تبارك وتعالى اذا
ابتليت عبدي المؤمن فلم يشكني الى عواده أنشطته من عقالي وبدلته لحما خيرا من لحمه ودما خيرا من دمه
ويستانف العمل وروى عن سعيد المقبري قال سمعت أبا هريرة رضي الله عنه يقول قال الله تبارك
وتعالى اني ابتلي عبدي المؤمن فاذا لم يشك الى عواده حللت عنه عقدي وبدلته لحما خيرا من لحمه ودما
خيرا من دمه ثم قلت له استانف العمل قال أبو عبد الله محمد بن علي الترمذي رضي الله عنه ولقد مرضت
في سالف أيامي مرضة فلما شفاني الله تعالى منها مثلت في نفسي ما دبر الله تعالى من هذه العلة في مقدار
هذه المدة وبين عبادة الثقلين في قدر أيام علتي فقلت لو خيرت بين هذه العلة وبين أن تكون لي عبادة
الثقلين في مقدار مدتها الى أيهما يميل اختياري فصح عزمي ودام يقيني ووقفت بصيرتي أن
مختار الله تعالى أكثر شرفا وأعظم خطرا وأنفع عاقبة وهي العلة التي دبر هالي ولا شوب فيه اذا كان فعله
فشتان بين فعله بك لتنجو به وبين فعلك لتنجو به فلما رأيت ذلك دق في عيني عبادة الثقلين في مقدار
تلك المدة في جنب ما أتاني فصارت العلة عندي نعمة وصارت النعمة منة وصارت المنة أملا وصار الأمل
عطفا فقلت في نفسي بهذا كانوا يستمرون في البلاء على طيب النفوس مع الحق وبهذا الذي انكشف
كانوا يفرحون بالبلاء اه فهذه هي وجهة التعرف التي فتحها الله تعالى له وحصلت له الغبطة بها وآثرها
على عبادة الثقلين والله أعلم فاذا أنزل الله تعالى على العبد شيئا من البلايا فليستشعر ما ذكرناه وليجعله
نصب عينيه وليجدد تذكاره على نفسه حتى يحصل له من السكون والطمأنينة ما يحمل عنه أثقال ذلك
ويزيل عنه مرارته ويوجده حلاوته وعند ذلك يكون حاله في بلائه حال الشاكرين من الفرح
والاغتباط به فيرى من حق شكره أن يأتي بما يمكنه من أعمال بره واعتبر جميع ما قلناه في هذه المسئلة
بالحكاية التي ذكرها أبو العباس بن العريف رحمه الله في كتابه مفتاح السعادة ومنهاج سلوك طريق
الارادة قال فيه كان بالمغرب عمره الله بالاسلام رجل يدعى أبا الخيار رحمه الله ونفعنا بذكره أصله من
صقلية وموطنه بغداد وجاز زمنه التسعين وطوق الرق لم يعتقه مولاه وذلك منه عن قصد واختيار وعم
جسده الجذام ورائحة المسك توجد منه على مسافة بعيدة قال الذي حدثني رأيته يمشي على الماء ثم لقيت
بعده محمدا الاسفنجي فاذا هو الابرص فقلت له يا سيدي كان الله تعالى لم يجد للبلاء محلا من أعدائه
حتى أنزله بكم وأنتم خاصة أوليائه قال فقال لي اسكت لا تقل ذلك انه لما أشرفنا على خزائن العطاء لم نجد

عند

(تنوعت أجناس الأعمال) على العاملين (لتنوع واردات الأحوال) أي الواردات التي تنتج أحوالاً قائمة بقلوبهم تقتضي ميلهم الى تلك الأعمال، والواردات هي الأحوال فإن الوارد قد يسمى حالاً كما سيأتي يعني أن بعض المريدين تجده مشتغلاً بالصلاة وبعضهم بالصيام وهكذا وسبب ذلك وارد إلهي اقتضى ميل هذا الى كذا وهذا الى كذا وينبغي لكل أحد أن يعمل بمقتضى ميله المذكور إن لم يكن تحت تربية شيخ وإلا فلا يشتغل بشيء الا باذنه وإرادته * وحاصل ذلك أن تنوع الأوراد (١١) في حق المريدين الصادقين ناشيء عن تنوع الواردات على قلوبهم فينبغي لكل مريد أن يعمل بمقتضى وارده بالشرط المتقدم ولا يعمل بمقتضى وارد غيره ولا يعترض على ذلك الغير في عدم اشتغاله بما اشتغل به هو ثم قال (الأعمال) الظاهرة (صور قائمة) أي كالأشخاص التي ليس فيها أرواح فلا نفع بها (وأرواحها) التي بها حياتها ونفعها (وجود سر الإخلاص) أي سر هو الإخلاص (فيها) والإخلاص يختلف باختلاف الناس فإخلاص العباد سلامة أعمالهم من الرياء الجلي والخفي وكل ما فيه حظ للنفس فلا يعملون العمل الا لله تعالى طلباً للثواب وهرباً من العقاب مع نسبة العمل اليهم والاعتماد عليه في تحصيل ما ذكر وإخلاص المحبين هو العمل لله اجلالاً وتعظيماً لأنه تعالى أهل لذلك لا لقصد ثواب ولا هرب من عقاب ولذا قالت رابعة العدوية ما عبدتك خوفاً من نارك ولا طمعاً في جنتك فنسبت العبادة اليها وإخلاص العارفين شهودهم انفراد الحق بتحريكهم وتسكينهم من غير أن يروا لأنفسهم في ذلك حولاً ولا قوة فلا يعملون العمل الا بالله لا بحولهم ولا قوتهم وهذا أرفع مما قبله * ثم ذكر رحمه الله ما يعين على الاخلاص ويحصله بقوله (ادفن وجودك في أرض الخمول) أي في الخمول وهو عدم الشهرة الشبيه بالأرض ودفن وجودك فيه أن لا تتعاطى أسباب الشهرة بأن تعرض نفسك للمناصب وغيرها مما فيه انتشار الصيت فإن سلكت الطريق بعد شهرتك فالواجب عليك التواضع وأن لا ترى لنفسك مقاماً ولا ترى بما أنت فيه من المناصب وغيرها شيئاً عظيماً بل ترى أن الخير في تركه لكن لا تتركه الا باشارة أستاذك

عند الله شيئاً أشرف ولا أقرب اليه من البلاء فسألناه اياه. فكيف بك لو رأيت سيد الزهاد وقطب العباد وامام الأولياء الأوتاد بغار في أرض طرسوس وجبالها تحمله لتنازع وجلده يسيل قيحاً وصديداً وقد أحاط به الذباب والنمل فاذا كان الليل لم يقنع بذكر الله وشكره على ما أعطاه من الرحمة وأسكن جسده من العافية حتى يشد نفسه بالحديد ويستقبل القبلة عامة ليله حتى يطلع الفجر اهـ وسيأتي شيء من كلام المؤلف رحمه الله في هذا المعنى والتنبيه عليه والله ولي التوفيق (تنوعت أجناس الأعمال لتنوع واردات الأحوال) واردات الأحوال هي ما يرد على القلوب من المعارف الربانية والأسرار الروحانية وهي التي توجب لها الأحوال الحميدة فمنها وارد يوجب هيبة ومنها وارد يوجب أنساً ومنها وارد يوجب قبضاً ومنها وارد يوجب بسطاً الى غير ذلك من مختلفات الأحوال ولما كانت هذه الواردات أيضاً متنوعة كانت أجناس الأعمال التي تقتضيها هذه الواردات أيضاً متنوعة والأعمال الظاهرة أبداً تابع لأحوال القلوب الباطنة كما سيقوله المؤلف بعد هذا في قوله تحسن الأعمال نتائج حسن الأحوال ۞ (الأعمال صور قائمة وأرواحها وجود سر الاخلاص فيها) الاخلاص كل عبد في أعماله على حسب رتبته ومقامه فأما من كان منهم من الأبرار فمنتهى درجة اخلاصه أن تكون أعماله سالمة من الرياء الجلي والخفي وقصد موافقة أهواء النفس طلباً لما وعد الله تعالى به المخلصين من جزيل الثواب وحسن المآب وهرباً مما أوعد به المخلطين من أليم العذاب وسوء الحساب وهذا من التحقق بمعنى قوله تعالى اياك نعبد أي لا نعبد الا اياك ولا نشرك في عبادتنا غيرك وحاصل أمره اخراج الخلق عن نظره في أعمال بره مع بقاء رؤيته لنفسه في النسبة اليها والاعتماد عليها وأما من كان منهم من المقربين فقد جاوز هذا الى عدم رؤيته لنفسه في عمله فاخلاصه انما هو في شهود انفراد الحق تعالى بتحريكه وتسكينه من غير أن يرى لنفسه في ذلك حولاً ولا قوة ويعبر عن هذا المقام بالصدق الذي به يصح مقام الاخلاص وصاحب هذا مسلوك به سبيل التوحيد واليقين وهو من التحقق بمعنى قوله تعالى واياك نستعين أي لا نستعين الا بك لا بأنفسنا وحولنا وقوتنا فعمل الأول هو العمل لله تعالى وعمل الثاني هو العمل بالله فالعمل لله يوجب المثوبة والعمل بالله يوجب القربة والعمل لله يوجب تحقيق العبادة والعمل بالله يوجب تصحيح الارادة والعمل لله نعت كل عابد والعمل بالله نعت كل قاصد والعمل لله قيام بأحكام الظواهر والعمل بالله قيام بالضمائر وهذه العبارات للامام أبي القاسم القشيري رضي الله عنه وبهذا يتبين الفرق بين المقامين وتباينهما في الشرف والجلالة فاخلاص كل عبد هو روح أعماله فبوجود ذلك تكون حياتها وصلاحيتها للتقرب بها ويكون فيها أهلية وجود القبول لها وبعدم ذلك يكون موتها وسقوطها عن درجة الاعتبار وتكون اذ ذاك أشباحاً بلا أرواح وصوراً بلا معان قال بعض المشايخ صحح عملك بالاخلاص وصحح اخلاصك بالتبري من الحول والقوة * ثم ذكر المؤلف رحمه الله تعالى الحالة التي اذا كان العبد عليها كان مخلصاً بالمعنيين فقال ۞ (ادفن وجودك في أرض الخمول

فما نبت مما لم يدفن لا يتم نتاجه) لا شيء أضر على المريد من الشهرة وانتشار الصيت لأن ذلك من أعظم حظوظه التي هو مأمور بتركها ومجاهدة النفس فيها وقد تسمح نفس المريد بترك ما سوى هذا من الحظوظ ومحبة الجاه وإيثار الاشتهار مناقض للعبودية التي هو مطالب بها قال ابراهيم بن أدهم رضي الله عنه ما صدق الله من أحب الشهرة وقال بعضهم طريقتنا هذه لا تصلح الا لأقوام كنست بأرواحهم المزابل وقال أيوب السختياني رضي الله عنه والله ما صدق الله عبد الا سره أن لا يشعر بمكانه وقال رجل لبشر بن الحرث رضي الله عنه أوصني فقال أخمل ذكرك وأطب مطعمك وقال بعضهم رضي الله عنه ما أعرف رجلا أحب أن يعرف الا ذهب دينه وافتضح وقال أيضا لا يجد حلاوة الآخرة من أحب أن يعرفه الناس وقال الفضيل رضي الله عنه بلغني أن الله عز وجل يقول في بعض ما يمن به على عبده ألم أنعم عليك ألم أسترك ألم أخمل ذكرك ثم ان تلك الأشياء الراجعة الى محبة الاشتهار والاستعلاء مما يقدح في اخلاص العبد على اختلاف مراتبه لأنه اما بسقوط الناس عن النظر اليهم أو بسقوط النفس عن النظر اليها ولا يثبت للمريد جميع ذلك الا بالخمول وسقوط المنزلة عند نفسه وعند الناس لأنه ان لم يكن بهذه المثابة لم ينفك عن الأغراض التي تبعثه على استمالة قلوب الخلق لما يرى لنفسه عليهم من الحق فتدعوه نفسه الى ذلك دعاء خفيا فينصبغ عمله بالرياء انصباغا لا يفطن له كما سيأتي عند قوله ربما دخل الرياء عليك حيث لا ينظر الخلق اليك وبقدر تحققك بوصف الخمول يتحقق لك مقام الاخلاص حتى تتخلص بذلك من رؤية اخلاصك وبهذا يتبين لك افلاس جميع الناس الا من رحم الله تعالى وأن الاخلاص في غاية الصعوبة على النفس وأنه أعز الأشياء في الوجود وقيل لسهل بن عبد الله رضي الله عنه أي شيء أشد على النفس قال الاخلاص لأنها ليس لها فيه نصيب وقال يوسف بن الحسين رضي الله عنه أعز شيء في الدنيا الاخلاص وكم أجتهد في اسقاط الرياء عن قلبي فكأنه ينبت فيه على لون آخر قال الشيخ أبو طالب المكي رضي الله عنه والاخلاص عند المخلصين اخراج الخلق عن معاملة الخالق وأول الخلق النفس والاخلاص عند المحبين أن لا يعمل عملا لأجل النفس ولا دخل عليه مطالبة العوض أو تشوف الى حظ طبع والاخلاص عند الموحدين خروج الخلق عن النظر اليهم في الأفعال وترك السكون والاستراحة بهم في الأحوال اهـ فاذا أخمل العبد نفسه وألزمها التواضع والمذلة واستمر على ذلك حتى صار له خلقا وجبلة بحيث لا يجد لضعته ألما ولا لمذلته طعما فحينئذ تزكى نفسه ويستنير بنور الاخلاص قلبه وينال من ربه أعلى درجات الخصوصية ويحصل على أوفر نصيب من المحبة الحقيقية قال الشيخ أبو طالب ومتى ذل في نفسه واتضع عند نفسه فلم يجد لذلته طعما ولا لضعته حسا فقد صار الذل والتواضع كونه فهذا لا يكره الذم من الخلق لوجود النقص في نفسه ولا يحب المدح منهم لفقد القدر والمنزلة في نفسه فصارت الذلة والضعة صفة له لا تفارقه لازمة له لزوم الزبالة للزبال والكساحة للكساح وهما صنعتان له كسائر الصنائع وربما فخروا بهما لعدم النظر الى نقصهما فهو ولاية عظيمة لمن رزقه قد ولاه على نفسه وملكه عليها فقهرها بعزه وهذا مقام محمود محبوب وبعده مقام المكاشفات بأسرار الغيوب ثم قال ومن كان حاله مع الله تعالى الذل طلبه واستحلاه كما يطلب المتكبر العز ويستحليه اذا وجده فان فارق ذلك الذل ساعة تغير قلبه لفراق حاله كما أن المتعزز اذا فارق العز ساعة تكدر عليه عيشه لأن ذلك حياة نفسه اهـ فاذا لا بد للمريد من اسقاط جاهه واخمال ذكره وفراره عن مواضع اشتهاره وتعاطيه أمورا مباحة تسقطه من أعين الناس كقصة الشائع الذي سمع به ملك زمانه فجاء اليه فلما علم بذلك الشائع استدعى بقلا وجعل يأكله أكلا عنيفا بمرأى من الملك فلما رآه على تلك

أو باذن الهي ثم ضرب لذلك مثلا بقوله (فما نبت) من الحب (مما لم يدفن لا يتم نتاجه) بل يخرج ضعيفا مصفرا لا ينتفع به الانتفاع التام واذا لم ينبت فالغالب أن يلتقطه الطائر فلا ينتفع به أيضا وكذلك السالك اذا تعاطى أسباب الشهرة في بدايته قل أن يفلح في نهايته وبقدر تحققه بوصف الخمول يتحقق له مقام الاخلاص فينبغي أمره في الابتداء على الفرار من الخلق واخمال الذكر وعدم حب الشهرة حتى اذا فنيت أوصافه وبقي بربه كان مع مولاه ان شاء أظهره وان شاء أخفاه قال سيدي أبو العباس قدس الله سره من أحب الظهور فهو عبد الظهور ومن أحب الخفاء فهو عبد الخفاء ومن كان عبد الله فسواء عليه أظهره أو أخفاه اهـ

وقال بعض العارفين: لا يتحقق الاخلاص حتى يسقط من عين الناس. ويسقط الناس من عينه. ولذلك قال آخر: كلما سقطت من عين الخلق عظمت في عين الحق. وكلما عظمت في عين الخلق سقطت من عين الحق.

الحالة أستحقره واستصغره وانصرف عنه ذاماله وسيأتي نص هذه القصة بعد هذا عند قوله ربما دخل الرياء عليك بحيث لا ينظر الخلق إليك وقد بالغ أئمة الصوفية رضي الله عنهم في مداواة علة الجاه الذي علق بالقلوب حتى استعملوا في ذلك أشياء منكرة في ظاهر الشرع ورأوا ذلك جائزا لهم أن يفعلوه ويأمروا به وذلك مثل قصة الرجل الذي دخل الحمام ولبس من فاخر ثياب الناس تحت ثيابه بحيث تظهر ومشى بذلك متحيرا بحيث يرى ويظن به السرقة فلما رآه الناس أخذوه وصفعوه ونزعوا الثياب عنه واشتهر عندهم بالسرقة حتى كان يعرف عندهم بلص الحمام فحينئذ وجد قلبه * ومثله ما روي عن أبي يزيد رضي الله عنه في قصة الشاهد الذي أمره بحلق رأسه ولحيته وتعليق مخلاة الجوز في عنقه وإعطائه لمن يصفعه من الصبيان وطوافه عن تلك الحالة في المحافل والمحاضر والحكايتان مشهورتان ذكرهما الإمام أبو حامد الغزالي رضي الله عنه وغيره وقال بعض المصنفين وإذا جاز لمن غص بلقمة من طعام حلال أن يسيغها بجرعة من الخمر إذا لم يجد غيره مع أن تحريمه مقطوع به ولا يفوته إلا حياة فانية فلأن يجوز مثل هذا إذا تعين أولى إذ يفوته بذلك الحياة الباقية والقرب من الله تعالى فإذا التزم العبد هذه الطرق من الرياضات أماتت نفسه وحيي قلبه وقرب من حضرة ربه واجتنى ثمرة غرسه على غاية الكمال والتمام وتلك الثمرة أخلاق الإيمان التي تكيفت بها نفسه وصارت كصفات ذاتية له وهي نتيجة الحكمة التي أنبتها الله في قلوب عباده المتواضعين ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا قال عيسى عليه الصلاة والسلام لأصحابه أين تنبت الحبة قالوا في الأرض فقال عيسى عليه الصلاة والسلام كذلك الحكمة لا تنبت إلا في قلب مثل الأرض قلت وقد ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم في مدح الخمول وذم الشهرة أحاديث كثيرة منها ما روى أبو أمامة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال يقول الله عز وجل إن أغبط أوليائي عندي لمؤمن خفيف الحاذ ذو حظ من الصلاة أحسن عبادة ربه وأطاعه في السر وكان غامضا في الناس لا يشار إليه بالأصابع وكان رزقه كفافا فصبر على ذلك ثم نفض بيده فقال عجلت منيته قلت بواكيه قل تراثه وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رب أشعث أغبر ذي طمرين تنبو عنه أعين الناس لو أقسم على الله لأبره وروى معاذ بن جبل رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال إن يسيرا من الرياء شرك وإن من عادى أولياء الله فقد بارز الله بالمحاربة وإن الله يحب الأتقياء الأخفياء الذين إذا غابوا لم يفتقدوا وإذا حضروا لم يدعوا ولم يعرفوا قلوبهم مصابيح الهدى يخرجون من كل غبراء مظلمة وروى أبو هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في حديثه الذي نوه فيه باسم أويس القرني وأشاد بذكره ونبه على عظيم أمره رضي الله عنه أنه قال بينا نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم في حلقة من أصحابه إذ قال ليصلين معكم غدا رجل من أهل الجنة قال أبو هريرة فطمعت أن أكون ذلك الرجل فغدوت فصليت خلف النبي صلى الله عليه وسلم فأقمت بالمسجد حتى انصرف الناس وبقيت أنا وهو صلى الله عليه وسلم فبينا نحن كذلك إذ أقبل رجل أسود متزر بخرقة مرتد برقعة فجاء حتى وضع يده في يد رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال يا نبي الله ادع الله لي بالشهادة فدعا له النبي صلى الله عليه وسلم بالشهادة وإنا لنجد منه ريح المسك الأذفر فقلت يا رسول الله أهو هو قال نعم إنه لمملوك بني فلان قلت أفلا تشتريه فتعتقه يا نبي الله فقال وأنى لي بذلك إن كان الله تعالى يريد أن يجعله من ملوك الجنة يا أبا هريرة إن لأهل الجنة ملوكا وسادة وإن هذا الأسود أصبح من ملوك الجنة وساداتهم يا أبا هريرة إن الله عز وجل يحب من خلقه الأصفياء الأخفياء الأبرياء الشعثة رؤوسهم المغبرة وجوههم الخمصة بطونهم من كسب الحلال الذين إذا استأذنوا على الأمراء لم يؤذن لهم وإن خطبوا المتنعمات لم ينكحوا وإن غابوا

لم يفتقدوا وان حضروا لم يدعوا وان طلعوا لم يفرح بطلعتهم وان مرضوا لم يعادوا وان ماتوا لم يشهدوا قالوا يا رسول الله كيف لنا برجل منهم قال ذلك أويس القرني قالوا وما أويس القرني قال أشهل ذو صهوبة بعيد ما بين المنكبين معتدل القامة آدم شديد الأدمة ضارب بذقنه الى صدره رام بنظره الى موضع سجوده واضع يمينه على شماله يتلو القرآن يبكي على نفسه ذو طمرين لا يؤبه له متزر بازار صوف ورداء صوف مجهول في أهل الأرض معروف في أهل السماء لو أقسم على الله لأبر قسمه الا وان تحت منكبه الأيسر لمعة بيضاء الا وانه اذا كان يوم القيامة قيل للعباد ادخلوا الجنة ويقال لأويس القرني قف فاشفع فيشفعه الله في مثل عدد ربيعة ومضر يا عمر ويا علي اذا انتما لقيتماه فاطلبا اليه يستغفر لكما يغفر الله لكما أو ذكر باقي الحديث وفي حديث آخر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يكون في أمتي رجل يقال له أويس القرني يدخل في شفاعته عدد ربيعة ومضر لو أقسم على الله لأبره فمن لقيه بعدي فليقرئه مني السلام ثم سئل عن علامته فقال هو رجل أصهب أشهل ذو طمرين أبيضين له أم وقد كان به بياض فدعا الله عز وجل فأذهبه عنه الا مقدار الدينار أو الدرهم لا يؤبه له مجهول في الأرض معروف في السماء وكان قد بلغ من شدة خموله ونهاية ضعفه أن الناس كانوا يسخرون منه ويستهزؤون به ويؤذونه ويرون فيه أهلية الخداع والتلصص وينسبونه الى ذلك فقد روي في ذلك أنه دفع اليه بعض فقهاء الكوفة ثوبين وكان يجالسه فانقطع عن مجلسه لأجل العري فردهما عليه بعد أن أخذهما منه وقال ان الناس يقولون من أين له هذان الثوبان ترى من خدع عليهما وكان في ذلك الوقت يجالس الفقهاء ويظهر للناس وذلك قبل أن يعرف برفعة القدر وجلالة الخطر وتنويه عمر رضي الله عنه به على المنبر فلما رأى أن الناس عرفوا حاله هرب عنهم واستخفى منهم والتبس أمره عليهم برعاية الابل وغير ذلك وقيل لعمر رضي عنه لما سأل عنه قومه ما فينا أخمل منه ذكرا فلما لقيه هو وعلي رضي الله عنهما وسألاه من هو فقال لهما راعي غنم وأجير قوم وستر ذكر أويس فلما سألاه عن اسمه قال له عبد الله فلما سألاه عن اسمه الذي سمته به أمه امتنع أن يجيبه عن ذلك فلما أخبراه بوصف النبي صلى الله عليه وسلم له وأنهما عرفاه بذلك قال لهما عسى أن يكون ذلك غيري فلما قالا له أخبرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تحت منكبك الأيسر لمعة بيضاء وطلبا منه أن يوضحها لهما لم يجد بدا من أن يوضحها لهما ذلك والله أعلم لبرهما وبره بهما عن صحة قول النبي صلى الله عليه وسلم وصدقه في أخباره بالغيب وذلك أمر واجب عليه والا فلعله كان يتعلل لهما كما فعل في كل ما سئل عنه ثم بعد ذلك لما سأله عمر رضي الله عنه أن يلتقي معه ويجعل ذلك الموضع ميعادا بينه وبينه قال له يا أمير المؤمنين لا ميعاد بيني وبينك ولا أعرفك ولا تعرفني بعد اليوم ثم دفع الابل الى أصحابها وخلا عن الرعاية وكذلك فعل مع هرم بن حيان رضي الله عنه لما لقيه بشاطئ الفرات ووقع بينهما التعرف قال له حدثني بحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أحفظه عنك فقال له لا أحب أن أفتح هذا الباب على نفسي لا أحب أن أكون محدثا ولا مفتيا ولا قاضيا فلما فرغا من الكلام الذي كانا بصدده سأله مداومة الاجتماع به فأبى وامتنع وقال له لا أراك بعد اليوم فلا تطلبني ولا تسأل عني انطلق أنت ههنا حتى أنطلق أنا ههنا ثم بعد ذلك اجتهد في طلبه والبحث عنه فلم يقع له على خبر ومن عجيب أمره أن حقق الله تعالى له هذه الحال من التخفي والتستر وأخمله بعد موته مع ما أظهره بسببه من الآيات والعبر حسبما قال عبد الله بن سلمة غزونا أذربيجان زمن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ومعنا أويس القرني رضي الله عنه فلما رجعنا مرض فمات فنزلنا فاذا قبر محفور وماء مسكوب وحنوط فغسلناه وكفناه وصلينا عليه ودفناه فقال بعضنا لبعض لو رجعنا فعلمنا قبره فرجعنا فاذا لا قبر ولا أثر قلت والحكايات والآثار في مدح الخمول وذم الاشتهار أكثر

تنبيه: هذه الادوية التي ذكرنا انما هي في حالة المرض. واما من تحقق شفاؤه وكمل فناؤه فهو عبد الله سواء اظهره او اخفاه. وفي هذا قال ابو العباس المرسي رضي الله تعالى عنه: من احب الظهور فهو عبد الظهور ومن احب الخفاء فهو عبد الخفاء وعبد الله سواء عليه اظهره ام اخفاه. اهـ

(ما نفع القلب) أي قلب المريد في التطهير من غفلاته والقرب الى حضرة مولاه (شيء مثل عزلة) أي اعتزال عن الناس (يدخل بها ميدان فكرة) أي فكرة شبيهة بالميدان لتردد القلب فيها كتردد الخيول في الميدان (١٥) لأن المريد اذا كان مخالطا للناس اشتغل نظره بالمحسوسات فلا يتفكر قلبه الا فيها ولا يزال ناظرا الا لعالم الشهادة فاذا اعتزلهم انعكس الحال وجال قلبه في عالم الغيب وقد جاء في الخبر تفكر ساعة خير من عبادة سبعين سنة وقيل لأم الدرداء ما كان أفضل أعمال أبي الدرداء قالت التفكر وذلك لأنه يصل به الى معرفة حقائق الأشياء والى تعظيم الله وتعظيم كل ما يرضيه فيفعله وتحقير كل ما يسخطه فيجتنبه ويطلع به على خفايا آفات النفس ومكايد العدو وغرور الدنيا ويتعرف به وجوه الحيل في التباعد عنها ويسلم به من الآفات الناشئة عن مخالطة أهلها وبالعزلة المذكورة يحصل التمرن على الخلوة التي هي أحد أركان الطريق الاربعة بالنسبة للمريدين وباقيها الصمت والجوع والسهر وبهذه الاربعة تصير الأبدال أبدالا وهذا كله في حق المريد الذي يسلك بنفسه فان كان تحت تربية شيخ فلابد من مخالطته ومخالطة الاخوان الذين يعينونه على سلوك الطريق فاذا ذهبت رعونات نفسه وصار من العارفين فلا تضره مخالطة الخلق أجمعين لأنه حينئذ لا يرى غير الله تعالى واعلم أن الفكرة هي المقصود والعزلة وسيلة لها ومعينة عليها ثم بين الأمور التي تصيب القلب اذا لم يحصل له تطهير بعزلة ولا فكرة بقوله

من أن يأتي عليها الأعصار وقد أورد كثيرا منها الأئمة المصنفون في هذا العلم فليطالع ذلك المريد مستمدا من الله تعالى أحسن التوفيق والتأييد وتعبير المؤلف رحمه الله تعالى هٰهنا بالدفن والارض والنبات والنتاج من ملح الاستعارات ۞ (ما نفع القلب شيء مثل عزلة يدخل بها ميدان فكرة) مداواة أمراض القلب واجبة على المريد وأمراضه انما تكون من غلبة أحكام الطبع عليه من صحبته للاضداد ووقوفه مع المعتاد وانقياده الى هوى النفس وأنسه بعالم الحس ومداواة هذا المرض تأتي من وجوه كثيرة وأبلغها في ذلك وأنفعها العزلة عن الناس المصحوبة بالفكرة فبالعزلة يتقيد الظاهر عن مخالطة من لا تصلح مخالطته ولا من لا يؤمن دخول الآفات عليه بصحبته فيتخلص بذلك المعتزل من المعاصي التي تعرض له بالمخالطة مثل الغيبة والمداهنة والرياء والتصنع ويحصل له بذلك السلامة من مسارقة الطباع الرديئة والأخلاق الدنيئة ويستفيد بذلك أيضا صيانة دينه ونفسه عن التعرض للخصومات وأنواع الشرور والفتن فان للنفس ولعا وتسارعا الى الخوض في مثل هذا فواجب على المعتزل أن يكف لسانه عن السؤال عن أخبار الناس وما هم مشغولون به ومنهمكون فيه ومنكبون عليه ويصون سمعه عن الاصغاء الى أراجيف البلدان وما اشتملت عليه من الأحوال التي ذكرناها وليحرص على أن لا يغشاه في خلوته وعزلته من شأنه التطلع لذلك والبحث عنه وليجتنب صحبة من لا يتورع في منطقه ولا يضبط لسانه عن الاسترسال في دقائق الغيبة والوقيعة والتعريض بالطعن على الناس والقدح فيهم فان ذلك مما يكدر صفاء القلب ويؤديه الى ارتكاب مساخط الرب فليهجره المعتزل وليفر منه فراره من الأسد ولا يجتمع معه في مكان البتة وليتنكر الى كل من يتعرف له من هذا الصنف من المنسوبين الى الدين فضلا عن غيرهم كما قال بعضهم أنكر من تعرف ولا تتعرف الى من لا تعرف وفي الخبر مثل الجليس السوء كمثل الكير ان لم يحرقك بشرره علق بك من ريحه وفي الأخبار السالفة أن الله تعالى أوحى الى موسى عليه السلام يا ابن عمران كن يقظانا وارتد لنفسك اخوانا وكل أخ أو صاحب لا يوازرك على مسرتي فهو لك عدو وأوحى الله تعالى الى داود عليه السلام فقال له يا داود ما لي أراك منتبذا وحدانيا فقال الهي قليت الخلق من أجلك فقال يا داود كن يقظانا وارتد لنفسك أخدانا وكل خدن لا يوافقك على مسرتي فلا تصحبه فانه لك عدو يقسي قلبك ويباعدك مني وما أحسن قول أبي اسحق ابراهيم ابن مسعود الالبيري في هذا المعنى

خف أبناء جنسك واخش منهم ۞ كما تخشى الضراغم والسبنتى

وخالطهم وزايلهم حذارا ۞ وكن كالسامري اذا لمستا

وبالعزلة أيضا يجتمع همه ويقوى في ذات الله عزمه بخلاف الخلطة فانها تفرق الهم وتضعف العزم فقد قيل ان العبد ليعقد في خلوته على خصال من الخير يعملها فاذا خرج الى الناس حلوا عليه ذلك عقدة عقدة حتى يرجع الى بيته وقد انحلت العقد كلها وروي عن عيسى عليه السلام لا تجالسوا الموتى فتموت قلوبكم قيل ومن الموتى قال المحبون للدنيا الراغبون فيها وفي الخبر المروي عن رسول الله ﷺ أنه قال أخوف ما أخاف على أمتي ضعف اليقين وضعف اليقين انما يكون من رؤية أهل الغفلة ومخالطة أرباب البطالة والقسوة قال أبو طالب المكي رضي الله عنه وأضر ما ابتلي به العبد وأدخله وأعماه في هلاكه وأشده لحجبه وابعاده ضعف يقينه بما وعد من الغيب وتوعد عليه بالشهادة وقوة اليقين أصل كل عمل

صالح وقال بعض هذه الطائفة قلت لبعض الابدال المنقطعين الى الله كيف الطريق الى التحقيق
والوصول الى الحق قال لا تنظر الى المخلوقات فان النظر اليهم ظلمة قلت لابد لى منهم قال فلا تسمع
كلامهم فان كلامهم قسوة قلت لابد لى منهم قال فلا تعاملهم فان معاملتهم خسران و وحشة قلت انا
بين أظهرهم لابد لى من معاملتهم قال فلا تسكن اليهم فان السكون اليهم هلكة قلت هذه العلة قال يا هذا
تنظر الى اللاعبين وتسمع كلام الجاهلين وتعامل البطالين وتسكن الى الهالكين وتريد ان تجد حلاوة
الطاعة وقلبك مع غير الله عز وجل هيهات هذا لا يكون ابدا و بالغرض ايضا ينكف بصره عن النظر الى
زينة الدنيا وزهرتها و ينصرف خاطره عن الاستحسان الى ما ذمه الله تعالى من زخرفها فتمتنع بذلك
النفس عن التطلع اليها والاستشراف لها ومنافسة أهلها فيها قال الله تعالى ولا تمدن عينيك الى ما متعنا
به أزواجا منهم الآية ولا ينبغى لاحد أن يستحقر هذا فانه يؤدى الى أمراض عظيمة فى القلب ومن
اعتزل الناس سلم باذن الله تعالى منها قال الامام أبو القاسم القشيرى رضى الله عنه فأرباب المجاهدات اذا
أرادوا صون قلوبهم عن الخواطر الرديئة لم ينظروا الى المستحسنات قال وهذا أصل كبير لهم فى
المجاهدات فى أحوال الرياضات اه وقال محمد بن سيرين رضى الله عنه اياك وفضول النظر فانه يؤدى
الى فضول الشهوة وقال بعض الادباء من كثرت لحظاته دامت حسراته وقال ان العين تحب الحين * ومن
أرسل طرفه اقتنص حتفه وان النظر الى الاشياء بالبصر يوجب تفرقة القلب وقد أنشدوا فى هذا المعنى

وانك ان أرسلت طرفك رائدا * لقلبك يوما أتعبتك المناظر
رأيت الذى لا كله أنت قادر * عليه ولا عن بعضه أنت صابر

وبذلك ينقطع طمعه عن الناس ويحصل له منهم الاياس وذلك من أعظم فوائد العزلة عند العقلاء
الاكياس ولا تتم له منفعة العزلة الا باشتغال القلب بالفكرة وهى المقصودة ههنا وكانت العزلة
مقدمة لها ومعينة عليها وذلك بعد تقديم ما يحتاج اليه من علوم الشرع الظاهرة والقيام بمراعاة آدابه
الباطنة وقد ذكر منها الشيخ أبو حامد الغزالى جملة شافية فى كتاب العزلة من الاحياء فلينظر هناك
وقد جاء فى الخبر تفكر ساعة خير من عبادة سبعين سنة وكذا هو والله أعلم وكان عيسى ابن مريم عليهما
وعلى نبينا الصلاة والسلام يقول طوبى لمن كان قوله ذكرا وصمته فكرا ونظره عبرة ان أكيس الناس
من دان نفسه وعمل لما بعد الموت وقال كعب من أراد شرف الآخرة فليكثر التفكر وقيل لام الدرداء
ما كان أفضل عمل أبى الدرداء قالت التفكر وذلك لانه يصل به الى معرفة حقائق الاشياء وتبين
الحق من الباطل والنافع من الضار ويطلع به أيضا على خفايا آفات النفس ومكايد العدو وغرور
الدنيا ويتعرف بوجوه الحيل فى التحرز عنها والطهارة منها قال الحسن البصرى رضى الله عنه
الفكرة مرآة تريك حسنك من قبيحك ويطلع بها أيضا على عظمة الله تعالى وجلاله اذا تفكر فى
آياته ومصنوعاته ويطلع بها أيضا على آلائه الجلية والخفية فتستفيد بذلك أحوالا سنية ويزول بها مرض
قلبه ويستقيم بسببها على طاعة ربه * قلت والعزلة التى ذكرها المؤلف رحمه الله تعالى تتضمن وجود
الخلوة وهى أحد الاركان الاربعة التى هى أساس المريدين ويلزم عنها من الثلاثة الباقية الصمت اذ
لا يتأتى من أكثر الناس الا بالخلوة والعزلة فان أضاف اليها المريد الركنين الباقيين وهما الجوع والسهر
فقد حصل على كلمة الدواء والتحقق بزمرة الاولياء والبدلاء قال سهل بن عبد الله رضى الله عنه اجتمع
الخير كله فى هذه الاربع خصال وبها صار الابدال أبدالا اخماص البطون والصمت والخلوة والسهر وقال
الشاعر وجمعها فى نظمه

(كيف يشرق قلب صور الاكوان) أي المكونات من الآدميين وغيرهم (منطبعة في مرآته) باعتقاده أنها تضر وتنفع وتطلعه لما في حصول أمر ما من الامور وتعلقه بها (أم كيف يرحل) أي يسير (الى الله وهو مكبل) أي مقيد (بشهواته) النفسية والملكية لا يمكنه السير (أم كيف يطمع أن يدخل) ذلك القلب (حضرة الله) بأن يشاهده (وهو لم يتطهر من جنابة غفلاته) أي من غفلاته الشبيهة بالجنابة فكما يمنع الجنب من دخوله المسجد كذلك يمنع من استولت عليه الغفلة من دخول حضرة الرب (أم كيف يرجو أن يفهم دقائق الاسرار) وهي العلوم الدقيقة التي ترد على قلوب العارفين (وهو لم يتب من هفواته) وهي ما يصدر منه من المعاصي لا عن قصد وانما تعجب المصنف من ذلك لما فيه من الجمع بين الاضداد وهو محال وهذه الاشياء المذكورة متضادة

فان اشراق القلب بنور الايمان واليقين مضاد للظلمة التي استولت عليه بالركون الى الاغيار والاكوان واعتماده عليها والسير الى الله تعالى بقطع عقبات النفس مضاد للاعتقال في حبس الهوى والشهوات ودخول حضرة الله المقتضية لطهارة القلب ونزاهته مضاد لما هو عليه من جنابة الغفلات التي مقتضاها الابعاد وفهم دقائق الاسرار المستفادة من التقوى مضاد للاصرار على المعاصي والهفوات واليه الاشارة بقوله تعالى واتقوا الله ويعلمكم الله وبما روي في بعض الاخبار من عمل بما يعلم ورثه الله علم ما لم يعلم وكل واحد من هذه الاربعة سبب فيما بعده فانطباع صور الاكوان في مرآة القلب سبب في تكبله بالشهوات والتكبل بها سبب في الغفلة وهي السبب في كل هفوة والهفوة تسبب في عمى القلب * ثم شرع

(٢ - (ابن عباد) - أول)

رحمه الله يتكلم على شيء من المعارف لنشط المريد حتى يدرك ذلك ذوقا فتكلم على وحدة الوجود التي أفردت بالتأليف فقال (الكون) أي المكونات أي الموجودات بأسرها (كله ظلمة) أي عدم محض لا وجود له في نظر أرباب الشهود (وانما أناره) أي أوجده (ظهور الحق) أي الله (فيه) كظهور الشمس في الكوة ذات الزجاج فليس هناك الا وجود واحد وهو وجود الحق وظهوره في الاشياء وتجليت على حسب ما تقتضيه طبائعها وليس لها وجود في ذاتها واذا كان كذلك (فمن رأى الكون) أي شيئا منه (ولم يشهده فيه أو عنده أو قبله أو بعده فقد أعوزه) أي فاته (وجود الأنوار) الالهية التي يدرك بها مشاهدة الله على أي وجه من الوجوه المذكورة (وحجبت عنه شموس المعارف) أي المعارف التي كالشموس (بسحب الآثار) أي بالآثار وهي الاكوان

يا من يروم منازل الابدال * من غير قصد منه للاعمال
لا تطمعن فيها فلست من اهلها * ان لم تزاحمهم على الأحوال
بيت الولاية قسمت أركانه * ساداتنا فيه من الابدال
ما بين صمت واعتزال دائم * والجوع والسهر النزيه العالي

(كيف يشرق قلب صور الاكوان منطبعة في مرآته أم كيف يرحل الى الله وهو مكبل بشهواته أم كيف يطمع أن يدخل حضرة الله وهو لم يتطهر من جنابة غفلاته أم كيف يرجو ان يفهم دقائق الاسرار وهو لم يتب من هفواته) الجمع بين الضدين محال كاجتماع الحركة والسكون والنور والظلمة وهذه الاشياء التي ذكرها المؤلف رحمه الله تعالى اضداد لا تجتمع فان اشراق القلب بنور الايمان واليقين مضاد للظلمة التي استولت عليه من ركونه الى الاغيار والاكوان واعتماده عليها والسير الى الله تعالى بقطع عقبات النفس مضاد للاعتقال في حبس الهوى والشهوات ودخول حضرة الله المقتضية لطهارة الداخل ونزاهته مضاد لما هو عليه من جنابة غفلاته التي مقتضاها الاقصاء والابعاد وفهم دقائق الاسرار المستفاد من التقوى مضاد للاصرار على المعاصي والهفوات واليه الاشارة بقوله عز من قائل واتقوا الله ويعلمكم الله وبما روي في بعض الاخبار من عمل بما يعلم ورثه الله علم ما لم يعلم قال يحيى بن معين رحمه الله تعالى التقى أحمد بن حنبل وأحمد بن أبي الحواري فقال ابن حنبل لابن أبي الحواري يا أحمد حدثنا بحكاية سمعتها من أستاذك أبي سليمان فقال يا أحمد قل سبحان الله بلا عجب فقال ابن حنبل سبحان الله وطولها بلا عجب فقال ابن أبي الحواري سمعت أبا سليمان يقول اذا عقدت النفوس على ترك الآثام جالت في الملكوت وعادت الى ذلك العبد بطرائف الحكمة من غير أن يؤدي اليها عالم علما قال فقام أحمد بن حنبل ثلاثا وجلس ثلاثا وقال ما سمعت في الاسلام بحكاية أعجب الي من هذه ثم ذكر الحديث الذي ذكرناه من عمل بما يعلم ورثه الله علم ما لم يعلم ثم قال لأحمد بن أبي الحواري صدقت يا أحمد وصدق شيخك ولأجل كون هذه الأشياء اضدادا عجب المؤلف رحمه الله تعالى ممن يعتقد صحة اجتماعها وممن طمع في نيل مراتب الرجال مع كونه على أقبح الخلال (الكون كله ظلمة وانما أناره ظهور الحق فيه فمن رأى الكون ولم يشهده فيه أو عنده أو قبله أو بعده فقد أعوزه وجود الأنوار وحجبت عنه شموس المعارف بسحب الآثار) العدم ظلمة والوجود نور فالكون بالنظر الى ذاته عدم مظلم وباعتبار

التي كالسحب جمع سحاب بجامع أن كلا يحجب ما وراءه وأشار المصنف رحمه الله بذلك الى اختلاف أحوال أرباب المشاهدة في شهودهم فمنهم من يشاهد المكون قبل الاكوان فاذا وقع بصره على شيء كحيوان شاهد قيام الحق به وظهوره فيه وأنه المحرك والمسكن له قبل أن يخطر له كونه آدميا أو شاة طويلا أو قصيرا الى غير ذلك ومنهم من يشاهد ذلك بعد كونه حيوانا ومنهم من يشاهده معه ومنهم من يشاهده فيه وهو ظرف متسع وهذا تقريب للافهام والافهام أمر لا يدرك الا بالذوق وما كان كذلك تقصر عنه العبارة (بما يدلك على وجود قهره سبحانه أن حجبك عنه) خطاب لعامة الناس (بما ليس بموجود معه) اتفقت مقالات العارفين واشاراتهم ومواجيدهم على ما ذكر من أن ما سوى الله عدم محض من حيث ذاته لا يوصف بوجود مع الله تعالى قال بعض العارفين أبى المحققون أن يشهدوا غير الله لما حققهم به من شهود القيومية واحاطة الديمومية اه ومع كون ما ذكر عدما فهو حجاب عن الله تعالى فان الناس لا يشهدون عند نظرهم للاكوان الا هي ولا يشاهدون مكونها ورأوا مع أنها لا وجود لها والوجود انما هو له سبحانه فهذا مما يقضى منه العجب ثم ذكر أدلة تدل على أنه لا ينبغي أن يحتجب بتلك الاكوان وأن

تجلى نور الحق عليه وظهوره فيه وجود مستتر ثم اختلف أحوال الناس فهنا فمنهم من لم يشاهد الاكوان وحجب بذلك عن رؤية المكون فهذا انه في الظلمات محجوب بسحب آثار الكائنات ومنهم من لم يحجب بالاكوان عن المكون ثم هم في مشاهدتهم اياه فرق فمنهم من شاهد المكون قبل الاكوان وهؤلاء هم الذين يستدلون بالمؤثر على الآثار ومنهم من شاهده بعد الاكوان وهؤلاء هم الذين يستدلون بالآثار على المؤثر ومنهم من شاهده مع الاكوان والمعية فهنا اما معية اتصال وهو شهوده في الاكوان واما معية انفصال وهو شهوده عند الاكوان وهذه الظروف المذكورة ليست زمانية ولا مكانية لأن الزمان والمكان من جملة الاكوان والاتصال والانفصال المذكوران ليسا على ما يفهم من معانيهما فانهما أيضا من جملة الاكوان ومعرفة تفصيل هذه الامور والتفرقة بين هذه الحقائق على ما هي عليه موكول الى أربابه فلنقتصر على ما ذكرناه فههنا زلت أقدام كثيرة من الناس فتكلموا بكلمات موهمة وعبروا بعبارات منكرة في الشرع فكفروا وبدلوا وبدعوا فاعتقد كمال التنزيه وبطلان التشبيه وتمسك بقوله عز وجل ليس كمثله شيء وهو السميع البصير سبحانه لا اله غيره (بما يدلك على وجود قهره سبحانه أن حجبك عنه بما ليس بموجود معه) اتفقت مقالات العارفين والمحققين واشاراتهم ومواجيدهم على ما ذكرناه فقبل هذا من أن ما سوى الله تعالى عدم محض من حيث ذاته لا يوصف بوجود مع الله سبحانه وتعالى اذ لو وصف به لكان ذلك شركة واثنينية وهو مناقض للاخلاص التوحيد قال الله تعالى كل شيء هالك الا وجهه وقال رسول الله ﷺ أصدق كلمة قالها الشاعر

الا كل شيء ما خلا الله باطل * وكل نعيم لا محالة زائل

قال بعض العارفين أبى المحققون أن يشهدوا غير الله لما حققهم به من شهود القيومية واحاطة الديمومية وقال سيدي أبو الحسن الشاذلي رضي الله عنه انا لننظر الى الله ببصر الايمان والايقان فاغنانا ذلك عن الدليل والبرهان ونستدل به على الخلق هل في الوجود شيء سوى الواحد الحق فلا نراهم وان كان ولا بد فنراهم كالهباء في الهواء ان فتشتهم لم تجدهم شيئا وقال أيضا رضي الله عنه قوي على الشهود مرة فسألته أن يستر ذلك عني فقيل لي لو سألته بما سأله موسى كليمه وعيسى روحه ومحمد صفيه صلوات الله عليهم أجمعين لم يفعل ولكن سله أن يقويك فسألته فقواني قال ابن عطاء في التنوير ما سوى الله تعالى عند أهل المعرفة لا يوصف بوجود ولا فقد اذ لا يوجد معه غيره لثبوت أحديته ولا يفقد الغير الا بعد وجوده لانه لا يفقد الا ما وجد ولو انهتك حجاب الوهم لوقع العيان على فقد الاعيان ولأشرق نور الايقان فغطى وجود الاكوان وهذا الكلام هو بسط ما ذكره في هذا الكتاب وقال بعضهم او كلفت أن أرى غيره لم أستطع فانه لا غير معه حتى أشهده معه وقال الشاعر

مذ عرفت الاله لم أر غيرا * وكذا الغير عندنا ممنوع
مذ جمعت ما خشيت افترا * فأنا اليوم واصل مجموع

وقال الآخر

الله قل وذر الوجود وما حوى * ان كنت مرتادا بلوغ كمال
فالكل دون الله ان حققته * عدم على التفصيل والاجمال
واعلم بانك والعوالم كلها * لولاه في محو وفي اضمحلال
من لا وجود لذاته من ذاته * فوجوده لولاه عين محال
فالعارفون فنوا بأن لم يشهدوا * شيئا سوى المتكبر المتعالي

قوله كيف يتصور الى آخره والحاصل ان وجود الحق هو الوجود الاصلي الظاهر الباهر. ووجودما سواه كالعدم بالنسبة الى وجود ذى القِدَم. فصيرورة هذا حجابا ~~للحادث~~ لذلك العجب عند اولى الالباب. كشمس الضحى لا يراها الاعمى لا لخفائها. بل لعدم قابلية رؤيته اياها.

الاحتجاب بها انما هو للعوام فقال (كيف يتصور أن يحجبه شيء وهو الذي أظهر كل شيء) بما أشرق عليه من نور الوجود وقد كان في ظلمة العدم كما تقدم فبظهوره في الأشياء ظهرت وإذا كان ظهور الأشياء متوقفا عليه فيستحيل أن يحجبه حتى يكون خفيا غير ظاهر فإن الأظهار إنما يفيد ظهور المظهر لا إخفاءه (كيف يتصور أن يحجبه شيء وهو الذي ظهر بكل شيء) حتى استدل عليه المستدلون بالأشياء كما قال تعالى سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق وذلك لأن الأثر يدل على المؤثر ويعرف به وهذا مقام المستدلين الضعفاء (كيف يتصور أن يحجبه شيء وهو الذي ظهر في كل شيء) بذاته كما يقوله أهل الشهود أو بمحاسن صفاته وأسمائه كما يقوله أهل الحجاب فالأشياء كلها مجالي ومظاهر لظهور معاني أسمائه التي هي تفاصيل معاني

صفاته فيظهر في أهل العزة بكونه معزا وفي أهل الذلة بكونه مذلا وفي الإحياء معنى اسمه المحيي وعند سلب الأرواح معنى اسمه المميت وعند العطاء معنى اسمه المعطي وعند المنع معنى اسمه المانع وعند افاضة الفضل معنى اسمه الكريم وعند اجابة الدعاء معنى اسمه المجيب وعند تسليطه للضار وجلب النافع معنى اسمه الضار النافع الى غير ذلك (كيف يتصور أن يحجبه شيء وهو الذي ظهر لكل شيء) أي تجلى لكل شيء حتى عرفه ولهذا كان ساجدا له ومسبحا بحمده ولكن لا تفقه ذلك فكل شيء عارف به على قدر تجليه له وإن كان في الأشياء من لا يقدر الله حق قدره لنقص معرفته وقصورها لا لانتفاء أصلها (كيف يتصور أن يحجبه شيء وهو الظاهر قبل وجود كل شيء) لتحقق هذا الاسم له أزلا وأبدا فظهوره تعالى ذاتي له غير مكتسب ولا مستفاد ولا معلول وظهور الأكوان ناشئ من تجليه عليها بصفة الظهور فكيف تكون حاجبة له (كيف يتصور أن يحجبه شيء وهو أظهر من كل شيء) لأن الوجود أظهر من العدم على كل حال ولأن الظهور الذاتي أقوى من العرضي والظهور المطلق أقوى من المقيد والدائم أقوى من المنصرم وإنما لم يدرك العقول مع شدة ظهوره لأن شدة الظهور لا يطيقها الضعفاء كالخفاش بصره بالليل دون النهار لا لخفاء النهار واستتاره بل لشدة ظهوره فإن بصر الخفاش ضعيف يبهره نور الشمس إذا أشرقت فيكون شدة ظهور النهار مع ضعف بصره سببا لامتناع إبصاره فلا يرى شيئا إلا إذا امتزج الظلام بالضوء وضعف ظهوره فكذلك العقول ضعيفة وجمال الحضرة الالهية في غاية الاشراق والاستنارة فصارت شدة ظهوره سببا لخفائه

ورأوا سواء على الحقيقة حالكا • في الحال والماضي والاستقبال

وقد صنفوا في بيان هذا الأمر تصانيف وتفننوا في الكلام في هذا المعنى نظما ونثرا وكل عبر على حسب شربه وذوقه جزاهم الله عنا خيرا فإذا تقرر هذا وجدنا أكثر الناس قد حجبوا عن الله تعالى بشهواتهم الدنيوية ودرجاتهم الأخروية ومقاماتهم العلوية فكل ذلك من الأغيار العدمية والوجودات الوهمية علمنا بذلك وجود قهر مأخذ من أسمائه تعالى القهار ولو ارتفع الحجاب عنهم لفنوا عن أنفسهم وإراداتهم ويقولون بهم وكانوا عباد الله حقا وقد سئل أبو سعيد بن الاعرابي رضي الله عنه عن الفناء فقال الفناء أن تبدو العظمة والجلال على العبد فتنسيه الدنيا والآخرة والأحوال والدرجات والمقامات والأذكار وتفنيه عن كل شيء وعن عقله وعن نفسه وفنائه عن الأشياء وعن فنائه عن الفناء لأنه يغرق في التعظيم عقله اهـ قالوا والفناء على ثلاثة أوجه فناء في الأفعال ومنه قولهم لا فاعل إلا الله وفناء في الصفات أي لا حي ولا عالم ولا قادر ولا مريد ولا سميع ولا بصير ولا متكلم على الحقيقة إلا الله وفناء في الذات أي لا موجود على الاطلاق إلا الله تعالى وأنشدوا في ذلك

فيفنى ثم يفنى ثم يفنى • فكان فناؤه عين البقاء

وقال سيدي محيي الدين من شهد الخلق لا فعل لهم فقد فاز ومن شهدهم لا حياة لهم فقد حاز ومن شهدهم عين العدم فقد وصل وأنشدوا في هذا المعنى

من أبصر الخلق كالسراب • فقد ترقى عن الحجاب
الى وجود تراه رتقا • بلا ابتعاد ولا اقتراب
ولم يشاهد به سواه • هناك يهدي الى الصواب
فلا خطاب به اليه • ولا مشير الى الخطاب

(كيف يتصور أن يحجبه شيء وهو الذي أظهر كل شيء) بما أشرق عليه من نور الوجود وقد كان في ظلمة العدم كما تقدم (كيف يتصور أن يحجبه شيء وهو الذي ظهر بكل شيء) حتى استدل عليه المستدلون بالأشياء كما قال تعالى سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم (كيف يتصور أن يحجبه شيء وهو الذي ظهر في كل شيء) إذ هو المتجلي فيها بمحاسن صفاته وأسمائه (كيف يتصور أن يحجبه شيء وهو الذي ظهر لكل شيء) فيطوى ذلك الشيء ولذلك كان ساجدا له ومسبحا بحمده ولكن لا تفقه ذلك (كيف يتصور أن يحجبه شيء وهو الظاهر قبل وجود كل شيء) لتحقق هذا الاسم له أزلا وأبدا (كيف يتصور أن يحجبه شيء وهو أظهر من كل شيء) لأن الوجود أظهر من العدم على كل حال

(كيف يتصور أن يحجبه شيء وهو الواحد الذي ليس معه شيء) اذ كل شيء سواه عدم لا وجود له على التحقيق فليس ثم شيء يحجبه اذ الوجود الحقيقي كله له ولا شيء منه لغيره (كيف يتصور أن يحجبه شيء وهو أقرب اليك من كل شيء) لثبوت احاطته بك وقيوميته عليك قال تعالى ونحن أقرب اليه من حبل الوريد فهو قريب لنا بذاته عند أهل الشهود وأما أهل الحجاب فيقولون هو قريب بعلمه وقدرته الى غير ذلك (كيف يتصور أن يحجبه شيء ولولاه ما كان وجود كل شيء) حتى استدل به المشاهدون على الأشياء قال تعالى أولم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد ولو أسقط لفظ كل لكان أظهر في افادة العموم والقصد بهذا الكلام المبالغة في نفي الحجاب فلا يضر كون هذا الوجه بمعنى الوجه الأول وبعضهم أثبت التغاير بينهما بما فيه كلفة (ياعجبا كيف يظهر الوجود في العدم) لأن العدم ظلمة والوجود نور وهما ضدان لا يجتمعان (أم كيف يثبت الحادث مع من له وصف القدم) لأن الحادث باطل والله تعالى حق والباطل لا يثبت مع ظهور الحق قال تعالى وقل جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا فالظاهر والثابت هو الحق تعالى لا الكون وما بدا الا وجه الحق فهو المظهر والظاهر والموجود دون كل الظاهر والتعجب المذكور ناشئ من غلبة الشهود فانه اذا قوي على العبد اضمحلت الأكوان في نظره وفني عنها بالمرة (ما ترك من الجهل شيئا من أراد أن يحدث في الوقت غير ما أظهره الله فيه) فاذا كان المريد في حال بدني أو قلبي لا يذمه الشرع لزمه حسن الأدب في اختيار بقائه عليه ورضاه به حتى ينقله الله عنه فاذا كان متجردا وتعلق قلبه بالتكسب أو كان في صنعة وأراد الانتقال عنها لغيرها كان قليل الأدب مع مولاه جاهلا بما يناسب حضرته وكذا ان كان في حال قبض وأراد الانتقال عنه الى البسط قال بعضهم لي منذ أربعين سنة ما أقامني الله في حال فكرهته ولا نقلني الى غيره فسخطته وهذا من نتائج العلم بالله ومعرفة ربوبيته فان سخط تلك الحال وتشوف الى الانتقال عنها بنفسه وأراد أن يحدث غير ما أظهره الله تعالى فقد بلغ غاية الجهل به واساءة الأدب في حضرته وهذا من معارضة حكم الوقت الذي تشير اليه الصوفية وهو عندهم من أعظم ذنوب الخاصة

(كيف يتصور أن يحجبه شيء وهو الواحد الذي ليس معه شيء) اذ كل ماسواه عدم لا وجود له على التحقيق (كيف يتصور أن يحجبه شيء وهو أقرب اليك من كل شيء) لثبوت احاطته بك ووجود قيوميته عليك . (كيف يتصور أن يحجبه شيء ولولاه ما كان وجود كل شيء) حتى استدل به الشاهدون على الأشياء كما قال الله تعالى أولم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد (ياعجبا كيف يظهر الوجود في العدم) لأن العدم ظلمة والوجود نور وهما ضدان لا يجتمعان (أم كيف يثبت الحادث مع من له وصف القدم) لأن الباطل لا يثبت مع ظهور الحق كما قال الله تعالى وقل جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا وقال عز من قائل بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فاذا هو زاهق ۞ قلت وهذا الفصل من قوله الكون كله ظلمة الى هنا أبدع فيه المؤلف غاية الابداع وأتى فيه بما تقر به الأعين وتلذ به الأسماع فانه رضي الله عنه ذكر جميع متعلقات الظهور وأبطل حجابية كل ظلام ونور وأراك فيه الحق بعيان وبرهان ورفعك من مقام الايمان الى أعلى مراتب الاحسان كل ذلك في أوجز لفظ وأفصح عبارة وأتم تصريح وألطف اشارة فلو لم يكن في هذا الكتاب الا هذا الفصل لكان كافيا شافيا جزاه الله عنا خيرا ثم قال رضي الله عنه ۞ (ما ترك من الجهل شيئا من أراد أن يحدث في الوقت غير ما أظهره الله فيه) اذا أقام الله تعالى العبد في حال من الأحوال التي لا يذمها الشرع فليلتزم حسن الأدب في اختيار بقائه عليها ورضاه بها وليراقب الله تعالى في مراعاة آدابها وليوافق مراد الله تعالى في ذلك حتى يكون هو الذي ينقله عنها قال أبو عثمان رضي الله عنه لي منذ أربعين سنة ما أقامني الله تعالى في حال فكرهته ولا نقلني الى غيره فسخطته وقد تقدمت حكاية المؤلف رحمه الله تعالى مع شيخه أبي العباس المرسي حين عزم على التجرد وترك ما كان عليه من الاشتغال بالعلم الظاهر وما أجابه به الشيخ رضي الله تعالى عنه وهذا من نتائج العلم بالله تعالى ومعرفة ربوبيته فان سخط تلك الحال وتشوف الى الانتقال عنها بنفسه وأراد أن يحدث غير ما أظهره الله تعالى فقد بلغ غاية الجهل به واساءة الأدب في حضرة مولاه عز وجل وهذا من معارضة حكم الوقت الذي تشير اليه الصوفية وهو عندهم من أعظم ذنوب الخاصة فالواجب على العبد الاستسلام لحكم الله تعالى في ذلك الوقت فهو أدب العبودية ومقتضى العلم بالله تعالى وهذا هو أحد معاني لفظ الوقت في اصطلاحهم قال الامام أبو القاسم القشيري رضي الله تعالى عنه وقد يريدون بالوقت ما يصادمهم من تصريف الحق لهم دون ما يختارون لأنفسهم ويقولون فلان بحكم الوقت أي انه مستسلم لما يبدو من الغيب من اختياره وهذا فيما ليس لله عز وجل عليهم فيه أمر أو اقتضاء بحق شرع اذ التضييع لما أمرت به واحالة الأمر فيه على التقدير وترك المبالاة بما يحصل منك من التقصير خروج عن الدين ۞ ومن كلامهم الوقت سيف أي كما أن السيف قاطع

فالوقت

لحكمته
الزاما تعجيبا . الفاعل المختار يفعل ما يختار سواء تختار ذلك او لا تختار فلم تنازع لجهلك صاحب امرك ؟! / يعني ان من حسن الادب ان يكون راضيا بما اقامه الله فيه

(احالتك الاعمال على وجود الفراغ من رعونات النفس) فاذا كان المريد مشتغلا بحال من أحوال دنياه وكان ذلك يمنعه من الأعمال التى يتوصل بها الى حضرة مولاه وأحال ذلك على فراغه من تلك الاشغال فقال اذا تفرغت عملت كان ذلك دليلا على رعونة نفسه والرعونة ضرب من الحماقة وذلك لتسويفه العمل الى فراغ أو أنه وقد لا يجد مهلة بل يختطفه الموت قبل ذلك أو يزداد شغله لأن أشغال الدنيا يتداعى بعضها الى بعض ولو فرض أنه تفرغ منها فقد يتبدل عزمه وتضعف نيته فالواجب عليه النهوض الى ما يوصله الى مولاه قبل الفوات ولذا قيل الوقت كالسيف ان لم تقطعه قطعك (لا تطلب منه أن يخرجك من حالة) دنيوية كصناعة أو دينية كطلب علم (ليستعملك فيما سواها) لتوهمك أن ما أنت فيه عائق عن نهوضك لحضرته (فلو أرادك) أى أحبك وكنت من أهل الارادة (لاستعملك) استعمالا محبوبا عنده بأن يوفقك للأفعال الصالحة ويشغل قلبك به (من غير اخراج) أى مع بقائك على حالتك التى أنت عليها فاذا كان المريد على حالة لا توافق غرضه وكانت مباحة فى الشرع لا ينبغى له أن يروم الخروج منها بنفسه ويعارض حكم الوقت كما مر فى قوله ما ترك من الجهل شيئا الخ وكذا لا ينبغى له أن يعارض حكم الوقت ويطلب من مولاه أن يخرجه منها ويستعمله فيما سواها لأن هذا من التخيير على الله ولا خيرة له فى ذلك بل ينبغى أن يطلب حسن الأدب معه وايثار مراده على اختياره فاذا علم منه مولاه ذلك استعمله استعمالا محبوبا عنده مع بقائه على ما هو عليه فيكون اذ ذاك بمراد الله له لا بمراده لنفسه وهو خير له مما اختاره ولو قال لحصل لك المطلوب من غير اخراج لكان أولى أما لو كان على حالة لا توافق الشرع فيجب عليه المسارعة الى الانتقال

فالوقت بما يقتضيه الحق وعبر به بعضهم لأن من قطعه قطع وقيل السيف لين مسه قاطع حده فمن لاينه سلم ومن خاشنه اصطلم كذلك الوقت من استسلم لحكمه نجا ومن عارضه بترك الرضا انتكس وتردى وأنشدوا

وكالسيف ان لاينته لان مسه ● وحداه ان خاشنته خشنان

ومن ساعده الوقت فالوقت له وقت ومن ناكده الوقت فالوقت عليه مقت هذا كلام الامام أبى القاسم وهو موافق لما ذكره صاحب الكتاب والله الموفق ۞ (احالتك الأعمال على وجود الفراغ من رعونات النفس) اذا كان العبد ملتبسا بحال من أحوال دنياه وكان له فيها شغل يمنعه من العمل بالأعمال الصالحة وأحال ذلك العمل على فراغه من تلك الاشغال وقال اذا تفرغت عملت فذلك من رعونة نفسه والرعونة ضرب من الحماقة وحماقته من وجوه الأول ايثار الدنيا على الآخرة وليس هذا من شأن عقلاء المؤمنين وهو خلاف ما طلب منه قال الله تعالى بل تؤثرون الحياة الدنيا والآخرة خير وأبقى والثانى تسويفه بالعمل الى أوان فراغه وقد لا يجد مهلة بل يختطفه الموت قبل ذلك أو يزداد شغله لأن أشغال الدنيا يتداعى بعضها الى بعض كما قيل

فما قضى أحد منها لبانته ● ولا انتهى أرب الا الى أرب

والثالث أن يفرغ منها ما الذى يرضيه ٧ من تبدل عزمه وضعف نيته ثم فيه من دعوى الاستقلال ورؤية الحول والقوة فى جميع الأحوال ما يستحقر فى جنبه جميع هذا بل الواجب عليه أن يبادر الى الأعمال على أى حال كان وأن ينتهز فرصة الامكان قبل مفاجأة الموت وحلول الفوت وأن يتوكل على الله تعالى فى تيسيرها عليه وصرف الموانع الحائلة بينها وبينه وما أحسن قول ابن الفارض فى هذا المعنى

وعد من قريب فاستجب واجتنب غدا ● وشمر عن الساق اجتهادا بنهضة

وكن صارما كالوقت فالمقت فى عسى ● واياك مهلا فهى أخطر علة

وسر زمنا وانهض كسيرا فحظك الـ ● ـبطالة ما أخرت عزما لصحة

وجد بسيف العزم سوف فان تجد ● تجد نفسا فالنفس ان جدت جدت

(لا تطلب منه أن يخرجك من حالة ليستعملك فيما سواها فلو أرادك لاستعملك من غير اخراج) كأنه اذا كان المرء على حالة لا توافق غرضه كانت متعلقة بالدين أو بالدنيا لا ينبغى له أن يروم الخروج منها بنفسه ويعارض حكم وقته فيحدث فيه غير ما أظهره الله فيه كما تقدم فى قوله ما ترك من الجهل شيئا من أراد أن يحدث فى الوقت غير ما أظهره الله فيه مع الشرط المتقدم وهو أن لا يكون فى ذلك مخالفة أمر أو ارتكاب نهى فينبغى له أيضا أن لا يعارض حكم الوقت ويطلب من مولاه أن يخرجه منها ويستعمله فيما سواها لأن هذا من التخيير على الله تعالى ولا خيرة له فى ذلك بل ينبغى له حسن الأدب معه وايثار مراده به على اختياره هو وحينئذ يتحقق بحال يتعرف فيها محبة الله تعالى وارادته له فيستعمله استعمالا محبوبا عنده مع بقائه على حالته التى هو عليها فيكون اذ ذاك بمراد الله تعالى لا بمراده لنفسه وهو خير مما اختاره قال فى التنوير يحكى عن بعضهم أنه كان يقول وددت لو أنى تركت كل الأسباب وأعطيت كل يوم رغيفين يريد بذلك أن يستريح من تعب الأسباب قال فسجنت ثم كنت فى السجن يؤتى الى كل يوم برغيفين فطال ذلك على حتى ضجرت ففكرت يوما فى أمرى فقيل لى انك طلبت منا كل يوم رغيفين

---

٧ (قوله ان يفرغ منها ما الذى يرضيه) هكذا فى النسخ التى بأيدينا . فليحرر

والطلب من مولاه أن ينقله الى ما رضيه (٢٢) (ما أرادت همة سالك) أي سائر الى الله تعالى (أن تقف عندما كشف لها) في أثناء السلوك من المعارف والأسرار والأنوار بأن يرى أن ما وصل اليه من المعرفة وذوق الأحوال ومنازلة المقامات هو الغاية القصوى والنهاية فتقف همته عنده وتتعشقه وتحبه أو يرى أن ما فوقه أعظم منه لكنه يقنع بذلك ويرى أن فيه الكفاية فلا يرقى بهمته أو يرى قصور همته عن الرقي لما فوقه (الا ونادته هواتف الحقيقة) أي الهواتف التي تهتف على قلبه من جهة الحقيقة الالهية ويحتمل أن المعنى الا ناداه لسان حال الحقيقة التي كشفت له سر وجد في السير لا تقف (فان الذي تطلبه) وهو وصولك الى المولى وعدم ركون قلبك الى شيء سواه (أمامك) فلا تقف عند ما كشف لك (ولا تبرجت) أي أظهرت لك محاسنها (ظواهر المكونات) كتسخير الخلق لك واقبالهم عليك والتوسعة في الدنيا وظهور خوارق العادات كتسخير الحيوانات والمشي على الماء والتربع في الهواء والاطلاع على أسرار الخلائق وخواص الوجود وتكثير القليل من الطعام وطي الأرض ونحو ذلك مما تميل النفس له (الا ونادتك حقائقها) أي بواطنها نداء معنويا وان لم تشعر به (انما نحن فتنة) أي ابتلاء واختبار (فلا تكفر) أي فلا تفتتن بنا ولا تقف على عندنا ولا تجعل نفسك رقالنا فتحتجب بنا عن الله لأن ذلك كفر لحق المنعم وشكر النعم بالاقبال على المنعم فالاعراض عنه بالوقوف مع النعم

ولم نطلب منا العافية فأعطيناك ما طلبت فاستغفرت من ذلك ورجعت الى الله تعالى فاذا بباب السجن يقرع فتخلصت وخرجت قال فيه فتأدب بهذا أيها المؤمن ولا تطلب أن يخرجك من أمر يدخلك فيه سواء اذا كان ما أنت فيه مما يوافق لسان العلم فان ذلك من سوء الأدب مع الله تعالى فاصبر لئلا تطلب الخروج بنفسك فتعطى ما طلبت وتمنع الراحة فيقرب تارك شيئا وداخل في غيره ليجد النزهة والراحة فيتعب وقوبل بوجود التعسير تعفو بعد وجود الاختيار اهـ كلامه في التنوير وهو كالتفسير لما ذكره ههنا فلذلك أوردته ❁ (ما أرادت همة سالك أن تقف عندما كشف لها الا ونادته هواتف الحقيقة الذي تطلب أمامك ولا تبرجت ظواهر المكونات الا ونادتك حقائقها انما نحن فتنة فلا تكفر) السائر الى الله تعالى تتجلى له في أثناء سلوكه أنوار وتبدو له أسرار فان أرادت همته أن تقف عندما كشف لها من ذلك لاعتقاده أنه وصل الى الغاية القصوى والنهاية من المعرفة نادته هواتف الحقيقة المطلوب الذي تطلب أمامك فجد في السير ولا تقف فان تبرجت له ظواهر المكونات بزينتها فمال الى حسنها وجمالها نادته حقائقها الباطنة انما نحن فتنة فلا تكفر وغمض عينيك عن ذلك ولا تلتفت اليه ودم على سلوكك وسيرك واعلم أنه ما دامت لك همة وارادة فأنت بعد في الطريق لم تصل فلو فنيت عنهما لوصلت وما أحسن قول الشيخ أبي الحسن التستري في هذا المعنى

ولا تلتفت في السير غيرا فكل ما ❁ سوى الله غير فاتخذ ذكره حصنا
وكل مقام لا تقم فيه انه ❁ حجاب فجد السير واستنجد العونا
ومهما ترى كل المراتب تجتلى ❁ عليك فحل عنها فعن مثلها حلنا
وقل ليس لي في غير ذاتك مطلب ❁ فلا صورة تجلى ولا طرفة تجنى

وقد رأيت لسيدي أبي الحسن الشاذلي رضي الله عنه كلاما حسنا مناسبا لما ذكره المؤلف رحمه الله تعالى ههنا من الترقي في الأحوال وظهور النقص في رؤية الكمال فرأيت أن أذكره ههنا بنصه لما فيه من سنى الفوائد وشريف المقاصد قال رضي الله عنه اعلم أنك اذا أردت أن يكون لك نصيب مما لأولياء الله تعالى فعليك برفض الناس جملة الا من يدلك على الله تعالى باشارة صادقة وأعمال ثابتة لا ينقضها كتاب ولا سنة وأعرض عن الدنيا بالكلية ولا تكن ممن يعرض عنها ليعطى شيئا على ذلك بل كن في ذلك عبد الله أمرك أن ترفض عدوه فان أتيت بهاتين الخصلتين الاعراض عن الناس والزهد في الدنيا فأقم مع الله بالمراقبة والتزام التوبة بالرعاية والاستغفار والانابة والخضوع للأحكام بالاستقامة وتفسير هذه الوجوه الأربعة أن تقوم عبدا لله فيما تأتي وما تذر وتراقب قلبك أن لا يرى في المملكة شيئا لغيره فان أتيت بهذا ناداك هواتف الحق من أنوار العز أنك قد عميت عن طريق الرشد من أين لك القيام مع الله تعالى بالمراقبة وأنت تسمع قوله وكان الله على كل شيء رقيبا فهنالك يدركك من الحياء ما يحملك على التوبة مما ظننت أنه قربة فالتزم التوبة بالرعاية فليلزمك أن لا يشهد ذلك منك بحال فتعود الى ما خرجت عنه فان صحت هذه منك ناداك الهواتف أيضا من قبل الحق تعالى التوبة منه بدت والانابة منه نشأت واشتغالك بما هو وصف لك حجاب عن مرادك فهناك تظهر أوصافك فتستعيذ بالله منها وتأخذ في الاستغفار والانابة والاستغفار طلب الستر من أوصافك بالرجوع الى أوصافه فان كنت بهذه الصفة أعني الاستغفار والانابة ناداك عن قريب اخضع لأحكامي ودع عنك منازعتي واستقم مع ارادتي برفض ارادتك وانما هي ربوبية تولت عبودية وكن عبدا مملوكا لا تقدر على شيء فمتى رأيت منك قدرة وكلتك اليها وأنا بكل شيء عليم فان صح لك هذا الباب ولزمته أشرفت من هنالك

عكس المطلوب (طلبك منه اتهام له) يعني أن المريد ينبغي له أن يشتغل في حال سلوكه بما يقربه من مولاه من الأعمال الصالحة ولا يشغل قلبه بالطلب لشيء من الأشياء لأن ذلك مذموم قاطع عن الله فإن طلبك منه أن يرزقك بالقوت الذي يعينك على سيرك وأن يوسع عليك الرزق تهمة منك له بأنه لا يرزقك إذ لو وثقت به في إيصال منافعه إليك من غير سؤال وتيقنت أنه عالم بحاجتك قادر على إيصالها لك لما طلبت منه شيئا (وطلبك له) بأن تطلب قربك منه وزوال الحجاب عنك حتى تشاهده بعين قلبك (غيبة منك عنه) إذ الحاضر لا يطلب (وطلبك لغيره) من الأعراض الدنيوية وزخارفها ومناصبها ومن المكاشفات والكرامات والأحوال والمقامات (لقلة حيائك منه) إذ لو حصل لك حياء منه لما التفت إلى غيره وطلبت شيئا سواه (وطلبك من غيره) بأن توجهت إلى بعض الناس لتطلب منه شيئا من أعراض الدنيا غافلا في حال الطلب عن مولاك (لوجود بعدك عنه) إذ لو كنت قريبا منه لكان غيره بعيدا عنك ولو كنت مشاهدا لقربه منك لاكتفيت به عن سائر خلقه لكن وجود البعد قضى عليك بالشعور بالغير حتى توجهت إليه وطلبت منه فالطلب كله من المريدين معلول سواء كان متعلقا بالحق أو الخلق إلا ما كان على وجه التعبد والتأدب واتباع الأمر وإظهار الفاقة أما العارفون فلا يرون غير الله تعالى فطلبهم ليس من المخلوق في الحقيقة وإن كان منه بحسب الظاهر (ما من نفس) بفتح الفاء وهو جزء من الهواء يخرج من باطن البدن في جزء من الزمن أي من أنفاسك (تبديه) أي تظهره بقدرة الله تعالى لا تبديه (إلا وله) تعالى (فيك قدر) أي والمعنى أن كل نفس مر مقدر عليك فيه طاعة أو معصية أو نعمة أو بلية (يمضيه) أي يبرزه بقدرته في ذلك النفس فكل نفس يبدو منك ظرف لقدر من أقدار الحق ينفذ فيك كائنا ما كان فينبغي لك الأدب معه ومراقبته في كل نفس من أنفاسك فتكون في كل نفس سالكا طريقا إلى الحق سبحانه وتعالى وهو معنى قولهم الطرق إلى الله تعالى بعدد أنفاس الخلائق (لا تترقب) أيها المريد (فروغ الأغيار) الواردة على قلبك وهي ظلمات تحدث فيه (تحول بينه وبين شهود المولى والحضور معه فإن ذلك يقطعك عن وجود المراقبة له فيما هو مقيمك فيه) من الأعمال التي تتوصل بها إليه فالمطلوب منك المواظبة على ما أنت فيه ومراقبة المولى في ذلك ولا تشتغل بما يورده على قلبك من ظلمة أو نور ولو قال فإن ذلك يقطعك عما هو مقيمك فيه لكان أولى ووجه كونه قاطعا أن نفسك تسول لك وتقول لو كنت من أهل الإرادة لما وردت هذه الأغيار عليك مع كثرة عبادتك فيشتغل قلبك بهذه الوساوس وربما سولت لك الرجوع عما أنت قاصده وترك الأعمال الصالحة وسبب هذه الأغيار غالبا ما يرد عليك من أكدار الدنيا وذلك أمر لا بد منه ولذا قال رض.

على أسرار لا يكاد يسمع من أحد من العالمين ❁ (طلبك منه اتهام له وطلبك له غيبة منك عنه وطلبك لغيره لقلة حيائك منه وطلبك من غيره لوجود بعدك عنه) الطلب الذي يتصور من العبد على أربعة أوجه وكلها مدخولة معلولة طلبه من الله وطلبه له وطلبه لغيره وطلبه من غيره فطلبه من الله تهمة له إذ لو وثق به في إيصال منافعه إليه من غير سؤال لما طلب منه شيئا وطلبه له غيبة عنه إذ الحاضر لا يطلب وطلبه لغيره قلة حياء منه إذ لو استحيا منه لانقبض عما تكرهه من طلبه لغيره ومن حق الحياء منه أن لا يذكر معه غيره ولا يؤثر عليه سواه وطلبه من غيره لوجود بعده عنه إذ لو كان قريبا منه لكان غيره بعيدا عنه فلا يطلب منه فالطلب كله عند الموحدين العارفين معلول سواء كان الطلب متعلقا بالحق أو بالخلق إلا ما كان من الطلب على وجه التأدب والتعبد واتباع الأمر وإظهار الفاقة والفقر فحينئذ تزول العلة عنه (ما من نفس تبديه إلا وله قدر فيك يمضيه) الأنفاس أزمنة دقيقة تتعاقب على العبد ما دام حيا فكل نفس يبدو منه ظرف لقدر من أقدار الحق تعالى ينفذ فيه كائنا ما كان فإذا كانت جزئيات العبد ودقائقه قد استغرقتها أحكام الله تعالى وأقداره وكان جميع ذلك يقتضي منه حقوقا لازمة من حقوق الله تعالى يقوم بها وهو مطالب بذلك ومسئول عنه وعن أنفاسه التي هي أمانة الحق عنده لم يبق له إذ ذاك مجال لتدبير أمور دنياه ولا عمل لما يتبعه شهوته وهواه (لا تترقب فروغ الأغيار فإن ذلك يقطعك عن وجود المراقبة له فيما هو مقيمك فيه) إذا أقام الله تعالى عبدا في سبب من الأسباب فالواجب عليه أن يوفيه حقه ويلتزم فيه الأدب ولا يترقب وقتا ثانيا يكون فيه فارغا منه فإن تأميله للوقت الثاني يمنعه من القيام بحق الوقت الأول فيما أقيم فيه ويوقته بما علمه هو بخلاف الأمر المطلوب منه فليجتنب ذلك المريد قال أبو حفص رضي الله عنه الفقير الصادق هو الذي يكون في كل وقت بحكمه فإذا ورد عليه وارد يشغله عن حكم وقته يستوحش منه وينفيه وقال سهل بن عبد الله رضي الله تعالى عنه إذا جنك الليل فلا تؤمل النهار حتى تسلم ليلك بذلك وتؤدي حق الله فيها وتنصح فيها لنفسك وإذا أصبحت فكذلك وسئل سهل رضي الله عنه متى يستريح الفقير فقال إذا لم ير وقتا غير الوقت الذي هو فيه قال البغوي في تفسيره عند قوله تعالى ونبلوكم بالشر والخير الشدة والرخاء والصحة والسقم والغنى والفقر وقيل بما تحبون وما تكرهون لننظر شكركم فيما تحبون وصبركم فيما تكرهون

(لا تستغرب وقوع الأكدار ما دمت في هذه الدار فإنها ما أبرزت إلا ما هو مستحق وصفها وواجب نعتها) جعل الله تعالى الدنيا دار فتنة وابتلاء ليعمل كل أحد فيها على مقتضى ما سبق له ويوفى جزاءه في الدار الآخرة قال الله تعالى ونبلوكم بالشر والخير فتنة وعمل كل واحد فيها إنما هو مخالفة شهوات نفسه أو موافقتها وذلك لا محالة يستدعي وجود محبوب أو مكروه بفعل أو بترك فمن ضروريات الدنيا وجدان المكاره والمشاق فيها فتقع الأكدار بسبب ذلك وأيضا فحاصل الدنيا أمور وهمية انقادت طباع الناس إليها وهي لا تفي بجميع مطالبهم لضيقها وقلتها وسرعة تقضيها ونقلتها فتجاذبوها بينهم فتكدر عيشهم ولم يحصلوا على كلية أغراضهم كما قيل في المعنى

أرى أشقياء الناس لا يسأمونها ❊ على أنهم فيها عراة وجوع

أراها وإن كانت تحب كأنها ❊ سحابة صيف عن قريب تقشع

فلا يستغرب وقوع أمثال هذه فإنه ما ظهر منها إلا ما هو مستحق وصفها وواجب نعتها من وجدان المكاره التي هي من ذاتيتها قال بعض الحكماء لولا أن الدنيا مبنية على المكاره لجعلت منفعة الإهليلج في اللوزنيج وسيأتي التنبيه على الحكمة في هذا عند قوله إنما جعلها محلا للأغيار ومعدنا لوجود الأكدار تزهيدا لك فيها وفي بعض الحكايات المنقولة عن جعفر الصادق رضي الله تعالى عنه أنه قال من طلب ما لم يخلق أتعب نفسه ولم يرزق فقيل له وما ذاك قال الراحة في الدنيا وفي معناه أنشدوا

تطلب الراحة في دار العنا ❊ خاب من يطلب شيئا لا يكون

وقال بعض البلغاء ملتمس السلامة في دار المتالف والمعاطب كالمتمرغ على مزاحف الحيات ومدات العقارب وقال ابن مسعود رضي الله تعالى عنه الدنيا كلها غموم فما كان منها في سرور فهو ربح وقال الإمام الجنيد رضي الله تعالى عنه لست أستبشع ما يرد علي من العالم لأني قد أصلت أصلا وهو أن الدنيا دار هم وغم وبلاء وفتنة وأن العالم كله شر ومن حكمه أن يتلقاني بكل ما أكره فإن تلقاني بكل ما أحب فهو فضل وإلا فالأصل هو الأول وقال أبو تراب رضي الله تعالى عنه يا أيها الناس أنتم تحبون ثلاثة أشياء وليس هي لكم تحبون النفس وهي لله وتحبون الروح والروح لله وتحبون المال والمال للورثة وتطلبون اثنين ولا تجدونهما الراحة والفرح وهما في الجنة فالواجب على العبد أن لا يوطن على الراحة في الدنيا نفسا ولا يركن فيها إلى ما يقتضي فرحا وأنسا وأن يعمل على قول النبي صلى الله عليه وسلم فيما روى عنه أبو هريرة رضي الله تعالى عنه الدنيا سجن المؤمن فيتوطن العبد على المحن في دنياه فيهون عليه ما يلقاه ويجد السلوان عند فقدان ما يهواه كما قيل في المعنى

تمثل ذو اللب في نفسه ❊ شدائده قبل أن تنزلا

فإن نزلت بغتة لم ترعه ❊ لما كان في نفسه مثلا

رأى الأمر يفضي إلى آخر ❊ فصير آخره أولا ❊

وذو الجهل يأمن أيامه ❊ وينسى مصارع من قد خلا

فإن دهمته صروف الزمان ❊ ببعض مصائبه أعولا

ولو قدم الحزم في نفسه ❊ لعلمه الصبر عند البلا

فليتلق المريد ما يرد عليه من ذلك بالصبر والرضا والاستسلام تحت مجاري القضا فعن قريب إن شاء الله ينجلي الأمر ويستوجب من الله تعالى جزيل الأجر والله تعالى ولي التوفيق قال أحمد بن أبي الحواري رضي الله تعالى عنه قال لي أبو سليمان الداراني جوع قليل وعري قليل وذل قليل وصبر قليل وقد انقضت عنك أيام الدنيا واعلم أن ما ذكرناه من الصبر هو جماع كل فضيلة وملاك كل فائدة جزيلة ومكرمة نبيلة

(لا تستغرب وقوع الأكدار) الموجبة للأغيار بل الأغيار في ذاتها أكدار (ما دمت في هذه الدار فإنها ما أبرزت إلا ما هو مستحق وصفها وواجب نعتها) أي وصفها المستحق ونعتها الواجب أي اللازم فمن ضرورياتها وجود المكاره والمشاق فيها وسيأتي التنبيه على حكمة ذلك بقوله وإنما جعلها محلا للأغيار ومعدنا لوقوع الأكدار تزهيدا لك فيها ومن كلام جعفر الصادق رضي الله عنه من طلب ما لم يخلق أتعب نفسه ولم يرزق قيل له وما ذاك قال الراحة في الدنيا فينبغي للمريد الصادق أن لا يلتفت لذلك ويجد في السير حتى تطلع عليه شمس المعرفة فينمحي عنه وجود الأغيار ويزول عنه الأكدار بمشاهدة العزيز الغفار ثم قال

قال

ما توقف) أي تعسر (مطلب) من مطالب الدنيا والآخرة (أنت طالبه بربك) أي ملاحظا في حال طلبه ربك حاضر القلب معه معتمدا عليه في تيسير ذلك المطلب (ولا تيسر مطلب أنت طالبه بنفسك) بأن كنت غافلا عنه معتمدا على حولك وقوتك

قال الله تعالى وتمت كلمة ربك الحسنى على بني اسرائيل بما صبروا وقال تعالى وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وقال عز من قائل انما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب وفي وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم لابن عباس رضي الله عنهما ان استطعت أن تعمل لله بالرضا في اليقين فافعل وان لم تستطع فاصبر فان في الصبر على ما تكره خيرا كثيرا واعلم أن النصر مع الصبر والفرج مع الكرب واليسر مع العسر وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه لرجل ان صبرت مضى أمر الله وكنت مأجورا وان جزعت مضى أمر الله وكنت مأزورا وقال علي رضي الله عنه الصبر مطية لا تكبو وسيف لا ينبو وقال ابن عباس رضي الله عنهما أفضل العدة الصبر عند الشدة وفي بعض الأخبار انتظار الفرج بالصبر عبادة وقد قال الشاعر

ان الأمور اذا انسدت مسالكها * فالصبر يفتح منها كل ما ارتتجا
لا تيأسن وان طالت مطالبة * اذا استعنت بصبر أن ترى فرجا
أخلق بذي الصبر أن يحظى بحاجته * ومدمن القرع للأبواب أن يلجا

فمن جعل الصبر معتمده في نوازله واعتده من أعظم عدده ووسائله فهو مصيب في رأيه منجح في سعيه ومن جزع من المصائب واضطرب عند وقوع النوائب كان حاملا فيما يزيده ضرا ويكسبه وزرا ويفوته أجرا وناهيك به خسرا كما قيل

واذا نصبك مصيبة فاصبر لها * عظمت مصيبة مبتلى لا يصبر

وكما قيل أيضا

وعوضت أجرا من فقيد فلا يكن * فقيدك لا يأتي وأجرك يذهب

(ما توقف مطلب أنت طالبه بربك ولا تيسر مطلب أنت طالبه بنفسك) من أنزل حوائجه بالله تعالى والتجأ اليه وتوكل في أمره كله عليه كفاه كل مؤنة وقرب عليه كل بعيد ويسر عليه كل عسير ومن سكن الى علمه وعقله واعتمد على قوته وحوله وكله الله الى نفسه وخذله وحرمه توفيقه وأهمله فلم تنجح مطالبه ولم تتيسر مآربه وهذا معلوم على القطع من نصوص الشريعة وأنواع التجارب قلت وكلام المؤلف رحمه الله تعالى في هذه المسئلة عام يتناول كل مطلب من المطالب الدينية والدنيوية التي مآل أمرها الى الدين وأشرف تلك المطالب وأكثرها قواطع ومعاطب أخذ المريد في سلوك سبيل التوحيد ففيه التعلق بالله تعالى أحق وأصوب وفي جميع جزئياته الرجوع الى الله تعالى أولى وأوجب فلا جرم كان من الرأي السديد والأمر الأكيد أن يخصه من ذلك العام وان يفرده عقب هذه المسئلة بمزيد من الكلام فلذلك قال (من علامات النجح في النهايات الرجوع الى الله تعالى في البدايات) للمريد بداية ونهاية فبدايته حال سلوكه ونهايته حال وصوله فمن صحح بدايته بالرجوع الى الله تعالى والتوكل عليه والاستعانة به كما ذكرنا أفلح وأنجح في نهايته وكان وصوله الى الله تعالى فأمن عليه من الرجوع والانقطاع قال بعض المشايخ ما رجع من رجع الا من الطريق ولو وصلوا ما رجعوا ومن لم يصحح ذلك بما ذكرناه من تعلقه بالحق وفراره اليه من نفسه والخلق انقطع ورجع من حيث جاء قال بعض العلماء من ظن أنه يصل الى الله تعالى بغير الله قطع به ومن استعان على عبادة الله تعالى بنفسه وكل الى نفسه فعلى العبد السالك أن يعول في جميع أموره والاستعانة بالله تعالى على ما هو بسبيله ولا يرى حول نفسه ولا قوتها في كثير من عمله ولا قليله فهذا هو ملاك السلوك الذي ينبني عليه قواعده (من أشرقت بدايته أشرقت نهايته) هذه عبارة أخرى موافقة لمعنى ما تقدم فاشراق بداية المريد

ممن أنزل حوائجه بالله والتجأ اليه وتوكل في أمره كله عليه كفاه كل مؤنة وقرب عليه كل بعيد ويسر له كل عسير ومن سكن الى علمه وعقله واعتمد على حوله وقوته وكله الله تعالى الى نفسه وخذله فلم تنجح مطالبه ولم تتيسر مآربه ولما كان من أشرف المطالب وأقربها للقواطع والمعاطب أخذ المريد في سلوكه ونهايته في سلوك الطريق خصه بالاعتناء به فقال (من علامات النجح في النهايات الرجوع الى الله في البدايات) بداية المريد من العموم لزيادة حال وصوله فمن صحح بدايته بالرجوع الى الله والتوكل عليه والاستعانة به أن يوصله اليه لا على أعماله المعلولة نجح في نهايته أي حصل له الوصول وأمن عليه من الرجوع من الطريق ومن لم يصحح ذلك بما ذكرناه انقطع ورجع من حيث جاء قال بعض العارفين من ظن أنه يصل الى الله بغير الله قطع به ومن استعان على عبادة الله بنفسه وكل الى نفسه ثم قال (من أشرقت بدايته) بان عمر أوقاته بأنواع الطاعات والأوراد بأن على ذلك كل المنازرة (أشرقت نهايته) بافاضة الأنوار والمعارف عليه وزوال كدورات النفس الحائلة بينه وبين مولاه على وجه أتم وعكسه بعكسه فمن كان

قليل الاجتهاد في بدايته لم يحصل له اشراق في نهايته ولو فرض أنه فتح عليه كان على وجه أضعف من غيره ويحتمل أن المعنى من أشرقت بدايته بالرجوع الى الله تعالى والالتجاء اليه أشرقت نهايته بحصول الوصول اليه فيكون هذه عبارة أخرى موافقة لمعنى ما قبلها وما قلناه أولا أولى وأظهر (ما استودع في غيب السرائر) أي في القلوب الغائبة أي غير المشاهدة بالأبصار من المعارف والأنوار الالهية (ظهر في شهادة الظواهر) أي في الظواهر المشاهدة أي الحاضرة فما استودعه الله تعالى في القلوب والسرائر من المعارف والأنوار لا بد أن يظهر أثره على الوجه والجوارح وهذه علامة يعرف بها حال المريد السالك لأن الظاهر مرآة الباطن فيستدل بذلك من أراد صحبته والاجتماع به لينتفع به (شتان) أي بعد ما (بين من يستدل به) على الأشياء وهم المرادون المجذوبون اليه الذين هم من أهل الشهود إما ابتداء وإما بعد السلوك وهم العارفون فانهم لا يشهدون غير مولاهم ويستدلون به على الأشياء (أو) بمعنى الواو (يستدل عليه) وهم المريدون السالكون الى الله تعالى فأهل الله تعالى على قسمين مرادين ومريدين وان شئت قلت مجذوبين وهم أهل الشهود وسالكين فالمريدون السالكون في حال سلوكهم محجوبون عن ربهم برؤية الأغيار والآثار لكونها ظاهرة لهم موجودة لديهم والحق غيب عنهم فلرؤيتهم يستدلون بها عليه في

رجوعه الى الله تعالى في مهماته وثقته به في ملماته واشراق نهايته الوصول الى قربته والحصول في حضرته ۞ (ما استودع في غيب السرائر ظهر في شهادة الظواهر) هذا بيان علامة يعرف بها حال المريد السالك وما تعمر به باطنه من المريد المتدارك لأن الظاهر مرآة الباطن كما قيل الأسرة تدل على السريرة وما خامر القلوب فعلى الوجوه يلوح آثاره فما استودعه الله القلوب والأسرار من المعارف والأنوار لا بد أن تظهر آثار ذلك على الجوارح فيستدل بشاهد العبد على غائبه ممن أراد صحبته والوصلة به وما أشبه هذا من الأغراض والمقاصد قال أبو حفص رضي الله تعالى عنه حسن أدب الظاهر عنوان حسن أدب الباطن فإن النبي صلى الله عليه وسلم قال لو خشع قلب هذا لخشعت جوارحه وقيل لما ورد أبو حفص العراق جاء اليه الجنيد فرأى أصحاب أبي حفص وقوفا على رأسه يأتمرون بأمره لا يخطئ أحد منهم فقال يا أبا حفص أدبت أصحابك أدب الملوك فقال لا يا أبا القاسم ولكن حسن الأدب في الظاهر عنوان أدب الباطن قلت وأكبر من ذلك أن يعرف المريد نفسه ويكون من أمرها على بصيرة ولا ينخدع بما يتوهمه من صلاح سريرته دون علانيته كمن ادعى بقلبه معرفة الله تعالى ومحبته ولم تظهر على ظاهره ثمرات ذلك وآثاره من اللهج بذكره والمسارعة الى اتباع أمره والاغتباط بوجوده والاستبشار عند يقين شهوده والفرار من القواطع الشاغلة عنه والاضراب عن الوسائط المبعدة منه فهو كذاب في دعواه متخذ الهه هواه فان كان موصوفا بأضداد هذه الخصال منحرفا بظاهره عن جادة الاعتدال فهو في دعواه أكذب وحاله للنفاق والشرك أقرب قال الشيخ أبو طالب المكي رضي الله عنه قد جعل الله تعالى وصف الكافرين أنهم اذا ذكر الله وحده في شيء انقبضت قلوبهم واذا ذكر غيره في شيء فرحوا وجعل من نعوتهم أنهم اذا ذكر الله تعالى بتوحيده وافراده بشيء غمطوا ذلك وكرهوه واذا أشرك غيره في ذلك صدقوا به فقال تعالى واذا ذكر الله وحده اشمأزت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة واذا ذكر الذين من دونه اذا هم يستبشرون وقال ذلكم بأنه اذا دعي الله وحده كفرتم وان يشرك به تؤمنوا والكفر التغطية والشرك الخلط أي أنه يخلط تذكره بذكر سواه ثم قال فالحكم لله العلي الكبير يعني لا يشركه تعالى في حكمه لأنه العلي في عظمته الكبير في سلطانه لا شريك له في ملكه وعطائه ولا نظير له من عباده ففي دليل هذا الكلام وفهمه من الخطاب أن المؤمنين اذا ذكر الله بالتوحيد والافراد في شيء انشرحت صدورهم واتسعت قلوبهم واستبشروا بذكره وتوحيده واذا ذكرت الوسائط والأسباب التي دونه كرهوا ذلك واشمأزت قلوبهم وهذه علامة صحيحة فاعرفها من قلبك ومن قلب غيرك لتستدل بها على حقيقة التوحيد في القلب أو وجود خفي الشرك في السر ان كنت عارفا اهـ قلت وهذه المسئلة التي تضمنها كلام الشيخ أبي طالب المكي رضي الله عنه من أعظم المسائل على صدق الصادق وكذب الكاذب ومن أوضح الدلائل ولما كان قصدنا في هذا التنبيه استغنام ذكر الفوائد العجيبة والحرص على رسم المقاصد الغريبة ليظفر به الذين في هذا الزمان الرذل واستيلاء الغرة والجهل على المنسوبين الى العلم والفضل يحسن منا ايراد هذه الكلمات على جهة ضرب المثل والاكتفاء بالنهل عن العلل ليعمل بمقتضى ذلك كل مريد سالك ولتنتهج من مناصحة ربه في دينه وقلبه أوضح المسالك ولا حرج على هذا الأسلوب كل الكلام لم نظهر لك مطابقته ولم تتم في نظرك مناسبته لتسلم بذلك من الاعتراض وتعلو همتك عما تولع به أصحاب القلوب المراض عافانا الله من ذلك بمنه وفضله ۞ (شتان بين من يستدل به أو يستدل عليه)

حال ترقيتهم والمرادون وهم المجذوبون واجههم الحق تعالى بوجهه الكريم وتعرف اليهم فعرفوه وانحجبت عنهم الأغيار فهم يستدلون به عليها في حال تدليهم ان جذبوا ابتداء أو بعد سلوكهم أن كانوا من أهله وهم العارفون فانهم من أهل الجذب أيضا لكن لشدة تمكنهم في أحوالهم لا يظهر عليهم ولذا قيل نهاية السالك بداية المجذوب وورد أعظم الناس تجذبا الأنبياء والمرسلون فهذا هو حال الفريقين وشتان ما بينهما أي بعد ما بينهما وذلك أن (المستدل به) على غيره (عرف الحق) وهو الوجود الواجب (لأهله) وهو الله تعالى أي لم يثبت الوجود الا له سبحانه وتعالى وأما الحوادث فهي عدم محض (فأثبت الأمر) وهي الحوادث العدمية (من وجود أصله) وهو الله تعالى أي جعل وجودهم مستفادا من وجود الله تعالى الذي قابلهم وظهر فيهم فوجدوا والا فهم عدم محض في نظر أرباب الشهود (والاستدلال عليه من عدم الوصول اليه) أي المستدل بغيره عليه على العكس مما ذكر لأنه استدل بالمجهول على المعلوم وبالعدم على الوجود وبالأمر الخفي على الظاهر الجلي وذلك لوجود الحجاب ووقوفه مع الأسباب (والا) نقل انه من عدم الوصول (فمتى غاب) أي فلا يصح لأنه متى غاب (حتى يستدل عليه) بالأشياء الحاضرة (ومتى بعد حتى تكون الآثار هي التي توصل اليه) أي يستدل بها عليه لأنها لا وجود لها معه عند أهل الشهود حتى توصل اليه أما المحجوبون فلا يرون الا الأكوان ويستدلون بها عليه وهم قسمان عامة وسالكون لم يصلوا الى مقام الشهود والمراد باستدلال المجذوب الذي حصلت له افاقة أنه حينئذ يلاحظ الغير فيثبت وجوده بوجوده سبحانه وثبوته باثباته وليس المراد أنه يستدل حينئذ بالدليل العقلي والنظر الفكري (لينفق ذو سعة من سعته الواصلون اليه) أي اشارة الى حال الواصلين اليه تعالى فانهم لما خرجوا من سجن رؤية الأغيار الى فضاء التوحيد وكمال الاستبصار اتسعت مسافة نظرهم وأفيض عليهم علوم وأسرار الهية فصاروا يمدون الغير ويتصرفون في عوالمهم الباطنية كيف شاءوا

(٢٧)

المستدل به عرف الحق لأهله فأثبت الأمر من وجود أصله والاستدلال عليه من عدم الوصول اليه والا فمتى غاب حتى يستدل عليه ومتى بعد حتى تكون الآثار هي التي توصل اليه) بنو آدم في أول نشأتهم ومبدأ خلقهم وخروجهم من بطون أمهاتهم موسومون بالجهل وعدم العلم قال الله تعالى والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئا ثم ان الله تعالى اختص بعضهم بخصوصية عنايته واختارهم من أهله لولايته وذلك الأخصوص العلم الذي تضمنه قوله تعالى وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة الذي يحقق لهم النسبة ويوجب لهم الزلفى والقربة المشار الى ذلك بقوله تعالى لعلكم تشكرون وجعلهم على قسمين مرادين ومريدين وان شئت قلت مجذوبين وسالكين وكلاهما مراد ومجذوب على التحقيق قال الله تعالى الله يجتبي اليه من يشاء ويهدي اليه من ينيب فالمريدون السالكون الى الله تعالى في حال سلوكهم محجوبون عن ربهم برؤية الأغيار والآثار والأكوان ظاهرة لهم وموجودة لديهم والحق تعالى غيب عنهم فلم يروه فهم يستدلون بها عليه في حال ترقيهم والمرادون المجذوبون واجههم الحق تعالى بوجهه الكريم وتعرف اليهم فعرفوه به فلما عرفوه على هذا الوجه انحجبت الأغيار عنهم فلم يروها فهم يستدلون به عليها في حال تدليهم فهذا هو حال الفريقين وشتان ما بينهما أي بعد ما بينهما وذلك أن المستدل به على غيره عرف الحق الذي هو الوجود الواجب لأهله وهو المختص بوصف القدم وأثبت الأمر المشار به الى الآثار العدمية من وجود أصله المشار به الى المؤثر المتحقق وجوده والمستدل بغيره عليه على عكس ما ذكرناه لأنه استدل بالمجهول على المعلوم وبالمعدوم على الموجود وبالأمر الخفي على الظاهر الجلي وذلك لوجود الحجاب ووقوفه مع الأسباب وعدم احتظائه بالوصول والاقتراب والا فمتى غاب حتى يستدل عليه بالأشياء الحاضرة ومتى بعد حتى تكون الآثار القريبة هي التي توصل اليه أو فقد حتى تكون الآثار الموجودة هي التي تدل عليه وأنشد

عجبت لمن يبغي عليك شهادة ● وأنت الذي أشهدته كل مشهد

قال في لطائف المنن واعلم أن الأدلة انما تنصب لمن يطلب الحق لا لمن يشهده لأن الشاهد غني بوضوح الشهود عن أن يحتاج الى دليل فتكون المعرفة باعتبار توصيل الوسائل اليها كسبية ثم تعود الى نهايتها ضرورية واذا كان من الكائنات ما هو غني بوضوحه عن اقامة دليل فالمكون أولى بغناه عن دليل منها قال ومن أعجب العجب أن تكون الكائنات موصلة اليه فليت شعري هل لها وجود معه حتى توصل اليه أو هل لها من الوضوح ما ليس له حتى تكون هي المظهرة له وان كانت الكائنات موصلة اليه فليس لها ذلك من حيث ذاتها لكن هو الذي ولاها رتبة التوصيل فوصلت فما وصل اليه غير الهيته ولكن الحكيم هو واضع الأسباب وهي لمن وقف عندها ولم ينفذ قدرته عين الحجاب (لينفق ذو سعة من سعته الواصلون اليه)

(ومن قدر عليه رزقه السائرون اليه) أى اشارة الى حال السائرين اليه فهم مقدور عليهم فى أرزاق العلوم والفهوم محبوسون فى مضيق الخيالات والرسوم ينفقون مما آتاهم الله من فضله من الرزق المقدر الضيق على غيرهم و يتصرفون فى عوالمهم على قدر ما أعطاهم الله عزوجل (اهتدى الراحلون) أى السائرون (اليه بأنوار التوجه) أى الأنوار الحاصلة من العبادات والرياضات التى توجهوا بها الى حضرة الرب فان المجاهدة بحسب العادة يحصل منها انوار فى القلوب يهتدون بها الى الله تعالى حتى يصلون اليه (والواصلون لهم أنوار المواجهة) أى الأنوار التى واجهتهم من حضرة الرب أى أفيضت عليهم حتى عرفوه سبحانه وتعالى (فالاولون للأنوار) أى عبيد لها ويحتاجون اليها للتوسل بها الى مطلوبهم (وهؤلاء) أى الواصلون (الانوار لهم) أى ثابتة لهم من غير معاناة ومشقة مع فنائهم عنها بربهم (لانهم لله لالشىء دونه) قال الله تعالى (قل الله) أى توجه اليه ولا تمل الى أنوار ولا غيرها (ثم ذرهم فى خوضهم يلعبون) فافراد التوحيد بعد فناء الأغيار هو حق اليقين ورؤية ماسوى الله خوض ولعب وذلك من صفات المحجوبين (تشوفك) أيها المريد (الى ما بطن فيك من العيوب) النفسانية كالرياء وسوء الخلق والمداهنة وحب الرياسة والجاه أى توجه همتك الى زوال ذلك بالرياضة والمجاهدة وطلب التخلص منه ولا يكون فى الغالب الاعلى يد شيخ كامل ناصح (خير من تشوفك الى ما حجب عنك من الغيوب) من خفايا القدر ولطائف العبر والاسرار الالهية والمعارف اللدنية والكرامات الكونية لان ذلك حظ نفسك وليس لمولاك شىء معه فلا تقصدها بأعمالك ولا تشغل قلبك بها ولا تركن الى ما ظهر لك منها فان ذلك يقدح فى عبوديتك ولذا قالوا كن طالب الاستقامة ولا تكن طالب الكرامة فان نفسك تتحرك وتطلب الكرامة ومولاك يطلبك بالاستقامة ولأن تكون بحق مولاك أولى بك من أن تكون بحظ نفسك ٭ ثم قال

(ومن قدر عليه رزقه السائرون اليه) هذه اشارة مليحة الى حال الفريقين فالواصلون الى الله تعالى لما خرجوا من سجن رؤية الأغيار الى فضاء التوحيد وكمال الاستبصار اتسعت مسافة نظرهم فأنفقوا من سعتهم وتصرفوا فى عوالمهم كيف شاؤوا والسالكون اليه مقدور عليهم فى أرزاق العلوم والفهوم محبوسون فى مضيق الخيالات والرسوم ينفقون مما آتاهم الله من الرزق المعلوم المقدر المضيق (اهتدى الراحلون اليه بأنوار التوجه والواصلون لهم أنوار المواجهة فالاولون للانوار وهؤلاء الانوار لهم لانهم لله لالشىء دونه قل الله ثم ذرهم فى خوضهم يلعبون) أنوار التوجه هو ما صدر منهم الى الله تعالى من عبادات ومعاملات ومكابدات ومجاهدات وأنوار المواجهة هو ما صدر من الله لهم من تعرف وتقرب وتودد فتحصل للاولين عبيد الانوار لوجود حاجتهم اليها فى الوصول الى مقصودهم والآخرون الانوار لهم لوجود غناهم عنها بربهم فهم لله لالشىء دونه وسيأتى هذا المعنى عند قوله أنت مع الاكوان ما لم تشهد المكون فاذا شهدته كانت الاكوان معك قال الله تعالى قل الله ثم ذرهم فى خوضهم يلعبون افراد التوحيد بعدم ملاحظة الأغيار هو حق اليقين ورؤية ماسوى الله خوض ولعب وهما من صفات المكذبين والمنافقين قال الله عز وجل اخبارا عنهم وكنا نخوض مع الخائضين وقال الله تعالى بل هم فى شك يلعبون وقال رضى الله تعالى عنه (تشوفك الى ما بطن فيك من العيوب خير من تشوفك الى ما حجب عنك من الغيوب) حكم المريد أن يتشوف الى معرفة ما غاب عنه من معايب نفسه و يتطلبها وبحث عنها فان ذلك هو حق الحق تعالى منه فينبغى أن يحرص عليه و يصرف عنان اعتنائه اليه ليحصل له صفاء أعماله من الآفات ونقاء أحواله من الكدورات وينتفى عنه الجهل والغرور وتنقطع من باطنه مواد الشرور وقد ذكر الشيخ أبو حامد الغزالى رضى الله تعالى عنه فى كتابه رياضة النفس فصلا فى الطريق الذى به يتعرف الانسان عيوب نفسه فلينظر فيه المريد وقد جعل حاصله أربعة أوجه أحدها أن يجلس بين يدى شيخ بصير بالعيوب والآفات فيحكمه فى نفسه و يتبع اشارته فيما يشير به عليه والثانى مصاحبة صديق صدوق يجعله رقيبا على أحواله وأعماله لينبهه على ما يخفى عليه من مذام خلاله والثالث أن يستفيد معرفة عيوبه من أعدائه اذ لابد من جريان ذلك على ألسنتهم عند ثلبهم وغيبتهم والرابع أن يستفيد ذلك من مخالطة الناس اذ يطلع بذلك على مساويهم فاذا اطلع عليها منهم علم أنه لا ينفك هو عن شىء منها لان الطباع البشرية فى ذلك متقاربة وقد يظهر له فى نفسه ما هو أعظم مما رآه فى غيره فيطالب نفسه حينئذ بالتطهر منها والتنزه عنها فهذا تلخيص ما ذكره ثم قال وهذه كلها حيل من فقد شيخا عارفا ذكيا بصيرا بعيوب النفس مشفقا ناصحا فى الدين فارغا من تهذيب نفسه مشغولا بتهذيب عباد الله ناصحا لهم فمن وجد الطبيب فليلازمه فهو الذى يخلصه من مرضه و ينجيه من الهلاك الذى هو بصدده اهـ وأما تطلب الغيوب المحجوب عنه من خفايا القدر ولطائف العرفان فانه حظ نفسه لاحق عليه فيه للحق تعالى فليطب عنها نفسا ولا يشغل بها عقلا ولا حسا وما ظهر له منها لا يسكن اليه ولا يعول عليه فان ذلك من المعايب القادحة فى عبوديته

(الحق) تعالى (ليس بمحجوب) أي ليس الحجاب وصفا له سبحانه (وإنما المحجوب) أي المتصف بالحجاب (أنت) بصفاتك النفسانية (عن النظر إليه) فإن أردت الوصول إليه والدخول في حضرته فابحث عن عيوب نفسك وعالجها تصل إليه وتشاهده ببصيرتك ثم استدل على نفي الحجاب عن الرب بقوله (إذ لو حجبه شيء لستره ما حجبه) ودفع بذلك ما يتوهم من عدم استحالة الحجاب في حقه تعالى لأن الحجاب إنما يتخذه العظماء والرؤساء فهو ينبئ عن الرفعة ويشعر بالعظمة فمن أين جاءه النقص وحاصل الدفع أنه لو حجبه شيء كما هو شأن العظماء لستره (ولو كان له ساتر لكان لوجوده) أي ذاته (حاصر) لاستلزام الستر انحصار المستور فيه (وكل حاصر لشيء فهو له قاهر) لأنه يمنعه عما وراءه ويقصره على محله ويجعله في أسر قبضته وتحت حكمه وذلك لا يصح في حقه تعالى لقوله في كتابه (وهو القاهر فوق عباده) فوقية مكانة وجلالة لا مكان إن قلت كيف جعل الحجب ملزوما والستر لازما مع أن الحجب هو (٢٩) الستر قلت معنى الحجب إنما يشعر في العرف بما تقدم من الرفعة والعظمة ولا يشعر بحصر المحجوب ومعنى الستر على العكس فهو الذي يلزمه نوع انحصار المحجوب فجعل لازما في الشرطية الأولى ليجعل ملزوما في الثانية والمعنى أنا لو نظرنا لما تقتضيه عظمته سبحانه من ثبوت الحجاب لكان له ساتر فتغاير المقدم والتالي بهذا التأويل (أخرج) بالرياضة والمجاهدة (من أوصاف بشريتك) المذمومة سواء كانت تلك الأوصاف ظاهرة وهي القائمة بالجوارح كغيبة ونميمة وقتل وسلب أو باطنة وهي القائمة بالقلب ككبر وعجب ورياء وسمعة وحقد وحسد وحب جاه ومال إلى غير ذلك ولما كانت أوصاف البشرية شاملة للأوصاف المحمودة كالطاعة والإيمان وهي غير مرادة أبدل منها قوله (عن كل وصف مناقض لعبوديتك لتكون لنداء الحق مجيبا) لأنك إذا خرجت عن تلك الأوصاف المذمومة اتصفت بمحاسن الصفات كالتواضع لله والخشوع بين يديه والتعظيم لأمره والحفظ لحدوده والخوف منه والإخلاص في عبوديته فحينئذ يناديك بنداء معنوي باسم العبد فيقول لك يا عبدي فتجيبه بقولك لبيك يا رب وتكون صادقا في إجابتك لفقد الصفات منك التي تنافي العبودية وتقتضي الربوبية (و) تكون أيضا (من حضرته قريبا) فتحفظ من الأوزار وتتيسر لك الأعمال وتتلذذ بها والفرق بين المحفوظ والمعصوم أن المعصوم لا يلم بذنب ألبتة والمحفوظ قد تحصل له زلات ولكن لا يكون منه إصرار بل يتوب من قريب واعلم أن التخلي عن الرذائل والتحلي بالفضائل هو حقيقة السلوك عندهم ولا يتم ذلك إلا لمن وفقه الله لمعرفة نفسه وما ركبت عليه من مذام الصفات لأن من عرف ذلك منها لا يزال متهما لها مسيئا الظن بها آخذا حذره منها والأورع فيما يسخط مولاه من حيث لا يشعر ولذا قال

ولهذا قالوا كن طالبا للاستقامة ولا تكن طالبا للكرامة فإن نفسك تتحرك وتطلب الكرامة ومولاك يطالبك بالاستقامة ولأن تكون بحق مولاك أولى بك من أن تكون بحظ نفسك ● ومن الحكايات في هذا المعنى الذي ذكرناه ما روي في الإسرائيليات عن وهب بن منبه رضي الله تعالى عنه أن رجلا من بني إسرائيل صام سبعين سنة يفطر في كل سنة ستة أيام فسأل الله تبارك وتعالى أن يريه كيف تغوي الشياطين على الناس فلما طال ذلك عليه ولم يجب قال لو اطلعت على خطيئتي وذنبي بيني وبين ربي لكان خيرا لي من هذا الأمر الذي طلبته فأرسل الله إليه ملكا فقال له إن الله تعالى أرسلني إليك وهو يقول لك إن كلامك هذا الذي تكلمت به أحب إلي مما مضى من عبادتك وقد فتح الله بصرك فانظر فإذا جنود إبليس قد أحاطت بالأرض وإذا ليس أحد من الناس إلا والشياطين حوله كالذباب فقال أي رب من ينجو من هذا قال الورع اللين وسيأتي بيان أن الكرامات غير مطلوبة التحصيل ولا مغتبط بوجودها لدى كل عالم نبيل عند قوله ليس كل من ثبت تخصيصه كمل تخليصه ● (الحق ليس بمحجوب وإنما المحجوب أنت عن النظر إليه إذ لو حجبه شيء لستره ما حجبه ولو كان له ساتر لكان لوجوده حاصر وكل حاصر لشيء فهو له قاهر وهو القاهر فوق عباده) الحجاب على الحق تعالى محال واستدل المؤلف على ذلك بما ذكره هنا وهو بين لا إشكال فيه والحجاب على العبد واجب من حيث ذاته إذ هو عدم كما تقدم ولا نسبة بين العلم والوجود فإن أراد الله تعالى رفع هذا الحجاب عمن شاء كيف شاء متى شاء رأى من ليس كمثله شيء وهو السميع البصير وهذا مما يجب اعتقاده ● (اخرج من أوصاف بشريتك عن كل وصف مناقض لعبوديتك لتكون لنداء الحق مجيبا ومن حضرته قريبا) أوصاف البشرية المتعلقة بأمر الدين نوعان أحدهما ما يتعلق بظاهر العبد وجوارحه وهي الأعمال والثاني ما يتعلق بباطنه وقلبه وهي العقود فأما ما يتعلق بظاهره وجوارحه فينقسم قسمين أحدهما ما وافق الأمر ويسمى طاعة والثاني ما خالفه ويسمى معصية وأما ما يتعلق بباطنه وقلبه فينقسم أيضا إلى قسمين أحدهما ما وافق الحقيقة ويسمى إيمانا وعلما والثاني ما خالفها ويسمى نفاقا وجهلا والنظر فيما يتعلق بظاهر العبد يسمى في الاصطلاح فقها والنظر فيما يتعلق بباطنه يسمى في الاصطلاح تصوفا فهذان الأمران هما كلية العبد وظاهره تبع لباطنه بالضرورة لأن القلب هو الملك والجوارح جنوده ورعيته ومن شأن الرعية طاعة الملك فيما يأمر به وينهى عنه وقد نبه على هذا المعنى رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال إن في الجسد مضغة إذا

صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب وصلاح القلب إنما يكون بطهارته
عن الصفات المذمومة كلها كثيفها وجليلها وهي الصفات المناقضة للعبودية من أوصاف البشرية
التي أشار إليها المؤلف رحمه الله تعالى وهي التي تسم صاحبها بسمة النفاق والفسوق وهي كثيرة مثل
الكبر والعجب والرياء والسمعة والحقد والحسد وحب الجاه والمال ويتفرع عن هذه الأصول فروع
خبيثة من العداوة والبغضاء والتذلل للأغنياء واستحقار الفقراء وترك النفقة مخافة الرزق وخوف
سقوط المنزلة من قلوب الخلق والشح والبخل وطول الأمل والأشر والبطر والغل والغش والمباهاة
والتصنع والمداهنة والقسوة والفظاظة والغلظة والغفلة والجفاء والطيش والعجلة والحدة والحمية وضيق
الصدر وقلة الرحمة وقلة الحياء وترك القناعة وحب الرياسة وطلب العلو والانتصار للنفس إذا نالها الذل
وذهاب ملك النفس إذا رد عليه قوله إلى غير ذلك من النعوت الذميمة والأخلاق اللئيمة وأصل فروعها
وعنصر ينابيعها إنما هو رؤية النفس والرضا عنها وتعظيم قدرها ورفع أمرها فبهذه الأمور كفر من
كفر ونافق من نافق وعصى من عصى وبها خلع من عنقه ربقة العبودية لربه عز وجل من خلع حسبما
يقوله المؤلف رحمه الله تعالى بأثر هذا وشأن الصوفي إنما هو النظر فيما يطهرها ويزكيها من أنواع الرياضات
والمجاهدات وقد بينوا طرق ذلك في كتبهم قال الشيخ أبو طالب رضي الله تعالى عنه فلا يكون المريد
بدلا حتى يبدل بمعاني صفات الربوبية صفات العبودية وبأخلاق الشياطين أوصاف المؤمنين وطبائع
البهائم بأوصاف الروحانيين من الأذكار والعلوم فعندها يكون بدلا مقربا قال والطريق إلى هذا أن تملك
نفسك فيملكها تسخر لك ويسلط عليها فإن أردت أن تملك نفسك فلا تملكها وضيق عليها ولا توسع
لها فإن ملكتها ملكتك وإن لم تضيق عليها اتسعت عليك وإن أردت الظفر بها فلا تفرضها بهواها
واحبسها عن معتاد ملائمها فإن لم تمسكها انطلقت بك وإن أردت أن تقوى عليها فأضعفها بقطع أسبابها
وحبس موادها وإلا قويت عليك فصرعتك اهـ فإذا قام بذلك المريد على الوجه الذي رسموه والتزم
الوظائف التي أصهدوه بها طهر قلبه وزكت نفسه واتصف بمحاسن الصفات التي تزينه بين العباد وينال
بها من قرب ربه غاية المراد فيظهر حينئذ عليه آثار حميدة من التواضع لله والخشوع بين يديه والتعظيم
لأمره والحفظ لحدوده والهيبة له والخوف منه والتذلل لربوبيته والإخلاص في عبوديته والرضا بقضائه
ورؤية المنة لله عليه في منعه وإعطائه ويتصف فيما بين خلقه بالرأفة والرحمة واللين والرفق وسعة الصدر
والحلم والاحتمال والصيانة والنزاهة والأمانة والثقة والعطف والتأني والوقار والسخاء والجود والحياء
والبشاشة والنصيحة وسلامة الصدر إلى غير ذلك من أخلاق الإيمان التي ينال بها العبد غاية السعادة
والحسنى والزيادة قلت وهذان المعنيان هما اللذان يعبر عنهما أئمة الصوفية رضي الله تعالى عنهم بالتخلي
والتحلي أي التخلي عن الصفات المذمومة والتحلي بالصفات المحمودة ويعبرون عنهما أيضا بالتزكية
والتحلية وهما حقيقة السلوك الذي يعبرون عنه أيضا وسيأتي الإشارة إلى كيفية ذلك عند قوله لولا
ميادين النفوس ما تحقق سير السائرين فإذا صح للمريد هذا السفر وانقلب منه إلى أفضل مستقر تحققت
عبوديته لربه عز وجل فلم يملكه غيره ولم يسترقه سواه وارتقى في القرب من ربه إلى أشرف محل فيكون
هنالك بمنزله ومثواه فيكون حينئذ كما قال المؤلف رحمه الله تعالى لنداء الحق مجيبا لأنه إذ ذاك يناديه
باسم العبد فيقول له يا عبدي فيجيب حينئذ مولاه باسم الرب فيقول له لبيك يا رب فيكون صادقا
في إجابته متحققا في نسبته فيكون أيضا من حضرته قريبا لوجود بعده عن نفسه التي من شأنها
النفور عنها والفرار منها فإذا أقامه الحق تعالى بمقام العبودية وحاز مرتبة القرب من حضرة

الربوبية

ORANG YG DI MAKHFUDZ ITU BELUM TENTU DI MAKSUM.
Tapi: SEBALIKNYA.

(أصل كل معصية) أي مخالفة لما أمر الله به ونهى عنه (وغفلة) للقلب عن حضرة الرب (وشهوة) نفسانية وهي التعلق بما يشغل عن الله تعالى (الرضا عن النفس) باجماع العارفين وأرباب القلوب لأن الرضا عنها يوجب تغطية عيوبها ومساويها ويصير قبيحها حسنا فمن رضي عن نفسه استحسن حالها وسكن اليها ومن استحسن كل حال نفسه وسكن اليها استولت عليه الغفلة عن الله وبالغفلة ينصرف قلبه عن التفقد والمراعاة لخواطره فتثور عليه حينئذ دواعي الشهوات وتغلبه اذ ليس عنده من المراقبة ما يدفعها ومن غلبته شهوته وقع في المعاصي لا محالة (وأصل كل طاعة) أي موافقة للأمر والنهي (ويقظة) أي دخول في حضرة الرب وتنبه لما يرضيه (وعفة) أي علو الهمة عن الشهوات (عدم الرضا منك عنها) فان من لم يرض عن نفسه لم يستحسن حالها ولم يسكن اليها ومن كان بهذا الوصف كان متنبها متيقظا للطوارق والعوارض وبالتيقظ يتمكن من تفقد خواطره ومراعاتها وعند ذلك تخمد نيران الشهوة فلا يكون لها عليه غلبة ولا قوة فيتصف حينئذ بالعفة واذا اتصف بذلك كان متجنبا لكل ما نهى الله عنه محافظا على جميع ما أمر الله به وكذلك معنى طاعة الله سبحانه ولما كان الرضا عن النفس شأن من يتعاطى العلوم الظاهرة التي لا تدل على عيوب النفس نهى المصنف عن صحبتهم ومخالطتهم فقال

الربوبية كان محفوظا من اقتحام الأوزار ميسرا عليه أعمال الأخيار متحليا في الظاهر والباطن بأشرف الحلي محتظيا بفضيلة التشبه بالملأ الأعلى قال الله عز وجل ومن عنده لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون يسبحون الليل والنهار لا يفترون وقد قال الله تعالى ان الذين عند ربك لا يستكبرون عن عبادته ويسبحونه وله يسجدون وقال عز من قائل لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون فرتبة العبودية انالتهم هذه الخصوصية وكذلك من تشبه بهم في محاسن صفاتهم من الصوفية الا أن هؤلاء محفوظون لا معصومون على ما اصطلحوا عليه من الفرق بين الحفظ والعصمة والفرق بينهما هو ما قاله الامام أبو القاسم القشيري رضي الله تعالى عنه أن المعصوم لا يلم بذنب ألبتة والمحفوظ قد تحصل منه هنات وقد يكون له في الندرة زلات ولكن لا يكون له اصرار أولئك الذين يتوبون الى الله من قريب وقد وصف الله تعالى عباده ذوي التخصيص أولي التطهير والتمحيص في آيات كريمة بصفات جليلة عظيمة وأعد لهم على ذلك خيرات جسيمة فقال تعالى وعباد الرحمن الذين يمشون على الارض هونا واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما الى قوله خالدين فيها حسنت مستقرا ومقاما وعليك بالنظر فيما قاله فيها أهل التفسير وما استنبطه منها أرباب الاشارات والتذكير وأما من عدا هؤلاء فهم عبيد نفوسهم الشهوانية ومسترقو حظوظهم الدنيوية قال الله تعالى أفرأيت من اتخذ الهه هواه وقال النبي صلى الله عليه وسلم فيما روي عنه تعس عبد الدينار تعس عبد الدرهم الحديث وهؤلاء هم من عبيد العدد المعنيين بقوله عز وجل ان كل من في السموات والارض الا آتي الرحمن عبدا لقد أحصاهم وعدهم عدا وكلهم آتيه يوم القيامة فردا واعلم أنه لا يتهيأ هذا السلوك الى حضرة ملك الملوك الا لمن وفقه الله تعالى لمعرفة نفسه وما ركبت عليه من مذام الصفات ومن عرف ذلك من نفسه لا يزال متهما لها مستشعرا ظنها آخذا حذره منها والا وقع في المعاصي والذنوب من حيث لا يشعر وقد نبه المؤلف رحمه الله تعالى على هذا بقوله ۞ (أصل كل معصية وغفلة وشهوة الرضا عن النفس وأصل كل طاعة ويقظة وعفة عدم الرضا منك عنها) الرضا عن النفس أصل جميع الصفات المذمومة وعدم الرضا عنها أصل الصفات المحمودة وقد اتفق على هذا جميع العارفين وأرباب القلوب وذلك لأن الرضا عن النفس يوجب تغطية عيوبها ويصير قبيحها حسنا كما قيل

* وعين الرضا عن كل عيب كليلة *

وعدم الرضا عن النفس على عكس هذا لأن العبد اذ ذاك يتهم نفسه ويطلب عيوبها ولا يغتر بما يظهر من الطاعة والانقياد كما قيل في الشطر الآخر

* كما أن عين السخط تبدي المساويا *

فمن رضي عن نفسه استحسن حالها وسكن اليها ومن استحسن حال نفسه وسكن اليها استولت عليه الغفلة وبالغفلة ينصرف قلبه عن التفقد والمراعاة لخواطره فتثور حينئذ دواعي الشهوة على العبد وليس عنده من المراقبة والتذكير ما يدفعها به ويقهرها فتصير الشهوة غالبة له بسبب ذلك ومن غلبته شهوته وقع في المعاصي لا محالة وأصل ذلك كله رضاه عن نفسه ومن لم يرض عن نفسه لم يستحسن حالها ولم يسكن اليها ومن كان بهذا الوصف كان متيقظا متنبها للطوارق والعوارض وبالتيقظ والتنبه يتمكن من تفقد خواطره ومراعاتها وعند ذلك تخمد نيران الشهوة فلا يكون لها عليه غلبة ولا قوة فيتصف العبد حينئذ بصفة العفة فاذا صار عفيفا كان مجتنبا لكل ما نهاه الله عنه محافظا على جميع ما أمره به وهذا هو معنى الطاعة لله عز وجل وأصل هذا كله عدم رضاه عن نفسه فاذا الاشياء مما أوجب على العبد من المعرفة بنفسه ويلزم من ذلك عدم الرضا عنها بقدر تحقق العبد في معرفة نفسه يصلح له حاله ويعلو مقامه وقد ورد عن السلف والائمة الاخيار

(ولأن) أي والله لأن (تصحب) أيها المريد (جاهلا) بالعلوم الظاهرية (لا يرضى عن نفسه) بأن يسخط عليها ويعتقد نقصها (خير لك من أن تصحب عالما) بذلك (يرضى عن نفسه) لأن صحبة من يرضى عن نفسه وإن كان عالما شر محض لك لأن الصحبة تؤثر فتكتسب منه هذا الوصف الخبيث فصار علمه غير نافع لك في تهذيب نفسك وجهله الذي أوجب رضاءه عن نفسه ضار لك غاية الاضرار وكأنه إن فاته العلم بعيوب نفسه حتى يرضى عنها لا علم عنده فلذا قال (فأي علم لعالم يرضى عن نفسه) وصحبة من لم يرض عن نفسه وإن كان جاهلا خير محض وفيها كل الفائدة لأن الطبع يسرق من الطبع والنفس مجبولة على حب الاقتداء بمن تستحسن حاله فصار جهله غير ضار لك وعلمه الذي أوجب عدم رضائه عن نفسه نافعا لك غاية النفع وكأنه إذا علم بعيوب نفسه حتى لم يرض عنها لا جهل عنده ولذا قال (وأي جهل لجاهل لا يرضى عن نفسه) لأنه إذا حصل له هذا العلم صار لا جهل عنده حتى يتضرر به مخالطه فتكون صحبته خيرا محضا فالتنوين في قوله علم وجهل للتنويع أي فأي علم نافع وأي جهل ضار * ثم قال

وجهله

من الكلمات المتضمنة لعيبهم لنفوسهم والتهمة منهم لها وعدم رضاهم عنها أكثر من أن تحصى ولذلك قال أبو حفص رضي الله تعالى عنه من لم يتهم نفسه على دوام الأوقات ولم يخالفها في جميع الأحوال ولم يجرها إلى مكروهها في سائر أيامه كان مغرورا ومن نظر إليها باستحسان شيء منها فقد أهلكها وكيف يصح لعاقل الرضا عن نفسه والكريم ابن الكريم يقول وما أبرئ نفسي إن النفس لأمارة بالسوء وقال أيضا أبو حفص رضي الله تعالى عنه منذ أربعين سنة اعتقادي في نفسي أن الله ينظر إليّ نظر السخط وأعمالي تدل على ذلك وقال الجنيد رضي الله تعالى عنه لا تسكن إلى نفسك وإن دامت طاعتها لك في طاعة ربك وقال أبو سليمان الداراني رضي الله تعالى عنه ما رضيت عن نفسي طرفة عين ويحكى عن سري السقطي رضي الله تعالى عنه أنه قال إني لأنظر إلى وجهي في اليوم كذا كذا مرة مخافة أن يكون قد اسود كلما أخافه من العقوبة وقال أيضا رضي الله تعالى عنه من الناس ناس لو مات نصف أحدهم ما انزجر النصف الآخر ولا أحسبني إلا منهم إلى غير هذا من العبارات الصادرة من المشايخ رضي الله تعالى عنهم في هذا المعنى وقد ألف الشيخ أبو عبد الرحمن السلمي رضي الله تعالى عنه جزأ صغير الجرم عظيم الفوائد في عيوب النفس وكيفية مداواتها فلينظر فيه المريد وكذلك ألف قبله الإمام أبو عبد الله الحرث المحاسبي كتابا سماه النصائح جمع فيه من معايب النفس وخدعها وغرورها وشرورها جملة شافية ونبه فيه على سنن دارسة وطرق عافية مما كان عليه سلفنا الصالح رضوان الله تعالى عليهم من التفتيش والتفقد والنظر فيما تصلح به أعمالهم وأحوالهم وأنفسهم والمحافظة على تطهير الأسرار والقلوب والمبالغة في الحذر من محقرات الذنوب وقد نقل الإمام أبو حامد الغزالي قدس الله روحه منه فصلا في كتابه واعتمد فيه ذكره بلفظه ونص خطابه بعد أن أثنى على مؤلفه بما هو أهله فبان الجاهل به علمه وفضله فقال في حقه والمحاسبي رحمه الله تعالى خير الأمة في علم المعاملة وله السبق على جميع الباحثين عن عيوب النفس وآفات الأعمال وأغوار العبادات وكلامه جدير بأن يحكى على وجهه ذكره وقد كان أوحد زمانه علما وعبادة وبغية أوانه ورعا وزهادة شيخي الحاج أبو العباس بن عاشر رحمه الله تعالى عليه ورضوانه يكثر من التحريض على مطالعة ذلك الكتاب والعمل بما تضمنه من حق وصواب وأظنني سمعته ذات يوم يقول لا يعمل بما فيه الأولياء أو كلاما هذا معناه فليتخذ المريد مطالعته وردا وليحرص على العمل بما تضمنه مستعينا بالله تعالى وسائلا منه توفيقا ورشدا لينتصح لمولاه في مراعاة إصلاح باطنه والقيام على قدم الصدق في مواطنه وليجعل هجيراه مطالعة كتب التصوف وموالاة أهله بالتألف والتعرف فبذلك تتقوى أنوار إيمانه ويقينه وتنتفي عنه الغرة في عمله وطاعات دينه ولا يقدم على ذلك الا فرض المبين وما يستحم به نفسه من مكابدة التعب والأين ولا يشغل نفسه بعلم يغير على وجه مقصوده ويوجب له انتكاث مواثيقه وعهوده وما أكب الناس عليه اليوم وحادوا به عن سنن القوم حتى أكسبهم ذلك من رذائل الصفات وعظائم الآفات ما صار بهم إلى الهلاك والشقاء وأعقبهم نفاقا في قلوبهم إلى يوم اللقاء وسجل عليهم بالكذب في دعواهم أنهم قاصدون بعلمهم رضا مولاهم فإياك وإياهم وأنشدوا

لقد أسمعت لو ناديت حيا ... ولكن لا حياة لمن تنادي

ولذلك قال المؤلف (ولأن تصحب جاهلا لا يرضى عن نفسه خير لك من أن تصحب عالما يرضى عن نفسه فأي علم لعالم يرضى عن نفسه وأي جهل لجاهل لا يرضى عن نفسه) فائدة الصحبة إنما هي الزيادة في الحال وعدم النقصان فيها حسبما يأتي الكلام عليه عند قوله ولا تصحب من لا ينهضك حاله ولا يدلك على الله مقاله فصحبة من يرضى عن نفسه وإن كان عالما شر محض ولا فائدة فيها لأن علمه غير نافع له

شعاع البصيرة) ويعبر عنه بنور العقل وبعلم اليقين (يشهدك قربه منك وعين البصيرة) ويعبر عنه بنور العلم وبعين اليقين (يشهدك عدمك لوجوده وحق البصيرة) ويعبر عنه بنور الحق وبحق اليقين (يشهدك وجوده لا عدمك ولا وجودك) والحاصل أن السالك يهتف على قلبه أنوار الهية يعبر عنها بهذه العبارات ويترتب على كل واحد ثمرات وفوائد قال بعضهم ولا يبلغ العبد حقيقة التواضع الا عند لمعان نور المشاهدة في قلبه فعند ذلك تذوب النفس وتنطبع للحق وللخلق بمحو آثارها وسكون وهجها وغبارها وبين المصنف أن الذي ينكشف بالنور الأول قرب الله منك وثمرة ذلك ونتيجته مراقبته تعالى والاستحياء منه حتى لا يراك حيث نهاك ولا يفقدك حيث أمرك والذي ينكشف بالثاني عدمية كل موجود في وجود الحق تعالى فيشهد الأكوان عدما فلا يعبأ بها ولا يلتفت اليها اذ وجودها عارية والوجود الحقيقي له سبحانه وتعالى وثمرة ذلك أن لا يبقى في نظرك ما تستند اليه ولا ما تستأنس به فيتم لك التوكل والتفويض والرضا والاستسلام والذي ينكشف بالثالث الذات المقدسة وثمرة ذلك الفناء الكامل (٣٣) الذي هو دهليز البقاء فيفنى عن فنائه وعدمه استهلاكا في وجود سيده وناهيك بما يحصل له حينئذ من المواهب والأسرار الالهية فاذا رقي عن ذلك يحل في مقام البقاء قال صاحب العوارف والباقي في مقام لا تحجبه الحق عن الخلق ولا الخلق عن الحق والفاني محجوب بالحق عن الخلق اهـ (كان الله ولا شيء معه) يعني أن هذا حال من هو متحقق بمقام الفناء وهو عدم رؤيته غير مولاه (وهو الآن على ما عليه كان) أي ان الأمر الذي حصل لذلك المشاهد وهو أن الوجود الحقيقي له سبحانه وتعالى وغيره لا وجود له هو الوصف المتحقق له سبحانه في الواقع وعدم ادراك ذلك له قبل ذلك انما هو لوجود الحجاب كقوله وهو الآن أي عند مشاهدة هذا السالك له على هذا الوصف على ما عليه كان أي هو متصف به في الواقع وقبل ادراك هذا المشاهد له لكن عدم ادراكه لذلك انما هو للحجاب القائم به ثم قال (لا تتعد نية همتك) أيها السالك (الى غيره) بأن تتوجه الى غيره لتحصيل حاجتك بل اطلب حوائجك منه (فالكريم لا تتخطاه الآمال) فالهمة العلية تأنف من رفع حوائجك الى غير كريم ولا كريم على الحقيقة الا الله اذ الكريم هو الذي اذا قدر عفا واذا وعد وفى واذا أعطى زاد على منتهى الرجا ولا يبالي كم أعطى ولا لمن أعطى واذا جفا عاتب وما استقصى ولا يضيع من لاذ به والتجا ويغنيه عن الوسائل والشفعا وهذه الصفات لا يستحقها حقيقة الا الله سبحانه وتعالى فينبغي أن لا تتخطاه آمال المؤملين الى غيره واعلم أن الطلب من الخلق المنافي للعبودية هو الطلب منهم على وجه الاعتماد عليهم والاستناد اليهم والغفلة في حال الطلب عن الله تعالى أما الطلب منهم من حيث كونهم أسبابا ووسائط مع الاعتماد في نيل المطلوب على الله ورؤية أنه المعطي فليس منافيا للعبودية * ثم قال

وجهله الذي أوجب رضاه عن نفسه ضار غاية الضرر وكأنه اذ فاته هذا العلم الذي يريه عيبه حتى لا يرضى عن نفسه لا علم عنده وصحبته من لا يرضى عن نفسه وان كان جاهلا خير محض فيها كل الفائدة لأن جهله غير ضار وعلمه الذي أوجب له عدم رضاه عن نفسه نافع غاية النفع وكأنه اذ حصل له هذا العلم لا جهل عنده (شعاع البصيرة يشهدك قربه منك وعين البصيرة يشهدك عدمك لوجوده وحق البصيرة يشهدك وجوده لا عدمك ولا وجودك) شعاع البصيرة نور العقل وعين البصيرة نور العلم وحق البصيرة نور الحق فالعقلاء بنور عقولهم شهدوا أنفسهم وشاهدوا أنه قريبا منهم أي بالعلم والاحاطة والعلماء بنور علمهم شهدوا أنفسهم عدما في وجوده والمتحققون بنور الحق شاهدوا الحق ولم يشاهدوا معه سواه (كان الله ولا شيء معه وهو الآن على ما عليه كان) الأزمنة هنا أمور وهمية لا وجود لها على التحقيق والمقصود أن الله تعالى لا شيء معه لثبوت أحديته

فلم يبق الا الحق لم يبق كائن * فما ثم موصول وما ثم بائن

بذا جاء برهان العيان فما أرى * بعيني الا عينه اذ أعاين

وسيأتي من كلام المؤلف رحمه الله تعالى الأكوان ثابتة باثباته ممحوة بأحدية ذاته وقال قدس الله سره (لا تتعد نية همتك الى غيره فالكريم لا تتخطاه الآمال) الهمة العلية تأنف من رفع حوائجها الى غير الكريم ولا كريم على الحقيقة سوى الله تعالى قال الجنيد رضي الله تعالى عنه الكريم الذي لا يحوجك الى مسئلة وقال الحرث المحاسبي رضي الله تعالى عنه الكريم الذي لا يبالي من أعطى وقيل الكريم الذي لا يخيب رجاء المؤملين وأجمع العبارات في معنى وصف الكريم ما قيل الكريم الذي اذا قدر عفا واذا وعد وفى واذا أعطى زاد على منتهى الرجا ولا يبالي كم أعطى ولا لمن أعطى وان رفعت حاجة الى غيره لا يرضى واذا جفا عاتب وما استقصى ولا يضيع من لاذ به والتجا ويغنيه عن الوسائل والشفعا فاذا كانت هذه الصفات لا يستحقها أحد سوى الله تعالى فينبغي اذا أن لا تتخطاه آمال المؤملين الى غيره كما قال بعضهم

حرام على من وحد الله ربه * وأفرده أن يجتدي أحدا رفدا

(لا ترفعن) أيها المريد (الى غيره حاجة) أي فاقة أو نازلة نزلت بك أي لا تتوجه فى زوالها الى غيره وتطلب منه أن يرفعها عنك فان تلك الفاقة أو النازلة (هو موردها عليك) أي منزلها بك (فكيف يرفع غيره ما كان هو له واضعا) اذ هو الغالب الذي لا يغلبه شيء وأيضا (من لا يستطيع أن يرفع حاجة عن نفسه) اذا نزلت به (فكيف يستطيع أن يكون لها عن غيره رافعا) أي فيستحيل ذلك لثبوت عجزه وضعفه وحاصله أن المخلوق اليمن حوائج لم يتوصل اليها لو كان ملكا ولا شك أن نفسه أحب اليه من غيره فلو كان له قدرة على نفع غيره لنفع نفسه فلزم عجزه عن نفع غيره انما يحصد العجز عن نفع النفس عجز فيكون من قلة العقل تعلقك فى حاجتك بمن هو محتاج مثلك (ان لم تحسن ظنك به لأجل حسن وصفه) أي لأجل ما هو عليه من النعوت السنية والصفات العلية فان من كان متصفا بأسنى الصفات لا يصدر منه إلا الجميل سيما لمن ظن به الجميل (تحسن ظنك به لوجود معاملته

ويا صاحبي قف بي مع الحق وقفة * أموت بها وجدا وأحيا بها وجدا

وقل لملوك الأرض تجهد جهدها * فذا الملك ملك لا يباع ولا يهدى

(لا ترفعن الى غيره حاجة هو موردها عليك فكيف يرفع غيره ما كان هو له واضعا من لا يستطيع أن يرفع حاجة عن نفسه فكيف يستطيع أن يكون لها عن غيره رافعا) اذا أورد الله تعالى عليك حاجة أو أنزل بك نازلة فاعلم أنه لا رافع لها سواه اذ يستحيل أن يرفع غيره ما كان هو له واضعا لثبوت توحيده فى أن لا فاعل سواه واذ هو غالب على أمره لا يغالبه أحد ويستحيل أيضا أن يرفعها عنك من لا يستطيع أن يرفعها عن نفسه لو نزلت به لثبوت عجزه وضعفه ومن المحال تعلقك فى حاجتك بمن هو محتاج مثلك قال بعضهم من اعتمد على غير الله فهو فى غرور لأن الغرور ما لا يدوم ولا يدوم شيء سواه وهو الدائم القديم الذى لم يزل ولا يزال وعطاؤه وفضله دائمان فلا تعتمد الا على من يدوم عليك منه الفضل والعطاء فى كل نفس وحين وأوان وزمان قال عطاء الخراسانى رضى الله تعالى عنه لقيت وهب بن منبه فى الطريق فقلت حدثنى حديثا أحفظه عنك فى مقامى وأوجز قال أوحى الله تعالى الى داود عليه الصلاة والسلام يا داود أما وعزتى وجلالى لا يستنصر بى عبد من عبادى دون خلقى أعلم ذلك من نيته فتكيده السموات السبع ومن فيهن والأرضون السبع ومن فيهن الا جعلت له منهن فرجا ومخرجا أما وعزتى وجلالى وعظمتى لا يستعصم عبد من عبادى بمخلوق دونى أعلم ذلك من نيته الا قطعت أسباب السموات السبع من دونه وأسخت الأرض من تحته ولا أبالى فى أى واد هلك * قال محمد بن الحسين بن حمدان كنت فى مسجد يزيد بن هرون وكان الى جانبى رجل فلسته ما اسمك فقال سعيد فقلت ما كنيتك قال أبو عثمان فسألته عن قصته وخبره فقال نفدت نفقتى فقلت ومن تؤمل لما نزل بك فقال يزيد فقلت اذا لا يسعفك بحاجتك ولا ينجح طلبك ولا يبلغك أملك فقال وما علمك بهذا رحمك الله قلت انى قرأت فى بعض الكتب أن الله عز وجل يقول وعزتى وجلالى وجودى وكرمى وارتفاعى فوق عرشى فى علو مكانى لأقطعن أمل كل مؤمل لغيرى بالاياس ولأكسونه ثوب المذلة عند الناس ولأنحينه من قربى ولأقطعنه من وصلى أيؤمل غيرى فى النوائب والشدائد بيدى وأنا الحى ويرجى غيرى ويطرق بالفكر أبواب غيرى وبيدى مفاتيح الأبواب وهى مغلقة وبابى مفتوح لمن دعانى من ذا الذى أملنى لنائبة فقطعت به دونها ومن ذا الذى رجانى لعظيم جرمه فقطعت رجاءه منى أم من ذا الذى قرع بابى فلم أفتحه له جعلت آمال خلقى بينى وبينهم متصلة فتعلقت بغيرى وجعلت رجاءهم مدخرا لهم عندى فلم يرضوا بحفظى وملأت سمواتى ممن لا يملون تسبيحى من ملائكتى وأمرتهم أن لا يغلقوا الأبواب بينى وبين عبادى فلم يثقوا بقولى ألم يعلم من طرقته نائبة من نوائبى أنه لا يملك كشفها أحد غيرى الا من بعد اذنى فما له معرضا عنى وما لى أراه بآماله معرضا عنى وما لى أراه لاهيا سوى أعطيته بجودى ما لم يسألنى ثم انتزعته منه فلم يسألنى رده وسأله غيرى أفترانى أبدأ بالعطية قبل المسألة ثم أسأل فلا أجيب سائلى أبخيل أنا فيبخلنى عبدى أليس الدنيا والآخرة لى أوليس الرحمة والفضل بيدى أوليس الجود والكرم لى أوليس أنا محل الآمال فمن ذا الذى يقطعها دونى وما عسى أن يؤمل المؤملون لو قلت لأهل سمواتى وأهل أرضى أملونى ثم أعطيت كل واحد منهم من الفكر مثل ما أعطيت الجميع ما نقص ذلك من ملكى عضو ذرة كيف ينقص ملك أنا قيمه فيا بؤسا للقانطين من رحمتى ويا بؤسا لمن عصانى ولم يراقبنى ووثب على محارمى ولم يستحى منى قال رحمك الله أمل على هذا الحديث فكتبه ثم قال والله لا كتبت حديثا بعده قلت والأمل الذى ينبنى عليه هذا المعنى هو تحقق العبد فى مقام حسن الظن بالله تعالى ولذلك أخذ المؤلف رحمه الله تعالى فى ذكره بأثره فقال (ان لم تحسن ظنك به لأجل حسن وصفه فحسن ظنك به لوجود معاملته

معك

معك فهل عودك الاحسنا وهل أسدى اليك الامننا) حسن الظن بالله تعالى أحد مقامات اليقين والناس فيه على قسمين خاصة وعامة فالخاصة حسنوا الظن به لما هو عليه من النعوت السنية والصفات العلية والعامة حسنوا الظن به لما هم فيه من سبوغ النعم وشمول الفضل والكرم والتفاوت بين المقامين ظاهر ولذلك لا يخاف من التغير والانقلاب فى أحدهما ما يخاف فى الآخر لأن أرباب المقام الأول لما تحققوا فى المعرفة بالله تعالى واحتظوا بأنوار اليقين به اطمأنت قلوبهم وسكنت نفوسهم فلم يبق فيهم متسع لوجود تهمة ولا مجال لسوء ظن وأرباب المقام الثانى لم يرتقوا عن نظرهم الى الأفعال وهى متلونة عليهم فى كل حال وعند وقوع بعض ما لا يلائمهم منها ربما تضعف عن تحمل مكارهها قوى قلوبهم فلا تحصل لهم البراءة من خواطر سوء الظن بالله وتحدث النفس بما يقتضى وجود هلع وجزع فليكن العبد عند ذلك مشاهدا معنى قوله عز وجل وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم وما أشبهه وليقس النادر على الغالب ﴿ قال أبو محمد بن عبد العزيز المهدوى رضى الله تعالى عنه حسن الظن عبارة عن قطع الوهم أن يكون أولا يكون لأن الوهم قاتل وهو لوقت ثان يحتى أعطيت أذنك للوهم هلكت وحدك وكذلك الاصغاء بالاذن الى الشيطان والنفس جنس واحد ﴿ قلت وحسن الظن يطلب من العبد فى أمر دنياه وفى أمر آخرته أما أمر دنياه فأن يكون واثقا بالله تعالى فى ايصال المنافع والمرافق اليه من غير كد ولا سعى فيها أو سعى خفيف مأذون فيه ومأجور عليه بحيث لا يفوته ذلك شيئا من نفل ولا فرض فيوجب له ذلك سكونا وراحة فى قلبه وبدنه فلا يستفزه طلب ولا يزعجه سبب وأما أمر آخرته فأن يكون قوى الرجاء فى قبول أعماله الصالحة وتوفية أجوره عليها فى دار الثواب والجزاء فيوجب له ذلك المبادرة لامتثال الأمر والتكثير من أعمال البر بوجود حلاوة واغتباط ولذاذة ونشاط وقد قال يحيى بن معاذ أوثق الرجاء رجاء العبد ربه وأصدق الظنون حسن الظن بالله تعالى ومن مواطن حسن الظن بالله تعالى التى لا ينبغى للعبد أن يفارقه فيها أوقات الشدائد والمحن وحلول المصائب فى الأهل والمال والبدن لئلا يقع بسبب عدم ذلك فى الجزع والسخط وسيأتى هذا المعنى فى كلام المؤلف رحمه الله وهو قوله من ظن انفكاك لطفه عن قدره فذلك لقصور نظره ومن أعظم مواطن حسن الظن بالله تعالى حالة الموت وقد جاء فى الخبر لا يموتن أحدكم الا وهو يحسن الظن بالله تعالى وفى حديث جابر من استطاع منكم أن لا يموت الا وهو يحسن الظن بالله تعالى فليفعل ثم تلا هذه الآية وذلكم ظنكم الذى ظننتم بربكم أرداكم ولا نه تعالى قال فيما يروى عنه أنا عند ظن عبدى بى فليظن بى ما شاء ﴿ قال أبو طالب المكى رضى الله تعالى عنه وكان ابن مسعود يحلف بالله ما أحسن عبد ظنه بالله تعالى الا أعطاه الله عز وجل ذلك لأن الخير كله بيده فاذا أعطاه حسن الظن به فقد أعطاه ما يظنه لأن الذى حسن ظنه به هو الذى أراد أن يحققه له اهـ ﴿ وقد روى عن أبى النضر بن حيان قال خرجت عائدا ليزيد بن الاسود فلقيت واثلة بن الأسقع وهو يريد عيادته قال فدخلنا عليه وهو فى فراشه فلما رأى واثلة بسط يده وطفق يشير اليه فأقبل واثلة حتى جلس على الفراش وأخذ يزيد بن الاسود بكفى واثلة حتى جعلهما على وجهه فقال له واثلة أسألك عن شئ وتخبرنى قال لا تسألنى عن شئ أعلمه الا أخبرتك به قال له واثلة كيف ظنك بالله عز وجل قال ظنى والله بالله حسن قال فابشر فانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قال الله تبارك وتعالى أنا عند ظن عبدى بى ان ظن خيرا وان ظن شرا ﴿ وروى عن أبى سعيد الخدرى رضى الله تعالى عنه قال عاد رسول الله صلى الله عليه وسلم مريضا فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف ظنك بربك قال يا رسول الله حسن الظن قال فظن به ما شئت فان الله تبارك وتعالى عند ظن المؤمن به ﴿ وروى أبو هريرة رضى الله تعالى عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال ان حسن الظن

معك) من إسباغ النعم وشمول الفضل والكرم (فهل عودك الا حسنا وهل أسدى اليك الا مننا) أى نعم أشار بذلك الى أن الناس فى حسن الظن على قسمين خاصة وعامة فالخاصة حسنوا الظن به لما هو عليه من النعوت السنية والصفات العلية والعامة حسنوا الظن به لما هم فيه من سبوغ النعم وشمول الفضل والكرم والتفاوت بين المقامين ظاهر فكأنه قال ينبغى لك أيها المريد أن تحسن ظنك به مطلقا فى ايصال المنافع ودفع المضار وعدم الالتفات لغيره فان لم تقدر على حسن الظن الذى هو مقام الخاصة فتلبس بمقام العامة وحسن الظن به لوصفه ينتج لك محبته وصحة الاعتماد والتوكل عليه وحسن الظن به لوجود معاملته معك ينتج لك شكر نعمته والتشوف لوروده فضله ورحمته

(العجب كل العجب ممن يهرب ممن لا انفكاك له عنه) وهو الله تعالى بأن لا يفعل ما يقربه اليه (و يطلب ما لا بقاء له معه) وهو الدنيا وكل شيء سوى المولى بأن يقبل على شهواته و يتبع هواه (فانها لا تعمى الأبصار الآية) أي ان ذلك ناشئ من عمى قلبه ووجود جهله بربه لأنه استبدل الذي هو أدنى بالذي هو خير وآثر الفاني الذي لا بقاء له على الباقي الذي لا انفكاك له عنه ولو كانت له بصيرة لعكس الأمر ثم قال (لا ترحل من كون الى كون) يعني أن العمل المصاحب للرياء ونحوه مذموم غير معتد به شرعا فاذا جاهد المريد نفسه حتى خلص من ذلك ولكن قصد به الجزاء والدرجات أو نيل الرتب العلية والمقامات لم يزل مذموما أيضا عند العارفين والمحمود أن يقصد به وجه الله تعالى ثم شبه المصنف الرحيل من كون الى كون بقوله (فتكون كحمار الرحا) أي الطاحون (يسير والمكان الذي ارتحل اليه هو الذي ارتحل منه) وكذلك العمل لطلب الجزاء فيه رحيل من كون وهو الرياء ونحوه الى كون وهو ما ذكر من طلب الجزاء وسببه بقايا النفوس فتطلب بعملها رتبة عند الله وكل ذلك من الأكوان والأكوان كلها متساوية في كونها أغيارا (ولكن ارحل من الأكوان الى المكون) بأن تخلص عملك لمولاك وحده دون حظ عاجل أو آجل فمن عمل لأجل الدرجات أو المقامات فهو عبد لها ومن عمل لله فهو عبد الله وهو راحل من الأكوان الى المكون (وأن الى ربك المنتهى) أي فقد انتهى سيره الى الله وصار متحققا بمعنى هذه الآية بخلاف المرتحل من كون الى كون فانه غير منته له ولا واصل اليه (وانظر الى قوله ﷺ فمن كانت هجرته الى الله و رسوله) وموضع

أي بالقصد والنية (فهجرته الى الله و رسوله) في الواقع ونفس الأمر فهي محمودة معتد بها (ومن كانت هجرته الى دنيا يصيبها أو امرأة يتزوجها فهجرته الى ما هاجر اليه فافهم قوله عليه الصلاة والسلام وتأمل هذا الأمر ان كنت ذا فهم) يعني أن في هذا الحديث تنبيها على المعنى المذكور وموضع الاعتبار والتأمل هو الشق الثاني أعني فهجرته الى ما هاجر اليه فان معناه أنه لا نصيب له من الوصول والقرب الذي حظي به من هاجر الى الله و رسوله وكأنه ﷺ نبه بالدنيا والمرأة على حظوظ النفس بالوقوف معها كائنة ما كانت

بالله من حسن عبادة الله قلت والأخبار والآثار في الرجاء وحسن الظن بالله وسعة رحمته أكثر من أن تحصى ومطالعتها مما يزيد المريد قوة في هذا المقام فمن أراد الشفاء في ذلك فعليه بمطالعة كتاب الرجاء من قوت القلوب وكتاب الاحياء قال بعضهم

وما زلت أرجو الله حتى كأنني * أرى بجميل الصنع ما هو صانع

ثم بين رحمه الله تعالى الحالة التي عنازلتها يتحقق العبد بمقام حسن الظن بالله تعالى وهو عكوف العبد بباب الله وتعلق قلبه بوحدانيته وأشار الى أن ذلك هو غاية النعم ومنتهى الأماني لا ما تتوهمه النفس وتطلبه من النعم المعقول والأمنيات التي تفنى وتزول وحكم بأن خلاف هذا من عمى القلب ومما يستحق أن يتعجب منه كل ذي لب فقال (العجب كل العجب ممن يهرب ممن لا انفكاك له عنه و يطلب ما لا بقاء له معه فانها لا تعمى الأبصار الآية) هرب العبد من مولاه باقباله على شهواته ومتابعته هواه وذلك نتيجة عمى قلبه وجهله بربه لأنه استبدل الذي هو أدنى بالذي هو خير وآثر الفاني الذي لا بقاء له على الباقي الذي لا انفكاك له عنه ولو كانت له بصيرة لآثر الباقي على الفاني ولفعل ما فعله سحرة فرعون لما آمنوا بربهم اذ لم يحفلوا بما وعدهم به فرعون من الاحسان والانعام والتقريب والاكرام ولم يكترثوا بما توعدهم به من العذاب والقتل والصلب على جذوع النخل بل قالوا لن نؤثرك على ما جاءنا من البينات والذي فطرنا الآية ثم قالوا والله خير وأبقى فهؤلاء استنارت قلوبهم وشهدوا محبوبهم فكان منهم ما كان ❁ (لا ترحل من كون الى كون فتكون كحمار الرحا يسير والمكان الذي ارتحل اليه هو الذي ارتحل منه ولكن ارحل من الأكوان الى المكون وأن الى ربك المنتهى) العمل على طلب الجزاء والدرجات أو نيل الرتب العلية والمقامات نقصان في الحال وشوب في اخلاص الأعمال وهو معنى الرحيل من كون الى كون وسبب ذلك بقاء اعتبار النفس في أن تحصل لها رتبة أو تنال بسببها مرتبة وهذه كلها من الأكوان والأكوان كلها متساوية في كونها أغيارا وان كان بعضها أنوارا وتمثيله بحمار الرحا مبالغة في تقبيح حال العاملين على رؤية الأغيار وتلطف في دعائهم الى حسن الأدب بين يدي الواحد القهار حتى يتحققوا بمعنى قوله تعالى وأن الى ربك المنتهى فيكون انتهاء سيرهم اليه وعكوف قلوبهم عليه وتكون أعمالهم اذ ذاك وفاء بمقتضى العبودية وقياما بحقوق الربوبية فقط من غير التفات الى النفس على أي حالة تكون فهذا هو تحقيق الاخلاص الكائن عن مشاهدة التوحيد الخاص جعلنا الله من أهله بمنه وفضله انه على كل شيء قدير ❁ (وانظر الى قوله صلى الله عليه وسلم فمن كانت هجرته الى الله و رسوله فهجرته الى الله و رسوله ومن كانت هجرته الى دنيا يصيبها أو امرأة يتزوجها فهجرته الى ما هاجر اليه فافهم قوله عليه الصلاة والسلام وتأمل هذا الأمر ان كنت ذا فهم) في هذا الحديث النبوي تنبيه على المعنى الذي ذكره

فقوله فهجرته الى الله ورسوله هو معنى الارتحال من الأكوان الى المكوّن الذي هو مطلوب من العبد وهو مصرح به وقوله فهجرته الى ماهاجر اليه هو البقاء مع الأكوان والتنقل فيها وهو مشار به غير مصرح ﴿ ولما كان حاصل ما تقدم طلب رفع الهمة عن الخلق وتعلقها بالملك الحق وأبلغ ما يوصل الى هذه المرتبة صحبة العارفين بالله تعالى أمر بها في ضمن قوله (لا تصحب من لا ينهضك حاله ولا يدلك على الله مقاله) بأن لا يكون حاله وهمته متعلقة بالله ومقاله لا يدل عليه وان كان من العباد والزهاد وصحبته للمريد منهي عنها بخلاف صحبة من ينهضك حاله ويدلك على الله مقاله بأن تكون همته متعلقة بالله مرتفعة عن المخلوقين لا يلجأ في حوائجه الا الى الله تعالى ولا يتوكل في أموره الا عليه سبحانه وتعالى قد سقط الناس من عينه فلا يرى منهم ضرا ولا نفعا وسقطت نفسه من عينه فلا يشاهد لها فعلا ولا يقضي لها حظا ويكون في جميع أعماله جاريا على مقتضى الشرع من غير افراط ولا تفريط وهذه صفات العارفين بالله تعالى فصحبة من هذه حاله وان قلت عبادته ونوافله مأمور بها المريد لأنها جالبة لكل فائدة دينية ودنيوية إذ الطبع يسرق من الطبع بخلاف من لم يكن على هذا الوصف وكان شأنه المعاملة الظاهرة لا غير فلا فائدة في صحبته ثم لا يخلو اما أن يكون مثلك فلا يحصل لك من صحبته ضرر واما أن يكون دونك وهو ما أشار اليه بقوله

وهو موضع الاعتبار والتأمل هو والله أعلم قوله في القسم الثاني فهجرته الى ماهاجر اليه أي ولا نصيب له من الوصول والقرب الذي يحظى به من هاجر الى الله ورسوله وهو قوله فهجرته الى الله ورسوله وهذا من باب حصر المبتدا في الخبر كما تقول زيد صديقي أي لا صديق له غيري وكأنه صلى الله عليه وسلم نبه في القسم الثاني بالدنيا التي يريد أن يصيبها والمرأة التي يريد أن يتزوجها على حظوظ النفس والوقوف معها والعمل عليها كائنة ما كانت وان كان ظاهرها طلب الحظ العاجل فقوله فهجرته الى الله ورسوله هو معنى الارتحال من الأكوان الى المكون وهو المطلوب من العبد وهو مصرح به غاية التصريح وقوله فهجرته الى ماهاجر اليه هو البقاء مع الأكوان والتنقل فيها وهو الذي نهي عنه وهو مشار به غير مصرح فليكن المريد عالي الهمة والنية حتى لا يكون له التفات الى غير ولا كون كالبنة ولقد أحسن الشاعر في قوله

وكل ما قد خلق الله وما لم يخلق ﴿ محتقر في همتي كشعرة في مفرقي

قال رجل لأبي يزيد رضي الله تعالى عنه أوصني فقال له ان أعطاك من العرش الى الفرش فقل له لا أنت أريد وقال أبو سليمان الداراني رضي الله تعالى عنه لو خيرت بين ركعتين ودخول الفردوس لاخترت ركعتين لأني في الفردوس بحظي وفي الركعتين بربي وقال الشبلي رضي الله تعالى عنه احذر مكره ولو في قوله كلوا واشربوا يريد لا تستغرق في الحظ ولتكن في كل شيء به لا بنفسك فقوله تعالى كلوا واشربوا وان كان ظاهره اكراما وانعاما فان في باطنه ابتلاء واختبارا حتى ينظر من هو معه ومن هو مع الحظ قال رضي الله تعالى عنه ﴿ (لا تصحب من لا ينهضك حاله ولا يدلك على الله مقاله) تكلم ههنا في الصحبة وهي أصل كبير من أصول القوم وفيها منافع وفوائد لذلك استمر عليها شأنهم قديما وحديثا وقد نبه المؤلف رحمه الله على فائدتها في قوله لا تصحب من لا ينهضك حاله ولا يدلك على الله مقاله فانهاض الحال ودلالة المقال على الله تعالى هو فائدة الصحبة ومعنى الحال المنهض ههنا هو أن تكون همته متعلقة بالله تعالى مرتفعة عن المخلوقين لا يلجأ في حوائجه الا الى الله تعالى ولا يتوكل في أموره الا على الله قد سقط اعتبار الناس من عينه فلا يرى منهم ضرا ولا نفعا وسقطت نفسه من عينه فلا يشاهد لها فعلا ولا يقتضي لها حظا ويكون في أعماله كلها جاريا على مقتضى الشرع من غير افراط ولا تفريط وهذه صفة العارفين الموحدين فصحبة من هذه حاله وان قلت عباداته ونوافله مأمون الغائلة محمودة العاقبة جالبة لكل فائدة دينية ودنيوية لأن الطبع يسرق من الطبع والنفس مجبولة على حب الاقتداء بمن يستحسن حاله ولا يشترط في المصحوب اتصافه بتلك الصفات على غاية الكمال والتمام فان ذلك متعذر وانما يشترط فيه أن يتصف منها بما يفوق صاحبه بحيث يكون أعلى منه حالا وأصوب منه مقالا ومن لم يكن على هذا الوصف وكان شأنه المعاملة بالظاهر لا غير فليس له فائدة في صحبته بل ربما زادته شرا لأن خلطته تدعوه الى التصنع له والتزين ويؤديه ذلك الى كبائر معاصي القلوب وهي أشد عليه من معاصي الجوارح بكثير ﴿ قال يوسف بن الحسين الرازي رضي الله تعالى عنه لأن ألقى الله بجميع المعاصي أحب الي من أن ألقاه بذرة من التصنع فيدخل بذلك عليه النقص في حاله من حيث رجاء الزيادة فيها قال بعض الصوفية لا تعاشر من الناس الا من لا تزيد عنده ببر ولا تنقص عنده بإثم يكون ذلك لك وعليك وأنت عنده سواء وقال بعضهم كن مع أبناء الدنيا بالأدب ومع أبناء الآخرة بالعلم ومع العارفين كيف شئت وقيل لبعض الصالحين ان فلانا صحبك ويكثر ذكرك فقال انه لحبيب الي وأحله وأعرف قدره ولكن يهون على أن ألقى الشيطان ألف مرة

ولا ألقاه مرة واحدة قيل له وكيف ذلك قال أخشى أن أتزين له ويتزين لي قال الشيخ أبو طالب المكي رضي الله تعالى عنه وكانت هذه الطائفة من الصوفية لا يصطحبون إلا على استواء أربعة معان لا يترجح بعضها على بعض ولا يكون فيها اعتراض من بعض على بعض أن أكل صاحبه الدهر كله لم يقل له صاحبه صم وإن صام الدهر كله لم يقل له صاحبه أفطر وإن نام الليل كله لم يقل له صاحبه لم فصل وإن صلى الليل كله لم يقل له صاحبه نم فتضعف وتستوي أحواله عنده فلا مزيد لأجل صيامه وقيامه ولا نقصان لأجل إفطاره ونومه قالوا وإذا كان يزيد عنده بالعمل وينقص بترك العمل فالفرقة أسلم للدين وأبعد من المراآة من قبل أن النفس مجبولة على حب المدح وكراهة الذم ومبتلاة بأن ترى حالها التي عرفت به وأن تظهر أحسن ما يحسن عند الناس منها وأن تجلب ما يوجب المدح منهم وتجتنب ما يوقع الذم عندهم فإذا صحب من يعمل معه هذا فليس ذلك طريق الصادقين ولا بغية المخلصين ومجانبة هؤلاء الناس أصلح للقلوب وأسلم للدين وفي معاشرة أمثالهم فساد القلوب ونقصان الإيمان وضعف اليقين لأن هذه أسباب الرياء وفي الرياء حبط الأعمال وخسران رأس المال والسقوط من عين ذي الجلال وكان الثوري رضي الله تعالى عنه يقول من عاشر الناس داراهم ومن داراهم راآهم ومن راآهم وقع فيما وقعوا فيه فهلك كما هلكوا وكان بعض الحكماء يقول لا تواخ من الناس من يتغير عليك في أربع عند غضبه ورضاه وعند طمعه وهواه لأن هذه المعاني تتغير بها الطباع لدخول الضرر منها على النفس وفقد الانتفاع وقال في موضع آخر من كان ناظرا في أخوة أخيه أو في صحبته لكثرة أعماله أو وافقا معه لكمل أحواله دل على جهله بهذه الطريق التي تنفذ إلى التحقيق لأنها تحول وإنما العمل على حقائق القلوب لأنها ثابتة في الوصول فإن اقترن إلى جهله نقص معرفة الأخوة دخل عليه التزين والتصنع عنده لتعلو منزلته ويحسن عنده آثاره فيدخله ذلك في الشرك ويخرجه الشرك عن حقيقة التوحيد فتزل قدم بعد ثبوتها ويسقط من عين مولاه فلا يتولاه لأن النفس مبتلاة بحب الثناء والمدح وإثبات المنزلة بإظهار الوصف فيكون هذا الصاحب حينئذ من أشأم الناس عليه وأضرهم له ويصير أحدهما بلاء على صاحبه فليفارقه حينئذ لأنه يتجاهل فلا يصحبه لأنه يجد النقصان لصحبته ويدخل عليه الآفات بمقارنته ولينفرد بنفسه وليصدق في حاله عالية كانت أو دنية وضيعة كانت أو رفيعة من غير مقارنة أحد ولا مباينة فهو خير له وأحمد عاقبة لدينه ويدل على إرادة صاحب الكتاب لهذا المعنى الذي ذكرناه في التنبيه على قوله لا تصحب من لا ينهضك حاله ويدلك على الله مقاله فيكون الحال والمقال متناسبين في كون كل واحد منهما متعلقا بالله تعالى في وجوده ودلالته.

• قال سهل بن عبد الله رضي الله تعالى عنه احذر صحبة ثلاثة أصناف من الناس الجبابرة الغافلين والقراء المداهنين والمتصوفة الجاهلين وقال يوسف بن الحسين الرازي رحمه الله تعالى قلت لذي النون المصري رضي الله تعالى عنه من أصحب فقال من لا تكتمه شيئا مما يعلمه الله منك وقال حمدون القصار رضي الله تعالى عنه اصحب الصوفية فإن للقبيح عندهم وجوها من المعاذير وليس للحسن عندهم كبيرة موقع يعظمونك به إشارة إلى أن العجب بالعمل منتف عندهم في صحبتهم وقال الجنيد رضي الله تعالى عنه إذا أراد الله بالمريد خيرا أوقعه إلى الصوفية ومنعه صحبة القراء وقال علي رضي الله تعالى عنه شر الأصدقاء من أحوجك إلى المداراة وألجأك إلى الاعتذار وقال مرة شر الأصدقاء من يتكلف له وأنشد أبو يوسف بن الحسين الرازي رضي الله تعالى عنه

أحب من الإخوان كل مواتي ... وكل غضيض الطرف عن عثراتي
يوافقني في كل أمر أحبه ... ويحفظني حيا وبعد مماتي

فمن

(ربما كنت مسيئاً فأراك الاحسان منك صحبتك من هو أسوأ حالا منك) يعني أن صحبة من هو دونك ضرر محض لأنها تغطى عنك عيوبك وتبين لك كمالك فتوجب لك حسن الظن بنفسك فتعجب بأعمالك وتقنع بأحوالك والرضا عن النفس وتزكية احسانها أصل كل شر فإن أردت ولا بد أن تصحب من لا ينهضك حاله ولا يدلك على الله مقاله فاصحب منك حتى تكون في صحبة لا لك ولا عليك ثم اعلم أن صحبة العارفين على قسمين صحبة إرادة وصحبة تبرك فصحبة الارادة هي التي يشترط لها الشروط المعروفة التي حاصلها أن يكون المريد مع الشيخ كالميت بين يدي الغاسل وصحبة التبرك هي التي يكون القصد بها الدخول مع القوم والتزيي بزيهم والانتظام في سلك عقدهم وهذا لا يلزم بشروط الصحبة وانما يؤمر بلزوم حدود الشرع ولعله بمخالطة الطائفة تعود عليه بركتهم ويصل الى ما وصلوا اليه (ماقل عمل برز من قلب زاهد) أي غير متعلق بالدنيا بل هو وان كان قليلا في الحس كثير في المعنى لسلامته من الآفات القادحة في قبول الأعمال من الرياء والتصنع للناس وطلب الأعراض الدنيوية وعدم حضور القلب مع المولى في حال فعله لقلة الوساوس الشيطانية الناشئة من حب الدنيا (ولا كثر عمل برز من قلب راغب) في الدنيا بل هو وان كان كثيرا في الحس قليل في المعنى لعدم سلامته مما ذكر وقد روى عن ابن مسعود أنه قال ركعتان من زاهد عالم خير من عبادة المتعبدين المجتهدين الى آخر الدهر أبدا سرمدا

فمن لي بهذا ليتني قد وجدته * فقاسمته مالي من الحسنات

والحاصل من هذا أن صحبة الصوفية التي يحصل بها كمال الانتفاع للصاحب دون من عداهم من المنسوبين الى الدين والعلم لأنهم خصوا من حقائق التوحيد والمعرفة بخصائص لم يساهمهم فيها غيرهم ويسري ذلك من الصاحب الى المصحوب هو غاية الأمل والمطلوب فقد قيل من عنى بحاله لم يخل حاضروه منها كمن يجلس على دكان العطار فانه يجد الرائحة الطيبة هذا في الحضور والحالة هذه فما ظنك في الصحبة والمؤانسة وقد وصفهم بعض العلماء فقال الصوفي من لا يعرف في الدارين أحدا غير الله ولا يشهد مع الله سوى الله فسخر له كل شيء ولم يسخر هو لشيء وسلط على كل شيء ولم يسلط عليه شيء يأخذ النصيب من كل شيء ولا يأخذ النصيب منه شيء يصفو به كدر كل شيء ولا يكدر صفوه شيء قد شغله واحد عن كل شيء وكفاه واحد من كل شيء فانظر رحمك الله هذه الصفات ما أعظمها وأجلها وما أعز من اتصف بها وما أعزه في هذا الوجود نفعنا الله بهم ورزقنا من بركاتهم وفي صحبة أمثال هؤلاء يحصل للمريد مالا يحصل له بغيرها من فنون المجاهدات وأنواع المكابدات حتى يبلغوا من ذلك الى أمر لا يسعه عقل عاقل ولا يحيط بعلم عالم ناقل * قال سيدي أبو العباس المرسي رضى الله تعالى عنه ماذا أصنع بالكيمياء والله لقد صحبت أقواما يعبر أحدهم على الشجرة اليابسة فيشير اليها فتثمر رمانا لوقته فمن صحب مثل هؤلاء الرجال ماذا يصنع بالكيمياء وقال أيضا رضى الله تعالى عنه والله ما سار الأولياء والأبدال من قاف الى قاف الا حتى يلقوا واحدا مثلنا فاذا لقوه كان بغيتهم وقال أيضا رضى الله تعالى عنه الولي اذا أراد أغنى وقال أيضا رضى الله تعالى عنه والله ما بيني وبين الرجل الا أن أنظر اليه نظرة وقد أغنيته وقال فيه شيخه أبو الحسن الشاذلي رضى الله تعالى عنه أبو العباس هو الرجل الكامل والله انه ليأتيه البدوي يبول على ساقه فلا يمسي عليه المساء الا وقد وصله الى الله وسيأتي طرف من ذكر حال المؤلف رحمه الله تعالى في صحبته وما أوصله اليه بكرة ببركة شيخه عند قوله كل كلام يبرز وعليه كسوة القلب الذي منه برز (ربما كنت مسيئا فأراك الاحسان منك صحبتك من هو أسوأ حالا منك) هذه أعظم آفة تدخل على من يخالف ما ذكره وصحب من هو دونه في الحال وهي استحسان ماهو عليه فيورثه ذلك الرضا عن نفسه ورؤيته لاحسانها وهو أصل كل شر كما تقدم (ماقل عمل برز من قلب زاهد ولا كثر عمل برز من قلب راغب) مقادير الأعمال تعلو على حسب قلوب العمال فما صدر عن الزاهدين في الدنيا من عمل طاعة وان كان قليلا في الحس فهو كثير على التحقيق وما صدر عن الراغبين فيها من عمل بر وان كان كثيرا في الحس فهو قليل على التحقيق وذلك لأن الزاهدين سلموا من الآفات التي تقدح في اخلاص أعمالهم من مراآة الناس والتصنع لهم وطلب الأعراض الدنيوية بتغلبها منهم لأنهم زهدوا فيها فتحصل لهم قبول أعمالهم فتوفر لهم قلتها بحسب ذلك ويكثر والراغبون تعتريهم الآفات المبطلة لأعمالهم القادحة في اخلاصهم بسبب رغبتهم في الدنيا فلا تقبل منهم فيقل الكثير من أعمالهم لوجود النقصان فيها وقد قال أمير المؤمنين على ابن أبي طالب رضى الله تعالى عنه كونوا لقبول الله أشد اهتماما منكم بالعمل فانه لا يقل عمل مع التقوى وكيف يقل عمل يتقبل وقد وصف الله تعالى ذكر المؤمنين بالكثرة لما تضمنه من وجود الاخلاص وعدم رياء الناس فقيل في قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا قيل يعني خالصا فسمى الخالص كثيرا ونعوتا أخلصت فيه النية لوجه الله العظيم ووصف ذكر المنافقين بالقلة لما اشتمل عليه من

(حسن الاعمال) بخلوها عما يعوقها عن القبول من الرياء وغيره وحضور القلب مع الله في حال فعلها وعدم اشتغاله بغيره من الوساوس الشيطانية (نتائج حسن الأحوال) القائمة بالقلوب من الزهد في الدنيا والاخلاص لله بأن يقصد بعمله عبودية الله تعالى لا لطلب حظ عاجل ولا ثواب آجل (وحسن الأحوال) ناشئ (من التحقق) أي التمكن (في مقامات الانزال) أي في المقامات التي تنزل في قلوب العارفين وهي معارف المحبة يوردها الله تعالى على القلوب تكون سببا في ترك الدعوى وعدم الالتفات الى جنة أو هرب من نار فان المريد اذا حصل له ذلك راقب مولاه بقلبه فلا يقصد بعمله غيره واذا حصل ذلك تخلص العمل مما يعوقه عن القبول وهذه الحكمة كالدليل لما قبلها ولما كانت الخصال المحمودة لا تنشأ غالبا الا من كثرة الذكر والمداومة عليه ذكره بقوله (لا تترك) أيها المريد

(الذكر) بل لازمه وداوم عليه فانه أقرب الطرق الى الله تعالى وعلامة على وجود ولايته فمن وفق للذكر فقد أعطي منشور الولاية فلا تتركه (لعدم حضورك) أي حضور قلبك (مع الله فيه) بأن كان مشتغلا بالوساوس الشيطانية والأغراض الدنيوية (لأن غفلتك عن وجود ذكره) بأن تتركه (أشد من غفلتك) الحاصلة (في وجود ذكره) لأن ترك الذكر فيه بعد عن الله تعالى بالقلب واللسان بخلاف الذكر فانك ان بعدت عنه بقلبك فأنت قريب بلسانك فعليك أن تذكر الله به وان كان قلبك غافلا لاجل الذكر (فعسى أن يرفعك) أي يرقيك (من ذكر مع وجود غفلة) عن المولى (الى ذكر مع وجود يقظة) أي تيقظ لما يناسب حضرته سبحانه من الأدب وعدم والذكر

الاشتغال عنه بغيره (ومن ذكر مع وجود يقظة الى ذكر مع وجود حضور) بان يدخل القلب حضرة الرب فيراقبه حال ذكره ولا يغفل عنه (ومن ذكر مع وجود حضور الى ذكر مع وجود غيبة عما سوى المذكور) وهو الله بأن يفنى حتى عن الذكر فيصير يخرج منه الذكر من غير قصد وحينئذ يكون الحق لسانه الذي ينطق به فان بطش بهذا الذاكر كان يده التي يبطش بها وان سمع كان سمعه الذي يسمع به وهذه المعالم والمراقي لا يعرف حقيقتها الا السالكون وجدانا والعلماء ايمانا وتصديقا فاياك والتكذيب بشيء من ذلك فتهلك مع الهالكين

● ولما كان المريد ربما يستبعد الوصول الى ذلك نهاه بقوله (وما ذلك على الله بعزيز) لأنه قادر على كل شيء فعلى المريد القيام بالأسباب ومن الله الوصول ورفع الحجاب

عدم الاخلاص ووجود رياء الناس فقال تعالى يراءون الناس ولا يذكرون الله الا قليلا يعني غير خالص وروي عن عبد الله بن مسعود رضي الله تعالى عنه أنه قال ركعتان من زاهد عالم خير من عبادة المتعبدين المجتهدين الى آخر الدهر أبدا سرمدا وقال بعض الصحابة لصدر التابعين أنتم أكثر أعمالا واجتهادا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم كانوا خيرا منكم قيل لم ذلك قال كانوا أزهد منكم في الدنيا وعن بعض الصحابة أيضا قال تابعنا الأعمال كلها فلم نر في أمر الدنيا والآخرة أبلغ من الزهد في الدنيا وقال أبو سليمان الداراني رضي الله تعالى عنه سألت معروفا الكرخي رضي الله تعالى عنه عن الطائعين لله بأي شيء قدروا على الطاعة فقال باخراج الدنيا من قلوبهم ولو كان شيء منها في قلوبهم ما صحت لهم سجدة وقال الشيخ أبو عبد الله القرشي رضي الله تعالى عنه شكا بعض الناس لرجل من الصالحين أنه يعمل أعمال البر ولا يجد حلاوة في قلبه فقال لأن عندك بنت ابليس وهي الدنيا ولا بد للأب أن يزور ابنته في بيتها وهو قلبك ولا يؤثر دخوله الا فسادا وكان أبو محمد بن سهل رضي الله تعالى عنه يقول يعطى الزاهد ثواب العلماء والعباد ثم يقسم على المؤمنين ثواب أعماله قال ولا يرى في القيامة أحد أفضل من ذي زهد عالم ورع (حسن الأعمال نتائج حسن الأحوال وحسن الأحوال من التحقق في مقامات الانزال) حسن الأعمال توفيتها بما يجب لها من شروط وآداب عبودية لله تعالى لا لطلب حظ عاجل ولا ثواب آجل وحسن الأحوال أن تكون سالمة من العلل والدعاوي موسومة بسمة الصدق والتحقق في مقامات الانزال هو لزوم القلب بما ينزله الحق تعالى فيه من مقامات العلوم والمعارف بحيث ينتفي عنه كل شك وريب وهذه الثلاثة المذكورة مترتبة بعضها على بعض وهو معنى ما يقوله الامام أبو حامد رضي الله تعالى عنه لا بد في كل مقام من مقامات اليقين من علم وحال وعمل فالعلم ينتج الحال والحال ينتج العمل وهذا الكلام الذي ذكره المؤلف رحمه الله تعالى نوع استدلال على ما قاله في الزاهد والراغب (لا تترك الذكر لعدم حضورك مع الله فيه لأن غفلتك عن وجود ذكره أشد من غفلتك في وجود ذكره فعسى أن يرفعك من ذكر مع وجود غفلة الى ذكر مع وجود يقظة ومن ذكر مع وجود يقظة الى ذكر مع وجود حضور ومن ذكر مع وجود حضور الى ذكر مع وجود غيبة عما سوى المذكور وما ذلك على الله بعزيز) الذكر أقرب الطرق الى الله تعالى وهو علم على وجود ولايته كما قيل الذكر منشور الولاية فمن وفق للذكر فقد أعطي المنشور ومن سلب الذكر فقد عزل قال الشاعر

والذكر أعظم باب أنت داخله * لله فاجعل له الأنفاس حراسا

قال الامام أبو القاسم القشيري رضي الله تعالى عنه الذكر عنوان الولاية ومنار الوصلة وتحقيق الارادة وعلامة صحة البداية ودلالة صفاء النهاية فليس وراء الذكر شيء وجميع الخصال المحمودة راجعة الى الذكر ومنشؤها عن الذكر وفضائل الذاكر أكثر من أن تحصى ولو لم يرد فيه الا قوله تعالى في كتابه العزيز فاذكروني أذكركم وقوله عز وجل فيما يرويه عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا عند ظن عبدي بي وأنا معه حين يذكرني ان ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي وان ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منه وان تقرب الى شبرا تقربت منه ذراعا وان تقرب الي ذراعا تقربت منه باعا وان أتاني يمشي أتيته هرولة لكان في ذلك اكتفاء وغنية وهذا الحديث متفق على صحته قالوا ومن خصائصه أنه غير مؤقت بوقت فما من وقت الا والعبد مطلوب به اما وجوبا واما ندبا بخلاف غيره من الطاعات قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما لم يفرض الله تعالى على عباده فريضة الا جعل لها حدا معلوما ثم عذر أهلها في حال العذر غير الذكر فانه لم يجعل له حدا ينتهي اليه ولم يعذر أحدا في تركه الا مغلوبا على عقله وأمرهم بذكره في الأحوال كلها فقال عز من قائل فاذكروا الله قياما وقعودا وعلى جنوبكم وقال تعالى يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا أي بالليل والنهار وفي البر والبحر والسفر والحضر والغنى والفقر وفي الصحة والسقم والسر والعلانية وعلى كل حال وقال مجاهد رضي الله تعالى عنه الذكر الكثير أن لا ينساه أبدا وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أكثروا ذكر الله حتى يقولوا مجنون فينبغي للعبد أن يستكثر منه في كل حالاته ويستغرق فيه جميع أوقاته ولا يغفل عنه وليس له أن يتركه لوجود غفلته فيه فان تركه له وغفلته عنه أشد من غفلته فيه فعليه أن يذكر الله تعالى بلسانه وان كان غافلا فيه فلعل ذكره مع وجود الغفلة يرفعه الى الذكر مع وجود اليقظة وهذا نعت العقلاء ولعل ذكره مع وجود اليقظة يرفعه الى الذكر مع وجود الحضور وهذه صفة العلماء ولعل ذكره مع وجود الحضور يرفعه الى الذكر مع وجود الغيبة عما سوى المذكور وهي مرتبة العارفين المحققين من الأولياء قال الله تعالى واذكر ربك اذا نسيت أي اذا نسيت ما دون الله عند ذلك تكون ذاكرا لله وفي هذا المقام ينقطع ذكر اللسان ويكون العبد محوا في وجود العيان وفي هذا المعنى أنشدوا

ما ان ذكرتك الا هم يلعنني * سري وقلبي وروحي عند ذكراك
حتى كأن رقيبا منك يهتف بي * اياك ويحك والتذكار اياك
أما ترى الحق قد لاحت شواهده * وواصل الكل من معناه معناك

وقال الواسطي مشيرا الى هذا المقام الذاكرون في ذكره أكثر غفلة من الناسين لذكره لأن ذكره سواه وقال أبو العباس بن البناء في كلام ذكره على مقدمة كتاب أبي المرزبق الدين بن المظفر الشافعي وهو كتاب الاسرار العقلية في الكلمات النبوية ورأيت هذا الكلام بخطه رحمه الله ومن أحسن الذكر ما هاج عن خاطر وارد من المذكور جل ذكره وهذا هو الذكر الحق عند الصوفية على الاستمرار والتمكن في الاسرار وأما قولهم حتى يتمكن الذاكر الى حالة يستغرق بها عن الذكر فليس ذلك تمكن حلول ولا اتحاد بل حكمة وقدرة من عزيز حكيم وبيان ذلك أن يكون القلب عند الذكر في الذكر فارغا من الكل فلا يبقى فيه غير الله جل ذكره فيعمر القلب بيت الحق ويعلى منه فيخرج الذكر من غير قصد ولا تدبير وحينئذ يكون الحق المبين لسانه الذي ينطق به كأن يبطش هذا الذاكر كان يده التي يبطش بها وان سمع كان سمعه الذي يسمع به فما يتولى المذكور العلي على الفؤاد ويملكه وعلى الجوارح فيصرفها برضيه وعلى الصفات من هذا العبد فقلبها كيف شاء في مرضاته فلذلك

(من علامات موت القلب) أي قلب المريد (عدم الحزن على مافاتك من الموافقات) أي الطاعات (وترك الندم على مافعلته من وجود الزلات) أي من الزلات التي توجد منك وعلامة حياته بالأنوار الالهية وان لم تدركها لغلظ حجابك حزنك على مافاتك من الطاعات وندمك على مافعلت من الزلات فتفرح بصدور الأعمال منك فرحا شديدا وتغتم على صدور المخالفات وذلك دليل على أنك من أهل الارادة المجتبين لله تجد في السير ولا تكسل (لا يعظم الذنب عندك عظمة تصدك عن حسن الظن بالله) بأن توقعك في اليأس والقنوط فهذه عظمة مذمومة قادحة في الايمان وهي شر عليك من ذنوبك وسببها جهلك بصفات مولاك ووقوفك مع نفسك (فانه من عرف ربه) معرفة حقيقية (استصغر في جنب كرمه ذنبه) أي ذنب لا يسعه عفوه سبحانه أما عظمة الذنب التي تحمل مرتكبه على التوبة منه والاقلاع عنه وصدق العزم على أن لا يعود الى مثله فهي عظمة محمودة وهي من علامات ايمان العبد قال ابن مسعود ان المؤمن يرى ذنوبه كأنها في أصل جبل يخاف أن يقع عليه وان الفاجر يرى ذنوبه كذباب وقع على أنفه قال به هكذا فأطاره ويقال أن الطاعة كلما استصغرت كبرت عند الله وان المعصية

يخرج الذكر من غير تكلف وتنبعث الأعمال بالطاعات نشاطا من غير كلال ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون وقد وصف الله قلب أم موسى عليه السلام بمعنى ذلك في قوله الحق وأصبح فؤاد أم موسى فارغا أي فارغا من كل شيء الا من ذكر موسى فكادت أن تبدي به من غير قصد منها الى ذكره ولا تدبير بل كان ذكرها له التصريح بذكره مضطرا لما ربط الله على قلبها لتكون من المؤمنين بما أوحى اليها من قبل في شان موسى وبانه من المرسلين وبذلك يندفع الاشكال الذي ذكره أبو العز ووصفه بالعظم وهو اجتماع الضدين في بادي الرأي وهما الذكر والغفلة عن الذكر وهذه المعالم والمراقي لا يعرف حقائقها الا السالكون وجدانا وللعلماء ايمانا وتصديقا فاياك والتكذيب بآيات الله فتكون من الصم البكم في الظلمات ولما كان المذكور لا يجوز عليه وصف الفقد والعدم ولا يمنعه حجاب ولا يحويه مكان ولا يشتمل عليه زمان ولا يجوز عليه الغيبة بوجه ولا يتصف بحوادث المحدثين ولا يجري عليه صفات المخلوقين فهو حاضر معنا ومعنى وشاهد سرا ونجوى اذ هو القريب من كل شيء وأقرب الى الذاكر له من نفسه من حيث الايجاد له والعلم به والمشيئة فيه والقدرة والتدبير له والقيام عليه خلق الخليقة فلا تلحقه أوصافها وأوجد الأعداد فلا تحصره معانيها سبحانه هو العلي الكبير انتهى كلام الشيخ أبي العباس رحمه الله في معنى المقام الثالث من مقامات الذكر وهو في غاية الحسن والتحقيق مشيرا الى توحيد الخواص من أهل هذا الطريق فلا ينبغي أن يستبعد العبد الوصول الى هذا المقام الكريم فليس ذلك بعزيز على الفتاح العليم فعلى العبد القيام بحق الأسباب ومن الله تعالى رفع الحجاب * وقال رضي الله عنه (من علامات موت القلب عدم الحزن على مافاتك من الموافقات وترك الندم على مافعلته من وجود الزلات) القلب اذا كان حيا بالايمان يحزن على مافاته من الطاعات ويندم على مافعله من الزلات ومقتضى هذا وجود الفرح بما يستعمل فيه من الطاعات ويوفق له من اجتناب المعاصي والسيئات وقد جاء في الخبر من سرته حسنته وساءته سيئته فهو مؤمن فان لم يكن العبد بهذا الوصف وعدم الحزن على مافاته والندم على ما أتاه فهو ميت القلب وانما كان ذلك من قبل أن أعمال العبد الحسنة والسيئة علامتان على وجود رضا الله تعالى عن العبد وسخطه عليه فاذا وفق الله تعالى عبده للصالحات سره ذلك لأنه علامة على رضاه عنه وغلب حينئذ رجاؤه واذا خذله ولم يعصمه فعمل بالمعاصي ساءه ذلك وأحزنه لأنه علامة على سخطه عليه وغلب حينئذ خوفه والرجاء يبعث على الاجتهاد في الطاعات وليس من مقتضاه تركها وعدم الحزن على مافاته منها أمنا واغترارا والخوف يبعث على المبالغة في اجتناب المعاصي والسيئات وليس من مقتضاه فعلها وترك الندم عليها يأسا وقنوطا وفي حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال بينا نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ أتاه راكب فلما حاذانا ورأى جماعتنا أناخ راحلته ثم مشى الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله أوضعت راحلتي من مسيرة تسع فسيرتها اليك ستا وأسهرت ليلي وأظمأت نهاري وأنصبت راحلتي لأسألك عن اثنتين أسهرتاني فقال له النبي صلى الله عليه وسلم من أنت قال زيد الخيل قال بل أنت زيد الخير سل فرب معضلة قد سئل عنها قال جئت لأسألك عن علامة الله فيمن يريد وعلامته فيمن لا يريد فقال له النبي صلى الله عليه وسلم كيف أصبحت يا زيد قال أصبحت أحب الخير وأهله وأحب أن يعمل به واذا فاتني حننت اليه واذا عملت عملا قل أو كثر أيقنت بثوابه قال هي هي بعينها يا زيد ولو أرادك الله للأخرى هيأك لها ثم لا يبالي في أي واد هلكت فقال زيد حسبي حسبي ثم ارتحل ولم يلبث (لا يعظم الذنب عندك عظمة تصدك عن حسن الظن بالله تعالى فان من عرف ربه استصغر في جنب كرمه ذنبه) عظمة الذنب عند مرتكبه على وجهين أحدهما أن يعظم عنده عظمة تحمله

على التوبة منه والاقلاع عنه وصدق العزم على أن لا يعود الى مثله فهذه عظمة محمودة وهي من علامات ايمان العبد كما قلنا قال عبد الله بن مسعود رضي الله تعالى عنه ان المؤمن يرى ذنوبه كأنها في أصل جبل يخاف أن يقع عليه وان الفاجر يرى ذنوبه كذباب وقع على أنفه قال به هكذا فأطاره ويقال ان الطاعة كلما استصغرت كبرت عند الله وان المعصية كلما استعظمت صغرت عند الله تعالى والثاني أن يعظم عنده عظمة توقعه في اليأس والقنوط وتؤديه الى سوء الظن بالله تعالى فهذه عظمة مذمومة قادحة في الايمان وهي تنشأ عليه من ذنوبه وسبب ذلك جهله بصفات مولاه المحسن الجواد الكريم ووقوفه مع نفسه وقياسه بعقله وحدسه ولو كان عارفا بالله حق المعرفة لاستحقر ذنوبه في جنب كرمه وفضله ولأي قدر للعبد أو قيمة حتى يقع في ذنب لا يسعه غفور به ويكبر عليه أن يغفره قال في التنوير واعلم أنه لا بدّ في مملكته من عصاة ليظهر اسم الحلم ومحل ظهور الرحمة والمغفرة ووقوع الشفاعة وافهم قوله صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لو لم تذنبوا لذهب الله بكم ولجاء بقوم يذنبون فيستغفرون الله تعالى فيغفر لهم وقوله صلى الله عليه وسلم شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي وجاء رجل الى الأستاذ أبي الحسن قدس الله سره العزيز فقال ياسيدي كانت البارحة بجواري من المنكرات كيت وكيت وظهر من ذلك الرجل استغراب أن يكون هذا فقال ياهذا كأنك تريد أن لا يعصى الله تعالى في مملكته من أحب أن لا يعصى الله تعالى في مملكته فقد أحب أن لا تظهر مغفرته وأن لا تكون شفاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم له وكم من مذنب كثرت اساءته ومخالفته وحسن له الرحمة من ربه فكان له راجيا بقدر ايمانه وان عصى عالما ان له فلا ينبغي للعبد أن يستعظم ذنبه استعظاما يؤديه الى أن يلقي بيده اياسا من روحه وقنوطا من رحمته وسوء ظن به بل عليه أن يتوب الى ربه منه ويرجع اليه عنه ويعلم حكمة الله تعالى في تسليطه عليه وتخليته بينه وبينه ● وفي الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لولا أن الذنب خير للمؤمن من العجب ما خلى الله تعالى بين مؤمن وبين ذنب أبدا فنبهك بهذا على أن الذنب مانع من وجود العجب الذي هو أعظم حجاب بين العبد وبين مولاه لأن صاحبه ناظر الى نفسه لا الى ربه مستعظم لطاعته وعبادته ملاحظ لذلك ومساكن له بخلاف ذلك الذنب لأنه يوجب له الخوف والحذر واللجا الى الله تعالى والفرار اليه من نفسه والعجب يصرف العبد عن الله تعالى والذنب يصرفه اليه والعجب يقبل به على نفسه والذنب يقبل به على ربه والعجب يؤديه الى الاستغناء والذنب يؤديه الى الافتقار وأحب أوصاف العبد الى الله عز وجل افتقاره الى مولاه وأشرف أحوال المؤمن ما رده اليه وقبل به عليه (لا صغيرة اذا قابلك عدله ولا كبيرة اذا واجهك فضله) اذا ظهرت الصفات العلية بطلت أعمال العاملين فاذا ظهرت صفة العدل على من أبغضه ومقته بطلت حسناته وعادت صغائره كبائر واذا ظهر وصف الكرم والفضل لمن أحبه اضمحلت سيآته ورجعت كبائره صغائر قال يحيى بن معاذ رضي الله عنه ان وضع عليهم عدله لم تبق لهم حسنة وان نالهم فضله لم تبق لهم سيئة ● ومن دعائه رضي الله تعالى عنه الهي ان أحببتني غفرت سيآتي وان مقتني لم تقبل حسناتي وما أحسن قول سيدي أبي الحسن الشاذلي رضي الله تعالى عنه في دعائه ومناجاته واجعل سيآتنا سيآت من أحببت ولا تجعل حسناتنا حسنات من أبغضت فالاحسان لا ينفع مع البغض منك والاساءة لا تضر مع الحب منك وسيأتي من مناجاة المؤلف رحمه الله في مثل هذا المعنى فقوله الهي كم من طاعة بنيتها وحالة شيدتها هدم اعتمادي عليها عدلك بل أقالني منها فضلك (لا عمل أرجى للقلوب من عمل يغيب عنك شهوده ويحتقر عندك وجوده) في النسخ الموجودة بأيدينا لا عمل أرجى للقلوب ومعناه على هذا الوجه أن العمل الموصوف بهذه الصفة لا يلتفت اليه القلب ولا يعتبره في عدم التفاته واعتباره صلاحه وتحرره من رق رؤيته فيبقى حينئذ مع ربه لا مع عمله ويكون ذلك على حذف

كلما استعظمت صغرت عند الله (لا صغيرة) من ذنوبك بل كلها كبائر (اذا قابلك عدله) وهو تصرفه في ملكه من غير حجر عليه فاذا ظهرت صفة العدل على من أبغضه الله تعالى ومقته بطلت حسناته وعادت صغائره كبائر (ولا كبيرة اذا واجهك فضله) وهو اعطاء الشيء بغير عوض بل جميع ذنوبك حينئذ صغائر فاذا ظهرت صفة الفضل لمن أحبه اضمحلت سيآته ورجعت كبائره صغائر ولذا قال الشاذلي قدس الله سره واجعل سيآتنا سيآت من أحببت ولا تجعل حسناتنا حسنات من أبغضت (لا عمل أرجى للقبول) أي لقبول الله (من عمل يغيب عنك شهوده) بأن تشهد أن الذي وفقك له هو الله تعالى ولولاه ما صدر منك ذلك العمل (ويحتقر عندك وجوده) بأن لا تعتمد عليه في تحصيل أمر من الأمور كالوصول الى الله تعالى والقرب منه ونيل الدرجات والمقامات لرؤيتك التقصير فيه وعدم سلامته من الآفات المانعة من قبوله وفي بعض النسخ أرجى للقلوب أي لصلاحها

(انما أوردعليك) أيها المريد (الوارد) يطلق الوارد على ما يتحف الله به عبده من العلوم الوهبية والأنوار العرفانية التي ينشرح بها صدره و يستنير بها قلبه فيرى الحق حقا والباطل باطلا ويطلق على تجلٍ الهي يرد على القلب وأن لم يشعر به العبد لغلظ بشريته وقد يعبر عنه بالحال وهذا هو المراد هنا (لتكون به عليه واردا) أي مقبلا على الدخول في حضرته ومعلوم أن الدخول في تلك الحضرة لا يكون الا لقلب خالص مما يكدره ولذا قال (أوردعليك الوارد ليتسلمك من يد الاغيار ويحررك من رق الاثار) الأغيار والاثار هي الاغراض الدنيوية وشهوات النفوس (٤٤) فهي غاصبة لك لحبك لها وسكونك اليها واعتمادك عليها فاورد عليك الوارد ليتسلمك من يد من غصبك ويحررك من ملكية من استرقك فلا يكون للمخلوق فيك نصيب ولا شركة وتكون سالما لله عز وجل فتصلح للحضور معه ولذا قال (أورد عليك الوارد ليخرجك من سجن وجودك) أي صفاتك القائمة بك المانعة لك من شهود مولاك كالسجن المانع للمسجون من الخروج (الى فضاء شهودك) أي شهودك للمولى الشبيه بالفضاء لعدم وجود شيء يحولك عن الرؤية قال بعضهم سجنك نفسك اذا خرجت منها وقعت في راحة الأبد ومقتضى هذا التقدير ان الوارد واحد وثمرته واحدة وهي الدخول في حضرة الرب ويصح ان يكون المعنى أورد عليك الوارد لتكون به عليه واردا أي مقبلا عليك بالاشتغال بالطاعات وأنواع المجاهدات فتشتغل بذلك

مع بقائك باوصاف نفسك وشهواتها المقتضية عدم الاخلاص في العبادة فيرد عليك وارداً آخر ليخلصك من ذلك ويحصل لك الاخلاص فاذا حصل لك ذلك ربما تركن اليه وتعتمد عليه في قبول أعمالك ووصولك بها الى حضرة قربه وكذلك تأمل فيرد عليك وارد ثالث تغيب به عن رؤية نفسك وتشاهد به مولاك بتركك ثم قال (الأنوار) الالهية التي ترد على قلب المريد من حضرة الرب وتحصل غالبا من الأذكار والرياضات (مطايا القلوب) توصلها الى مطلوبها التي هي متوجهة له وهو دخولها حضرة الرب والقرب منه كتوصيل المطية راكبها الى مطلوبه (والأسرار) أي ومطايا الأسرار أيضا جمع سر وهو باطن القلب عند الصوفية ولا التفات لمن جعله عين

مضاف تقديره لاعمل أرجى لصلاح القلوب أو ما في معناه وسيأتي من كلام المؤلف ما يناسب هذا المعنى وهو قوله قطع السائرين له والواصلين اليه عن رؤية أعمالهم وشهود أحوالهم الى آخره والغالب على الظن أن الذي قصده المؤلف رحمه الله وذكره انما هو لفظ القبول فغلط الناسخ فقلب حروفه ولا يحتاج في هذا الى حذف وتقريره على هذا الوجه أن تقول علامة العمل من الآفات مشروط في قبوله لأن صاحبه لمتق لله تعالى وقد قال عز من قائل انما يتقبل الله من المتقين وانما يسلم العمل من الآفات بانهام النفس في القيام بحقه ورؤية تقصيره فيه فيغيب عنه اذ ذاك شهوده ويحتقر عنده وجوده فلا يساكنه ولا يعتمد عليه فان لم يكن على هذا الوصف بل كان ناظرا اليه ومستعظما له غائبا عن شهود منة الله تعالى عليه في توفيقه له أوقعه ذلك في العجب فحبط بذلك عمله وخاب سعيه قال أبو سليمان رضي الله تعالى عنه ما استحسنت من نفسي عملا فاحتسبته وقال علي بن الحسين رضي الله تعالى عنه كل شيء من أفعالك اذا اتصلت به رؤيتك فذلك دليل على أنه لا يقبل منك لأن القبول مرفوع مغيب عنك وما انقطعت عنه رؤيتك فذلك دليل على القبول وقد سئل بعض العارفين ما علامة قبول العمل قال نسيانك اياه وانقطاع نظرك عنه بالكلية بدلالة قوله تعالى اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه قال فعلامة رفع الحق تعالى ذلك العمل أن لا يبقى عندك منه شيء فانه اذا بقي في نظرك منه شيء لم يرتفع الكلية فتعين عندئتك وعندبته فينبغي للعبد اذا عمل عملا أن يكون عنده نسيا منسيا عادكرنا من اتهام النفس ورؤية التقصير حتى يحصل له قبوله (انما أوردعليك الوارد لتكون به عليه واردا) الوارد عبارة عما يرد على القلب من المعارف الربانية واللطائف الروحانية ليطهره بذلك ويزكيه حتى يصلح بذلك للورود عليه والدخول الى حضرته لأن الحضرة منزهة عن كل قلب متكدر بالأثار متلوث بأقذار الأغيار فاذا انما أورده عليك لتكون به عليه واردا (أورد عليك الوارد ليتسلمك من يد الأغيار وليحررك من رق الاثار) الاثار والأغيار غاصبة ومسترقة لك وذلك لوجود حبك لها وسكونك اليها واعتمادك عليها فانما أورد عليك الوارد ليتسلمك من يد من غصبك وليحررك من ملكية من استرقك والاشارة الى هذا المعنى بما ضربه الله تعالى من المثل للكافر في قوله ضرب الله مثلا رجلا فيه شركاء متشاكسون ورجلا سلما لرجل هل يستويان مثلا فمن سلم من يد الأغيار وحرر من رق الاثار لا يكون للخلق فيه نصيب ولا شركة وكان سلما لله عز وجل (أورد عليك الوارد ليخرجك من سجن وجودك الى فضاء شهودك) سجن وجوده هو شهوده لنفسه ومراعاته لحظه وفضاء شهوده أن يغيب عن ذلك بشهوده عظمة الله تعالى وجلاله ورؤيته قيام حركاته وسكناته قال أبو القاسم النصرابادي رضي الله تعالى عنه سجنك نفسك اذا خرجت منها وقعت في راحة الأبد وسيأتي من كلام المؤلف في معنى قوله سجن وجودك الكائن في الكون ولم تفتح له ميادين الغيوب مسجون بمحيطاته ومحصور في هيكل ذاته (الأنوار مطايا القلوب والأسرار) الأنوار

القلب لأنه خلاف اصطلاحهم (النور جند القلب) أي يتوصل به الى مايقصده ويتوجه اليه وهو حضرة الرب كما يتوصل الأمير بجنده الى مايقصده من غلبة عدوه وهذا المستفاد مما قبله وانما أتى به توطئة لقوله (كما أن الظلمة) وهي طبيعة العبد (جند النفس) تتوصل بها الى مقصودها وهو الشهوات والأغراض العاجلة وما زال الحرب واقعا بين القلب والنفس (فاذا أراد الله أن ينصر عبده) أي يعينه على نفسه وقمع شهواتها (أمده) أي أمد قلبه (بجنود الأنوار) أي بجنود هي الأنوار أو بالأنوار الشبيهة بالجنود فانها اذا حصلت له أدرك بها قبح الشهوات العائقة عن الوصول الى الله تعالى (وقطع عنه مدد الظلم والأغيار) أي مددا هو الظلم والأغيار وهما بمعنى واحد واذا أراد خذلانه فعلى العكس من ذلك فاذا مال القلب الى عمل صالح كصوم غد ومالت النفس الى شهوة كالفطر وتنازعا وتقاتلا شارع النور الذي هو من الله تعالى ورحمته الى نصرة القلب والظلمة الى نصرة النفس وعند التقاء

الصفين والتحام القتال بين الجندين لا سبيل للعبد الا فزعه الى الله وتوكله عليه وهكذا في كل عمل صالح الى أن يصل الى الله تعالى فينقطع حينئذ حكم النفس وتصير مقهورة مغلوبة * ثم قال (النور) الذي يفيضه الله على قلب المريد (له الكشف) أي كشف المعاني والمغيبات كحسن الطاعة وقبح المعصية (والبصيرة) التي هي ناظر القلب (لها الحكم) أي ادراك ذلك ومشاهدته فكما لا يمكن ادراك البصر للمحسوسات الا بالأنوار الظاهرة كسراج وشمس لا يمكن ادراك البصيرة لشيء من المعاني الا بالأنوار الباطنية (والقلب له الاقبال والادبار) على ما كشف للبصيرة فاذا كشف لها عن حسن الطاعة وقبح المعصية أقبل القلب على الطاعة وأحبها فتتبعه الجوارح وأدبر عن المعصية فلا تتلبس بها الجوارح هذا ويحتمل أن المعنى أن النور له الكشف عن المغيبات كأسرار القدر وأنه يحصل في العالم كذا والبصيرة لها الحكم أي ادراك ذلك ثم هذا الكشف والادراك قد لا يكونان تامين فينبغي للمكاشف أن يتثبت في كشفه ولا يعمل بمقتضى ما كشف له فلا يخبر بشيء حتى يستفتي قلبه اما أن يقبل واما أن يدبر ولذا تجد بعض الأولياء يخبر عن أمور ولا تقع وذلك لعدم تثبته في كشفه (لا تفرحك الطاعة لأنها برزت منك) أي من حيث صدورها عنك باختيارك وحولك وقوتك فهذا فرح مذموم منهي عنه محبط للعمل (و) لكن (افرح بها لأنها برزت من الله اليك) أي من حيث شهودها من الله نعمة منه وفضلا فهذا هو الفرح المحمود المطلوب من العبد وهو مقتضي شكرها ثم استدل على ذلك بقوله تعالى (قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون) كايصال تلك الطاعة اليه واظهارها على يديه اعتناء من الله سبحانه وتعالى به

الايمان واليقين مطايا حاملة لأسرار القلوب الى حضرة علام الغيوب وتلك هي الواردات المذكورات (النور جند القلب كما أن الظلمة جند النفس فاذا أراد الله أن ينصر عبده أمده بجنود الأنوار وقطع عنه مدد الظلم والأغيار) نور التوحيد واليقين وظلمة الشرك والشك يعني أن القلب والنفس والحرب بينهما سجال فاذا أراد الله نصرة عبده أمد قلبه بجنوده وقطع عن نفسه مدد جنودها واذا أراد خذلان عبده فعلى العكس فاذا مال القلب الى العمل بأمر محمود مؤلم في الحال ملتذ به في المآل ومالت النفس الى العمل بأمر مذموم ملتذ به في الحال مؤلم في المآل وتنازعا وتقاتلا سارع النور الذي هو من أمر الله تعالى ورحمته الى نصرة القلب وبادرت الظلمة التي هي من وساوس الشيطان ولمته الى نصرة النفس وقام سوق القتال بينهما فان سبقت للعبد من الله تعالى سابقة السعادة اهتدى القلب بنور الله تعالى واستهان بالعاجلة ورغب في الآجلة وعمل القلب بما مال اليه وان كان آلمه في الحال لما يرجوه من التنعم به في المآل وان سبقت له من الله الشقاوة والعياذ بالله تزحل القلب عن النور وأعمته الظلمة عن منفعة الآجل واغتر بلذة العاجل وعمل بما مالت اليه نفسه وان كان آلمه في المآل لما عجل لها من لذة الحال وعند التقاء الصفين والتحام القتال بين الجندين لا سبيل للعبد الا فزعه الى الله تعالى ولياذه به وكثرة ذكره وصدق توكله واستعاذته من الشيطان الرجيم وهذه العبارات أحسن من قوله انما أورد عليك الوارد لتكون به عليه واردا الى هنا تفنن فيها صاحب الكتاب وكررها بألفاظ مختلفة والمعاني فيها متقاربة وهذه عادته في مواضع كثيرة من هذا الكتاب رضي الله تعالى عنه (النور له الكشف والبصيرة لها الحكم والقلب له الاقبال والادبار) هذه ألفاظ مختلفة لمعان متغايرة فالنور يفيد كشف المعاني المغيبات حتى تتضح وتشاهد والبصيرة التي هي ناظر القلب تفيد الحكم وهو صحة ما شاهدته والقلب له الاقبال عملا بمقتضى ما شاهدته البصيرة وله أيضا الادبار تركا للعمل بمقتضى ما شاهدته البصيرة (لا تفرحك الطاعة لأنها برزت منك وافرح بها لأنها برزت من الله اليك قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون) الفرح بالطاعة على وجهين فرح بها من حيث شهودها من الله تعالى نعمة منه وفضلا فهذا هو الفرح المحمود وهو الذي طلب من العبد وذلك هو مقتضى شكرها وفرح بها من حيث ظهورها من العبد باختياره وارادته وحوله وقوته فهذا هو فرح مذموم منهي عنه وهو كفران النعمة وهو نحو العجب المحبط للعمل فالفرح بها على هذا الوجه فرح

والحاصل انه ينبغي للسالك ان يكون نظره الى ربه لا الى نفسه وهي ادق من ان ينظر اليها او يلتفت اليها

فينبغي أن يفرح بها من تلك الحيثية لا من حيثية صدورها منه وفعله لها (قطع) أي حجب ومنع (السائرين له والواصلين اليه عن رؤية أعمالهم) الظاهرة (وشهود أحوالهم) القلبية لكن السبب في انقطاع الطائفتين عن ذلك مختلف (أما

بلا شيء وسيأتي في آخر الكتاب أنواع الفرح بالنعم وما يحمد منها وما يذم تامة مستوفاة (قطع السائرين له والواصلين اليه عن رؤية أعمالهم وشهود أحوالهم أما السائرون فلأنهم لم يتحققوا الصدق مع الله فيها وأما الواصلون فلأنه غيبهم بشهوده عنها) لقد أسبغ الله نعمته على الفريقين حيث فعل معهم ذلك لأنه أفناهم معه ولم يدعهم لسواه فالواصلون فعل ذلك بهم طوعا منهم والسالكون فعل ذلك بهم كرها ولله يسجد من في السموات والأرض طوعا وكرها فالواصلون قطعهم عن ذلك لشهودهم له في حضرة قربه ومن شاهده لم يشهد معه غيره اذ محال أن يراه ويشهد معه سواه والسالكون قطعهم عن ذلك لعدم تحققهم بالصدق أو البراءة من الدعوى فهم أبدا متهمون لأنفسهم في توفية أعمالهم وتصفية أحوالهم قال النهرجوري رضي الله تعالى عنه من علامات من تولاه الله في أحواله أن يشهد التقصير في اخلاصه والغفلة في أذكاره والنقصان في صدقه والفتور في مجاهداته وقلة المراعاة في فقره فتكون جميع أحواله عنده غير مرضية ويزداد فقرا الى الله في قصده وسيره حتى يفنى عن كل ما دونه وقال أبو عمرو اسمعيل بن نجيد رضي الله تعالى عنه لا يصفو لأحد قدم في العبودية حتى تكون أفعاله عنده كلها رياء وأحواله كلها عنده دعاوي وقال أبو يزيد رضي الله تعالى عنه لو صفت لي تهليلة واحدة ما باليت بعدها بشيء والى هذين المقامين تشير الحكاية التي تروى عن الواسطي رضي الله تعالى عنه وذلك أنه لما دخل نيسابور سأل أصحاب أبي عثمان رضي الله تعالى عنه بماذا كان يأمركم شيخكم فقالوا كان يأمرنا بالتزام الطاعات ورؤية التقصير فيها فقال أمركم بالمجوسية المحضة هلا أمركم بالغيبة عنها بشهود مجريها ومنشئها قال الاستاذ أبو القاسم القشيري رضي الله تعالى عنه وانما أراد الواسطي بهذا صيانتهم عن محل الاعجاب لا تعريجا في أوطان التقصير أو تجويزا للاخلال بأدب من الآداب وقال رضي الله تعالى عنه ۞ (ما بسقت أغصان ذل الا على بذر طمع) البسوق الطول بسقت النخلة تبسق اذا طالت قال الله تعالى والنخل باسقات والأغصان جمع غصن وهو ما تشعب عن سوق الشجر ويجمع أيضا على غصون وأغصان والبذر الحب الذي يزرع وهذه كلها استعارات مليحة والطمع من أعظم آفات النفوس وعيوبها القادحة في عبوديتها بل هو أصل جميع الآفات لأنه محض تعلق بالناس والتجاء اليهم واعتماد عليهم وعبودية لهم وفي ذلك من الذلة والمهانة ما لا مزيد عليه ولا يحل للمؤمن أن يذل نفسه والطمع مضاد لحقيقة الايمان الذي يقتضي وجود العزة والعزة التي اتصف بها المؤمنون انما تكون برفع هممهم الى مولاهم وطمأنينة قلوبهم اليه وثقتهم به دون من سواه فهذه هي العزة التي منحها الله عبده المؤمن قال الله تعالى ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين وكما أن العزة من صفات المؤمنين كذلك الذلة من أخلاق الكافرين والمنافقين قال الله تعالى ان الذين يحادون الله ورسوله أولئك في الأذلين قال أبو بكر الوراق الحكيم رضي الله تعالى عنه لو قيل للطمع من أبوك قال الشك في المقدور ولو قيل له ما حرفتك قال اكتساب الذل ولو قيل ما غايتك قال الحرمان وقال أبو الحسن الوراق النيسابوري رضي الله تعالى عنه من أشعر في نفسه محبة شيء من الدنيا فقد قتلها بسيف الطمع ومن طمع في شيء ذل له وبذله هلك وقد قيل في ذلك شعرا أتطمع في ليلى وتعلم انما ۞ تقطع أعناق الرجال المطامع والطامع لا محالة فاقد الدين مفلس من أنوار اليقين قال في التنوير ونفقد وجود الورع من نفسك أكثر مما تفقد ما سواه وتطهر من الطمع في الخلق فلو تطهر الطامع بسبعة أبحر ما طهره الا اليأس منهم

السائرون فلأنهم لم يتحققوا الصدق مع الله فيها) وذلك لرؤيتهم نقصها بعدم حضور قلوبهم مع الله حال فعلها لهم دائما متهمون نفوسهم في توفية أعمالهم حقها وفي صفاء أحوال قلوبهم فكان ذلك سببا في البراءة من رؤيتها وشهودها (وأما الواصلون فلأنه غيبهم بشهوده عنها) أي انهم نسبوها اليه تبريا من حولهم وقوتهم فقطعهم عن ذلك شهودهم له في حضرة قربه ومن شاهده لم يشهد معه غيره وقد أسبغ الله النعمة على الفريقين حيث أفناهم من التعلق بأعمالهم وأحوالهم الا أنه فعل ذلك بالسالكين كرها وبالواصلين طوعا ولا شك أن هذا المقام أرقى من الأول ولهذا لما سأل الواسطي أصحاب أبي عثمان بماذا كان يأمركم شيخكم فقالوا كان يأمرنا بالتزام الطاعات ورؤية التقصير فيها فقال لهم أمركم بالمجوسية المحضة هلا أمركم بالغيبة عنها بشهود منشئها ومجريها ربما تدلك لرق همتهم الى مقام العرفان

لا تحقير ما هم عليه فانه من الاحسان (ما بسقت) يقال بسقت النخلة بسقا اذا طالت أي ما طالت (أغصان ذل الا على بذر طمع) شبه الذل بشجرة ذات أغصان وفروع استعارة بالكناية والأغصان تخييل باق على حقيقته أو مستعار لأنواع الذل وبسقت ترشيح باق على حقيقته أو بمعنى وجدت وحصلت وشبه الطمع بالنواة التي تنشأ عنها الشجرة فالاضافة بذرله من اضافة المشبه به للمشبه أي

ورفع الهمة عنهم قال وقد قدم علي بن أبي طالب رضي الله عنه البصرة فدخل جامعها فوجد القصاص يقصون فأقامهم حتى جاء إلى الحسن البصري رضي الله عنه فقال يا فتى إني سائلك عن أمر فإن أجبتني عنه أبقيتك وإلا أقمتك كما أقمت أصحابك وكان قد رأى عليه سمتاً وهدياً فقال الحسن سل عما شئت قال ما ملاك الدين قال الورع قال فما فساد الدين قال الطمع قال اجلس فمثلك من يتكلم على الناس قال وسمعت شيخنا رضي الله عنه يقول كنت في ابتداء أمري بثغر الإسكندرية جئت إلى بعض من يعرفني فاشتريت منه حاجة بنصف درهم ثم قلت في نفسي لعله لا يأخذ مني فهتف بي هاتف السلامة في الدين بترك الطمع في المخلوقين قال وسمعته يقول صاحب الطمع لا يشبع أبداً ألا ترى أن حروفه كلها مجوفة الطاء والميم والعين ثم قال بعد هذا فعليك أيها المريد برفع همتك عن الخلق ولا تذل لهم فقد سبقت قسمتك ووجودك وتقدم ثبوته ظهورك واسمع ما قاله بعض المشايخ أيها الرجل ما قدر لماضغيك أن يمضغاه فلا بد أن يمضغاه فكله ويحك بعز ولا تأكله بذل قلت تقدم الآن من كلامه في التنوير ذكر الورع في مقابلة الطمع وكذلك في جواب الحسن لعلي رضي الله عنهما لما سأله مستخبراً عن صلاح الدين وفساده في الكلام الذي حكاه عنهما ولا شك أن الورع الظاهر لعامة الناس هو ترك الشبهات والتحرج من اقتحام المشكلات لا يقابل الطمع كل المقابلة وقد ذكرنا الطمع ما هو وإنما يقابله ورع الخاصة وهو عندهم صحة اليقين وكمال التعلق برب العالمين ووجود السكون إليه وعكوف الهم عليه وطمأنينة القلب به ولا يكون له ركون إلى غيره ولا انتساب إلى خلق ولا كون فهذا هو الورع الذي يقابل الطمع المفسد وبه يصلح كل عمل مقرب وحال مسعد كما نبه عليه الحسن رضي الله عنه في جوابه المذكور قال يحيى بن معاذ رضي الله عنه الورع على وجهين ورع في الظاهر أن لا يتحرك إلا لله وورع في الباطن وهو أن لا يدخل قلبك إلا الله وذكر أن بعضهم كان حريصاً على أن يرى أحداً ممن هو متقشف فعل يجتهد في طلبه ويحتال على التوصل إليه بأن يأخذ الشيء بعد الشيء من ماله ويقصد به الفقراء والمساكين ويقول لمن يعطيه منهم حين المناولة خذ لا لك فكانوا يأخذون ولا يسمع من أحد منهم جواباً مطابقاً لما أراده بكلامه إلى أن ظفر ذات يوم ببغيته وحصل على مقصوده ومنيته وذلك أنه قال لأحدهم خذ لا لك فقال له آخذه لا منك فإن كان للعبد استشراف إلى مخلوق أو سبقه نظر إليه قبل مجيء الرزق أو بعده فمقتضى هذا الورع والواجب في حق الأدب أن لا ينيل نفسه شيئاً مما يأتيه على هذه الحال عقوبة لنفسه في نظره إلى أبناء جنسه كقصة أيوب الحمال مع أحمد بن حنبل رضي الله عنهما وهي معروفة وكما روي عن الشيخ أبي أحمد رضي الله عنه أنه أتاه حمال بقميص فنازعته نفسه وقالت له يا ترى من أين هذا فقال لها أنا أعرف من أين هو يا عدوة الله وأمر بعض أصحابه أن يدفعه لبعض الفقراء عقوبة لها لكونها رأت الخلق قبل رؤية الحق تعالى وقد قيل أحل الحلال ما لا يخطر لك على بال ولا سألت فيه أحداً من النساء والرجال وقد صرح بهذا المعنى الذي ذكرناه وأوضح الغرض الذي قصدناه شيخ الطريقة وإمام أهل الحقيقة من المتأخرين أبو محمد عبد العزيز المهدوي رضي الله عنه فإنه قال اعلم أن الورع أن لا يكون بينك وبين الخلق نسبة في أخذ أو عطاء أو قبول أو رد وأن يكون السبق لله تعالى وهو أن يأتي إليه ظاهراً من جميع الأشياء والعلم والعمل كما قال ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة وقال أيضاً الورع أن لا يخطر الرزق بالبال ولا يكون بينه وبينه نسبة لا في التحصيل ولا عند المباشرة لأنه لا يدري أيأكل أم لا وقال أيضاً الورع أن لا يتحرك ولا يسكن إلا ويرى الله في الحركة والسكون فإذا رأى الله ذهبت الحركة والسكون وبقي مع الله فالحركة ظرف لما فيها كما قال بعضهم ما رأيت شيئاً إلا رأيت الله فيه

طمع شبيه بالبذر أي المبذور الذي تنشأ عنه الشجرة ذات الأغصان فكأنه يقول لا تغرس بذر الطمع في قلبك فتخرج منه شجرة الذل وتتشعب أغصانها وفروعها ولو قال ما بسقت شجرة الذل لكان أولى لأن الذي يتصف بالطول وينشأ عن البذر هو أصل الشجرة ووصف الأغصان بذلك بطريق التبع فالطمع من أعظم العيوب القادحة في العبودية بل هو أصل جميع الآفات لأنه محض تعلق بالناس والتجاء إليهم واعتماد عليهم وعبودية لهم وفي ذلك من المذلة والمهانة ما لا مزيد عليه وسببه الشك في المقدور ولذا قال بعضهم لو قيل للطمع من أبوك لقال الشك في المقدور ولو قيل ما حرفتك لقال اكتساب الذل ولو قيل ما غايتك لقال الحرمان فالطمع لا محالة فاسد الدين وقد دخل علي ابن أبي طالب رضي الله تعالى عنه جامع البصرة فوجد القصاص يقصون فأقامهم حتى جاء إلى الحسن البصري فقال يا فتى إني سائلك عن أمر فإن أجبتني فيه أبقيتك وإلا أقمتك كما أقمت أصحابك وكان قد رأى عليه سمتاً وهدياً فقال الحسن سل عما شئت قال ما ملاك الدين قال الورع قال فما فساد الدين قال الطمع قال اجلس فمثلك من يتكلم على الناس والورع الذي يقابل الطمع هو ورع الخاصة وهو صحة اليقين وكمال التعلق برب العالمين ووجود السكون إليه وطمأنينة القلب به لا ورع العامة وهو ترك الشبهات وعلى هذا فيقال قياساً على ما قاله المصنف ما بسقت أغصان عز إلا على بذر ورع

فاذا رأى الله ذهبت الأشياء وقال أيضا أجمع العلماء على أن الحلال المطلق ما أخذ من يد الله بسقوط
الوسائط وهذا مقام التوكل ولهذا قال بعضهم الحلال هو الذي لا ينسى الله فيه الى غير هذا من العبارات
التي تدور على هذا المعنى وقال بعض هذه الطائفة الجنيد كلهم يأكلون أرزاقهم ثم يفترقون في المشاهدات
فمنهم من يأكل رزقه بذل ومنهم من يأكل رزقه بامتهان ومنهم من يأكل رزقه بانتظار ومنهم من
يأكل رزقه بعز بلا مهنة ولا انتظار ولا ذلة فأما الذين يأكلون أرزاقهم بذل فالسؤال يشهدون أيدي
الخلق فيذلون لهم وأما الذين يأكلون أرزاقهم بامتهان فالصناع يأكل أحدهم رزقه بمهنة وكد
وأما الذين يأكلون أرزاقهم بانتظار فالتجار ينتظر أحدهم نفاق سلعته فهو متعلق القلب معذب
بانتظاره وأما الذين يأكلون أرزاقهم بعز من غير مهنة ولا انتظار ولا ذل فالصوفية يشهدون العزيز
فيأخذون قسمتهم من يده بعزة قال سهل بن عبد الله رضى الله عنه ليس مع الايمان أسباب انما
الأسباب في الاسلام قال الشيخ أبو طالب رضى الله عنه معناه ليس في حقيقة الايمان رؤية الأسباب
والسكون اليها انما رؤيتها والطمع في الخلق يوجد في مقام الاسلام وقد عقد المؤلف رحمه الله تعالى
في لطائف المنن فصلا في هذا المعنى وجعله مجمع وظائف الآداب الدينية أصلا ومبنى فرأينا نقله في هذا
الموضع من صواب العمل المتكفل ان شاء الله بنجاح الأمل قال رضى الله عنه اعلم رحمك الله أن ورع
الخصوص لا يفهمه الا قليل فان من جملة ورعهم تورعهم عن أن يسكنوا لغيره أو يميلوا بالحب لغيره
أو يمدوا أطماعهم الى غير فضله وخيره ومن ورعهم تورعهم عن الوقوف مع الوسائط والأسباب وخلع
الأنداد والأرباب ومن ورعهم تورعهم عن الوقوف مع العادات والاعتماد على الطاعات والسكون الى
أنوار التجليات ومن ورعهم تورعهم عن أن تفتنهم الدنيا أو ترفعهم الآخرة تورعوا عن الدنيا ورعا وعن
الوقوف مع الآخرة شفقا قال الشيخ عثمان بن عاشورا خرجت من بغداد أريد الموصل فلما أمتروا اذا أنا
بالدنيا قد عرضت على بعزها وجاهها ورفعتها ومراكبها وملابسها ومزيناتها ومشتهياتها فأعرضت عنها
فعرضت على الجنة بحورها وقصورها وأنهارها وأثمارها فلم أشتغل بها فقيل لي يا عثمان لو وقفت مع
الأولى لحجبناك عن الثانية ولو وقفت مع الثانية لحجبناك عنا فها نحن لك وقسطك من الدارين نأتيك
وقال الشيخ عبد الرحمن المغربي وكان مقيما بثغر الاسكندرية حججت سنة من السنين فلما قضيت
الحج عزمت على الرجوع الى الاسكندرية فاذا العلي يقول لي انك في العام القابل عندنا فقلت في نفسي
اذا كنت في العام القابل ههنا فلا أعود الى الاسكندرية فخطر لي الذهاب الى اليمن فأتيت الى عدن
فأنا يوما على ساحلها واذا بالتجار قد أخرجوا بضائعهم ومتاجرهم ثم نظرت فاذا رجل فرش سجادته
على البحر ومشى على الماء فقلت في نفسي لم أصلح للدنيا ولا للآخرة فاذا العلي يقول لي من لم يصلح للدنيا
ولا للآخرة يصلح لنا وقال الشيخ أبو الحسن رضى الله تعالى عنه الورع نعم الطريق لمن عمل بميراثه وأجل
ثوابه فقد انتهى بهم الورع الى الأخذ من الله وعن الله والقول بالله والعمل لله وبالله على البينة الواضحة
والبصيرة الفائقة فهم في عموم أوقاتهم وسائر أحوالهم لا يدبرون ولا يختارون ولا يريدون ولا يتفكرون
ولا ينظرون ولا ينطقون ولا يبطشون ولا يمشون ولا يتحركون الا بالله ولله من حيث يعلمون فهم
بالعلم على حقيقة الأمر فهم مجموعون في عين الجمع لا يفترقون فيما هو أعلى ولا فيما هو أدنى
وأما أدنى الأدنى فالتوبة ورعهم عنه بالورع مع الحفظ لمنازلات الشرع عليهم ومن لم يكن
لعلمه وعمله ميزان فهو محجوب بدنيا أو مصروف بدعوى ومهراته التعزز لخلقه والاستكبار على مثله
والدلة على الله بعمله فهذا هو الخسران المبين والعياذ بالله العظيم من ذلك والأكياس يتورعون عن
هذا الورع و يستعيذون منه ومن لم يزدد بعلمه وعمله احتقارا لنفسه وافتقارا الى ربه وتواضعا

خلقه فهو تعالى فسبحان من قطع كثيرا من الصالحين بصلاحهم عن مصلحتهم كما قطع كثيرا من المفسدين بفسادهم عن موجدهم فاستعذ بالله انه هو السميع العليم قال فانظر فهمك الله سبيل أوليائه ومن عليك بمتابعة أحبائه هذا الورع الذي ذكره الشيخ رضي الله عنه هل كان يصل فهمك الى مثل هذا النوع من الورع الا ترى قوله قد انتهى بهم الورع الى الأخذ من الله وعن الله والقول بالله والعمل لله وبالله على البينة الواضحة والبصيرة الفائقة فهذا هو ورع الابدال والصديقين لا ورع المنقطعين الذي نشأ عن سوء الظن وغلبة الوهم انتهى وانما أوردنا هذه المعاني ههنا تتميما للفائدة المتعلقة بكلام صاحب التنوير من كون الورع مقابلا للطمع وسيأتي مزيد بيان فيها في موضع أنسب من هذا عند قوله لا تمدن يدك الى الأخذ من الخلائق الى آخره فانظر فيه ۞ (ما أفادك شيء مثل الوهم) الوهم أمر عدمي وهو ضد الحقيقة الوجودية والنفس الناقصة انقيادها الى الأمور الوهمية الباطلة أشد من انقيادها الى الحقائق الثابتة لوجود المناسبة بينهما والطمع في الناس انقياد الى الأوهام الباطلة لأن الطمع تصديق للظن الكاذب والطمع فيهم طمع في غير مطمع وأرباب الحقائق بمعزل عن هذا فلا تتعلق هممهم الا بالله ولا يتوكلون الا عليه ولا يثقون الا به فقد سقط اعتبار الأوهام والخيالات التي هي متعلقة بالأغيار عن قلوبهم فزال عنهم الطمع فاتصفوا بصفة القناعة والورع فكانت لهم الحياة الطيبة والعيشة الراضية والقناعة مقام عظيم من مقامات اليقين وهي من بدايات أحوال الراضين قال بعض العارفين لا يكون العبد قانعا حتى لو جاء الى باب منزله جميع ما رغب فيه أهل الدنيا من الاتساع والنعمة فعرض عليه لم ينظر الى ذلك ولم يفتح بابه قناعة منه بحاله وقد روي عن النبي ﷺ في معنى قوله تعالى فلنحيينه حياة طيبة قال هي القناعة ۞ (أنت حر مما أنت عنه آيس وعبد لما أنت له طامع) الطمع في الشيء دليل على الحب له وفرط الاحتياج الى نيله وذلك عبودية له كما أن اليأس من الشيء دليل على فراغ القلب منه وغناه عنه وذلك حرية منه فالطامع عبد واليائس حر وهذا قيل

العبد حر ما قنع ۞ والحر عبد ما طمع

فاقنع ولا تطمع فما ۞ شيء يشين سوى الطمع

وقيل لولا الأطماع الكاذبة لما استعبد الأحرار بكل شيء لا خطر له وقيل ان العقاب يطير في فضاء عزه بحيث لا يرتقي الطرف الى مطاره ولا تسمو همة الى الوصول اليه فيرى قطعة لحم معلقة على شبكة فينزله الطمع من مطاره فيعلق بالشبكة جناحه فيصيده صبي يلعب به وقيل ان فتحا الموصلي رضي الله عنه كان قاعدا فسئل عمن تابع الشهوات كيف صفته وكان يمر به صبيان مع أحدهما خبز بلا أدم ومع الآخر خبز مع كامخ فقال الذي لم يكن معه كامخ لصاحبه أطعمني من الكامخ فقال له بشرط أن تكون كلبي فقال نعم فجعل في رقبته خيطا وجعل يجره كما يقاد الكلب فقال فتح للسائل أما انه لو رضي بخبزه ولم يطمع في كامخ صاحبه لم يصر كلبا لصاحبه ويحكى عن بعضهم أنه دخل على تلميذ له فقدم التلميذ اليه خبزا قفارا ولم يكن له أدم فأخذ يتمنى بقلبه أن ليت كان له أدم يقدمه الى أستاذه فقام الأستاذ وقال تعال معي فحمله الى باب السجن فرأى الناس يضرب واحد ويقطع آخر ويعذب كل واحد بأنواع العذاب فقال الأستاذ للتلميذ ترى هؤلاء هم الذين لم يصبروا على الخبز القفار وقيل ان رجلا أخرج من السجن وفي رجله قيد يسأل الناس فقال لا تجدان اعطي كسرة فقال لو قنعت بالكسرة لما وضع القيد في رجلك ورأى رجل رجلا من الحكماء يأكل ما يتساقط من البقل على رأس الماء فقال لو خدمت السلطان لم تحتج الى أكل هذا فقال الحكيم وأنت لو قنعت بهذا لم تحتج الى خدمة السلطان وقد أردت أن أذكر هنا حكاية مناسبة لما نحن فيه لتعرف بها كيف تكون الهمة

(ما أفادك شيء مثل الوهم) يعني أن الوهم هو السبب في الطمع في الناس وكذلك كافٍ في قبحه لأن الوهم الذي هو أصله أمر عدمي إذ هو عبارة عن التخيل والحسبان التقديري لكن النفوس منقادة له أتم من انقيادها الى العقل الا ترى أن الطبع ينفر من الحية لتوهمه الضرر فيها بل من الحبل المرقش لكونه على صورتها ولو انقادت للعقل لم تنفر لأن ما قدر يكون وما لم يقدر لم يكن فلا يسلم من الطمع في الخلق والرغبة فيما بأيديهم الا أهل الورع الخاص وهم أهل القناعة والتوكل الذين سقط من قلوبهم علاقات الخلق فلا يهتمون للرزق (أنت حر مما أنت عنه آيس) أي من كل ما أنت آيس منه (وعبد لما أنت له طامع) أي لكل ما أنت طامع فيه فعن بمعنى من واللام بمعنى في وهذا دليل آخر لقبح الطمع ومدح الاياس من الخلق والقناعة بالرزق المقسوم وبيانه أن الطمع في الشيء عبودية له كما أن اليأس من الشيء حرية منه لأنه يدل على فراغ القلب منه وغناه عنه فالطامع عبد واليائس حر ولذلك قيل

العبد حر ما قنع

والحر عبد ما طمع

والقناعة هي السكون عند عدم المألوفات وهي أول الزهد

السنية والآداب المرضية في أخذ البلاغ من الدنيا والقناعة باليسير من الأشياء ورؤية منة الله تعالى في تيسير القليل والشكر له على ذلك قال بعضهم خرجنا من المدينة حجاجا فلما كنا بالزاوية نزلنا فوقف بنا رجل عليه ثياب رثة وله منظر وهيبة وصورة حسنة ومروءة فقال من يبغي خادما من يبغي ساقيا فقلت دونك هذه القربة فأخذها وانطلق فلم يلبث الا يسيرا حتى أقبل وقد امتلأت أثوابه طينا وأثرت القربة في كتفيه فوضعها وهو كالمسرور الضاحك ثم قال ألكم غيرها قلنا لا وأطعمناه قرصا باردا فأخذه وحمد الله سبحانه وشكره كثيرا ثم اعتزل وقعد يأكل أكل جائع فأدركتني عليه الشفقة فقمت اليه بطعام طيب كان معنا وأكثرت له منه فقلت قد علمت أنه لم يقع منك القرص بموقع فدونك هذا الطعام فنظر في وجهي وتبسم وقال يا عبد الله انما هي فورة جوع فلا أبالي بأي شيء رددتها عني فرجعت عنه فقال لي رجل الى جنبي أتعرفه فقلت لا قال انه رجل من بني هاشم من ولد العباس بن عبد المطلب هذا من ولد سليمان ابن أبي جعفر المنصور كان يسكن البصرة فتاب فخرج منها ففقد فما عرف له أثر فأعجبني قوله ثم اجتمعت به وآنستـه وقلت له يافتى أنا رجل من اخوانك وقد بلغني موضعك فأحببت الاتصال بك فهل لك أن تعادلني فان معي فضلا من راحلتي فجزاني خيرا وقال لو أردت هذا لكان لي معدا ثم أنس الي وجعل يحدثني فقال أنا رجل من ولد العباس كنت أسكن البصرة وكنت ذا كبر شديد وتجبر وبذخ وأني أمرت خادما لي أن يحشو لي فراشا من حرير ومخدة بورد نثير ففعلت فبينما أنا نائم اذا بقمع وردة قد غفلت عنه الخادمة فقمت اليها فأوجعتها ضربا ثم عدت الى مضجعي بعد اخراج القمع من المخدة فأتاني آت في منامي في صورة فظيعة فهزني وقال لي أفق من غشيتك وأبصر من حيرتك ثم أنشأ يقول

يا خد انك ان توسد لينا ● وسدت بعد الموت صم الجندل
فامهد لنفسك صالحا تسعد به ● فلتندمن غدا اذا لم تفعل

قال فانتبهت فزعا فخرجت من ساعتي الى حرم فرارا بأمري الى ربي قال الراوي فلما قضى حديثه هذا انخنس عني ومضى ﴿(من لم يقبل على الله بملاطفات الاحسان قيد اليه بسلاسل الامتحان)﴾ النفوس الكريمة تقبل على الله تعالى بملاطفات احسانه وموالاة فضله وامتنانه والنفوس اللئيمة لا تنقاد الا بسلاسل الامتحان ووقوع المصائب في الأموال والأبدان والقود بالسلاسل استعارة حسنة قال سيدي أبو مدين رضي الله عنه سنة الله عز وجل استدعاء العباد لعبادته بسعة الأرزاق ودوام المعافاة ليرجعوا اليه بنعمته فان لم يفعلوا ابتلاهم بالسراء والضراء لعلهم يرجعون لأن مراده عز وجل رجوع العبد اليه طوعا أو كرها ﴿(من لم يشكر النعم فقد تعرض لزوالها ومن شكرها فقد قيدها بعقالها)﴾ شكر النعم موجب لبقائها والزيادة منها وكفرانها وعدم شكرها موجب لزوالها وانفصالها قال الله تعالى لئن شكرتم لأزيدنكم وقال الله تعالى ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم أي اذا غيروا ما بأنفسهم من الطاعات وهي شكر النعم غير الله تعالى ما منه اليهم من الاحسان والكرم واجتمعت حكماء العرب والعجم على هذه اللفظة فقالوا الشكر قيد النعم وقالوا الشكر قيد للموجود وصيد للمفقود وكان يقال النعم اذا روعيت بالشكر فهي أطواق واذا روعيت بالكفر فهي أغلال والشكر على ثلاثة أوجه شكر بالقلب وشكر باللسان وشكر بسائر الجوارح فشكر القلب أن يعلم أن النعم كلها من الله تعالى قال الله تعالى وما بكم من نعمة فمن الله وشكر اللسان الثناء على الله تعالى وكثرة الحمد والمدح له ويدخل فيه التحدث بالنعم واظهارها ونشرها قال الله تعالى وأما بنعمة ربك فحدث وقال عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه تذكروا النعم فان تذكرها شكر ومن شكر اللسان أيضا شكر الوسائط بالثناء عليهم والدعاء لهم وفي حديث النعمان بن بشير رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من لم

(من لم يقبل على الله بملاطفات الاحسان) أي بالامتحانات والمصائب الشبيهة بالسلاسل يعني أن المقتضي لاقبال المريد وغيره على الرب بأنواع الطاعات والتضرع اليه وجمعية القلب عليه أمران الأول ايراد النعم عليه فيشكر الله عليها ويقبل على خدمته والثاني انزال المصائب في بدنه أو ماله فيرجع الى الرب ويتضرع اليه برفعها وربما كان ذلك سببا في ترك الاشتغال بالدنيا والتعلق به سبحانه ومراد الرب من العبد رجوعه اليه طوعا أو كرها (من لم يشكر النعم فقد تعرض لزوالها ومن شكرها فقد قيدها بعقالها) يعني أن شكر النعم موجب لبقائها والزيادة منها قال تعالى لئن شكرتم لأزيدنكم وكفرانها وعدم شكرها موجب لزوالها قال الله تعالى ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم أي اذا غيروا ما بأنفسهم من الطاعات وهي شكر النعم غير الله ما منه من الاحسان والكرم والشكر اما بالقلب بأن تعلم أن النعم كلها من الله تعالى قال تعالى وما بكم من نعمة فمن الله واما باللسان بأن تتحدث بنعمة الله قال تعالى وأما بنعمة ربك فحدث واما بالجوارح بأن تصرفها في طاعة الله وتكفها عما لا يرضيه

يشكر

(خف من وجود احسانه اليك ودوام) أى مع دوام (اساءتك معه) أى مخالفتك له (أن يكون ذلك أستدراجا) أى تدرجا لك شيئا فشيئا حتى يأخذك بغتة وهذا جواب سؤال ناشئ مما قبله محاصله أنا نرى كثيرا من الناس لا يشكر النعم ولا تزول عنه فأجاب بأن ذلك ربما كان استدراجا ومكرا من الله به قال تعالى (سنستدرجهم) أى ندرجهم فى ذلك شيئا فشيئا حتى نأخذهم بغتة (من حيث لا يعلمون) أنه استدراج ومكر أى لا يشعرون بذلك لأنه يأخذهم بغتة وقيل نمدهم بالنعم وننسيهم الشكر عليها فاذا ركنوا الى النعم وحجبوا عن المنعم أخذوا وقيل كلما أحدثوا خطيئة جددنا لهم نعمة وأنسيناهم الاستغفار من تلك الخطيئة ومن أنواع الاستدراج ما ذكره بقوله (من جهل المريد أن يسيء الأدب) اما مع الله تعالى كالاعتراض عليه وتعاطى التدبير معه والتضرر بأحكامه المؤلمة فى نفسه أو غيره وتصريح لسانه بالشكوى الى الخلق أو مع المشايخ كالاعتراض عليهم وعدم قبول اشارتهم فيما يشيرون به عليه فقد قالوا عقوق الاستاذين لا توبة له وقالوا أيضا من قال لاستاذه لم فانه لا يفلح وقال القشيرى من صحب شيخا من الشيوخ ثم اعترض عليه بقلبه فقد نقض عهد الصحبة ووجبت عليه التوبة وان بقى من أهل السلوك فانه لم يصل الى مقصوده فليعلم أن موجب حجبه اعتراض خامر قلبه على بعض شيوخه فى بعض أوقاته فأن الشيوخ بمنزلة السفراء للمريدين اه واما مع بعض الناس بالاعتراض عليهم كما وقع للجنيد انه رأى فقيرا يسأل فقال فى نفسه لو عمل هذا عملا يصون به نفسه لكان أجمل فثقلت عليه أوراده فى تلك الليلة ورأى جماعة أتوا اليه بذلك الفقير على خوان وقالوا له كل من لحمه فقد اغتبته فأصبح يفتش عليه حتى وجده فسلم عليه فقال له تعود يا أبا القاسم فقال لا فقال له غفر الله لك واما مع نفسه كأن يتعاطى شهواتها المباحة ولا ينهض الى ما يقربها من مولاه (فتؤخر العقوبة عنه) بأن لا يعاقب فى ظاهره بالبلايا والأسقام ولا فى باطنه بحسب زعمه

يشكر القليل لم يشكر الكثير ومن لم يشكر الناس لم يشكر الله وعن أسامة بن زيد رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أشكر الناس لله أشكرهم للناس وسيأتى الكلام على هذا المعنى فى آخر الكتاب ان شاء الله تعالى عند كلام المؤلف عليه وشكر سائر الجوارح أن يعمل بها العمل الصالح قال الله تعالى اعملوا آل داود شكرا فجعل العمل شكرا وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قام حتى انتفخت قدماه فقيل له يا رسول الله أتفعل هذا وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر فقال أفلا أكون عبدا شكورا وسأل رجل أبا حازم رضى الله عنه فقال له ما شكر العينين قال اذا رأيت بهما خيرا أعلنته واذا رأيت بهما شرا استرته قال فما شكر الأذنين قال اذا سمعت بهما خيرا وعيته واذا سمعت بهما شرا دفنته قال فما شكر اليدين قال لا تأخذ بهما ما ليس لك ولا تمنع حقا هو لله فيهما قال فما شكر البطن قال أن يكون أسفله صبرا وأعلاه علما قال فما شكر الفرج قال كما قال الله تعالى والذين هم لفروجهم حافظون الا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فانهم غير ملومين قال فما شكر الرجلين قال ان رأيت شيئا غبطته استعملتهما فيه وان رأيت شيئا مقته كففتهما عن عمله وأنت شاكر لله تعالى فأما من شكر بلسانه ولم يشكر بجميع أعضائه فمثله كمثل رجل له كساء فأخذ بطرفه ولم يلبسه فلم ينفعه ذلك من الحر والبرد والثلج والمطر وأجمع العبارات للشكر قول من قال الشكر معرفة بالجنان وذكر باللسان وعمل بالأركان والقدر اللازم من شكر النعم ما قاله الجنيد رضى الله عنه حين سأله السرى رضى الله عنه قال الجنيد رضى الله عنه كنت بين يدى السرى رضى الله عنه وأنا ابن سبع سنين وبين يديه جماعة يتكلمون فى الشكر فقال لى يا غلام ما الشكر فقلت أن لا يعصى الله بنعمه فقال يوشك أن يكون حظك من الله لسانك فلا أزال أبكى على هذه الكلمة ۞ (خف من وجود احسانه اليك ودوام اساءتك معه أن يكون ذلك استدراجا لك سنستدرجهم من حيث لا يعلمون) الخوف من الاستدراج بالنعم من صفات المؤمنين وعدم الخوف منه مع الدوام على الاساءة من صفات الكافرين يقال من أمارات الاستدراج ركوب السيئة والاغترار بزمن المهلة وحمل تأخير العقوبة على استحقاق الوصلة وهذا من المكر الخفى قال الله تعالى سنستدرجهم من حيث لا يعلمون أى لا يشعرون بذلك وهو أن يلقى فى أوهامهم أنهم على شيء وليسوا كذلك يستدرجهم فى ذلك شيئا فشيئا حتى يأخذهم بغتة كما قال تعالى فلما نسوا ما ذكروا به اشارة الى مخالفتهم وعصيانهم فتحنا عليهم أبواب كل شيء أى فتحنا عليهم أسباب العافية وأبواب الرفاهية حتى اذا فرحوا بما أوتوا من الحظوظ الدنيوية ولم يشكروا عليها برجوعهم عنها الينا أخذناهم بغتة أى فجأة فاذا هم مبلسون أى آيسون قانطون من الرحمة قال سهل ابن عبد الله رضى الله عنه فى قوله تعالى سنستدرجهم من حيث لا يعلمون نمدهم بالنعم وننسيهم الشكر عليها فاذا ركنوا الى النعمة وحجبوا عن المنعم أخذوا وقال ابن عطاء الله كلما أحدثوا خطيئة جددنا لهم نعمة وأنسيناهم الاستغفار من تلك الخطيئة ۞ من جهل المريد أن يسيء الأدب فتؤخر العقوبة عنه

فيقول لو كان هذا سوء أدب لقطع الامداد وأوجب الابعاد فقد يقطع المدد عنه من حيث لا يشعر ولو لم يكن الا منع المزيد وقد يقام مقام البعد وهو لا يدري ولو لم يكن الا أن يخليك وما تريد) وهذا نوع من الاستدراج الذي تقدم ذكره وسوء أدب المريد موجب للعقوبة ولكن العقوبات مختلفة فمنها معجلة ومنها مؤجلة ومنها جلية ومنها خفية فالعقوبة الجلية العقوبة بالعذاب والعقوبة الخفية العقوبة بوجود الحجاب فالعقوبة بالعذاب لأهل الخطايا والذنوب والعقوبة بالحجاب لأهل اساءة الأدب بين يدي علام الغيوب وقد تكون العقوبة الخفية والمؤجلة أشد على المريد من العقوبة الجلية والمعجلة ومثال تلك العقوبة الخفية ما ذكره من قطع المدد عنه واقامته مقام البعد منه وهذا هو مبدأ وقوع الحجاب الذي ذكرناه فاذا ابتلي به المريد ولم تتداركه رحمة الله تعالى في الحال العتيد كان ذلك موجبا لسقوطه من عين الله ووقوع الحجاب على قلبه وتبدل الانس بالوحشة وانتساخ الصفاء بالظلمة ولم يمكنه بعد ذلك معاودة الحال الأولى لأنه اذ ذاك تنقطع عنه الامدادات المتصلة والواردات المتحصلة فتنكسف عنه حينئذ شمس العرفان وتستتر عنه المكشوفات والبيان وتهدم جنود الله تعالى في قلب العبد فاذا افتقد النصرة من الله تعالى بذلك وقع في الخذلان واستحوذ عليه الشيطان فأنساه الذكر وحاق به سيئ المكر ورجع الى متابعة هوى نفسه الأمارة وخرج من دائرة الصفوة المختارة فنعوذ بالله من سوء المقدور وعدم التوفيق الى مراعاة أوائل الأمور ومما احتج به المريد لنفسه من الكلام الذي ذكره المؤلف رحمه الله يقتضي توجه هذه العقوبة اليه ضرورة لأن قوله لو كان هذا سوء أدب الى آخره دليل على رضاه بحاله واستحسانه لأعماله وهذا هو الموجب له لعدم المزيد الذي اقتضاه قطع المدد عنه لو كان متواصلا اليه لازداد عنده ما يقع منه سوء الأدب من اضطراره اليه وافتقاره اليه وخوفه من مكره ولم يستحسن حال نفسه ولم يرضها قال سيدي أبو العباس رضي الله عنه كل سوء أدب يثمر لك أدبا مع الله تعالى فهو أدب وهو الذي أوجب له أيضا التخلية بينه وبين ما يريد الذي اقتضى له اقامته مقام البعد اذ لو كان مقاما في القرب لبعد عن رؤية نفسه ولكان متهما لها في ارادتها ولكان واقفا مع مراد الله به فان أقدم على أمر بارادته وشهوته تداركه الله تعالى بالعصمة وعوق عليه تأثيرا وسد عليه مسالكه ولم يخله وما أراد من ذلك ويقال من علامة التوفيق ثلاث دخول أعمال البر عليك من غير قصد منك اليها وصرف المعاصي عنك مع السعي فيها وفتح باب اللجأ والافتقار الى الله تعالى في كل الأحوال ومن علامة الخذلان ثلاث تعسر الطاعات عليك مع السعي فيها ودخول المعاصي عليك مع الهرب منها وغلق باب اللجأ الى الله تعالى وترك الدعاء في الأحوال والأدب له موقع عظيم في التصوف ولذلك قال أبو حفص رضي الله عنه التصوف كله أدب لكل وقت أدب ولكل حال أدب ولكل مقام أدب فمن لزم آداب الأوقات بلغ مبلغ الرجال ومن ضيع الآداب فهو بعيد من حيث يظن القرب ومردود من حيث يظن القبول وقال أبو عبد الله بن خفيف قال لي رويم يا بني اجعل عملك ملحا وأدبك دقيقا وقال بعضهم الزم الأدب ظاهرا وباطنا فما أساء أحد الأدب ظاهرا الا عوقب ظاهرا وما أساء أحد الأدب باطنا الا عوقب باطنا وقال ذو النون المصري رضي الله عنه اذا خرج المريد عن حد الأدب فانه يرجع من حيث جاء وقال الثوري رضي الله عنه من لم يتأدب للوقت فوقته مقت وقال ابن المبارك رضي الله عنه نحن الى قليل من الأدب أحوج منا الى كثير من العلم وقيل لبعضهم يا سيء الأدب فقال لست بسيء الأدب فقيل له ومن أدبك فقال الصوفية والآداب اللازمة للمريد عامة في ظاهره وباطنه وآداب الظاهر تبع آداب الباطن وآداب الباطن هي التحلي بمحاسن الأخلاق كلها وفي الحديث عن رسول الله ﷺ انه قال أدبني ربي فأحسن تأديبي

(فيقول لو كان هذا سوء أدب لقطع الامداد) الوارد عليه من حضرة الحق سبحانه (وأوجب الابعاد) أي بعدي عنه بعدم حضوري معه وهذا لازم لما قبله (فقد) أي انما كان ذلك من الجهل لأنه قد (يقطع المدد عنه من حيث لا يشعر ولو لم يكن) من قطع المدد عنه (الا منع المزيد) أي الزيادة من المدد لكان ذلك كافيا في قطع الامداد وقطعه مبدأ الحجاب فاذا ابتلي به المريد ولم تتداركه رحمة الله تعالى في الحال كان ذلك موجبا لسقوطه من عين الله ووقوع الحجاب على قلبه وتبدل الانس بالوحشة (وقد يقام مقام) أي في مقام (البعد وهو لا يدري ولو لم يكن) من اقامته مقام البعد (الا أن يخليك وما تريد) بأن يسلط نفسك عليك ويمنع نصيرتك عليها لكان ذلك كافيا في البعد فان ذلك مبدأ الحجاب ومانع للقلب عن الدخول في حضرة الرب سبحانه ومن اساءة الأدب مع بعض الناس ما ذكره بقوله

ثم أمرني بمكارم الاخلاق فقال خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين ولا يحصل لك ذلك بعد
توفيق الله تعالى وتأييده الا بالرياضة والمجاهدة قال ابن عطاء رضي الله عنه النفس مجبولة على سوء الادب
والعبد مأمور بملازمة الادب فالنفس تجري بطبعها في ميدان المخالفة والعبد يردها بجهده عن سوء
المطالبة فمن أطلق عنانها فهو شريكها في فسادها ويختلف ما ذكرناه من المجاهدة والرياضة باختلاف
الاشخاص فرب شخص زكي الفطرة كريم السجية سهل المقادة لا يحتاج في ذلك الى كثير معاناة ولا
تعب ورب شخص يكون حاله على عكس هذا فلا جرم يحتاج الى زيادة تعب وقوة ممارسة وشدة مجاهدة
لرداءة فطرته ونقصان غريزته وبين هذين درجات لا تحصى ولهذا كله يحتاج المريد الى صحبة المشايخ
والتأدب بآدابهم واتباع أوامرهم ونواهيهم لانه ان لم يعرض أفعاله على مراد غيره لا يصح له الانتقال عن
الهوى ولو بلغ في الرياضة والمجاهدة كل مبلغ وذلك لكونه فحجاب نفسه وقد سئل الدقاق رضي الله
عنه عما ذا يقوم الرجل اعوجاجه فقال بالتأدب بامام فان من لم يتأدب بامام فهو بطال فاذا دام العبد على ذلك
زكت نفسه وطهر قلبه وتهذبت اخلاقه وظهر على ظاهره أنوار ذلك فتكون حركات ظاهره وباطنه
مزمومة بزمام الادب حتى تنتهي به الى المحافظة على اجتناب أمور غير مستنكرة في ظاهر العلم ويكون
ترك محافظته عليها ذنبا من مثله وقد يعاتب عليه وقد يعاقب من أجله قال السري رضي الله عنه صليت
العشاء واشتغلت بوردي ليلة من الليالي ومددت رجلي في المحراب فنوديت يا سري هكذا تجالس الملوك
فضممت رجلي ثم قلت وعزتك وجلالك لا مددت رجلي أبدا قال الجنيد رضي الله عنه فبقي ستين سنة
ما مد رجله ليلا ولا نهارا وقال أبو القاسم القشيري رضي الله عنه كان الاستاذ أبو علي الدقاق رضي الله تعالى
عنه لا يستند الى شيء فكان يوما في مجمع فأردت أن أضع وسادة خلف ظهره لأني رأيته غير مستند فتنحى
عن الوسادة قليلا فتوهمت أنه توقى الوسادة لانه لم يكن عليها خرقة ولا سجادة فقال لا أريد الاستناد
فتأملت بعد ذلك فعلمت أنه لا يستند الى شيء أبدا وقال أبو القاسم الجنيد رضي الله عنه كنت في السابق
مسجد الشونيزية انتظر جنازة أصلي عليها وأهل بغداد على طبقاتهم جلوس ينتظرون الجنازة فرأيت
فقيرا عليه أثر النسك يسأل الناس فقلت في نفسي لو عمل هذا عملا يصون به نفسه كان أجمل به فلما
انصرفت الى منزلي وكان لي شيء من الورد بالليل من البكاء والصلاة وغير ذلك فثقل علي جميع أورادي
فسهرت وأنا قاعد فغلبتني عيني فرأيت ذلك الفقير جاؤا به على خوان ممدود وقالوا لي كل لحمه فقد اغتبته
وكشف لي عن الحال فقلت ما اغتبته وانما قلت في نفسي شيئا فقيل لي ما أنت ممن يرضى منك بمثله اذهب
واستحله فأصبحت ولم أزل أتردد حتى رأيته في موضع يلتقط من الماء عيدان ما يتساقط من البقل
مما تساقط من غسل البقل فسلمت عليه فقال أتعود يا أبا القاسم فقلت لا فقال غفر الله لنا ولك الى غير
ذلك من آدابهم رضي الله عنهم أجمعين والظاهر أن مراد المؤلف رحمه الله باساءة الادب ما تكون فيه نوع
من الرعونة واظهار الدعوى وانصاف العبد بصفة المولى وانبساطه وادلاله في موقف الهيبة والحياء وما
أشبه ذلك مما يخاف على صاحبه وقوع الاستدراج والمكر به ولكن ينبغي للمريد أن لا يتهاون بشيء من
الآداب ولا يستحقرها فان التهاون بذلك والاستحقار له من علامة الجهل وعدم المعرفة بالله تعالى
وهذا أقبح أنواع سوء الادب فان وقعت منه اساءة أدب فليكن شأنه من ذلك مستعظما للامر فيه
وليبادر الى التوبة والاعتذار والتنصل منها خشية أن توجه اليه العقوبة من حيث لا يشعر ومما كد
ما ينبغي أن يجتنبه المريد من مقتضيات هذه الجملة التي ظهر لنا أنها مراد المؤلف رحمه الله تعالى من أنواع
سوء الادب أن يوطن خاطره على شيء من الاعتراض على الله تعالى وتعاطي التدبير معه والتبرم بأحكامه
المؤلمة في نفسه أو غيره وأن يسرح لسانه بالشكوى الى الخلق والعتب لما يوافق هواه أو نقص في نظره

مما يراه من الحق فان خطر بباله أو جرى على لسانه شيء من ذلك فليبادر الى الاستغفار منه والتفصي عنه وليعلم أن تشاغله بذلك من أعظم الحسنات وأفضل القربات وذلك يدخله في مقامات الرضا ويوصله الى غاية النعم والعطا كما أن توحشه عليه وتهاونه به من أعظم خطاياه وأكبر ذنوبه ويؤديه ذلك الى تسخط الأقدار والوقوع في دركات النار نعوذ بالله من ذلك * ضاع لبعض الصوفية ولد صغير فلم يعرف له خبرا ثلاثة أيام فقيل له لو سألت الله تعالى أن يرده عليك فقال اعتراضي عليه فيما قضى أشد علي من ذهاب ولدي وقال بعض السادة أذنبت ذنبا فأنا أبكي عليه منذ ستين سنة وكان قد اجتهد في العبادة لأجل التوبة من ذلك الذنب فقيل له وما ذلك الذنب قال قلت مرة لشيء ليته كان وقال بعض السلف لو قرض جسمي بالمقاريض كان أحب الي من أن أقول لشيء قضاه ليته لم يقضه وقال بعضهم مرض الجنيد رضي الله عنه فقال اللهم عافني فسمع هاتفا يقول ما لك والدخول بيني وبين ملكي ومن مقتضياتها أيضا أن لا يعلق بقلبه شيء من الاعتراض على المشايخ والأولياء وأن يترك تعظيمهم واحترامهم وأن لا يقبل اشاراتهم فيما يشيرون به عليه فقد قالوا عقوق الاستاذين لا توبة له وقالوا أيضا من قال لاستاذه لم لا يفلح وقال أبو القاسم القشيري رضي الله تعالى عنه من صحب شيخا من الشيوخ ثم اعترض عليه بقلبه فقد نقض عهد الصحبة ووجبت عليه التوبة وان بقي من أهل السلوك فأنه لم يصل الى مقصوده وليعلم أن موجب حجبه اعتراض خامر قلبه على بعض شيوخه في بعض أوقاته فان الشيوخ بمنزلة السفراء للمريدين قال ﷺ في الخبر ان الشيخ في أهله كالنبي في أمته وكذلك من سوء أدبه تصدره للتعليم والهداية وتصديه للإمامة والولاية ومحبته للاستتباع والرياسة وتربيته للجاه والحشمة والقبول بين الناس واستدعاؤه بسره أن يكرم ويعظم ويتبرك به ويقبل يده ويسارع في قضاء حوائجه وكذلك من أضر الأشياء به وهو نتيجة استحسانه ما هو عليه وعدم تفقده لعيوبه واتهام نفسه في كل حال من أحواله وذلك مذموم منه وقال أبو عثمان رضي الله عنه لا يرى أحد عيب نفسه وهو يستحسن من نفسه شيئا وانما يرى عيوب نفسه من يتهمها في جميع الأحوال وقال أبو عبد الله السجزي رضي الله عنه من استحسن شيئا من أحواله في حال ارادته فسدت عليه ارادته الا أن يرجع الى ابتدائه ويروض نفسه ثانيا وقال أبو عبد الرحمن السلمي رضي الله عنه سمعت جدي يقول آفة المريد رضاه من نفسه بما هو فيه فان استشعر المريد من نفسه شيئا مما ذكرناه فليبادر الى قطع مواده واستئصال عروقه من قبل أن يستحكم ذلك فيه ويرسخ فيه فبدايات الأمور هي التي ينبغي أن تراعى كثيرا * ومن أنواع سوء أدب المريد المفضي الى عطبه نزوله عن مقتضيات الحقيقة الى رخص الشريعة فقد عدوا هذا من الجنايات العظيمة الموجبة لانحطاط الرتبة والبعد عن محل القرب ولهذا قالوا اذا رأيت المريد انحط عن رتبة الحقيقة الى رخص الشريعة فاعلم أنه قد نقض عهده مع الله وفسخ عقده بينه وبين الله وقال ابن خفيف رضي الله عنه الارادة استدامة الكد وترك الراحة وليس شيء أضر على المريدين من مسامحة النفس في قبول الرخص والتأويلات وقال يوسف بن الحسين رضي الله عنه اذا رأيت المريد يشتغل بالرخص فاعلم أنه لا يجيء منه شيء وقال أبو اسحق ابراهيم بن شيبان من أراد أن يتعطل ويتبطل فليلزم الرخص ويعني بالرخصة ههنا ما كان مضادا لحال المريد من تناول الشهوات واللذات والميل الى المألوفات والمعتادات والركون الى الدعة والراحات وارتكاب الشبهات والتأويلات فان كمال المريد بتحقيق مباينته لهذا كله وان كان بعض ذلك مباحا في رخص الشرع لعامة الناس وكان ابراهيم الخواص رضي الله عنه يقول الان هذه الشهوات التي أظلمت قلوب المتعبدين بعد صفاء نورها وفترت أبدانهم بعد اجتهادها وحجبت قلوبهم

بعد فقرها وأطالت آمالهم بعد قصرها وأنسوا بالمخلوقين بعد الهرب منهم وتوطئوا الفرش بعد الترك فسقتهم الدنيا بكأس سمها فنظروا الى ظاهرها بعد باطنها فناموا بعد السهر وشبعوا بعد الجوع واكتسوا بعد العري وقال أبو سليمان الداراني رضي الله عنه أوحى الله تعالى الى داود عليه الصلاة والسلام اني انما خلقت الشهوات لضعفاء خلقي فاياك أن تعلق قلبك منها بشيء وأيسر ما أعاقبك به أن أنسخ حلاوة حبي من قلبك وفي أخبار داود عليه السلام ياداود عبك بكلامي وخذ من نفسك لنفسك لا تؤتين منها فأحجب محبتي عنك اقطع شهوتك التي فاني انما أعطيت الشهوات لضعفة خلقي ما بال الأقوياء أن ينالوا الشهوات فانها تنقص حلاوة مناجاتي فاني لم أرض الدنيا لحبيبي وزهته عنها ياداود لا تجعل بيني وبينك عالما سكران عبها يعجبك بسكره عن محبتي أولئك قطاع الطريق على عبادي المريدين استعن على ترك الشهوات بادمان الصوم ياداود تحبب الى بمعاداة نفسك وامنعها الشهوات أنظر اليك وترى الحجب بيني وبينك مرفوعة وقال ابراهيم بن أدهم رضي الله عنه لن ينال الرجل درجة الصالحين حتى يجوز ست عقبات أولاها أن يغلق باب العز ويفتح باب الذل والثانية أن يغلق باب النعمة ويفتح باب الشدة والثالثة أن يغلق باب الراحة ويفتح باب الجهد والرابعة أن يغلق باب النوم ويفتح باب السهر والخامسة أن يغلق باب الغنى ويفتح باب الفقر والسادسة أن يغلق باب الأمل ويفتح باب الاستعداد للموت وقال ابراهيم الخواص رضي الله عنه كنت في جبل لبنان فرأيت رمانا فاشتهيته فدنوت منه فأخذت منه واحدة فشققتها فوجدتها حامضة فمضيت وتركت الرمان فرأيت رجلا مطروحا قد اجتمعت عليه الزنابير فقلت السلام عليك فقال وعليك السلام يا ابراهيم فقلت كيف عرفتني فقال من عرف الله تعالى لم يخف عليه شيء فقلت أرى لك حالا مع الله فلو سألته أن يحميك ويقيك من هذه الزنابير فقال وأرى لك حالا مع الله تعالى فلو سألته أن يحميك ويقيك من شهوة الرمان فان لدغ الرمان يجد الانسان ألمه في الآخرة ولدغ الزنابير يجد ألمه في الدنيا وقال السري رضي الله عنه ان نفسي تطالبني منذ ثلاثين سنة أن أغمس جزرة في دبس فما أطعمتها فلما كان ترك الشهوات والتنعمات من شأن المريد ومن مقتضى حاله لزمه الوفاء به وكان غالبه على خلافه نقصا وفسخا كما تقدم قال جعفر بن نصير رضي الله عنه دفع الي الجنيد درهما وقال اشتر به التين الوزيري فاشتريته فلما أفطر أخذ واحدة ووضعها في فيه ثم ألقاها وبكى وقال احمله فقلت له في ذلك فقال هتف بي هاتف أما تستحي شهوة تركتها من أجلي ثم تعود اليها وعن شقيق بن ابراهيم قال لقيت ابراهيم بن أدهم رضي الله عنه بمكة في سوق الليل عند مولد رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو جالس في ناحية من الطريق يبكي فعدلت اليه وجلست عنده وقلت له أي شيء هذا البكاء يا أبا اسحق فقال خير وعافية فعاودته مرة واثنتين وثلاثة فلما أكثرت عليه قال يا شقيق استر علي فقلت يا أخي قل ما شئت قال لي اشتهت نفسي سكباجا فمنعتها جهدي فلما كان البارحة كنت جالسا وقد غلبني النعاس فاذا أنا بفتى شاب بيده قدح أخضر يعلو منه بخار ورائحة سكباج قال فاجتمعت همتي عليه فقرب مني وقال يا ابراهيم كل فقلت ما آكل شيئا قد تركته لله تعالى فقال لي فاذا أطعمك الله تأكل فما كان لي جواب الا أن بكيت فقال لي يرحمك الله كل قال ابراهيم فقلت له قد أمرنا أن لا نطرح في وعائنا الا من حيث نعلم فقال لي كل يرحمك الله فانما أعطيته وقد قيل لي يا خضر اذهب بهذا وأطعم نفس ابراهيم بن أدهم فقد رحمها الله من طول صبرها على ما يحملها من منعها اعلم يا ابراهيم أني سمعت الملائكة يقولون من أعطي فلم يأخذ طلب فلم يعط فقلت فان كان كذلك فها أنا بين يديك لأجل العقد مع الله عز وجل ثم التفت فاذا أنا بفتى آخر ناوله شيئا وقال له يا خضر لقمه أنت فلم يزل يلقمني حتى شبعت فانتبهت وحلاوته في فمي قال شقيق رضي الله عنه فقلت أرني

كفك فأخذت كفه بكفي فقبلتها وقلت يا من يطعم الجياع الشهوات اذا منعوا المنع يا من يقدح في الضمير اليقين يا من سقى قلوبهم من محبته أترى الشفيق عندك حالا ثم رفعت يدا ابراهيم الى السماء فقلت الهي بقدر هذه الكف وبقدر صاحبها وبالجود الذي وجد منك جد على عبدك الفقير بفضلك واحسانك ورحمتك وان لم يستحق ذلك قال فقام ابراهيم رضي الله عنه ومشى حتى دخل المسجد الحرام وقال عتبة الغلام لعبد الواحد بن زيد رضي الله عنهما ان فلانا يصف من قلبه منزلة ما أعرفها قال لأنك تأكل مع خبزك تمرا وهو لا يزيد على الخبز شيئا فقلت ان تركت أكل التمر عرفت تلك المنزلة قال نعم وغيرها فأخذ يبكي فقال له بعض أصحابه لا أبكى الله عينيك أعلى التمر تبكي فقال عبد الواحد دعه فان نفسه قد عرفت صدق عزمه في الترك وهو اذا ترك شيئا لم يعاود فيه أبدا وقال أحمد بن أبي الحواري اشتهى أبو سليمان الداراني رضي الله عنه رغيفا حارا بملح فجئت به اليه فعض منه عضة ثم طرح الرغيف وقال عجلت الى شهوتي بعد اطالة جهدي وشقوتي قد عزمت على التوبة فأقلني قال أحمد فما رأيته أكل الملح حتى لقي الله تعالى وقال أبو بكر بن الجلاء رضي الله عنه أعرف انسانا تقول له نفسه أنا أصبر لك على طي عشرة أيام وأطعمني بعد ذلك شهوة اشتهيتها فيقول لها لا أريد ان أطوي عشرة أيام ولكن اتركي هذه الشهوة وقال أبو سليمان رضي الله عنه وترك شهوة من شهوات النفس أنفع للقلب من صيام سنة وقيامها وقال أبو حامد الغزالي رضي الله تعالى عنه وقد اشتد خوف السلف رضي الله عنهم من تناول لذائذ الأطعمة وتمرين النفس عليها ورأوا أن ذلك علامة الشقاوة ورأوا أن منع الله منه غاية السعادة حتى روي أن وهب بن منبه رضي الله عنه قال التقى ملكان في السماء الرابعة فقال أحدهما للآخر من أين فقال أمرت بسوق حوت من البحر اشتهاه فلان اليهودي وقال الآخر أمرت باهراق زيت اشتهاه فلان العابد وقال وهذا تنبيه على أن تيسير الشهوات ليس من علامات الخير ● قال الشيخ أبو حامد الغزالي رضي الله عنه والأصل المهم في المجاهدة الوفاء بالعزم فاذا عزم على ترك شهوة فقد تيسرت أسباب ذلك ويكون ذلك من الله ابتلاء واختبارا فينبغي أن يصبر ويستمر فانه ان عود نفسه ترك العزم ألفت ذلك وفسدت واذا اتفق منه نكث عزم فينبغي أن يلزم نفسه عقوبة عليه كما ذكرناه في معاقبة النفس من كتاب المراقبة فاذا لم تخوف النفس بعقوبة غلبته وحسنت عنده تناول الشهوة وتفسد الرياضة عليه بالكلية هذا كلام أبي حامد وهو حسن ومعناه صحيح مجرب فليعتمد عليه أيها المريد وقد يعجل الله تعالى لبعض هؤلاء العقو بترحمة له ومنة عليه قال أبو تراب النخشبي رضي الله عنه ما تمنت نفسي شهوة من الشهوات الا مرة واحدة تمنت خبزا وبيضا وأنا في سفر فعدلت الى قرية فقام واحد وتعلق بي وقال هذا كان مع اللصوص فضربوني سبعين ضربة ثم عرفني رجل منهم فقال هذا أبو تراب النخشبي فاعتذر والي وحملني رجل منهم الى منزله وقدم الي خبزا وبيضا فقلت في نفسي كلي بعد سبعين ضربة وقال بعضهم اشتهى أبو الخير العسقلاني رضي الله عنه السمك سنين ثم ظهر له ذلك من موضع حلال فلما مد يده اليه ليأكل دخلت شوكة من عظامه اصبعه فذهبت في ذلك يده فقال يا رب هذا لمن مد يده بشهوة الى حلال فكيف بمن مد يده بشهوة الى حرام وقال ابراهيم الخواص رضي الله عنه كنت مارا في الطريق فوافيت الري فخطر ببالي أن لي بها معارف فاذا دخلتها أضافوني وأطعموني فلما دخلت البلد رأيت فيه منكرا احتجت أن آمر فيه بالمعروف فأخذوني وضربوني فقلت في نفسي من أين أصابني هذا الضرب على جوعي فنوديت في سري انما أصابك ذلك لأنك سكنت الى معارفك بقلبك وقلت انهم يطعموني اذا دخلت البلد وحكي عن ابراهيم بن سفيان رضي الله عنه انه قال كنت بحلب واشتهيت شيئا من الخبز والعدس فاتفق ذلك

فأكلت حتى شبعت فرأيت على باب المسجد قوارير معلقة فيها شبه فتوهمتها خلا فقال لي قائل
أما تنظر إليها إنها خمر فقلت لزمني فرض فدخلت الحانوت فلم أزل أصب دنانها حتى أتيت على الجميع
فأخذوني وضربوني مائتي خشبة وطرحوني في السجن أربعة أشهر حتى دخل أستاذي أبو عبد الله
المغربي البلد فسمع بحالي فشفع لي فلما وقع بصره علي قال ما شأنك قلت شبعة خبز وعدس وضربت
مائتي خشبة وسجنت أربعة أشهر فقال لي نجوت مجانا أي وربت عقوبة هذه الأكلة على ظاهرك
ولم تقدح فيما كنت فيه من سرائرك فكان ذلك رفقا من الله بك. قال الإمام أبو القاسم القشيري وما
أصدق ما قال فإن من أدب في دنياه فيما يتعاطاه من متابعة هواه فقد خفف عنه في عقباه بل ظهر بالتأدب
جوهره ومعناه وحكاية خير النساج رضي الله عنه المشهورة من معنى ما ذكرناه فانظرها ففيها عبرة
للمعتبر. قال الحافظ أبو نعيم رضي الله عنه حدثني جعفر بن محمد بن نصير في كتابه قال سألت خيرا
النساج أكان النسج حرفتك قال لا قلت فمن أين سميت به قال عاهدت الله واعتقدت أني لا آكل
الرطب أبدا فغلبتني نفسي يوما فأخذت نصف رطل فلما أكلت واحدة إذا برجل نظر إلي وقال يا خير يا آبق
هربت مني وكان له غلام اسمه خير فوقع علي شبهه وصورته فاجتمع الناس فقالوا والله هذا
غلامك خير فبقيت متحيرا وعلمت بماذا أخذت وعرفت جنايتي فحملني إلى حانوته الذي كان ينسج
فيه صناعته فقالوا يا عبد السوء تهرب من مولاك ادخل واعمل عملك الذي كنت تعمل وأمرني بعمل
الكرباس فدليت رجلي على أن أعمل فأخذت بيدي آلته فكأني كنت أعمل من سنين فبقيت معه
أشهرا أنسج له فقمت ليلة فتمسحت وقمت إلى صلاة الغداة فسجدت وقلت في سجودي إلهي لا أعود
إلى ما فعلت فأصبحت فإذا الشبه قد ذهب عني وعدت إلى صورتي التي كنت عليها فأطلقت فثبت علي
هذا الاسم فكان سبب النسج اتباعي شهوة عاهدت الله تعالى أن لا آكلها فعاقبني بما سمعت وفي
بعض الأخبار عن الله تعالى إن أدنى ما أصنع بالعالم إذا آثر شهوته على محبتي أن أحرمه لذيذ مناجاتي
وسنأتي إن شاء الله تعالى كيفية مجاهدة النفس عند قوله لولا ميادين النفوس ما تحقق سير السائرين
ولهذا المعنى كرهوا التزوج من غير ضرورة محققة لأنه مما يقصد بذلك قضاء شهوته وبلوغ نهمته
وذلك في الضرر بمنزلة السم القاتل وقد قالوا من وافق شهوته عدم صفوته وقال بعضهم من تنعم بشيء
مما أباحه العلم تلذذا عوقب بتضييع العمر وقسوة القلب وتعب الهم بالدنيا وقال أبو سليمان الداراني
رضي الله عنه ثلاث من طلبهن فقد ركن إلى الدنيا من طلب معاشا أو تزوج امرأة أو كتب الحديث
وقال ما رأيت أحدا من أصحابنا تزوج فثبت على مرتبته وكان إبراهيم بن أدهم رضي الله عنه يقول
من تعود أفخاذ النساء لا يفلح وقيل لبعضهم لم لا تتزوج فقال المرأة لا تصلح إلا للرجال وأنا ما بلغت مبلغ
الرجال ثم فيه من مكابدة أمر غيره ومن مراعاة توفية حقوقه ومعاناة أخلاقه واتباع مرضاته ما يشوش
على المريد حاله ويكدر عليه وقته وقد كان له في معاناة أمر نفسه أعظم شاغل من أن تنضاف إلى نفسه
نفس أخرى مع ما يتسلط على باطنه من خوف الفقر ومحبة الجمع والمنع وما يرتكبه بسبب ذلك من
التأويلات والرخص وذلك كله يضاد حال المريد وقد قالوا إذا تزوج الصوفي فقد ركب السفينة فإذا
ولد له فقد غرقت السفينة وكان بشر الحافي رضي الله عنه يقول لو كنت أعول دجاجة لخفت أن
أكون جلوازا على الجسر وفي الخبر في فتن آخر الزمان قال وفي ذلك الوقت حلت العزبة فقيل
وكيف قال يعيرونه بالفقر فيتكلف ما لا يطيق فيورده موارد الهلكة وفي الخبر عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم خيركم بعد المائتين رجل خفيف الحاذ قيل يا رسول الله وما خفيف الحاذ قال الذي لا أهل
له ولا ولد وقال سهل بن عبد الله رضي الله عنه إياكم والاستماع إلى النساء والميل إليهن فإن النساء

(اذا رأيت عبداً أقامه الله تعالى) أى جعله قائما (بوجود الاوراد) بأن أظهرها منه (وأدامه عليها) أى جعله مداوما عليها (مع طول الامداد) أى المعونة والتيسير وصرف الشواغل التى تشغله عن القيام بها والمراد بطول ذلك توالیه عليه مع طول الزمان فقوله بطول الزمان الذى يعمل فيه وهذه صفة العباد والزهاد (فلا تستحقرن ما منحه) أى أعطاه (مولاه) وعلل الاستحقار بقوله (لأنك) أى لكونك (لم تر عليه سيما العارفين) أى علامتهم من ترك الاختيار والبراءة من الحظوظ والارادات ودوام الحضور بين يدى الله (ولا بهجة المحبين) وهى ما يعلوهم من شواهد المحبة وآثارها فان محبة الله اذا تمكنت من القلب ظهرت آثارها على الجوارح كدوام ذكره والمسارعة لامتثال أمره والعمى عن غيره فيجتهد فى خدمته ويتلذذ بمناجاته ويؤثره على كل ما سواه ثم علل عدم الاستحقار بقوله (فلولا وارد) الهى أورده الله على قلبه أى تجلى الهى (ما كان ورد) وهو ما يقع بكسب العبد من أنواع العبادات كصلاة وصيام وذكر الى غير ذلك أى فيكون استحقارك له قلة أدب معه والحاصل إن عباد الله المخصوصين ينقسمون قسمين مقربين وأبرارا فالمقربون هم الذين أخذوا عن حظوظهم واراداتهم وقاموا بحقوق ربهم تعبدا لله وطلبا لمرضاته وهؤلاء هم العارفون والمحبون والأبرار هم الباقون مع حظوظهم واراداتهم وقاموا بعبادة ربهم طمعا فى جنته وهربا من ناره وكل واحد منهم محدود فى مقامه الذى هو فيه بحد الهى اقتضى منه القيام بحقوق ذلك المقام والى ذلك أشار بقوله

مسعدات من الحكمة قريبات من الشيطان ومكمن مصايده وحظه من بنى آدم فمن عطف اليهن بكليته فقد عطف على حظ الشيطان ومن تباعد عنهن يئس منه وما مال الشيطان الى أحد كميله الى من استرق بالنكاح وان الشر معهن حيث كن فاذا رأيتم فى رفقتكم من قد ركن اليهن فايأسوا منه قيل له تحدثت النبى صلى الله عليه وسلم حبب الىّ من دنياكم ثلاث فذكر النساء فقال النبى صلى الله عليه وسلم معصوم وقد بلغكم ما كان فيمعهن هى عدوة الرجل ظاهرا وباطنا ان أظهرت له المحبة أهلكته وان أضمر تهاله أغوته وان الله عز وجل جعلهن فتنة فنعوذ بالله من فتنتهن انتهى كلام سهل رضى الله عنه وقال حذيفة المرعشى رضى الله عنه كان ينبغى للرجل لو خير بين أن يضرب عنقه وبين أن يتزوج امرأة فى الفتنة لاختار ضرب العنق على تزوج المرأة فى الفتنة وانما قال ذلك لما يؤل اليه أمر المتزوج من اكتساب الحرام وارتكاب الآثام فى زمان الفتنة وضرب العنق أحسن حالا وأحمد عاقبة من التعرض لارتكاب شىء من معاصى الله عز وجل فان قارب شيئا من ذلك المريد فهو داء عضال فى حقه فقد قالوا زلة بعد الارادة أقبح من سبعين زلة قبل الارادة وفى المثل من عرف بالخيانة لا يعتمد عليه فى الامانة وقال بعض الأنبياء فى مناجاته كم به لو عفوت عن فلان ذنوبه بعد عظم نعمك فأوحى الله اليه ليس الذنب فى القرب كالذنب فى البعد وسئل بعضهم هل يجد العاصى حلاوة الطاعة فقال لا ولا من هم بالمعصية ومن عظم سوء أدب المريد أن يميل الى أهل الدنيا وأن يتقرب منهم أو أن يصاحبهم قال الامام أبو القاسم القشيرى رضى الله عنه ومن شأن المريد التباعد عن أبناء الدنيا فان صحبتهم سم مجرب لأنهم ينتفعون به وهو ينتقص بهم قال الله تعالى ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطا وقد تقدم من كلام المؤلف رحمه الله لا تصحب من لا ينهضك حاله ومن ذلك أيضا معاشرته للأحداث والشبان وقبول ارفاق النسوان فان تعرض لاستجلاب ذلك منهن فهو أشد قال يوسف بن الحسين الرازى رضى الله عنه رأيت آفات الصوفية فى صحبة الأحداث ومعاشرة الأضداد ورفق النسوان قال الامام أبو القاسم ومن أصعب الآفات فى هذه الطريق صحبة الأحداث ومن ابتلاه الله بشىء من ذلك فباجماع من الشيوخ أن ذلك عبد أهانه الله عز وجل وخذله بل عن نفسه شغله ولو بألف ألف كرامة أهله ثم قال بعد كلام كثير فليحذر المريد من مجالسة الأحداث ومخالطتهم فان اليسير منه فتح باب الخذلان وبدء حال الهجران ونعوذ بالله من قضاء السوء وآداب المريد كثيرة وانما نبهنا هنا على بعض ما يعظم فيه الخطر والضرر مما حذر منه أئمتنا رضى الله عنهم وبالفوائد الموصى به والنهى عنه وجميع ذلك محتمل لأن يكون مراد المؤلف رحمه الله تعالى فى قوله من جهل المريد أن يسىء الأدب فرأينا أن لا نخلى هذا الموضع من هذا التنبيه لأن ذلك يقع للمريدين كثيرا والله ولى التوفيق اذا رأيت عبداً أقامه الله تعالى بوجود الاوراد وأدامه الله عليها مع طول الامداد فلا تستحقرن ما منحه مولاه لأنك لم تر عليه سيما العارفين ولا بهجة المحبين فلولا وارد ما كان ورد) عباد الله المخصوصون ينقسمون الى قسمين مقربين وأبرار فالمقربون هم الذين أخذوا عن حظوظهم واراداتهم واستعملوا فى القيام بحقوق ربهم عبودية لله وطلبا لمرضاته وهؤلاء هم العارفون والمحبون والأبرار هم الذين بقوا مع حظوظهم واراداتهم وأقيموا فى الأعمال والطاعات ليجزوا عليها برفيع الدرجات فى الجنات وهؤلاء هم الزاهدون والعابدون وكل واحد منهم محدود فى مقامه الذى هو

(قوم أقامهم الحق) أي اختارهم (لخدمته) بطاعته الظاهرية حتى صلحوا للجنة وهم الزاهدون والعابدون كما مرّ (وقوم اختصهم بمحبته) حتى صلحوا للقرب به والدخول في حضرته وهم المحبون والعارفون والكل مشتركون في الانتساب اليه وخدمته لكن خدمة الأولين أكثرها بالجوارح والآخرين أكثرها بالقلب (كلا نمد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك وما كان عطاء ربك محظورا) أي ممنوعا فاذا شهد العبد انفراد الله تعالى بهذه الاقامة والتخصيص منعه ذلك مما ذكر من الاحتقار قال أبو يزيد اطلع الله تعالى على قلوب أوليائه فمنهم من لم يكن يصلح لحمل المعرفة صرفا فشغلهم بالعبادة (قلما تكون الواردات الالهية) أي قلّ حصولها (الا بغتة) أي غير بغتة والمراد بها العلوم الوهبية والأسرار العرفانية التي يتحف الله بها عباده ولا تكون في الغالب الا بغتة أي فجأة من غير استعداد لها بعبادة من صلاة وصيام وغيرها (لئلا يدعيها العباد) أي يرون أنهم أهل لها (بوجود الاستعداد) لها بالاجتهاد في الأوراد والعبادات تمسكا بنحو قوله صلى الله عليه وسلم ولا يزال عبدي يتقرب الي بالنوافل حتى أحبه وغفلوا عن كون همتهم متعلقة بالدار الآخرة لانه فلا تحصل لهم معرفته الخاصة ولا الواردات الالهية وحاصله أن الواردات هدايا من الله تعالى ومنح منه فلا تحصل عقب العبادات الصادقة وبفورها بل تحصل بعد ذلك بغتة وحصولها عقب العبادات نادر قليل (من رأيته) من المريدين أو العارفين (مجيبا عن كل ما سئل) أي سئل عنه من العلوم التي يفيضها الله على قلوب السالكين والمواهب اللدنية التي يخص بها العارفين (ومعبرا عن كل ما شهد) أي شهده وذاقه بباطنه من تلك العلوم والمواهب (وذاكرا كل ما علم) من تلك العلوم (فاستدل بذلك على وجود جهله) لأن الاجابة عن كل سؤال تقتضي الاحاطة بكل المعلومات وذلك محال في حقه قال تعالى وما أوتيتم من العلم الا قليلا ولأنه يجب مراعاة حال السائل فقد لا يكون في بعض السائلين أهلية للمسئول عنه فتكون اجابة مثله من الجهل وتعبيره عن كل مشهود له فيه نوع من افشاء السر الذي يجب كتمانه وقد قالوا قلوب الأحرار قبور الأسرار والسر أمانة الله تعالى عند العبد فافشاؤه بالتعبير عنه خيانة وأيضا فالأمور المشهودة لا يستعمل فيها الا الاشارة والايماء واستعمال العبارة فيها اشهار لها وفيه ابتذالها ثم ان العبارة عنها لا تزيدها الا غموضا وانغلاقا لأن الأمور الذوقية يستحيل ادراكها بالعبارات النطقية وذكره لكل معلوم له دليل على عدم تفرقته بين المعلومات وقد يكون فيها ما لا يصح ذكره لما يلزم عليه من الضرر والفساد وانكار الناس له قال صلى الله عليه وسلم ان من العلم كهيئة

فيه بمدد الهي اقتضى منهم القيام بحقوق مقاماتهم على اختلافها فاذا رأيت عبدا أقامه الله تعالى في أعمال البر الظاهرة ومواصلة الأوراد المتواترة وأمده في ذلك بالمعونة والتيسير فذلك من اختيار الله تعالى له فلا تحتقرن ذلك لأجل أنك لم تر عليه سيما العارفين من ترك الاختيار والبراءة من الحظوظ والارادات بين يدي المريد المختار ولا بهجة المحبين من الشغف بمرضاة محبوبهم والانبساط والادلال بين يدي حبيبهم فلولا الوارد الالهي الذي أورده الله تعالى عليه ما استقام على عمله وورده فهو لم يخرج عن دائرة عنايته وحفظه ورعايته فلا تستحقر خطير ما منحه وتستقل كثير ما رزقه وهل ذلك الا من وجود جهلك ونقصان عقلك وسيأتي من كلام المؤلف رحمه الله لا يستحقر الوارد الا جهول ۞ (قوم أقامهم الحق لخدمته وقوم اختصهم بمحبته كلا نمد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك وما كان عطاء ربك محظورا) الحق تعالى له الاختيار التام والمشيئة النافذة لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون فطائفة أقامهم الحق تعالى لخدمته حتى صلحوا للجنة وهم الزاهدون والعابدون كما تقدم وطائفة اختصهم بمحبته حتى صلحوا للقرب به والدخول الى حضرته وهم العارفون والعلماء قال يحيى بن معاذ رضي الله عنه الزاهد يصيد الحق من الدنيا والعارف يصيد الحق من الجنة فاذا شهد العبد انفراد الله تعالى بهذه الاقامة والتخصيص منعه ذلك مما ذكرناه من الاستحقار وسلم الأمر لمن بيده التدبير والاختيار قال أبو يزيد رضي الله عنه اطلع الله تعالى على قلوب أوليائه فمنهم من لم يكن يصلح لحمل المعرفة صرفا فشغلهم بالعبادة وذكر الحافظ أبو نعيم في كتابه حلية الأولياء عن سهل بن عبد الله رضي الله عنه أنه قال ان الله تعالى يطلع على أهل قرية أو بلدة فيريد أن يقسم لهم من نفسه قسما فلا يجد قلوب العباد ولا قلوب الزهاد موضعا لتلك القسمة من نفسه فيمن عليهم أن يشغلهم بالتعبد عن نفسه وقال أبو العباس الدينوري رضي الله عنه ان لله عبادا لم يستصلحهم لمعرفته فشغلهم بخدمته ولله عبادا لم يستصلحهم لخدمته فأهلهم لمعرفته والاشارة بالآية الكريمة التي ذكرها المؤلف رحمه الله هنا في هذا المعنى وقال رضي الله عنه ۞ (قلما تكون الواردات الالهية الا بغتة لئلا يدعيها العباد بوجود الاستعداد) الواردات الالهية هدايا من الله تعالى وتحف وكرامات يكرم بها عباده فلا تكون في الغالب الا بغتة أي فجأة لئلا يدعوها ويروا أنفسهم أهلا لها بوجود استعدادهم وتهيئهم وتحف الله تعالى وهداياه مقدسة عن أن تعلل بأمر ومنزهة عن أن تقابل بأعمال بل هي محض كرم وفضل من الكريم المتفضل ۞ (من رأيته مجيبا عن كل ما سئل ومعبرا عن كل ما شهد وذاكرا كل ما علم فاستدل بذلك على وجود جهله) الاجابة على كل سؤال والتعبير

(١) وفي بعض النسخ: فلا تشتبئ

المكنون لا يعرفه الا العلماء بالله فاذا أظهره أنكره أهل الغرة بالله وقال علي بن الحسين بن علي رضي الله عنه يا رب جوهر علم لو أبوح به
لقيل لي أنت ممن يعبد الوثنا ولاستحل رجال مسلمون دمي * يرون أقبح ما يأتونه حسنا اني لأكتم من علمي جواهره
كي لا يرى الحق ذو جهل فيفتتنا وقال أبو هريرة رضي الله عنه حفظت من رسول الله صلى الله عليه وسلم جرابين من العلم أما أحدهما فبثثته للناس وأما الآخر فلو بثثته لقطعتم مني هذا الحلقوم ولذا قتل الحلاج بافشاء شيء من ذلك حيث قال ما في الجبة الا الله وذلك ان أهل الله يدركون وجود الله في الأشياء أي قيامه بها وظهوره فيها وهذه غاية ما يملكون أن يعبروا به عن مقصودهم والا فهو أمر لا يدرك الا بالذوق وقد ذقنا بحمد الله فصدق ما قيل وما شهدوا ما علم واحد انما يختلف باعتبار السؤال عنه وافشائه بالعبارة وعموم ذكره (انما جعل) تعالى (الدار الآخرة محلا لجزاء عباده المؤمنين لأن هذه الدار لا تسع ما يريد أن يعطيهم) من أنواع النعم حسا ولا معنى أما الأول فلأنها ضيقة الاقطار ويعطي الله لآحاد المؤمنين في الدار الآخرة في ملك واحد منهم مسيرة سبعمائة عام كما ورد في الخبر فما ظنك بخواصهم فتضيق لا محالة مسافة
الدنيا عن كلية جزائهم وأما الثاني فلأن الدنيا موسومة بالدناءة والنقص والأشياء التي يتنعم بها أهل الجنة أمور شريفة (من
رفيعة كما جاء في الأخبار ان موضع سوط في الجنة خير من الدنيا وما فيها وان نور سوار حوراء يطمس نور الشمس وما أشبه هذا (ولأنه أجل
أقدارهم عن أن يجازيهم في دار لا بقاء لها) لأن كل ما يفنى وان طالت مدته كلا شيء بل أعطاهم الخلود في النعيم والبقاء الدائم في الملك المقيم

بكل مشهود بل الذكر لكل معلوم أمارات على وجود جهل من اتصف بها كما قال أما الاجابة عن كل سؤال فلاقتضائها منه الاحاطة بجميع المعلومات وذلك محال في حقه قال الله تعالى وما أوتيتم من العلم الا قليلا فكيف يتصور منه مع هذا الاجابة عن كل سؤال لولا وجود جهله وأيضا فانه يجب عليه أن يراعي حال السائل من وجود الاهلية للمسئول عنه فيمتنع عن اجابة من لا أهلية فيه لذلك ويفعل ما فعله رسول الله ﷺ فيما روي عنه مع السائل الذي جاء يسأله أن يعلمه من غرائب العلم فانه استفصله وقال له ما فعلت في رأس العلم في كذا وفي كذا فأجابه السائل فقال له النبي ﷺ اذهب فأحكم ما هنالك ثم تعال حتى أعلمك من غرائب العلم وكما أخذ الله تعالى على العلماء أن لا يكتموا العلم عن أهله كذلك أخذ عليهم أن يصونوه عن غير أهله ممن لا يسلك هذا المسلك فهو جاهل وأما التعبير بكل مشهود فلأن فيه نوعا من افشاء السر الذي يجب كتمه وقد قالوا قلوب الأحرار قبور الأسرار والسر أمانة الله تعالى عند العبد فافشاؤه بالتعبير عنه خيانة والله تعالى لا يحب الخائنين وأيضا فان الأمور المشهودة لا يستعمل فيها الا الاشارة والايماء واستعمال العبارة فيها افصاح بها واشهار لها وفي ذلك ابتذالها واذاعتها ثم ان العبارة عنها لا تزيدها الا غموضا وانغلاقا لأن الأمور الذوقية يستحيل ادراك حقائقها بالعبارات النطقية فيؤدي ذلك الى الانكار والقدح في علوم السادة الأخيار قال أبو علي الروذباري رضي الله تعالى عنه علمنا هذا اشارة فاذا صار عبارة خفي وأما الذكر لكل معلوم فلعدم تفرقته بين المعلومات وقد يكون له علم يختص به فاذا ذكره لغيره استغربه وان كان ينتفع به هو فعدم تفرقته بين المعلومات في ذكرها من وجود جهله ۞ (انما جعل الدار الآخرة محلا لجزاء عباده المؤمنين لأن هذه الدار لا تسع ما يريد أن يعطيهم ولأنه أجل أقدارهم عن أن يجازيهم في دار لا بقاء لها) انما جعل ثواب المؤمنين في دار الآخرة فيما يظهر لنا لوجهين أحدهما أن الدنيا لا تسع ما يريد أن يعطيهم من أنواع النعم حسا ولا معنى أما الحس فلأن الدنيا متدانية المسافات ضيقة الأقطار ويعطي الله تعالى لآحاد المؤمنين في الدار الآخرة في ملك واحد منهم كما ورد في الخبر مسيرة خمسمائة عام فما ظنك بخواصهم فتضيق لا محالة مسافة الدنيا عن كلية جزائهم وأما المعنى فلأن الدنيا موسومة بالدناءة والنقص والخساسة والحقارة والأشياء التي يتنعم بها أهل الجنة أمور شريفة رفيعة كما جاء في الأخبار ان موضع سوط في الجنة خير من الدنيا وما فيها وان نور سوار حوراء يطمس نور الشمس وما أشبه هذا ويكفي في ذلك قوله عز من قائل فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين وقول النبي صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه عز وجل أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر والثاني أن الله تعالى أجل أقدار عباده المؤمنين فلم يجعل لهم الجزاء على طاعتهم في دار فانية منقضية متصرمة لأن كل ما يفنى وان طالت مدته كلا شيء بل أعطاهم الخلود في النعيم والبقاء الدائم في الملك المقيم وناهيك به شرفا تسميته اياهم باسمه الكريم وهو الحي الذي لا يموت جاء في تفسير قوله تعالى وملكا كبيرا أنه يرسل الله تعالى الملك الى وليه ويقول استأذن على عبدي فان أذن لك فادخل والا فارجع فيستأذن عليه من سبعين حجابا ثم يدخل عليه ومعه كتاب من الله عز وجل عنوانه من الحي الذي لا يموت الى الحي الذي لا يموت فاذا فتح الكتاب وجد مكتوبا فيه عبدي اشتقت اليك فزرني فيقول هل جئت بالبراق فيقول نعم فيركب البراق فيغلب الشوق على قلبه فيحمله شوقه ويبقى البراق الى أن يصل الى بساط اللقاء

﴿من وجد ثمرة عمله عاجلا فهو دليل على وجود القبول آجلا﴾ ثمرة العمل وجدان الحلاوة فيه والنعيم به وتصور ذلك في أكثر الأعمال بالمواظبة عليه على حال تكررها واستثقاله هذا هو غالب الأمر قال بعض العارفين ليس شيء من البر إلا ودونه عقبة تحتاج إلى الصبر فيها فمن صبر على شدتها أفضى إلى الراحة والسهولة وإنما هي مجاهدة النفس ثم مخالفة الهوى ثم مكابدة في ترك الدنيا ثم اللذة والتنعم وقال عتبة الغلام رضي الله تعالى عنه كابدت الليل عشرين سنة ثم تنعمت به عشرين سنة وقال ثابت البناني رضي الله تعالى عنه كابدت القرآن عشرين سنة وتنعمت به عشرين سنة وقال بعض العلماء كنت أقرأ القرآن فلا أجد له حلاوة حتى تلوته كأني أسمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم يتلوه على أصحابه رضي الله تعالى عنهم ثم رفعت إلى مقام فوقه وكنت أتلوه وكأني أسمعه من جبريل عليه السلام يلقيه على رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم تصدق الله تعالى بمنزلة أخرى فأنا الآن كأني أسمعه من المتكلم به فعندها وجدت له لذة ونعيما لا أصبر عنه وما ذكرناه من الحلاوة والنعيم إنما هو ثمرة الأعمال الصحيحة المستقيمة السالمة من الرياء والدعوى قال أبو تراب رضي الله تعالى عنه إذا صدق العبد في العمل وجد حلاوته قبل أن يعمله وإذا أخلص فيه وجد حلاوته وقت مباشرة العمل والأعمال الموصوفة بهذه الصفات مقبولة بفضل الله تعالى ورد في الخبر لا يقبل الله تعالى من مسمع ولا مراء ولا مدل خطابه أن العمل السالم من الرياء والسمعة مقبول من قوله عز من قائل إنما يتقبل الله من المتقين وقبول الله تعالى لعمل العبد ورضاه به هو ثوابه المعجل كما يقول المؤلف بعد هذا وكذلك علامة على وجود الجزاء عليه في الدار الآخرة حسبما يأتي في قوله وجدان ثمرات الطاعات عاجلا بشائر العاملين بوجود الجزاء عليها آجلا وقال أبو سليمان الداراني رضي الله تعالى عنه كل عمل ليس له ثواب في الدنيا ليس له جزاء في الآخرة فتحصل من هذا أن وجدان الحلاوة علامة على وجود القبول المقتضي لوجود الرضا والجزاء ولذلك قال الحسن رضي الله تعالى عنه تفقدوا الحلاوة في ثلاث فإن وجدتموها فأبشروا وامضوا لقصدكم وإن لم تجدوها فاعلموا أن الباب مغلق عند تلاوة القرآن وعند الذكر وعند السجود وزاد غيره وعند الصدقة وبالأسحار وقيل في قوله تعالى ولمن خاف مقام ربه جنتان قال جنة معجلة وهي حلاوة الطاعات ولذاذة المناجاة والاستئناس بفنون المكاشفات وجنة مؤجلة هي بفنون المثوبات وعلو الدرجات قلت وهذه الحلاوة المذكورة لا تكون إلا في مقام المعرفة الخاصة وهي التي تنافيها المعصية قيل لبعضهم هل تعرف الله فغضب على السائل وقال أتراني أعبد من لا أعرفه فقال له أو تعصي من تعرفه وقيل لبعضهم نعرف أنك عرفته فقال لم أقصد مخالفته إلا ورد على قلبي استحياء منه وقال إسمعيل بن نجيد رضي الله تعالى عنه التهاون بالأمر من قلة المعرفة بالآمر فإن العصيان في حال العرفان بعيد فإن وقعت منه زلة أو هفوة بحكم وكان أمر الله قدرا مقدورا وجد لا محالة لذلك مرارة وألما في قلبه فوجدان هذه المرارة والألم في المعصية علامة على صحة ما وجد من الحلاوة والنعيم في الطاعة فهذه هي الحلاوة التي هي الميزان للأعمال المقبولة وغير المقبولة كما ذكرناه وأما الحلاوة التي يجدها من دون أهل هذا المقام في بعض العبادات فمدخولة معلولة إلا ما فيها من تنشيط العباد للمواظبة على العبادة والحلاوة على الإطلاق إذا وجدها العامل في العمل لا ينبغي له أن يقف معها ولا يفرح بها ولا يسكن إليها وكذلك أيضا لا ينبغي له أن يقصد بعمله إلى نيلها لما فيها من اللذة والحظ فإن ذلك مما يقدح في إخلاص عبادته وصدق إرادته ولكن اعتناؤه بحصولها لتكون ميزانا لأعماله ومحكا لأحواله فقط * قال الواسطي رضي الله تعالى عنه استحلاء الطاعات سموم قاتلة قال في لطائف المنن وصدق الواسطي فأقل ما في ذلك أنك إذا فتح لك باب حلاوة الطاعة تصير بها عاملا عليها متطلبا للحلاوة فيفوتك صدق الإخلاص فنهوضك لها وتحب دوامها لا قياما

(من وجد) من المريدين (ثمرة عمله) أي من الحلاوة فيه والنعيم به (عاجلا) أي في الدنيا (فهو دليل على وجود القبول آجلا) أي قبول الله قال أبو تراب إذا صدق العبد في العمل وجد حلاوته قبل أن يعمله وإذا أخلص فيه وجد حلاوته وقت مباشرة العمل والأعمال الموصوفة بهذه الصفات مقبولة بفضل الله وقبول الله تعالى لعمل العبد ورضاه به هو ثوابه المعجل وكذلك علامة على وجود الجزاء عليه في الدار الآخرة كما سيأتي وإذا وجد تلك الحلاوة لا ينبغي أن يقف معها ولا يفرح بها ولا يسكن إليها وكذا لا ينبغي أن يقصد بعمله حصولها لما فيها من اللذة والحظ فإن ذلك مما يقدح في إخلاص عبادته وصدق إرادته ولكن اعتناؤه بها لتكون ميزانا لأعماله وتصحيحا لأحواله فقط

(اذا أردت أن تعرف قدرك عنده) هل أنت من المقبولين السعداء أو من المردودين الاشقياء (فانظر فيماذا يقيمك) من طاعة أو ضدها فمن كان من أهل السعادة والقبول استعمله مولاه فيما يرضيه عنه من أنواع الطاعات ومن كان من أهل الشقاوة استعمله فيما يسخطه عليه من أنواع المخالفات وهذا يناسب العامة وأما الخاصة فيقال فيه ان أردت أن تعرف قدرك أي منزلتك عنده هل أنت من المقربين أولا فانظر فيماذا يقيمك أي يورده على قلبك من ادراك جلالته وعظمته قال عليه الصلاة والسلام من أراد أن يعلم منزلته عند الله فليعلم منزلة الله من قلبه (متى رزقك الطاعة) أي امتثال الاوامر واجتناب النواهي في ظاهرك (والغنى به عنها) بأن لا تركن اليها في نيل مطلوبك بل تعلق قلبك بمولاك وتغيب عن كل شيء سواه (فاعلم أنه قد أسبغ عليك نعمه ظاهرة) وهي تلك الطاعة (وباطنة) وهي معرفتك التي أوجبت لك الغيبة عنها وعدم رؤيتها (خير ما تطلبه) أي أفضل الأشياء التي تطلبها منه (ماهو طالبه منك) من الاستقامة على سبيل العبودية له فهذا خير لك من طلبك لحظوظك ومراداتك دنيوية كانت أو أخروية فان في ذلك حظا لنفسك ۞ (الحزن على فقدان الطاعة) بضم الفاء وكسرها أي عدم وجودها في الحال (مع عدم النهوض اليها) في المستقبل من

بالوفاء ولكن لما وجدت من الحلاوة والمتعة فتكون في الظاهر قائما لله وفي الباطن انما قمت لحظ نفسك ويخشى عليك أن تكون حلاوة الطاعة جزاء تعجلته في الدنيا فتأتي يوم القيامة ولا جزاء لك ۞ (اذا أردت أن تعرف قدرك عنده فانظر فيماذا يقيمك) هذا ميزان صحيح وقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال من أراد أن يعلم منزلته عند الله فلينظر كيف منزلة الله تعالى من قلبه فان الله عز وجل ينزل العبد عنده حيث أنزله العبد من نفسه وهذا الانزال المذكور المنسوب الى العبد هو معنى الاقامة المذكورة اذ العبد لا فعل له على التحقيق قال الفضيل بن عياض رضي الله تعالى عنه انما يطيع العبد ربه على قدر منزلته منه وقال الشيخ أبو طالب المكي رضي الله تعالى عنه فاذا كان العبد لنظر مولاه مكرما ولحرماته معظما والى محبوبه ومرضاته مسارعا كان الله عز وجل له في الآخرة لوجهه مكرما ولشأنه معظما والى مسرته من النعيم المقيم مسارعا واذا كان العبد بحق مولاه متهاونا وبأمره مستخفا ولشعائره مستصغرا كان الله عز وجل له مهينا وبشأنه متهاونا والى ما يكره من العذاب الأليم له مسارعا والعياذ بالله من ذلك وقال وهب بن منبه رضي الله تعالى عنه قرأت في بعض الكتب يا ابن آدم أطعني فيما أمرتك ولا تعلمني بما يصلحك اني عالم بخلقي انما أكرم من أكرمني وأهين من هان عليه أمري لست بناظر في حق عبدي حتى ينظر عبدي في حقي ۞ (متى رزقك الطاعة والغنى به عنها فاعلم أنه قد أسبغ عليك نعمه ظاهرة وباطنة) المطلوب من العبد شيآن اقامة الأمر في الظاهر والتعلق بالله في الباطن وهو الاستغناء به عن غيره فاذا رزق الله تعالى العبد هذين الأمرين فقد أسبغ الله عليه نعمه ظاهرة وباطنة وأوصله الى غاية الأمل في الدنيا والآخرة سبحانه جل وعلا وقال رضي الله عنه ۞ (خير ما تطلبه ماهو طالبه منك) ان كان لا بد من الطلب منه فاطلب ما هو طالبه منك من الاستقامة على سبيل العبودية له فذلك خير لك من طلبك لحظوظك ومراداتك لأنك حينئذ تكون به وله ويسعفك بمطلوبك عاجلا من غير تأخير وأما ان طلبت منه حظ نفسك ونيل مرادك فقد يحصل في ذلك تأخير ومنع مع ما يفوتك حينئذ من حسن الأدب في الطلب * يحكى عن أبي الحسن الديلمي رضي الله تعالى عنه أنه قال وصف لي بأنطاكية انسان أسود يتكلم على القلوب قال فقصدته فلما رأيته رأيت معه شيئا من المباحات يريد أن يبيعه فساومته وقلت له بكم تبيع هذا فنظر الي ثم قال اقعد فانك جائع مذ يومين حتى اذا بعنا هذا نعطيك منه شيئا قال فمضيت الى غيره وتغافلت كأني لم أسمع ما قال وساومت غيره مما كان بين يديه ثم رجعت اليه وقلت له بكم تبيع هذا فنظر الي وقال اقعد فانك جائع مذ يومين حتى اذا بعنا هذا نعطيك من ثمنه شيئا قال فوقع في قلبي منه هيبة فلما باع ذلك أعطاني شيئا ومضى قال فمضيت خلفه لعلي أستفيد منه شيئا قال فالتفت الي وقال اذا عرضت لك حاجة فأنزلها بالله الا أن يكون لك فيها حظ فتحجب بها عن الله تعالى * ومن دعاء أبي القاسم الجنيد رضي الله تعالى عنه اللهم وكل سؤال سألتك فعن أمرك لي بالسؤال فاجعل سؤالي اليك سؤال محابك ولا تجعلني ممن يتعمد بسؤاله مواضع الحظوظ بل يسأل القيام بواجب حقك ومن دعائه أيضا اللهم اني أسألك منك ما هو لك وأستعيذك من كل أمر يسخطك اللهم ولا تشغلني بشغل من يشغله عنك ما أراده منك الا أن يكون لك اللهم اجعلني ممن يذكرك ذكر من لا يريد بذكره منك الا ما هو لك اللهم اجعل غاية قصدي اليك ما هو لك ولا تجعل قصدي اليك ما أطلبه منك ۞ (الحزن على فقدان الطاعة مع عدم النهوض اليها

(من علامات الاغترار) أي النمو بل على ما لا حقيقة له وهذا هو الحزن الكاذب الذي يكون معه البكاء الكاذب كما قيل كم من عين جارية وقلب قاس وهو آمن من مكر الله الخفي حيث منعه مما ينفعه وأعطاه مما يغتر به من الحزن والبكاء فانه قد يستحسن بذلك حاله ويعد نفسه شيئاً أما الحزن الصادق وهو الذي يبعث على الطاعات ويكون معه البكاء الصادق فهو من مقامات السالكين قال أبو علي الدقاق صاحب الحزن يقطع من طريق الله في شهر ما لا يقطعه من فقد حزنه في سنين (ما العارف من اذا أشار) الى شيء من أسرار الحق سبحانه (وجد الحق أقرب اليه من اشارته) بأن كان حاضراً معه لم يغب عنه بل هو ملاحظه في حال اشارته وأقرب اليه منها فهذا ليس بعارف حقيقة لبقائه مع نفسه لأنه حينئذ ملاحظاً أن هناك مشيراً ومشاراً اليه ومشاراً به وما دام يتعقل أنه مشير والحق مشار اليه وذلك الكلام الذي صدر منه إشارة فهو الى الآن لم يفن عن نفسه ولم يخرج عن دائرة حسه والاشارة ألطف

من العبارة لأنها ايماء فقط وتلويح لا تصريح وهي التي يستعملها أهل الطريق رضي الله تعالى عنهم فيما بينهم عند ذكرهم لما يفتح الله به عليهم من الأسرار التوحيدية والعلوم اللدنية والمواجيد والأذواق فالمشير الى شيء من ذلك الملاحظ لاشارته وان وجد الله تعالى أقرب اليه منها بأن لم يغب عنه في حال الاشارة غير عارف على التحقيق لأنه بوصف التفرقة بشهوده للأغيار (بل العارف) حقيقة (من لا اشارة له) أي من لا يشهد أن له اشارة وان وقعت منه (لفنائه في وجوده وانطوائه في شهوده) الضمير لذلك العارف وفي بمعنى عن أي لفنائه عن وجود نفسه وانطوائه عن شهودها ويحتمل عوده للحق سبحانه وتعالى أي ان العارف حقيقة هو الذي غاب عن الاشارة والمشير والمشار به فاذا وقعت منه اشارة لا يشهدها ولا يشعر بها لكون المشير والمشار اليه حينئذ هو الله تعالى لأن العارف حينئذ في مقام الجمع ومن كان كذلك فهو غائب عن رؤية نفسه قال الشيخ يوسف العجمي قدس الله سره من تكلم في مقام الجمع فليس بمتكلم وانما المتكلم الحق سبحانه على لسان عبده وهو قوله في الخبر القدسي فبي يسمع وبي يبصر وبي ينطق اه وسئل بعضهم عن الفناء فقال هو أن تبدو العظمة والجلال على العبد فتنسيه الدنيا والآخرة والدرجات والأحوال والمقامات والأذكار وتفنيه عن كل شيء وعن عقله وعن نفسه وفنائه عن الأشياء وعن فنائه عن الفناء فيغرق في التعظيم اه (الرجاء) أي الحقيقي (ما قارنه عمل) أي ما كان باعثاً على الاجتهاد في الأعمال كما مر في الحزن لأن من رجا شيئاً طلبه ومن خاف من شيء هرب منه (والا) بأن لم يقارنه عمل بل كان يفتر صاحبه عن العمل ويجرئه على المعاصي والذنوب (فهو أمنية) أي فليس برجاء حقيقة عند العلماء بل هو أمنية واغترار بالله تعالى ويقال أيضاً رجاء كاذب قال تعالى فخلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب يأخذون عرض هذا

من علامات الاغترار) هذا هو الحزن الكاذب الذي يكون معه البكاء الكاذب كما قالوا كم من عين جارية وقلب قاس وهو آمن من مكر الله تعالى الخفي حيث منعه ما ينفعه وأعطاه ما يغتر به من الحزن والبكاء سمعت رابعة رضي الله تعالى عنها رجلاً يقول واحزناه فقالت قل واقلة حزناه لو كنت محزوناً لم يتهيأ لك أن تتنفس وأما الحزن الصادق فبخلاف هذا وهو مقام من مقامات السالكين وهو يبعث على الانكماش في الأعمال والنهوض الى الطاعات على كل حال قال الشيخ أبو علي الدقاق رضي الله تعالى عنه صاحب الحزن يقطع من طريق الله عز وجل في شهر ما لا يقطعه من فقد حزنه في سنين وفي الخبر ان الله يحب كل قلب حزين وفي التوراة ان الله اذا أحب عبداً نصب في قلبه نائحة واذا أبغض عبداً نصب في قلبه مزماراً وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم متواصل الأحزان دائم الفكر وقيل الحزن اذا فقد من القلب خرب ومن لم يذق طعم الحزن لم يذق لذة العبادة فاذا الحزن الذي يجده العبد من نفسه ان لم يبعثه على النهوض والانكماش والاجتهاد فذلك من علامات الاغترار وليس بمقام السالكين الأبرار (ما العارف من اذا أشار وجد الحق أقرب اليه من اشارته بل العارف من لا اشارة له لفنائه في وجوده وانطوائه في شهوده) الاشارة ألطف من العبارة وهي كناية وتلويح وايماء لا تصريح وهي التي يستعملها أهل هذه الطريقة فيما بينهم عند ذكرهم لأسرار التوحيد كما تقدم عند قوله من رأيته مجيباً عن كل ما سئل ومعبراً عن كل ما شهد فالمشير الى الله تعالى الملاحظ لاشارته وان وجد الله تعالى أقرب اليه من اشارته غير عارف على التحقيق لأنه بوصف التفرقة بشهوده للأغيار بل العارف الفاني في وجوده المنطوي في شهوده الذي غاب عن الاشارة والمشير والمشار به سئل الشيخ أبو علي الدقاق رضي الله تعالى عنه عن المريد فقال حقيقة المريد أن يشير الى الله تعالى فيجد الله مع نفس الاشارة قيل له فالذي يستوعب حاله قال هو الذي يجد الله باسقاط الاشارة وسئل أبو علي الروذباري رضي الله تعالى عنه عن الاشارة فقال الاشارة الابانة عما يتضمنه الوجد من المشار اليه لا غير وفي الحقيقة ان الاشارة تصحبها العلل والعلل بعيدة من عين الحقائق وقال الشبلي رضي الله تعالى عنه كل اشارة أشار بها الخلق الى الحق فهي مردودة عليهم حتى يشيروا الى الحق بالحق وليس لهم الى ذلك طريق وقال أبو يزيد رضي الله تعالى عنه أبعدهم من الله أكثرهم اشارة اليه (الرجاء ما قارنه عمل والا فهو أمنية) الرجاء

الأدنى ويقولون سيغفر لنا والخلف الردىء من الناس وقال ﷺ الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأماني (مطلب العارفين من الله تعالى) أعلى من مطلب غيرهم سواء كان عابدا أو زاهدا أو عالما لأن مطلبهم انما هو (الصدق فى العبودية) وهو التزام آدابها والتخلق بأخلاقها والقيام بحقوق الله فيها كالشكر على ما أولاه والصبر على ما ابتلاه ومعاداة من عاداه وموالاة من والاه وترك الاختيار عليه والتدبير معه ودوام المراقبة له والوقوف ببابه لابسا ثوب التواضع والذلة باسطا يد الفقر متمسكا بحبل الرجاء مرتديا برداء الخشية الى غير ذلك من أوصاف العبودية وأخلاقها فمن صدق فى ذلك كان موفيا بما عاهد الله عليه (والقيام بحقوق الربوبية) (٦٤) عارفين فى ظاهرهم بالطاعة وفى باطنهم بالمراقبة له ودوام الحضور معه أى انهم لا يطلبون منه الاهذين الامرين من غير مراعاة حظ ولا بقاء مع نفس بخلاف من عداهم فانه لم يفارق الحظوظ والاغراض فى مطلبه فلذا كان مطلبهم أعلى المطالب قال أبو مدين قدس الله سره شتان بين من همته الحور والقصور ومن همته رفع الستور ودوام الحضور (بسطك) أيها العارف (كى لا يبقيك مع القبض) الذى فيه قهر لنفسك وان كان فيه نفع لك كما سيأتى (وقبضك كى لا يتركك مع البسط) الذى فيه حظ لها (وأخرجك عنهما) بفنائك عن نفسك وبقائك به (كى لا تكون لشىء دونه) فلا تكون باقيا مع شىء من أوصافك المؤلمة ولا المؤنسة فان ذلك حجاب لك عن ربك ويسمى حالك حينئذ اعتدالا لا قبضا ولا بسطا والمعنى لون عليك الأحوال لتتمكن وتفنى عنها فالقبض لأهل البدايات من العارفين ولولاه لما انمحقت حقائقهم وانكفت عن العوائد والشهوات والبسط لأهل الاشراق على مبادى الفتح كى تسترسل قواهم وتستعين همومهم بما ترتاح اليه من نسمات الحق وشواهد رضاه والاعتدال لأهل النهايات كى تستقيم أحوالهم وتصفوا أعمالهم ويدوموا بين يدى مولاهم بلا علة ويؤخذ من ذلك أن القبض والبسط وصفان ناقصان بالنسبة الى ما فوقهما لأنهما يقتضيان بقاء العبد وجوده لكنهما يتوصل بهما الى التمكن فمن لطف الله تعالى بعبده تلوينه فيهما ثم اخراجه عنهما بفنائه عن نفسه وبقائه بربه فهما من أحوال المبتدئين من العارفين يتلونون فيهما كما يتلون المبتدئون من المريدين فى الرجاء والخوف ويفترقان بأن الرجاء والخوف يصحو بان بتوقع أمر يحصل فى المستقبل

مقام شريف من مقامات اليقين وهو يبعث على الاجتهاد فى الأعمال كما ذكرناه فى الحزن لأن من رجا شيئا طلبه ومن خاف من شىء هرب منه وأما الرجاء الكاذب الذى يفتر صاحبه عن العمل ويجرئه على المعاصى والذنوب فليس هذا برجاء عند العلماء ولكنه أمنية واغترار بالله تعالى وقد ذم الله قوما ظنوا مثل هذا وأصروا على حب الدنيا والرضا بها وتمنوا المغفرة على ذلك فسماهم خلفا والخلف الردىء من الناس فقال عز من قائل فخلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب يأخذون عرض هذا الأدنى ويقولون سيغفر لنا قال معروف الكرخى رضى الله تعالى عنه طلب الجنة بلا عمل ذنب من الذنوب وارتجاء الشفاعة بلا سبب نوع من الغرور وارتجاء رحمة من لا يطاع جهل وحمق وقال معروف الكرخى أيضا رضى الله عنه رجاؤك الرحمة ممن لا تطيعه خذلان وحمق واعلم أنه ليس فى أفعال الحق سبحانه ما يوجب أن يؤمن عقابه انما فى أفعاله ما يمنع اليأس من رحمته وكما لا يحسن أن يظهر من لطفه فى خلقه لا يحسن الطمع فى جانبه ويؤمن أخذه وانتقامه فان من قطع أشرف عضو بربع الدينار لا يؤمن أن يكون عذابه غدا هكذا وقد قالوا من زعم أن الرجاء مع الاصرار صحيح فليزعم أن طلب الربح فى القبر وقدح النار فى البحر صحيح وفى الحديث عن رسول الله ﷺ أنه قال الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله تعالى الأمانى وقال الحسن رضى الله تعالى عنه ان قوما ألهتهم أمانى المغفرة حتى خرجوا من الدنيا وليس لهم حسنة يقول أحدهم أحسن الظن بربى وهو يكذب لو أحسن الظن بربه لأحسن العمل وتلا قول الله عز وجل وذلكم ظنكم الذى ظننتم بربكم أرداكم فأصبحتم من الخاسرين وكان يقول رضى الله تعالى عنه عباد الله اتقوا هذه الأمانى فانها أودية الهلكة تحلون فيها والله ما آتى الله عبدا بأمانيه خيرا فى الدنيا ولا فى الآخرة وكتب أبو عمير المنصورى الى بعض أخوانه أما بعد فانك قد أصبحت تؤمل بطول عمرك وتتمنى على الله الأمانى بسوء فعلك وانما تضرب حديدا باردا ۞ (مطلب العارفين من الله تعالى الصدق فى العبودية والقيام بحقوق الربوبية) مطلب العارفين من ربهم أعلى من مطالب غيرهم سواء كانوا عبادا أو زهادا أو علماء لأن مطلب العارفين من ربهم انما هو الصدق فى العبودية والقيام بحقوق الربوبية فقط من غير مراعاة حظ ولا بقاء مع نفس وكل من عداهم لم يفارقوا الحظوظ والأغراض فى مطالبهم وقد تقدم من كلام المؤلف رحمه الله تعالى خير ما تطلبه منه ما هو طالبه منك قال سيدى أبو مدين رضى الله تعالى عنه شتان بين من همته الحور والقصور وبين من همته رفع الستور ودوام الحضور ۞ (بسطك كى لا يبقيك مع القبض وقبضك كى لا يتركك مع البسط وأخرجك عنهما كى لا تكون لشىء دونه)

إنما معه توقع أمر محذور فخوف أو محبوب فرجاء ومثلا لا توقع معه فقبض فى الأول وبسط فى الثانى وسببهما الواردات التى ترد على باطن
العارف وقوتهما وضعفهما بحسب قوة الوارد وضعفه فإذا على القلب وارد الجلال حصل (٦٥) فيه القبض وإذا على فيه وارد الجمال
حصل فيه البسط فالقبض
بوارد حاصل فى الوقت
وكذلك البسط لأن
العارف لا يهتم لنفسه حتى
يراعي مستقبلات الأمور
(العارفون إذا بسطوا
أخوف منهم) أى أكثر
خوفا من أنفسهم (إذا
قبضوا) وذلك لملاءمة
البسط لهوى أنفسهم
فيخافون حينئذ من
الوقوع فيما تدعو إليه من
التحدث بالأحوال
والكرامات وغيرها ور بما
كان فى ذلك الطرد والبعد
وأيضا فقد يصدر منه فى ذلك
الوقت كلام لا يليق بحضرة
الرب جل جلاله وحينئذ
يتأكد عليهم فى ذلك
ملازمة الأدب ودوام
الانقباض والانكسار
وذلك أمر عسير فى هذا
الحال ولذا قال (ولا يقف
على حدود الأدب فى
البسط إلا قليل) قال فى
لطائف المنن البسط مزلة
أقدام الرجال فهو موجب
لمزيد حذرهم وكثرة لجئهم
والقبض أقرب إلى وجود
السلامة لأنه وطن العبد
إذ هو فى أسر قبضة الله
وإحاطة الحق محيطة به
ومن أين يكون للعبد
البسط وهذا شأنه والبسط خروج عن حكم وقته والقبض هو اللائق بهذه الدار إذ هي

وطن التكليف وإبهام الخاتمة وعدم العلم بالسابقة والمطالبة بحقوق الله تعالى اهـ (البسط تأخذ النفس منه حظها بوجود الفرح والقبض
لا حظ للنفس فيه) فى هذا إشارة لما تقدم من أن مراعاة الأدب فى البسط من الأمر العسير فلذا كان لا يقف عند حدود الأدب فيه إلا

القبض والبسط من الحالات التى يتلون بها العارفون وهما بمنزلة الخوف والرجاء للمريدين المبتدئين
وسببهما الواردات التى ترد على باطن العبد وقوتهما وضعفهما بحسب قوة الواردات وضعفها والمقصود
ههنا أنهما وصفان ناقصان بالنسبة إلى ما فوقهما فإنهما يقتضيان بقاء العبد ووجوده فمن لطف الله بعبده
تمكينه فيهما ثم إخراجه عنهما بفنائه عن نفسه وبقائه به قال فارس رضى الله تعالى عنه القبض
أولا ثم البسط ثم لا قبض ولا بسط لأن القبض والبسط يقعان فى الوجود وأما مع الفناء والبقاء فلا وكان
الجنيد رضى الله تعالى عنه يقول الخوف يقبضني والرجاء يبسطني والحقيقة تجمعني والحق يفرقني إذا
قبضني بالخوف أفناني عني وإذا بسطني بالرجاء ردني علي وإذا جمعني بالحقيقة أحضرني وإذا فرقني بالحق
أشهدني غيري فغطاني عنه فهو فى ذلك كله محركي غير ممسكي وموحشي غير مؤنسي فحضوري أذوق
طعم وجودي فليته أفناني عني فمتعني أو غيبني عني فروحني وقد تكلم صاحب كتاب عوارف المعارف
فى القبض والبسط بكلام بديع طويل تركت نقله ههنا اختصارا فمن أراده فلينظره هناك ۞ (العارفون
إذا بسطوا أخوف منهم إذا قبضوا ولا يقف على حدود الأدب فى البسط إلا قليل) إنما اشتد خوف
العارفين فى البسط ما لم يشتد فى القبض من قبل ملاءمته لهوى أنفسهم بخلاف القبض كما سيقوله
المؤلف فيخافون حينئذ من رجوعهم إليه وذوقهم لطعم نفوسهم وفى ذلك الطرد والبعد وقد كتب
يوسف بن الحسين الرازى إلى الجنيد رضى الله تعالى عنهما لا أذاقك طعم نفسك فإنك إن ذقتها
لا تذوق بعدها خيرا أبدا ومن ثم يتأكد عليهم فى ذلك ملازمة الأدب ودوام الانقباض والانكسار
وذلك أمر عسير فى هذا الحال ولذلك لا يقف على حدود الأدب فى البسط إلا قليل كما قال المؤلف رحمه الله
تعالى وقد قيل قف على البساط وإياك والانبساط وقال رجل لأبى محمد الجريرى رضى الله تعالى عنه
كنت على بساط الأنس وفتح علي طريق البسط فزللت زلة فحجبت عن مقامي فكيف السبيل إليه
دلني على الوصول إلى ما كنت عليه فبكى أبو محمد وقال يا أخي الكل فى قهر هذه الحيطة لكني أنشدت
أبياتا لبعضهم وأنشأ يقول

قف بالديار فهذه آثارهم * نبكي الأحبة حسرة وتشوقا
كم قد وقفت بربعها مستخبرا * عن أهلها أو سائلا أو مشفقا
فأجابني داعي الهوى فى رسمها * فارقت من تهوى فعز الملتقى

وسئل بعض المشايخ عن هذه الزلة فقال الانبساط مع الحق بغير أدب قال الأستاذ أبو القاسم القشيرى
رضى الله تعالى عنه ومن هذا خشي الأكابر والسادة قال فى لطائف المنن البسط مزلة أقدام الرجال فهو
موجب لمزيد حذرهم وكثرة لجئهم والقبض أقرب إلى وجود السلامة لأنه وطن العبد إذ هو فى أسر قبضة
الله وإحاطة الحق محيطة به ومن أين يكون للعبد البسط وهذا شأنه والبسط خروج عن حكم وقته والقبض
هو اللائق بهذه الدار إذ هي وطن التكليف وإبهام الخاتمة وعدم العلم بالسابقة والمطالبة بحقوق الله تعالى
قال وأخبرني بعض الصوفية قال رأى شيخنا شيخه فى المنام بعد موته مقبوضا فقال يا أستاذ ما لك
مقبوضا فقال له يا بني القبض والبسط مقامان لم نوفهما فى الدنيا فأخذنا بهما فى الآخرة قال وكان هذا
الشيخ الغالب عليه فى حياته البسط انتهى ۞ (البسط تأخذ النفس منه حظها بوجود الفرح
والقبض لا حظ للنفس فيه) فى هذا إشارة لما تقدم من أن مراعاة الأدب فى البسط أمر عسير

وذلك أن في البسط وجود حظ للنفس فيستولي عليها الفرح بذلك فلا يتمالك حتى يقع في سوء الأدب والقبض ليس فيه حظ للنفس فلذلك كان أسلم وكان الاستاذ أبو علي الدقاق رضي الله تعالى عنه يقول القبض حق الحق منك والبسط حق العبد منه ولأن يكون بحقه منك أتم من أن تكون بحظك منه وأما آداب القبض والبسط فلا أعلم الآن من استوفى الكلام فيهما من علماء الصوفية ومصنفيهم وانما وجدنا لهم من ذلك اشارات الى أمور جلية كقول الامام أبي القاسم القشيري رضي الله تعالى عنه بعد أن تكلم على لفظي القبض والبسط وتبيين معانيهما الى أن قال وقد يكون قبض يشكل على صاحبه سببه يجد في قلبه قبضا لا يدري ما موجبه وسببه وسبيل صاحب هذا القبض التسليم حتى يمضي ذلك الوقت لأنه لو تكلف نفيه أو استقبل الوقت قبل هجومه عليه باختياره زاد في قبضه ولعله يعد ذلك منه سوء أدب واذا استسلم لحكم الوقت فعن قريب يزول القبض فان الحق سبحانه قال والله يقبض ويبسط وقد يكون بسط يرد بغتة ويصادف صاحبه فلتة لا يعرف له سببا يهز صاحبه ويستفزه فسبيل صاحبه السكون ومراعاة الأدب فان في هذا الوقت له خطر عظيم فليحذر صاحبه مكرا خفيا كما قال بعضهم فتح علي باب من البسط فزللت زلة فحجبت عن مقامي اهـ كلام الامام أبي القاسم وقد رأيت كلاما مبسوطا مستوفى في آداب القبض والبسط لسيدي أبي الحسن الشاذلي رضي الله تعالى عنه فأحببت أن أذكره ههنا لتتم به الفائدة التي تعرض لها المؤلف رحمه الله تعالى وان كان كلام الشيخ أبي الحسن في ذلك أعم مما هو عند غيره من أئمة الصوفية * قال رضي الله تعالى عنه القبض والبسط قلما يخلو العبد منهما وهما يتعاقبان كتعاقب الليل والنهار والحق سبحانه يقتضي منك العبودية فيهما فمن كان وقته القبض فلا يخلو من أن يعلم سببه أو لا يعلم وأسباب القبض ثلاث ذنب أحدثته أو دنيا ذهبت عنك أو نقصت لك أو ظالم يؤذيك في نفسك أو في عرضك أو ينسبك لغير دين أو غير ذلك فاذا ورد عليك القبض من أحد هذه الأسباب فالعبودية تقتضي أن ترجع الى العلم مستعملا له كما أمرك الله تعالى أما في الذنب فبالتوبة والانابة وطلب الاقالة وأما فيما ذهب عنك من الدنيا أو نقص فبالتسليم والرضا والاحتساب وأما فيما يؤذيك به ظالم فبالصبر والاحتمال واحذر أن تظلم نفسك فيجتمع عليك ظلمان ظلم غيرك لك وظلمك لنفسك فان فعلت ما التزمت به من الصبر والاحتمال أثابك سعة الصدر حتى تعفو وتصفح وربما أثابك من نور الرضا ما ترحم به من ظلمك فتدعو له فتجاب فيه دعوتك وما أحسن ذلك اذا رحم الله بك من ظلمك فتلك درجات الصديقين الرحماء وتوكل على الله ان الله يحب المتوكلين وأما اذا ورد عليك القبض ولم تعلم له سببا فالوقت وقتان ليل ونهار فالقبض أشبه شيء بالليل والبسط أشبه شيء بالنهار فاذا ورد القبض بغير سبب تعلمه فالواجب عليك السكون والسكون على ثلاثة أشياء عن الأقوال والحركات والارادات فان فعلت ذلك فعن قريب يذهب عنك الليل بطلوع شمس نهارك أو يبدو نجم تهتدي به أو قمر تستضيء به أو شمس تبصر بها والنجوم نجوم العلم والقمر قمر التوحيد والشمس شمس المعرفة وان تحركت في ظلمة ليلك فقلما تسلم من الهلاك واعتبر بقوله تعالى ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون فهذا حكم العبودية في القبض جميعا وأما من كان وقته البسط فلا يخلو من أن يعلم له سببا أو لا والأسباب ثلاثة الأول زيادة في الطاعة أو نوال في المطاع كالعلم والمعرفة والسبب الثاني زيادة من دنيا بكسب أو كرامة أو هبة أو صلة والسبب الثالث بالمدح والثناء من الناس واقبالهم عليك بطلب الدعاء منك وتقبيل يديك فاذا ورد عليك البسط من أحد هذه الأسباب فالعبودية تقتضي أن ترى أثر النعمة والمنة من الله عليك واحذر أن ترى شيئا من ذلك لنفسك وحصنها أن لا يلازمها خوف السلب مما به أنعم عليك فتكون ممقوتا هذا

القليل بخلاف القبض فكأنه يقول انما كان كذلك لأن النفس تأخذ منه حظها ومن شأن النفس اذا وجدت حظها الغفلة ونسيان الحقوق والدعوى باظهار ما عندها من العلوم والفهوم والاحوال والاسرار والتحدث بالخصوصية والتلذذ بنسبة الخوارق والاشارة الى الكرامات وادراك المقامات كل على حسب حاله وكل ذلك مناف للعبودية بخلاف القبض فانه لا حظ للنفس فيه فلا تمالك أن تظهر شيئا من ذلك فهو أقرب للسلامة ووجود القدرة على الوفاء بآداب العبودية ولذا آثره العارفون على البسط

(ربما أعطاك) شيئا من الدنيا ولذتها (فمنعك) التوفيق لطاعته والاقبال عليه والفهم عنه (وربما منعك) من الأول (فأعطاك) الثاني فمنع الله لك من نيل شهواتك ولذاتك والسكون مع شئ وعاداتك عطاء جزيل منه لأنه أبقاك معه واقتطعك عن حظوظك وأغراضك وعكس ذلك هو المنع على التحقيق وان كان عطاء في الظاهر فلا تنظر لظاهر العطاء والمنع بل لحقيقة الأمر وحينئذ فيجب على العبد أن يترك التدبير والاختيار لمولاه (متى فتح لك باب الفهم في المنع) بأن فهمت أن ذلك المنع رحمة منه بك ولولا أنه يعلم أنه خير لك من العطاء لما أنزله بك (عاد المنع) أي صار (عين العطاء) ومن الفهم في المنع ما سيأتي في قوله ومتى منعك أشهدك قهره الخ (الأكوان) أي المكونات التي للنفس فيها حظ من متاع الدنيا وزهرتها (ظاهرها غرة) بكسر الغين أي سبب في الاغترار بها لحسنها وبهجتها (وباطنها عبرة) بكسر العين أي سبب في الاعتبار بها والانكفاف عنها لقبحها وخستها والنظر الى عاقبتها وهي الفناء فهي حسنة الظاهر قبيحة الباطن فمن نظر الى ظاهرها وجدها حلوة نضرة فيغتر بها ويميل اليها ومن نظر الى باطنها وجدها جيفة قذرة فيعتبر بها وينكف عنها (فالنفس تنظر الى ظاهر غرتها) أي زينتها الظاهرة فتغتر بها وتهلك صاحبها (والقلب ينظر الى باطن عبرتها) أي الى قبائحها الباطنة فيعتبر بها ويسلم من شرها (ان أردت أن يكون لك عز لا يفنى) بأن تستغني عن جميع الأسباب بوجود مسببها لأنه باق فيكون تعلقك به عزا لا يفنى (فلا تستعزن بعز يفنى) بأن تستغني بها مع الغيبة عن مسببها لأنها فانية فيكون تعلقك بها عزا لا يبقى بل يزول بزوالها فان اعتززت بالله دام عزك ولم يقدر أحد أن يذلك وان اعتززت بغيره من مال أو جاه أو نحوهما بأن ركنت اليه وجعلته

في جانب الطاعة والنوال من الله تعالى وأما الزيادة من الدنيا فهي نعمة أيضا كالأولى وخف مما بطن منا فانها وانما مدح الناس لك وثناؤهم عليك فالعبودية تقتضي شكر النعمة بما ستره عليك وخف من الله تعالى أن يظهر ذرة مما بطن منك فيمقتك أقرب الناس اليك فهذه آداب القبض والبسط في العبودية وأما البسط الذي لا نعلم له سببا بحق العبودية فيه ترك المسؤل والادلال والصولة على النساء والرجال اللهم الا أن تقول سلم سلم الى الممات فهذه آداب القبض والبسط في العبودية جميعا ان عقلت والسلام انتهى ما ذكره الشيخ أبو الحسن وكلامه في ذلك حسن والحمد لله الذي بيده نواصي المنن

﴿(ربما أعطاك فمنعك وربما منعك فأعطاك)﴾ منع الله تعالى عبده من نيل شهواته ولذاته والسكون مع شئ من عاداته عطاء جزيل منه لأنه أبقاه معه واقتطعه عن حظوظه وأغراضه وجرده منها وعكس هذا هو المنع على التحقيق وان كان عطاء في الظاهر قال الشيخ محيي الدين بن العربي اذا منعت فذلك عطاؤه واذا أعطيت فذلك منعه فاختر الترك على الأخذ والواجب على العبد أن يترك التدبير والاختيار لمن بيده ذلك فلن يعدم منه خيرا ﴿(متى فتح لك باب الفهم في المنع عاد المنع عين العطاء)﴾ سيأتي بيان هذا من كلام المؤلف رحمه الله في قوله متى أعطاك أشهدك بره ومتى منعك أشهدك قهره الى آخره ﴿(الأكوان ظاهرها غرة وباطنها عبرة فالنفس تنظر الى ظاهر غرتها والقلب ينظر الى باطن عبرتها)﴾ الأكوان ههنا كل ما يمكن أن يكون للنفس فيه حظ من متاع الدنيا وزهرتها وهي رائقة الظاهر قبيحة الباطن كما قيل

تعلى وجه مي مسحة من ملاحة * وتحت الثياب العار لو كان باديا

فهي من حيث ظاهرها محبوبة حلوة خضرة وبالنظر الى باطنها جيفة قذرة فالنفس تنظر الى زينتها الظاهرة فتغتر بها فتهلك صاحبها والقلب ينظر الى قبائحها الباطنة فيعتبر بها فيسلم من شرها وقد روي في الكتب السالفة أن الحواريين قالوا لعيسى عليه السلام يا روح الله صف لنا أولياء الله تعالى الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون فقال عليه السلام هم الذين بهم نطق الكتاب وبه نطقوا وبهم علم الكتاب وبه علموا وبهم قام الكتاب وبه قاموا نظروا الى باطن الدنيا حين نظر الناس الى ظاهرها وعاينوا آجل الدنيا حين عاين الناس عاجلها فأماتوا منها ما خشوا أن يميتهم وتركوا منها ما علموا أن سيتركهم فصار ذكرهم فيها فوتا وفرحهم فيها حزنا ما عارضهم منها رفضوه وما شرف لهم بغير الحق وضعوه خلقت الدنيا عندهم فلم يجددوها وخربت بينهم فلم يعمروها وماتت في صدورهم فلم يحيوها بعد موتها وبنوا بها آخرتهم أحيوا ذكر الموت وأماتوا ذكر الحياة يحبون الله ويحبون ذكره ويستضيئون بنوره ويضيئون به لهم الخبر العجيب وعندهم الخبر العجيب وكان بعض الأولياء يقول ما سطع لي زخرفة من زخرف الدنيا الا كشف لي باطنه فظهر لي مغرور عنها قال أبو طالب المكي فهذه عناية من الله تعالى لمن وليه من أوليائه المقربين بينه لمن شهد الدنيا بأول وصفها لم يغتر بآخره ومن عرفها بباطن حقيقتها لم يعجب بظاهرها ومن كشف له بعاقبتها لم يستهوه زخرفها وكان عيسى عليه السلام يقول ويلكم علماء السوء مثلكم مثل قناة الحش ظاهرها جص وباطنها نتن ﴿(ان أردت أن يكون لك عز لا يفنى فلا تستعزن بعز يفنى)﴾ العز الذي لا يفني هو الغنى عن الأسباب كلها

معتمدك وغفلت عن مولاك فلا بقاء لعزك اذ لا بقاء لمن أنت به معتز ولذا سمع بعض العارفين شخصا يبكي فقال له ما شأنك فقال مات أستاذي فقال له العارف ولم جعلت أستاذك من يموت (الطي الحقيقي أن تطوى) أيها المريد (مسافة الدنيا عنك) بأن لا تشتغل بلذاتها وشهواتها ولا تركن اليها بل تغيب عنها (حتى ترى الآخرة أقرب اليك منك) أي تكون نصب عينيك ليست غائبة عن قلبك فهذا هو الطي الحقيقي الذي يكرم الله به أولياءه وبه تتحقق عبوديتهم لربهم لا طي مسافة الأرض بأن تكون من أهل الخطوة لأنه ربما كان استدراجا ومكرا ولا طي الليالي والأيام بالقيام والصيام لأنه ربما قارنه رياء أو عجب فتكون عاقبته الخسران ولا يمكن أن تطوى عن العبد مسافة الدنيا الا اذا أشرق نور اليقين في قلبه فحينئذ تنعدم الدنيا في نظره ويرى الآخرة حاضرة لديه موجودة عنده ومن كانت هذه مشاهدته لا يتصور منه حب الفاني وهو الدنيا واستبداله بالباقي وهو الآخرة أما اذا لم يشرق نور اليقين في قلبه كان راغبا في الدنيا مؤثرا لها على الآخرة راكنا اليها وغائبا عن مولاه لضعف يقينه وتقواه (العطاء من الخلق) أي اذا أعطوك شيئا فأخذته غافلا عن مولاك فهو وان كان عطاء ظاهرا (حرمان) باطنا أي في الحقيقة ونفس الأمر لما فيه من رؤيتك لغير الله تعالى ووقوفك مع حظوظك (والمنع من الله) أي منع الله لك وعدم اعطائك (احسان) حيث لم يغب وعافاك قلبك عنه فهو وان كان منعا ظاهرا اعطاء باطنا لأنه ألزمك الوقوف ببابه وعافاك من وجود حجابه وان شئت قلت العطاء من الخلق حرمان لما فيه من وجود محبتك لهم على ذلك وتقلد منتهم في أخذ عطيتهم والمنع من الله احسان لأنه حبيبك وكل ما يفعله المحبوب محبوب * وفي وصية علي كرم الله وجهه لا تجعل بينك وبين الله منعما واعدد نعمة غيره عليك مغرما * وهو يناسب المعنى الأول

بوجود سببها لأنه باق لا يفنى فالتعلق به عز لا يفنى والعز الذي يفنى هو الغنى بالأسباب مع الغيبة عن مسببها لأنها فانية فالتعلق بها عز فان فلا يبقى مع التعلق بالله عز لا يفنى وليس لك الا أحدهما لأنهما ضدان لا يجتمعان فان اخترت العز الباقي بالله تعالى لم يقدر أحد أن يذلك * يحكى أن رجلا أمر بالمعروف هرون الرشيد فحرد عليه هرون الرشيد وكانت له بغلة سيئة الخلق فقال اربطوه معها لتقتله برمحها ففعلوا ذلك فلم تضره فقال اطرحوه في بيت وطينوا عليه الباب ففعلوا ذلك فرؤي في بستان وباب البيت مسدود فأخبر هرون الرشيد بذلك فأتى بالرجل فقال من أخرجك من البيت فقال الذي أدخلني البستان فقال ومن أدخلك البستان فقال الذي أخرجني من البيت فقال اركبوه دابة وطوفوا به في البلد وليقل قائل الا ان هرون قد أراد أن يذل عبدا أعزه الله فلم يقدر وان أردت العز بالأسباب خذلتك وأسلمتك أحوج ما تكون اليها وكنت في غاية الذل والهوان * يحكى عن بعضهم أنه قال رأيت رجلا في الطواف وبين يديه شاكرية يطردون الناس فبعد ذلك بمدة رأيت انسانا يتكفف الناس على الجسر يسأل شيئا قال فنظرت اليه وشبهته بذلك الرجل فقال لأي شيء تنظر فقلت أشبهك برجل رأيته في الطواف من شأنه كذا وكذا فقال أنا ذلك الرجل تكبرت في موضع يتواضع فيه الناس فوضعني الله في موضع يترفع فيه الناس قال في التنوير فان اعتززت بالله دام عزك وان اعتززت بغيره فلا بقاء لعزك اذ لا بقاء لمن أنت به معتز قال وأنشدنا بعض الفضلاء لنفسه

اجعل بربك شأن عزك * يستقر ويثبت
فان اعتززت بمن يموت * فان عزك ميت

قال ودخل انسان على بعض العارفين وهو يبكي فقال ما شأنك قال مات أستاذي فقال له ذلك العارف ولم جعلت أستاذك من يموت ويقال لك اذا اعتززت بغير الله فقدته واستندت الى غيره فعدمته وانظر الى الهك الذي ظلت عليه عاكفا لنحرقنه ثم لننسفنه في اليم نسفا انما الهكم الله الذي لا اله الا هو وسع كل شيء علما ۞ (الطي الحقيقي أن تطوى مسافة الدنيا عنك حتى ترى الآخرة أقرب اليك منك) طي مسافة الدنيا انما يتصور من العبد اذا أشرق نور اليقين في قلبه فحينئذ تنعدم الدنيا في نظره وتنطوي في اعتباره ويرى الآخرة حاضرة لديه موجودة عنده بل يراها أقرب اليه منه اذ كانت منطوية بهذا الاعتبار فمن كانت هذه مشاهدته لا يتصور منه حب الغائب الفاني وهو الدنيا واستبداله بالحاضر الباقي وهو الآخرة ولذلك كان أصل الرغبة في الدنيا وايثارها على الآخرة ضعف اليقين فمن لم يشرق في قلبه نور اليقين لم يشاهد الملك الكبير ومن لم يشاهده أحب الدنيا وهي لا شيء فلم تكن قيمته عند الله تعالى شيئا فهذا هو الطي الحقيقي لمسافة الدنيا الذي يكرم الحق به أولياءه وبه يتحقق عبوديتهم لربهم عز وجل لا طي مسافة الأرض الذي ربما يكون استدراجا ومكرا ولا طي الليالي والأيام بالوصال للصيام وترك الشراب والطعام اذا لم يتمحض طاعة وبرا وسيأتي من كلام المؤلف رحمه الله تعالى لو أشرق نور اليقين لرأيت الآخرة أقرب اليك من أن ترحل اليها ولرأيت محاسن الدنيا قد ظهرت كسفة الفناء عليها ۞ (العطاء من الخلق حرمان والمنع من الله احسان) عطية الخلق لك حرمان على التحقيق لما فيه من رؤيتك لغير الله ووقوفك مع حظوظك وشهواتك ومنع الله لك احسان لأنه ألزمك الوقوف ببابه

(جل ربنا أن يعامله العبد نقدا) أي حالا بأنواع الطاعات (فيجازيه نسيئة) بأن لا يعطيه شيئا من جزاء عمله في الحال فإن ذلك ليس شأن الكريم القادر فجزاء العمل لا يختص بالدار الآخرة بل ربما أظهر الله تعالى منه لبعض أوليائه شيئا في الدنيا يحملهم على الاجتهاد في الأعمال ويتحققون به قبولها ثم بين ذلك الجزاء المعجل بقوله (كفى من جزائه) أي مجازاته إياك (على الطاعة أن رضيك لها أهلا) أي توفيقك لها وإقدارك عليها والاقضتك الذاتية التكاسل عن الطاعة وعدم الاعتناء بها فإذا وفقك مولاك للقيام بها كان ذلك جزاء معجلا لك في الدنيا لما يترتب عليه من مزيد الزلفى وأيضا فأنت عبد حقير لا تستحق خدمة ملك الملوك فكونه قربك لخدمته ورضيك أهلا لها نعمة عظيمة منه عليك ثم ذكر جزاء آخر معجلا بقوله (كفى العاملين جزاء ما هو فاتحه على قلوبهم في طاعته) أي في حال طاعته من المواهب الإلهية والإلهامات اللدنية وحلاوة التملق بين يدي ملك الملوك قال بعضهم ليس في الدنيا وقت يشبه نعيم أهل الجنة إلا ما يجده أهل التملق في قلوبهم بالليل من حلاوة المناجاة وهذه الحلاوة هي التي يعبر عنها أهل الطريق بالأحوال والمواجيد والأذواق (وما هو مورده عليهم) أي على قلوبهم (من وجود مؤانسته) أي الأنس به بعد حصول العمل وانقضائه قال بعضهم الأنس هو سرور القلب بشهود جمال الحبيب وهو حالة توجب انتعاش المحب وصفاء وقته ويخاف فيه غوائل الإدلال (من عبده تعالى لشئ يرجوه منه) وهو الثواب (أو ليدفع بطاعته ورود العقوبة) أي حصولها له في الدار الآخرة وقوله (عنه) متعلق بيدفع (فما قام بحق أوصافه) بل هو قائم بحظ نفسه من جلب الثواب أو دفع العقاب بخلاف ما إذا عبده لأجل جلاله وعظمته وما هو عليه من محامد صفاته التي لا يشارك فيها إذ من كان كذلك يستحق أن يخدم بالعبادة فإنه حينئذ يكون قائما بحق أوصافه أي موفيا لها حقها فقد أوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام إن أود الأوداء من عبدني لغير نوال لكن ليعطي الربوبية حقها وفي الحديث لا يكن أحدكم كالعبد السوء إن خاف عمل ولا كالأجير السوء إن لم يعط الأجرة لم يعمل

وعافاك من وجود حجابه وإن شئت قلت العطاء من الخلق حرمان لما فيه من وجود محبتك لهم على ذلك وتقلد منتهم في أخذ عطيتهم والمنع من الله إحسان لأنه حبيبك وكل ما يفعل الحبيب محبوب ولله در من قال

فلا ألبس النعمى وغيرك ملبسي ✽ ولا أقبل الدنيا وغيرك واهبي

وفي وصية علي رضي الله عنه لا تجعل بينك وبين الله منعما واعدد نعمة غيره عليك مغرما وقال بعض الحكماء تحمل المنن أثقل من الصبر على العدم وقال آخر عز النزاهة أشرف من سرور الفائدة وقال رضي الله عنه ۞ (جل ربنا أن يعامله العبد نقدا فيجازيه نسيئة) جزاء المعاملة لا يختص بالدار الآخرة بل وربما أظهر الحق تعالى منه لبعض أوليائه في الدنيا أنموذجا يحملهم على الاجتهاد في الأعمال ويتحققون به وجود قبولها في كل الأحوال وذلك لعظيم كرمه وعميم فضله جل وعلا ۞ (كفى من جزائه إياك على الطاعة أن رضيك لها أهلا) هذا بيان جزائهم المعجل وهو أنه عرفهم من عظمته وجلاله وكبريائه ما استحقروا معه أنفسهم أن يكونوا أهلا لأن يكلفهم القيام بطاعته وعدهم فيها بتيسيره ومعونته فغشاهم حينئذ خجله واستولى عليهم قربه فانخنست لذلك نفوسهم واضمحل وجودهم وذهب بهم الحياء كل مذهب وهذا هو غاية الجزاء ونهاية العطاء عند العلماء العارفين الذين غيبهم وجدانه عن التطلع إلى غيره من الحظوظ الآجلة ۞ (كفى العاملين جزاء ما هو فاتحه على قلوبهم في طاعته وما هو مورده عليهم من وجود مؤانسته) هذا بيان آخر لما يكرمهم به من الجزاء المعجل وهو أن العاملين لربهم يفتح لهم من المعارف ويورد على قلوبهم من أنواع اللطائف ما يتنسمون منه روح الأنس ويتنعمون به في حضرة القدس وهذا من علامات وجود الرضوان الأكبر الذي يتلاشى دونه كل جزاء ويستحقر كان بعضهم يقول التملق للحبيب والمناجاة للقريب في الدنيا ليس من الدنيا هو من الجنة ظهر لأهل الله تعالى في الدنيا لا يعرفه إلا هم ولا يجده سواهم روحا لقلوبهم وقال بعض العلماء ليس في الدنيا وقت يشبه نعيم أهل الجنة إلا ما يجده أهل التملق في قلوبهم بالليل من حلاوة المناجاة وقال أحمد بن أبي الحواري رضي الله عنه دخلت على أبي سليمان الداراني رضي الله عنه يوما وهو يبكي فقلت له وما يبكيك فقال يا أحمد ولم لا أبكي إنه إذا جن الليل ونامت العيون وخلا كل حبيب بحبيبه وافترش أهل المحبة أقدامهم وجرت دموعهم على خدودهم وتقطرت في محاريبهم أشرف الجليل سبحانه فنادى يا جبريل بعيني من تلذذ بكلامي واستراح إلى ذكري وإني لمطلع عليهم في خلواتهم أسمع أنينهم وأرى بكاءهم فلم لا تنادي فيهم يا جبريل ما هذا البكاء هل رأيتم حبيبا يعذب أحبابه أم كيف يجمل بي أن آخذ قوما إذا جنهم الليل تملقوا إلي فبي حلفت إذا وردوا علي القيامة لأكشفن لهم عن وجهي الكريم حتى ينظروا إلي وأنظر إليهم ۞ (من عبده لشئ يرجوه منه أو ليدفع بطاعته ورود العقوبة عنه فما قام بحق أوصافه) عمل العاملين لأجل حصول الجزاء أو فرارا من عقوبة المولى مدخول معلول ليس

من شأن الحاذقين المحققين لأن قيام العبد بحق أوصاف مولاه يقتضي أن لا يعمل لأجل حظه من
جلب ثواب أو دفع عقاب لأنه عبد يستحق عليه مولاه كل شيء، ولا يستحق هو عليه شيئا وهذا من
أعلى المحبة لله تعالى لأن المحب مجتمع الهم تام همه محبوبه لا مراد له إلا ما أراد فعلى العبد أن يعمل له عز وجل
لأجل جلاله وعظمته وما هو عليه من محامد صفاته التي لا يشاركه فيها فإن خالف هذا أو عمل على طلب
حظه لم يقم بحق صفات مولاه وكان ذلك نتيجة جهله وغفلته وعدم حبه له وبه ومعرفته قال سهل بن
عبد الله التستري رضي الله عنه ما طلعت شمس ولا غربت على أحد على وجه الأرض الا وهم جهال بالله
تعالى إلا من يؤثر الله تعالى على نفسه وروحه ودنياه وآخرته وفي أخبار داود عليه السلام أن الله تعالى
أوحى إليه ان أود الأوداء إلي من عبدني لغير نوال لكن ليعطي الربوبية حقها وفيما نقل وهب بن منبه من
الزبور ومن أظلم ممن عبدني لجنة أو نار لو لم أخلق جنة ولا نارا ألم أكن أهلا لأن أطاع أو كما قال عز وجل
وفي أخبار عيسى عليه السلام إذا رأيت الفتى مشغوفا في طلب الرب فقد ألهاه ذلك عما سواه ومر عيسى
عليه الصلاة والسلام على طائفة من العباد قد احترقوا من العبادة كأنهم الشنان البالية فقال من أنتم
فقالوا نحن عباد الله تعالى فقال ولأي شيء تعبدتم قالوا خوفنا الله من ناره فخفنا منها فقال حق على الله أن
يؤمنكم مما خفتم منه ثم جاوزهم فمر بآخرين أشد عبادة منهم فقال لأي شيء تعبدتم قالوا شوقنا الله إلى
الجنان وما أعد فيها لأوليائه فنحن نرجوها فقال حق على الله أن يعطيكم ما رجوتم ثم جاوزهم ومر
بآخرين يتعبدون فقال ما أنتم قالوا المحبون لله عز وجل لم نعبده خوفا من ناره ولا شوقا إلى جنته ولكن
حبا له وتعظيما لجلاله فقال أنتم أولياء الله حقا معكم أمرت أن أقيم فأقام بين أظهرهم وفي لفظ آخر أنه قال
للأولين مخلوقا خفتم ومخلوقا أحببتم وقال للآخرين أنتم المقربون قال الشيخ أبو طالب المكي رضي الله
عنه وممن روي عنه هذا القول وأقيم في هذا المقام جماعة من التابعين بإحسان منهم أبو حازم المدني
كان يقول إني لأستحي من ربي أن أعبده خوفا من العذاب فأكون مثل عبد السوء إن لم يخف لم
يعمل وأستحي أن أعبده لأجل الثواب فأكون كالأجير السوء إن لم يعط أجر عمله لم يعمل ولكن
أعبده محبة له قال الشيخ أبو طالب المكي وقد روينا معنى هذا الكلام عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم لا يكن أحدكم كالعبد السوء إن خاف عمل ولا كالأجير السوء إن لم يعط الأجر لم يعمل وقال
بعض إخوان معروف رضي الله عنه له أخبرني عنك يا أبا محفوظ أي شيء أهاجك على العبادة
والانقطاع عن الخلق فسكت فقلت ذكر الموت فقال وأي شيء الموت قلت فذكر القبر قال وأي
شيء القبر فقلت خوف النار ورجاء الجنة فقال وأي شيء هذا إن ملكا هذا كله بيده إن أحببته أنساك
جميع هذا وإن كان بينك وبينه معرفة كفاك جميع هذا قال أبو طالب وحدثونا عن علي بن الموفق قال
رأيت في النوم كأني أدخلت الجنة فرأيت رجلا قاعدا على مائدة وملكان عن يمينه وشماله يلقمانه من جميع
الطيبات وهو يأكل ورأيت رجلا قائما على باب الجنة يتصفح وجوه قوم فيدخل بعضهم الجنة ويرد
آخرين قال ثم جاوزتهما إلى حظيرة القدس فرأيت في سرادقات العرش رجلا قد أشخص ببصره ينظر
إلى الله تعالى لا يطرف فقلت لرضوان من هذا فقال هو معروف الكرخي عبد الله تعالى لا خوفا من ناره
ولا شوقا إلى جنته بل حبا له فقد أباحه النظر إليه إلى يوم القيامة وذكر أن الآخرين بشر بن الحرث
وأحمد بن حنبل رضي الله تعالى عنهما قال أبو طالب المكي وروينا عن رابعة العدوية وكانت إحدى
المحبين وكان سفيان الثوري يجلس بين يديها يقول علمينا مما أفادك الله من طرائف الحكمة وكانت
تقول له نعم الرجل أنت لولا أنك تحب الدنيا وكان يعترف لها ويسكت عنها وكان ما أنكرت هذا إلا أنه كان
يؤثر كتب الحديث والإقبال على الناس وهي أبواب الدنيا وقال لها الثوري يوما لكل عبد شريطة

(متى أعطاك) أيها العارف المتيقظ (أشهدك برّه) أي صفات بره من الجود والكرم والإحسان واللطف والعطف وغير ذلك (ومتى منعك أشهدك قهره) أي صفاته القهرية أي التي تقتضي القهر والغلبة من الجبروت والكبرياء والعزة والاستغناء (فهو في كل ذلك) أي في كلتا الحالتين (متعرف إليك) أي مقبل عليك ومريد منك أن تعرفه فإن الواحد منا إذا أراد أن يعرفه غيره فإما أن ينعم عليه وإما أن يعاقبه فكل منهما سبب في معرفة ذلك الغير له (ومقبل بوجود لطفه عليك) لأن مشاهدتك لصفات بره وقهره لطف عظيم منه سبحانه ونعمة منه عليك فينبغي لك أن تشكره عليها والحاصل المطلوب من العباد أن يعرفوا مولاهم بما هو عليه من الصفات العلية والأسماء الحسنى ولا سبيل لهم إلى معرفته إلا بتعرفه لهم وتعرفه لهم إنما يكون بما ينزله بهم من النوازل ويورده عليهم من الأحكام سواء كان ذلك الحكم موافقا لطبعهم وهو الإعطاء أو مخالفا وهو المنع فمن كان عارفا به ولم يستغرقه حظ نفسه لم يفرق بين العطاء والمنع لأن كلا منهما له طريق توصله إلى معرفة صفاته البرية من الجود ونحوه والقهرية وهذا من جملة فتح باب الفهم في المنع كما مر (إنما يؤلمك المنع) أيها المريد (لعدم فهمك عن الله فيه) أي في حال المنع إذ لو فتح لك باب الفهم حينئذ لتلذذت به فمن جملة الفهم في المنع أن تفهم أنه يريد بذلك المنع أن يوقفك ببابه ويلحقك به وتصير من جملة أحبابه فإنه إذا أحب عبدا حماه الدنيا ومن جملته أن تفهم أنه سالك بك مسالك المقربين كما ورد عن الفضيل أنه كان يقول إلهي أجعتني وأجعت عيالي وأعريتني وأعريت عيالي وإنما تفعل هذا بخواص عبادك فبأي سبب استوجب منك هذا أي من أعمال البر والخير ومن جملته أن تفهم أن الدنيا فانية ولذاتها منقضية فتفرح بما ادخر لك في الآخرة إلى غير ذلك مما يفتح الله به على قلب المريد الصادق فإذا فتح عليه ذلك يلتذ بالمنع فعاد المنع عين العطاء

ولكل إيمان حقيقة فما حقيقة إيمانك فقالت ما عبدت الله خوفا من النار فأكون كالعبد السوء إن خاف عمل ولا حبا للجنة فأكون كالأجير السوء إن أعطي عمل ولكن عبدته حبا له وشوقا إليه والآثار والحكايات في هذا المعنى كثيرة لا تنحصر فإذا عمل المريد على ما ذكرناه كان عبد الله حقا فإن طلب منه الثواب أو استعاذ به من العقاب فإنما يطلبه أو يستعيذ به امتثالا لما أمر به وفرارا من دعوى رؤية حظه واتباعا لما أحبه منه وأذن له فيه من طلب فضله وإحسانه وكرمه وامتنانه وعلى هذا وما أشبهه هذا المعنى يحمل الحديث المروي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ لرجل ما تقول في الصلاة قال أتشهد ثم أقول اللهم إني أسألك الجنة وأعوذ بك من النار أما والله ما أحسن دندنتك ولا دندنة معاذ فقال حولها ندندن إلا أن يكون رجاؤه لحصول ذلك وخوفه من فقده باعثا له على القيام بطاعته وملازمة عبادته فيكون عمله إذ ذاك مدخولا معلولا هذا هو مذهب العارفين المحققين وعليه تنبني قواعد التصوف كلها ❁ (متى أعطاك أشهدك بره ومتى منعك أشهدك قهره فهو في كل ذلك متعرف إليك ومقبل بوجود لطفه عليك) المطلوب من العباد أن يعرفوا مولاهم بما هو عليه من الصفات العلية والأسماء الحسنى ولا سبيل لهم إلى معرفته إلا بتعرفه لهم وتعرفه لهم إنما يكون بما ينزل بهم من النوازل ويورده عليهم من الأحكام ثم هو على قسمين ما وافق الهوى والطبع ويسمى ذلك عطاء ومنحا وما خالفهما ويسمى منعا فهو بوجود العطاء تشهد صفاته البرية من الجود والكرم والإحسان واللطف والعطف وغير ذلك وبوجود المنع تشهد صفاته القهرية من الجبر والكبرياء والعزة والاستغناء فينبغي لك أيها العبد أن لا تفرق بينهما إن أردت معرفة ربك ولم يستغرقك نصب حظك إذا منعه لك عطاء على التحقيق فهو في كلتا الحالتين منعم عليك ومقبل بوجود لطفه إليك وهذا هو بيان ما تقدم من قوله متى فتح لك باب الفهم في المنع عاد المنع هو عين العطاء والله أعلم قال سفيان الثوري رضي الله عنه أتيت أبا حبيب البدوي أسلم عليه ولم أكن رأيته فقال لي أنت سفيان الثوري الذي يقال قال فقلت نعم فنسأل الله عز وجل بركة ما يقال قال فقال لي يا سفيان ما رأينا خيرا قط إلا من ربنا قال أجل قال فما لنا نكره لقاء من لم نر خيرا قط إلا منه ثم قال يا سفيان منع الله إياك عطاء منه لك وذلك أنه لم يمنعك من بخل ولا عدم وإنما منعه نظر منه واختيار يا سفيان إن فيك لأنسا ومعك شغلا قال ثم أقبل على غنيمته وتركني ❁ (إنما يؤلمك المنع لعدم فهمك عن الله فيه) إذا كان منع الله سبحانه وتعالى وعطاؤه نعمتين عظيمتين كما ذكرناه الآن فينبغي أن يكون في كلتيهما قرة عين المريد فإن تألم بأحدهما وهو المنع وتلذذ بالآخر وهو العطاء فذلك لعدم فهمه وقصور علمه وإنما الأكمل والأفضل له أن لا يتألم بالعطاء ويلتذ بالمنع كما قال إبراهيم الخواص رضي الله عنه لا يصح الفقر للفقير حتى يكون فيه خصلتان أحدهما الثقة بالله تعالى والأخرى الشكر لله فيما زوى عنه مما ابتلى به غيره من الدنيا ولا يكمل الفقير حتى يكون نظر الله له في المنع أفضل من نظره له في العطاء وعلامة صدقه في ذلك أن يجد للمنع من الحلاوة ما لا يجد للعطاء لا يعرفه غير بارئه الذي خصه بمعرفته وأياديه فهو لا يرى سوى مليكه

ولا يملك الا ما كان من تمليكه وكل شيء له تابع وكل له خاضع اهـ ﴿ (ربما فتح لك باب الطاعة وما فتح لك باب القبول وربما قضى عليك بالذنب فكان سبباً في الوصول) ينبغي أن لا ينظر العبد الى صور الأشياء ولينظر الى حقائقها فصور الطاعات لا تقتضي وجود القبول لها لما قد تضمنته من الآفات القادحة في الاخلاص فيها وذلك مانع من وجود القبول لها ووجود صورة الذنب لا تقتضي الابعاد والطرد بل ربما يكون ذلك سبباً في وصوله الى ربه وحصوله في حضرة قربه كما قيل رب ذنب أدخل صاحبه الجنة وقد جاء في الحديث الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال والذي نفسي بيده لو لم تذنبوا لذهب الله بكم ولجاء بقوم يذنبون فيستغفرون الله فيغفر لهم وذلك لأنه يصحبه عند عمله بالطاعة أن يعجب بها ويعتمد عليها ويتكبر بفعلها ويستصغر من لم يفعلها ويصحبه عند وقوعه في الذنب اللجأ الى الله تعالى والاعتذار اليه منه واستصغار نفسه وتعظيم من لم يفعله قال أبو حازم رضي الله عنه ان العبد ليعمل الحسنة تسره حين يعملها وما خلق الله له من سيئة أضر له منها وان العبد ليعمل السيئة تسوءه حين يعملها وما خلق الله من حسنة أنفع له منها وذلك أن العبد حين يعمل الحسنة تسره فيمن بها ويرى أن له فضلاً على غيره ولعل الله أن يحبطها ويحبط معها عملا كثيرا وان العبد ليعمل السيئة تسوءه حين يعملها ولعل الله أن يحدث له بها وجلا حتى يلقى الله تعالى وان خوفها في جوفه لباق ثم بين المؤلف رحمه الله هذا المعنى بقوله ﴿ (معصية أورثت ذلا وافتقارا خير من طاعة أورثت عزا واستكبارا) الذل والافتقار من صفات العبودية والعزة والاستكبار مناقضان لها لأنهما من صفات الربوبية ولا خير في الطاعة اذا لزم عنها شيء مما يناقض صفات العبودية لأنها تحبطها وتبطلها كالامبالاة بالمعصية اذا لزمتها صفات العبودية لأنها أيضاً تمحوها وتزيلها قال سيدي أبو مدين رضي الله عنه انكسار العاصي خير من صولة المطيع وكان سيدي أبو العباس المرسي رضي الله عنه كثير الرجاء لعباد الله الغالب عليه شهود وسع الرحمة وكان يكرم الناس على قدر رتبتهم عند الله تعالى حتى انه ربما دخل عليه مطيع فلا يعبأ به وربما دخل عليه عاص فأكرمه لأن ذلك الطائع أتى وهو متكبر بعمله ناظر لفعله وذلك العاصي دخل عليه بكثرة معاصيه وذلة مخالفته وقد تقدم مثل هذا عند قوله لا يعظم الذنب عندك عظمة تصدك عن حسن الظن بالله تعالى فمن هذا المعنى ما روي عن أبان بن عياش أنه قال خرجت يوما من عند أنس بن مالك رضي الله عنه بالبصرة فرأيت جنازة يحملها أربعة من الزنج ولم يكن معهم رجل آخر فقلت سبحان الله بسوق البصرة وجنازة مسلم لا يشيعها أحد فلأكونن خامسهم فمضيت معهم فلما وضعوها في المصلى قالوا لي تقدم فقلت أنتم أولى به فقالوا كلنا سواء فتقدمت فصليت عليه وقلت لهم ما القصة فقالوا اكتر لنا تلك المرأة قال فقعدت حتى دفنوه فلما كان بعد ساعة انصرفت تلك المرأة وهي تضحك فدخل قلبي شيء فقلت لا ينجيك الا الصدق أخبريني ما القصة فقالت ان هذا ابني ما ترك شيئا من المعاصي الا فعله فمرض منذ ثلاثة أيام فقال يا أماه اذا أنا مت فلا تخبري بموتي جيراني فانهم لا يحضرون جنازتي ويشمتون بموتي واكتبي على خاتمي هذا لا اله الا الله محمد رسول الله واجعليه على كفني فلعل الله تعالى يرحمني به وضعي رجلك على خدي وقولي هذا جزاء من عصى الله فاذا دفنتني فارفعي يديك الى الله تعالى وقولي الهي رضيت عنه فارض عنه فلما مات فعلت جميع ما أوصى به فلما رفعت يدي الى السماء سمعت صوته بلسان فصيح انصرفي يا أماه فقد قدمت على رب كريم رحيم غير غضبان علي فانما ضحكت من هذا ومن المعنى الآخر ما روي أن رجلا من بني اسرائيل أتى عابدا من بني اسرائيل فوطئ على رقبته وهو ساجد فقال له العابد ارفع فوالله لا يغفر الله لك فأوحى الله عز وجل أيها المتألي

(ربما فتح لك باب الطاعة وما فتح لك باب القبول) الاضافة فيهما بيانية أو من اضافة المشبه به للمشبه (وربما قضى عليك بالذنب فكان سبباً في الوصول) وذلك أن الطاعة قد تقارنها آفات قادحة في الاخلاص فيها كالاعجاب بها والاعتماد عليها واحتقار من لم يفعلها وذلك مانع من قبولها وذلك مانع من قبولها والذنب قد يقارنه الالتجاء الى الله والاعتذار اليه واحتقار نفسه وتعظيم من لم يفعله فيكون ذلك سبباً في مغفرة الله ووصوله اليه فينبغي أن لا ينظر العبد الى صور الأشياء بل الى حقائقها فيخاف ان كان مطيعا ويرجو ان كان عاصيا ثم أوضح المصنف معنى هذه الحكمة بقوله (معصية أورثت ذلا وافتقارا خير من طاعة أورثت عزا واستكبارا) ولا شك أن الذل والافتقار من أوصاف العبودية فالتحقق بهما مقتض للوصول الى حضرة الرب والعز والاستكبار من أوصاف الربوبية فالتحقق بهما مقتض للخذلان وعدم القبول قال أبو مدين قدس سره انكسار العاصي خير من صولة المطيع

نعمتان ما خرج موجود عنهما) أي هما نعمتان لكل موجود (ولابد لكل مكون) أي موجود (منهما) أي هما لازمتان لكل موجود لا ينفك عنهما موجود من الموجودات (بنعمة الايجاد ونعمة الامداد) الاضافة للبيان فيهما فكل موجود في ذاته معدوم متلاش فنعمة الايجاد أزالت عنه العدم السابق فصار موجودا ولولا ذلك لم يزل معدوما والمعدوم ليس بشيء ولما كان دوام وجوده يحتاج الى امداد الهي يقتضي بقاء صورته وهيكله أمده بجلب المنافع له ودفع المضار عنه فنعمة الايجاد أزالت العدم السابق ونعمة الامداد أزالت العدم اللاحق وأبدلته باستمرار الوجود فلولا نعمة الايجاد لم يخرج شيء من العدم الى الوجود ولم يزل معدوما ولولا نعمة الامداد لم يتم وجود لموجود ولم يصح بقاء موجود بل يختل في أقرب مدة و يضمحل ولا فرق في هذا بين المكونات العلوية والسفلية ثم ذكر جزئيا من جزئيات تلك الكلية فقال (أنعم عليك) أيها الانسان أولا بالايجاد وثانيا بتوالي الامداد) فاذا علم العبد أن ابتداء وجوده من الله ودوام موجوده كذلك علم أن فاقته ذاتية وأنه لا غنى له عن مولاه لافتقاره بعد وجوده في كل وقت الى الامدادات ثم هذه الامدادات المتوالية عليه منها ما يكون قوتا لشبحه تقوم به بنيته كالاقوات ومنها ما يكون قوتا لمعناه وروحه كالايمان والعلوم والمعارف فان الانسان شيئان روح وجسد والامداد الاول عام للمؤمنين والكافرين كنعمة الايجاد والثاني خاص بالمؤمنين * ثم ذكر ما هو كالنتيجة لما تقدم بقوله

على بل أنت لا يغفر الله لك قال الحرث المحاسبي رضي الله عنه لانه إنما تألى على الله عز وجل أن لا يغفر الله له لعظم قدر نفسه عنده وان الاساءة اليه عند الله عز وجل عظيمة لا يغفرها الله تعالى لموضع عبادته وسجوده لانه عد نفسه عظيم القدر عند الله عز وجل فجمع بين عجب وكبر واغترار بالله عز وجل ومن المعنيين جميعا ما روي أن عيسى عليه الصلاة والسلام خرج ومعه صالح من صالحي بني اسرائيل فتبعهما رجل خاطئ مشهور بالفسق فيهم فقعد منتبذا عنهما منكسرا فدعا الله سبحانه وتعالى وقال اللهم اغفر لي ودعا هذا الصالح وقال اللهم لا تجمع بيني وبين هذا العاصي فأوحى الله تعالى الى عيسى عليه الصلاة والسلام اني قد استجبت دعاءهما جميعا رددت ذلك الصالح وغفرت لذلك المجرم وروي عن الشعبي أيضا عن الخليل بن أيوب أن رجلا كان في بني اسرائيل يقال له خليع بني اسرائيل لكثرة فساده مر برجل آخر من بني اسرائيل يقال له عابد بني اسرائيل وعلى رأس العابد غمامة تظله فقال الخليع في نفسه أنا خليع بني اسرائيل وهذا عابد بني اسرائيل فلو جلست اليه لعل الله عز وجل أن يرحمني به فجلس اليه فقال العابد في نفسه أنا عابد بني اسرائيل وهذا خليع بني اسرائيل يجلس الي فأنف منه وقال قم عني فأوحى الله عز وجل الى نبي ذلك الزمن مرهما فليستأنفا العمل فقد غفرت للخليع وأحبطت عمل العابد وفي حديث آخر فتحولت الغمامة على رأس الخليع قال الحرث المحاسبي وانما أراد الله عز وجل من عباده قلوبهم لتكون خدودهم تبعا لقلوبهم فاذا تكبر العالم أو العابد وأنف وتواضع الجاهل أو العاصي وذل هيبة لله عز وجل وفرقا منه فهو أطوع لله عز وجل من العابد أو العالم بقلبه ۞ نعمتان ما خرج موجود عنهما ولابد لكل مكون منهما نعمة الايجاد ونعمة الامداد) نعمة الايجاد ونعمة الامداد نعمتان لازمتان لكل مكون موجود لانه في ذاته معدوم متلاش فنعمة الايجاد أزالت العدم السابق ولولا ذلك لم يزل معدوما ونعمة الامداد أزالت العدم اللاحق ولولا ذلك لتلاشى وفني * قال سيدي أبو مدين الحق تعالى مستند والوجود مستمد والمادة من عين الوجود فلو انقطعت المادة انهدم الوجود وهذا توطئة لما يأتي بيانه من الفقر الذاتي للعبد ۞ (أنعم عليك أولا بالايجاد وثانيا بتوالي الامداد) هذا أحد جزئيات الكلية المتقدمة وهو وجودك ودوام وجودك ومما لا ينبغي أن يتغافل عنه من أنواع هذا الجنس نعمة ايجاد الايمان ومحبة الطاعة في قلبك وامدادهما وكذلك كراهة الكفر والمعصية فان ذلك من النعم العظيمة التي لا مدخل للعبد فيها ولا له وسيلة اليها ولولا تولي الله تعالى له بتينك النعمتين في القسمين لتاه في ظلمات الضلالات وغرق في بحار الجهالات وقد نبه الله عز وجل على هذا المعنى في كتابه الكريم فقال عز من قائل ولكن الله حبب اليكم الايمان وزينه في قلوبكم وكره اليكم الكفر والفسوق والعصيان أولئك هم الراشدون فضلا من الله ونعمة * قال الامام أبو القاسم القشيري رضي الله عنه ان من فكر في صنوف الضلال وكثرة طرق المحال وشدة أغاليط الناس في البدع والاهواء وما يتشعب بكل قوم من مختلف النحل والآراء ثم فكر في ضعفه ونقصان عقله وكثرة تحيره في الامور وشدة جهله وتناقض تدبيره في أحواله وشدة حاجته الى الاستعانة بأشكاله في أعماله ثم رأى خالص يقينه وقوة استبصاره في دينه ونقاء وجه توحيده عن غبرة الشرك وصفاء عين عرفانه عن رهج الشك علم أن ذلك ليس من طاقته ولا بجهده وكده وسعيه وجده بل بفضل ربه وسابغ طوله قال الله تعالى فذكره وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة

(فاقتك لك ذاتية) أى اذا ثبت أن نعمتى الايجاد والامداد لازمتان لك وأنك فى ذاتك عدم لولاهما فالفاقة اذا ذاتية لك والاضطرار لازم لوجودك لاحتياجك الى المولى فى ابتداء وجودك وفى ادامته عليك لكن هذا الاضطرار يخفى على غالب الناس و يغفلون عنه اذا دامت عليهم صحة أبدانهم وكثرة أموالهم فيغيبون حينئذ عن صفتهم الذاتية وعن مولاهم فيورد عليهم أسباب الاضطرار ليذكرهم ذلك كما قال (وورود الأسباب) الى أسباب الاضطرار وهى الأمور القهرية من مرض وجوع وعطش وحر وبرد وغير ذلك (مذكرات لك بما) الباء زائدة أو بمعنى اللام (خفى عليك منها) أى الفاقة والاضطرار فاذا كنت فى غفلة عن اضطرارك الذاتى وأورد عليك مرضا أو فقرا اضطررت اليه وظهرت لك صفتك الذاتية بعد أن كانت مغطاة عنك بالصحة والجدة فتقوم حينئذ بحق العبودية وتدعوه سبحانه برفع ذلك عنك قال بعضهم انما حمل فرعون على قوله أنا ربكم الأعلى طول العافية والغنى لبث أربعمائة سنة لم يتصدع رأسه ولا حم جسمه ولم يضرب عليه عرق فادعى الربوبية ولو أخذته الشقيقة ساعة واحدة أو الليلة كل يوم لشغله ذلك عن دعوى الربوبية وهذا فى حق غالب الناس والا فالعارفون لا يفارقهم مشاهدة فقرهم الذاتى كما سيأتى فى قوله العارف لا يزول اضطراره الخ فهؤلاء لا يحتاجون الى مذكر وانما يسلط الله عليهم هذه الأسباب القهرية لتظهر عليهم علامات الصدق فى العبودية اذ لا يزيدهم البلاء الا تعلقا اضطرارهم بربهم وطاعة له ورجوعا اليه وليكثر ثوابهم وتعظم منزلتهم عند الله تعالى بما يظهر عليهم من الرضا عن الله والتسليم اليه (والفاقة) له (الذاتية لا ترفعها العوارض) وهذا متعلق بقوله فاقتك لك ذاتية أى اضطرار لازم لوجودك وان كنت غنيا بوجود النعمتين المذكورتين فان ذلك أمر عرضى والأمور الذاتية لا تزيلها الأمور العرضية فما يحصل للعبد من الصحة والغنى والقدرة حتى تصير الاشياء كأنها طوع يده لا تزيل الفاقة الذاتية لانه يجوز فى حقه تعالى أن يزيل ذلك و يبدله بضده المقتضى للافتقار والاضطرار

الظاهر بنعمائه وآثار نعمه عليك متظاهرة والباطن بآلائه وذكر وانذكر ممد لديك متواترة انتهى فعلى العبد أن يعرف قدر هذه النعمة و يتوكل على مولاه فى بقائها وحفظها عليه ولا يعتمد فى ذلك على عقله وعلمه قال بعض العارفين من نظر فى توحيده الى عقله لم ينجه توحيده من النار وعن ذى النون المصرى رضى الله عنه ما هو قريب من هذا من كان فى توحيده ناظرا الى نفسه لم ينجه توحيده من النار حتى يكون نظره اليه فى توحيده اياه عز وجل فهذا هو شكر هذه النعمة العظيمة * قال الشيخ أبو طالب المكى بعد أن ذكر ما روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قوله أحبوا الله لما أسدى اليكم من نعمه ولما يغذوكم به يعنى من أفضل ما غذانا به نعمة الايمان به والمعرفة له وغذاؤه الثامنة دوام ذلك ومدده بروح منه وتثبيتنا عليه فى تصريف الأحوال اذ هو أصل الأعمال التى هى مكان النوال فلو قلب قلوبنا عن التوحيد كما يقلب جوارحنا فى الذنوب ولو قلب قلوبنا فى الشك والضلال كما يقلب نياتنا فى الأعمال أى شىء كنا نصنع وعلى أى شىء كنا نعول وبأى شىء كنا نطمئن ونرجو فهذا من أعظم النعم ومعرفته هو شكر نعمة الايمان والجهل بهذا غفلة عن نعمة الايمان توجب العقوبة وادعاء الايمان أنه عن كسب معقول أو استطاعة بقوة وحول هو كفر نعمة الايمان وأخاف على من توهم ذلك أن يسلب الايمان لانه بدل شكر نعمة الله كفرا انتهى كلام الشيخ أبى طالب رضى الله عنه وهو حسن فى هذا المعنى * (فاقتك لك ذاتية وورود الأسباب مذكرات لك بما خفى عليك منها والفاقة الذاتية لا ترفعها العوارض) اذا ثبت أن نعمتى الايجاد والامداد لازمتان لك وأنك فى ذاتك عدم لولاهما فالفاقة اذا ذاتية لك والاضطرار لازم لوجودك وان كنت غنيا بوجود النعمتين المذكورتين فان ذلك أمر عرضى والأمور الذاتية لا تزيلها الأمور العرضية وانما أورد عليك الأسباب التى تضاد وجودك أو بقاء وجودك ليذكرك بذلك ما خفى عليك من وجود الفاقة الذاتية لك والاضطرار اللازم لوجودك فتلازم مركزك وتقوم بحق عبوديتك ولا تجاوز حدك وطورك قال بعضهم انما حمل فرعون على قوله أنا ربكم الأعلى طول العافية والغنى لبث أربعمائة سنة لم يتصدع رأسه ولا حم جسمه ولم يضرب عليه عرق فادعى الربوبية ولو أخذته الشقيقة ساعة واحدة أو الليلة كل يوم لشغله ذلك عن دعوى الربوبية * قال فى لطائف المنن الاضطرار نعطيه حقيقة العبد اذ هو ممكن وكل ممكن مضطر الى ممد يمده وملك يقيمه وكما أن الحق سبحانه هو الغنى أبدا فالعبد مضطر اليه أبدا ولا يزايل العبد هذا الاضطرار لا فى الدنيا ولا فى الآخرة ولو دخل الجنة فهو محتاج الى الله تعالى فيها غير أنه غمس اضطراره فى المنة التى أفرغت عليه ملابسها وهذا هو حكم الحقائق اذ لا يختلف حكمها لا فى الغيب ولا فى الشهادة ولا فى الدنيا ولا فى الآخرة فالعلم صفته التكشف أى علم كان فى أى وقت كان والارادة صفتها التخصيص أى ارادة كانت فى أى وقت كان ومن اتسعت أنواره لم يتوقف اضطراره وقد عاتب الله أقواما اضطروا اليه عند وجود أسباب الجأتهم الى الاضطرار فلما زالت

(خير أوقاتك) أيها المريد الصادق (وقت تشهد فيه وجود فاقتك) بان يزوي عنك الدنيا وشهواتها (وترد فيه الى وجود ذلتك) بكسر الذال أى فقرك وانما كانت هذه خير الأوقات لوجود حضورك فيها مع ربك وانقطاع نظرك عن الوسائط والأسباب الموجبة لبعدك عنه بخلاف الوقت الذى تشهد فيه وجود غناك وعزك فان ذلك شر أوقاتك * حكى عن عطاء السلمى أنه بقى سبعة أيام لم يذق شيئا من الطعام ولم يقدر على شيء فسر قلبه بذلك وقال يارب ان لم تطعمنى ثلاثة أيام أخر لأصلين لك ألف ركعة وقيل ان فتحا الموصلى رضى الله عنه رجع ليلة الى بيته فلم يجد عشاء ولا سراجا ولا حطبا فأخذ يحمد الله ويتضرع اليه يقول الهى بأى سبب وبأى وسيلة واستحقاق عاملتنى بما عاملت به أولياءك وكذلك وقع للفضيل بن عياض فقال فبأى عمل أستحق هذا منك حتى أداوم عليه الى غير ذلك مما وقع لأهل الله تعالى ولما قال المصنف فيما سيأتى وورود الفاقات أعياد المريدين (متى أوحشك من خلقه) أى متى أبعدك الله تعالى بأن تشمئز منهم بقلبك وتنقبض عنهم بسرك ولا يكون للأشياء وقع عندك ولا تجد فيها مقنعا عن مولاك (فاعلم أنه يريد أن يفتح لك باب الأنس به) فاذا فتح لك ذلك الباب وآنسك بالخطاب صرت له وحده ورغبت عن غيره كما وقع لأبى يزيد قدس الله سره أنه اطلع على أنواع من العجائب وكشف له عن الملكوت العلى فقيل له وهل استحسنت منها شيئا فقال لم أر شيئا أستحسنه فقيل له أنت عبد الله حقا (متى أطلق لسانك بالطلب) أى بأن حل عنه عقدة الصمت التى أوجبها الاستغناء بالأغيار وعدم رؤية الافتقار فاذا حل عنه هذه العقدة بأن أشهدك فقرك وفاقتك حتى تدعوه كنت اذ ذاك داعيا بلسان الاضطرار (فاعلم أنه يريد أن يعطيك) أى يحصل لك مطلوبك لصدق الوعد باجابة الدعاء من المضطر والله لا يخلف الميعاد ولقوله عليه الصلاة والسلام من أعطى الدعاء لم يحرم الاجابة أى اما بعين المطلوب أو بغيره عاجلا أو آجلا قال بعضهم وهذا اذا كان الدعاء صادرا عن اختيار وقصد أما اذا جرى على اللسان من غير قصد فان الاجابة بعين المطلوب لا تكاد تتخلف

اضطرارهم قال سبحانه واذا مسكم الضر فى البحر ضل من تدعون الا اياه الآية وقال واذا مس الانسان الضر دعانا وقال قل من ينجيكم من ظلمات البر والبحر الآيتين الى غير ذلك من الآيات الواردة فى هذا المعنى ولما لم تصل عقول العوام الى ما تعطيه حقائق وجوداتهم سلط الحق عليهم الأسباب المثيرة للاضطرار ليعرفوا قهر ربوبيته وعظمة الهيته انتهى ۞ (خير أوقاتك وقت تشهد فيه وجود فاقتك وترد فيه الى وجود ذلتك) انما كان هذا خير الأوقات لك لوجود حضورك فيها مع ربك وانقطاع نظرك عن الوسائط والأسباب الموجبة لبعدك وحجبك فهى لا محالة خير أوقاتك وهى مواسمك وأعيادك حسبما يقوله المؤلف رحمه الله تعالى بعد هذا * حكى عن عطاء السلمى رضى الله عنه أنه بقى سبعة أيام لم يذق شيئا من الطعام ولم يقدر على شيء فسر قلبه بذلك غاية السرور فقال يارب ان لم تطعمنى ثلاثة أيام أخر لأصلين لك ألف ركعة وقيل ان فتحا الموصلى رضى الله عنه رجع ليلة الى بيته فلم يجد عشاء ولا سراجا ولا حطبا فأخذ يحمد الله تعالى ويتضرع اليه ويقول الهى لأى سبب وبأى وسيلة واستحقاق عاملتنى بما عاملت به أولياءك وقال بشر الحافى رضى الله عنه بلغنى أن بنتا لفتح الموصلى عريت فقيل له ألا تطلب من يكسوها فقال لا أكسوها حتى يرى الله عريها وصبرى عليها قال فكان اذا كان ليالى الشتاء جمع عياله ومال بكسائه عليهم ثم قال اللهم أفقرتنى وأفقرت عيالى وجوعتنى وجوعت عيالى وأعريتنى وأعريت عيالى بأى وسيلة توسلت اليك وانما تفعل هذا بأوليائك وأحبابك فهل أنا منهم حتى أفرح وقيل ان الفضيل بن عياض رضى الله عنه بكى فى ليلة فرحا ثم قال الهى أجعتنى وأجعت عيالى وأعريتنى وأعريت عيالى وأقعدتنى وأقعدت عيالى فى بيت ليس فيه مصباح وقد عما تفعل هذا بأوليائك وأهل طاعتك الهى فبأى عمل أستحق هذا منك حتى أداوم عليه * وقيل للربيع بن خثيم رضى الله عنه قد غلا السعر فقال نحن أهون على الله من أن يجيعنا انما يجيع أولياءه ۞ (متى أوحشك من خلقه فاعلم أنه يريد أن يفتح لك باب الأنس به) فتح باب الأنس بالله تعالى هو الاستيحاش من الناس ولذلك قيل الاستئناس بالناس من علامات الافلاس فاذا فتح لك هذا الباب استوحشت من الأغيار كلها وتحققت فى أنسك بربك ومعنى الوحشة منهم أن تشمئز بقلبك منهم وتنقبض عنهم بسرك ولا يكون للأشياء وقع عندك ولا تجد فيها مقنعا لك كما جاء عن أبى يزيد البسطامى رضى الله عنه حين اطلع على أنواع من العجائب ووجه بشيء من الرغائب وكشف له عن الملكوت الأعلى فقيل له هل استحسنت منها شيئا فقال لم أر شيئا أستحسنه فقيل له أنت عبد الله حقا فاذا كان العبد على هذا الوصف كان ذلك علامة على تحققه بمقام الأنس ووروده فى حضرة القدس وسيأتى هذا المعنى فى قوله فى مناجاته أنت المؤنس لهم حيث أوحشتهم العوالم ۞ (متى أطلق لسانك بالطلب فاعلم أنه يريد أن يعطيك) اطلاق اللسان بالطلب هو أن يحل عنه عقدة الصمت الذى أوجبه الاستغناء بالأغيار وعدم رؤية الفاقة والافتقار فاذا حل عنه هذه العقدة بشهود فقره وفاقته وأطلق لسانه بالطلب كان اذ ذاك داعيا بلسان

(العارف لايزول اضطراره) أى احتياجه بل هو دائم مستمر لشهوده قبضة الله الشاملة المحيطة ولمعرفته بنفسه و بما هو عليه من الفاقة وتحققه بذلك فى كل نفس بخلاف غيره فانه تارة يضطر فيدعو وتارة يدعو من غير اضطرار وكذلك أن اضطرار العامة بمثيرات الأسباب لغلبة دائرة الحس على مشهدهم فاذا زالت زال اضطرارهم فلو شهدوا قبضة الله الشاملة المحيطة لعلموا أن اضطرارهم الى الله تعالى دائم (ولا يكون مع غير الله قراره) أى لاركون ولا يستند بقلبه لغير الله تعالى لوجود وحشته من الأشياء ونفوره بقلبه عنها كما تقدم فكأنه يقول ان ما تقدم من الاستيحاش من الخلق وانطلاق اللسان بالطلب نعتان من نعوت العارفين ثم قال (أنار الظواهر) أى المكونات من السموات والارضين أى جعلها منيرة (بأنوار آثاره) أى آثار أوصافه أى بأنوار الكواكب من شمس وقمر ونجوم التى هى آثار لأوصافه من قدرة وارادة وغير ذلك فصارت الظواهر مكشوفة لنا بأنوار الكواكب وحينئذ نرى المكونات ونأخذ منها ما ينفع ونحترز عما يضر (وأنار السرائر) جمع سريرة وهو باطن القلب كالضمير (بأنوار أوصافه) أى بالعلوم العرفانية الناشئة عن تجلى أوصافه على قلوب العارفين فتلك السرائر أى سرائر العارفين صارت مكشوفة لهم بأنوار العلوم والمعارف الناشئة عن أوصافه سبحانه أى تجليها على قلوبهم وحينئذ يشاهدون بها فى سرائرهم من الأوصاف فيحترزون عما يضرهم منها ويتصفون بما ينفعهم (لأجل ذلك) أى كون الظواهر نارت بأنوار آثاره والسرائر نارت بأنوار أوصافه فالأنوار الأولى ناشئة عن الحادث والثانية عن القديم (أفلت) أى غابت وذهبت (أنوار الظواهر) أى الكواكب فيذهب نور الشمس فى الليل ونور القمر والنجوم فى النهار ونسبة ذلك النور الى الظواهر باعتبار كونه منورا لها والا فهو قائم بالكواكب (ولم تأفل) بضم الفاء أى تغب وتذهب (أنوار القلوب والسرائر) أى الأنوار الناشئة عن مشاهدة الصفات القديمة التى لاتزول وما ينشأ عن القديم لايزول وانما يطرأ عليها تغطية بالأوصاف البشرية بالنسبة للعارفين ثم تزول ويرجع ذلك النور ثابتا فى قلوبهم (ولذلك) أى لأجل أفول أنوار الظواهر وعدم أفول أنوار السرائر (قيل) أى قال الشاعر (ان شمس النهار تغرب بالليـل) أى واذا غربت ذهب ضوؤها (وشمس القلوب ليست تغيب) وهو بيت مدور نصفه الياء وقبله بيت

طلعت شمس من أحب بليل * فاستضاءت فمالها من غروب

وفى هذا تنبيه على أن الأمور الباقية هى التى ينبغى أن يغتبط بها ويفرح بحصولها ويعتنى بتربيتها ومراعاة حالها بخلاف الأمور الفانية الآفلة وحينئذ يكون العبد على ملة ابراهيم عليه السلام حيث قال لا أحب الآفلين

الاضطرار وكان مجاب الدعوة لصدق الوعد باجابة دعوة المضطر والله لا يخلف الميعاد وأنشدوا

لو لم ترد نيل ما أرجوه من طلب * من فيض جودك ما ألهمتنى الطلبا

وفى الحديث عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما عن رسول الله ﷺ أنه قال من أذن له فى الدعاء منكم فتحت له أبواب الرحمة وما يسئل الله شيئا قط أحب اليه من أن يسئل العفو والعافية فى الدنيا والآخرة وروى عن رسول الله ﷺ أنه قال من أعطى الدعاء لم يحرم الاجابة قال الشيخ أبو بكر الخفاف رضى الله تعالى عنه وكيف لا يجيبه وهو يحب صوته ولولا ذلك ما فتح له باب الدعاء وعن أنس بن مالك رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ اذا أحب الله عبدا صب عليه البلاء صبا وسحه عليه سحا فاذا دعا قالت الملائكة صوت معروف وقال جبريل يارب عبدك فلان اقض حاجته فيقول الله دعوا عبدى فانى أحب أن أسمع صوته فاذا قال يارب قال الله تعالى لبيك عبدى وسعديك لاتدعونى بشئ الا استجبت لك ولا تسألنى شيئا الا أعطيتك اما أن أعجل لك ما سألت واما أن أدخره لك عندى أفضل منه واما أن أدفع عنك به من البلاء ما هو أعظم من ذلك ۞ (العارف لايزول اضطراره ولا يكون مع غير الله قراره) معرفة العارفين هى معرفتهم بأنفسهم و بما هى عليه من الفاقة والافتقار الى العزيز الجبار و بقدر ما يتحققون بذلك من أنفسهم تكون معرفتهم بالله عز وجل كما جاء فى الخبر من عرف نفسه عرف ربه فلذلك كان العارف لايفارقه الاضطرار * قال سيدى أبو العباس المرسى رضى الله عنه فى قوله تعالى أمن يجيب المضطر اذا دعاه الولى لايزال مضطرا قال الأستاذ تاج الدين ابن عطاء الله قدس الله سره معنى كلام الشيخ هذا أن العامة اضطرارهم بمثيرات الأسباب فاذا زالت زال اضطرارهم وذلك لغلبة دائرة الحس على مشهدهم فلو شهدوا قبضة الله تعالى الشاملة المحيطة لعلموا أن اضطرارهم الى الله تعالى دائم وانما لم يكن له مع غير الله قرار لوجود وحشته من الأشياء ونفوره بقلبه عنها كما تقدم وكأنه رحمه الله قصد بهذا أن يعلمك أن ما تقدم له من الاستيحاش من الخلق وانطلاق اللسان بالطلب من الحق نعتان من نعوت العارفين ۞ (أنار الظواهر بأنوار آثاره وأنار السرائر بأنوار أوصافه لأجل ذلك أفلت أنوار الظواهر ولم تأفل أنوار القلوب والسرائر ولذلك قيل

ان شمس النهار تغرب بالليـل * وشمس القلوب ليست تغيب)

أنوار الظواهر التى بها آثارها الحق تعالى هى الادراكات والاحساسات والحركات التى اتصف بها ظاهر

العبد وأنوار السرائر التى بها أنارها الحق تعالى هي المعارف والعلوم ولطائف الادراكات والفهوم التى اشتمل عليها باطنه وسره فأنوار الظواهر متعلقة بأنوار الآثار الحادثات وأنوار هما نيها ولطائفها المستكنة فيها وأنوار السرائر متعلقة بأنوار الصفات الأزلية لأجل اختلاف المتعلقين في الحدوث والقدم والغنى والفقر والفناء والبقاء كان ما ذكره المؤلف رحمه الله من أفول أنوار ما تعلق بالحادث الفاني وعدم أفول أنوار ما تعلق بالقديم الباقي ثم أنشد المؤلف البيت المذكور مستشهدا به على ما ذكره ومعناه بين فقال

ظلعت شمس من أحب بليل * فاستضاءت فما لها من غروب

وفي هذا تنبيه على أن الأمور الباقية هي التى ينبغي أن يغتبط بها ويفرح بحصولها ويعتني بتربيتها ومراعاة حالها بخلاف الأمور الفانية الآفلة وحينئذ يكون العبد على ملة ابراهيم عليه السلام حيث قال لا أحب الآفلين وروي أن رجلا سأل سهل بن عبد الله رضي الله عنه عن القوت فقال هو الحي الذى لا يموت فقال انما سألتك عن القوام فقال القوام هو العلم فقال انما سألتك عن الغذاء فقال الغذاء هو الذكر فقال انما سألتك عن طعم الجسد فقال مالك وللجسد دع من تولاه أولا يتولاه آخرا اذا دخلت عليه علة فرده الى صانعه أما رأيت الصنعة اذا عيبت ردوها الى صانعها حتى يصلحها وفي معناه أنشدوا

كمل حقيقتك التى لم تكمل * والجسم دعه في الحضيض الأسفل

أتكمل الفاني وتترك باقيا * هملا وأنت بأمره لم تحفل

فالجسم للنفس النفيسة آلة * ما لم تحصله بها لم يحصل

يفنى وتبقى دائما في غبطة * أو شقوة وندامة لا تنجلي

أعطيت جسمك خادما لخدمته * أن علك المفضول رق الأفضل

أتمرك كثيف أنت في أحباله * ما دام يمكنك الخلاص فعجل

من يستطيع بلوغ أعلى منزل * ما باله يرضى بأدنى منزل

﴿ وقيل في هذا المعنى أيضا ﴾

يا خادم الجسم كم تشقى لخدمته * وتطلب الربح مما فيه خسران

أقبل على النفس فاستكمل فضائلها * فأنت بالنفس لا بالجسم انسان

(ليخفف ألم البلاء عليك علمك بأنه سبحانه هو المبلي لك فالذي واجهتك منه الأقدار هو الذي عودك حسن الاختيار) اذا علم العبد أن الله تعالى رحيم به ومستعطف عليه وناظر اليه في كل ما يورده عليه من أنواع البلايا والرزايا ينبغي له أن لا يكترث بذلك ولا يباليه فانه لم يتعود منه الا خيرا له فليحسن بمظنه وليعتقد أن ذلك اختيار له وأن له في ذلك مصالح خفية لا يعلمها الا هو كما قال الله تعالى وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم * قال أبو طالب المكي في هذه الآية فالعبد يكره العيلة والفقر والخمول والضر وهو خير له في الآخرة وقد يحب الغنى والعافية والشهرة وهو شر له عند الله تعالى وأسوأ عاقبة * وفي معنى ذلك قوله تعالى وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة قيل فظاهرها العوافي وباطنها البلايا لأنها تحقق الآخرة فاذا كل ما يصيب المؤمن فهو نعمة كائنا ما كان فله الحمد على نعمه قال في التنوير انما يقويهم على حمل أقداره شهود حسن اختياره وأنشد فيه لنفسه بقوله

وخفف عني ما ألاقي من العنا * بأنك أنت المبتلي والمقدر

وما لامرئ عما قضى الله مهرب * وليس له منه الذي يتخير

وكان الأستاذ أبو علي الدقاق رضي الله عنه يقول جربت مرة وكنت في صورة وحشة من ذلك فدخلت

(ليخفف ألم البلاء عليك علمك بأنه سبحانه هو المبلي لك) أي استحضارك أنه سبحانه هو المبلي دون غيره وأنه أعلم بمصالحك من نفسك فان ذلك سبب في تسليتك وتسليمك ووجود صبرك (فالذي) أي لأن الذي (واجهتك منه الأقدار) أي الأمور المقدرة عليك من المرض وذهاب المال والولد ونحوهما (هو الذي عودك حسن الاختيار) أي اختيار الأمر الحسن الذي يلائمك فان من كانت له عليك نعمة من المخلوقين وجرت عادته أنه يحب الخير لك على تقدير أنه أساء اليك في بعض الأحيان تحتمله لأنه ربما كانت اساءته احسانا في الباطن وكذلك العبد اذا علم أنه سبحانه وتعالى رحيم به ومتعطف عليه وناظر له في كل ما يورده عليه من أنواع البلايا والرزايا ينبغي له أن لا يبالي به فانه لم يتعود منه الا خيرا فيحسن ظنه به ويعتقد أن ذلك اختيار له وأن له في ذلك مصالح خفية لا يعلمها الا هو كما قال تعالى وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم قال أبو طالب المكي في هذه الآية فالعبد يكره العيلة والفقر والخمول والضر وهو خير له في الآخرة وقد يحب الغنى والعافية والشهرة وهو شر له عند الله وأسوأ عاقبة اه

(من ظن انفكاك لطفه عن قدره) أي عما قدره الله عليه من البلايا والمحن (فذلك لقصور نظره) اذ لو كمل نظره لوجد نفسه قد حصل له في تلك البلايا ألطاف كثيرة منها اقباله على المولى بتلك البلية فان البلايا التي يبتلي الله بها عباده مناقضة لارادتهم ومنغصة لشهواتهم وكل ما أزعج النفس ونغصها وآلمها فهو محمود العاقبة من قبل أن يرد العبد الى الله ويلزمه بابه فيلتجي اليه وهذه أعظم فوائد البلايا ويجد ذلك في نفسه كل من نزلت به بلية أو أصابته رزية ومنها أن في البلاء ضعف النفس وذهاب قوتها وبطلان صفاتها التي توقع العبد في الذنوب والمعاصي وتقوي رغبته في الدنيا ومنها أن العبد يحصل له عندها غالبا طاعة القلوب كالصبر والرضا والتوكل والزهد وحب لقاء الله تعالى وذرة من أعمال القلوب خير من أمثال الجبال من أعمال الجوارح ومنها أنه يحصل بها كفارة الذنوب والخطايا الى غير ذلك من الألطاف الالهية

الحمام ففتح على قلبي بشيء من الرضا فسكنت الم كل واحدة من تلك القروح فخرجت ولم يبق منها أثر (وقال) الأستاذ أبو القاسم القشيري رضي الله عنه سمعت الاستاذ أبا علي الدقاق يقول في آخر عمره وقد اشتدت به العلة من أمارات التأييد حفظ التوحيد في أوقات الحكم ثم قال كالمفسر لقوله مشيرا الى ما كان فيه من حاله هو أن يقرضك بمقار يض القدرة في امضاء الأحكام قطعة قطعة وأنت ساكن خامد وقال الجنيد رضي الله عنه كنت نائما عند سري السقطي رضي الله عنه فنبهني وقال لي يا جنيد رأيت كأني قد وقفت بين يديه فقال لي يا سري خلقت الخلق فكلهم ادعوا محبتي خلقت الدنيا فهرب مني تسعة أعشارهم و بقي معي العشر وخلقت الجنة فهرب مني تسعة أعشار العشر و بقي معي عشر العشر وخلقت النار فهرب مني تسعة أعشار عشر العشر فسلطت عليهم ذرة من البلاء فهرب مني تسعة أعشار عشر عشر العشر فقلت للباقين معي لا الدنيا أردتم ولا الجنة أخذتم ولا من النار هربتم ولا من البلاء فررتم فماذا تريدون قالوا انك تعلم ما نريد فقلت لهم اني أسلط عليكم من البلاء بعدد أنفاسكم ما لا تقوم به الجبال الرواسي أتصبرون قالوا اذا كنت أنت المبتلي فافعل ما شئت فهؤلاء عبادي حقا

(من ظن انفكاك لطفه عن قدره فذلك لقصور نظره) قصور النظر في عدم رؤية اللطف في القدر انما هو من ضعف اليقين وقلة حسن الظن بالمقدر الحكيم ولو كمل نظر العبد وقوي بصره لرأى في ذلك من الفوائد والمصالح ما لا يحصى وما غاب عنه أكثر ولكان كما روي عن بعض الصالحين والعارفين أنه قال لقد مرضت مرضة فأحببت أن لا تزول وكان عمران بن الحصين رضي الله عنه قد استسقى بطنه فلبث ملقى على ظهره مضطجعا ثلاثين سنة لا يقوم ولا يقعد قد نقب له على سرير من جريد وكان تحته نقب لغائطه و بوله فدخل عليه مطرف أو أخوه العلاء بن الشخير فجعل يبكي لما رأى من حاله فقال له لم تبكي قال لأني أراك على هذه الحالة العظيمة قال لا تبك فان أحبه الي أحبه الله تعالى الي ثم قال أحدثك بشيء لعل الله تعالى ينفعك به واكتم علي حتى أموت ان الملائكة تزورني فآنس بها وتسلم علي فأسمع تسليمها * وقال بعضهم دخلنا على سويد بن شعبة نعوده فرأينا ثوبا ملقى فما ظننا أن تحته شيئا حتى كشف فقالت له امرأته أهلي فداؤك ما نطعمك وما نسقيك فقال طالت الضجعة ودبرت الحراقيف وأصبحت نضوا ما أطعم طعاما ولا أسيغ شرابا منذ كذا فذكر أياما ثم قال ما يسرني أني نقصت من هذا قلامة ظفر فهؤلاء شاهدوا في بلاياه عطاياه وفي محنه منته وفي عنفه لطفه فأوجب لهم ذلك من الرضا بما هم فيه والتنعم به والتلذذ ما حملهم على أن لا يحبوا زوال ذلك عنهم ولا نقصانه ونحوها الألطاف والمنن في البلايا لا تحصى ولكنا نذكر منها ههنا ما يزداد المريد به قوة وحسن ظن بربه عز وجل و يحمله ذلك على القيام بواجبها فنقول البلايا التي يبتلي الله بها عباده مناقضة لارادتهم ومنغصة لشهواتهم وكل ما أزعج النفس ونغصها وآلمها فهو محمود العاقبة من قبل أن ذلك زادها الى الله تعالى وملازمة بابه بصدق اللجا والافتقار وهذا هو أعظم فوائد البلايا ويجد ذلك من نفسه كل من نزلت به بلية أو أصابته رزية وفيها أيضا ضعف النفس وذهاب قوتها و بطلان صفاتها اذ بوجود ذلك يقع العبد في الذنوب والمعاصي وتتأكد منه الرغبة في الدنيا والحرص على اتباع الهوى وقد قيل لا يخلو المؤمن من علة أو عيلة أو ذلة أو فاقة أو قلة وفي الخبر عن الله تعالى الفقر سجني والمرض قيدي أحبس بذلك من أحببت من عبادي وفيها أيضا يحصل له طاعات القلوب وأعمالها وذرة منها خير من أمثال الجبال من أعمال الجوارح وذلك مثل الصبر والرضا والزهد والتوكل وحب لقاء الله تعالى قيل لعبد الواحد بن زيد رضي الله عنه ههنا رجل قد تعبد خمسين سنة فقصده فقال حبيبي أخبرني عنك هل قنعت به قال لا قال فهل أنست به قال لا قال فهل رضيت عنه قال لا قال فانما مزيدك منه الصلاة والصيام قال نعم قال لولا أني

استحي منك لأخبرتك أن معاملتك له خمسين سنة مدخولة قال أبو طالب المكي رضي الله عنه أراد بذلك أنه لم يرفعك بأعمالك الى مقامات المقربين فيوجدك مواجد العارفين فيكون مزيدك منه أعمال القلوب التي يستعمل بها كل محبوب مطلوب لأن القناعة به حال الموقن والانس به مقام المحب والرضا وصف المتوكل أي انما أنت عنده في طبقة أصحاب اليمين مزيدك منه مزيد العموم من أعمال الجوارح وهذه اشارة الى ما قلناه من أفضلية أعمال القلوب على أعمال الجوارح فمن وفقه الله تعالى الى منازلة هذه المقامات وتوفية حقوقها في البلايا النازلة به فقد حصل على كنوز البر وذكر أبو ابراهيم اسحق بن ابراهيم التجيبي القرطبي المالكي رحمه الله في كتاب النصائح له أن عروة بن الزبير رضي الله عنه امتحن بقرحة في ساقه بلغت به الى نشر عظم ساقه في الموضع الصحيح منها فقال له الأطباء ألا نسقيك مرقدا فلا تحس بما نصنع بك فقال لا ولكن شأنكم بها فنشرت الساق ثم حسموها بالنار فما حرك عضوا ولا أنكروا منه حتى مسته النار فما زاد على أن قال حسبي وأصيب في تلك الأيام بابنه محمد وكان من أحب ولده اليه فلما رأى القدم بيد بعضهم قال أما ان الله تعالى يعلم أني لم أمش بها الى معصية قط ثم قال يا غلام اغسلها وكفنها وادفنها في مقبرة المسلمين ثم جعل يقول لئن أخذت لقد أبقيت ولئن ابتليت لقد عافيت ولئن أخذت لقد طالما أعطيت وذكر ابن قتيبة في عيون الأخبار له عن المدائني قال قدم رجل من عبس ضرير محطوم الوجه على الوليد فسأله عن سبب ضرره فقال بت ليلة في بطن واد ولا أعلم على وجه الأرض عبسيا يزيد ماله على مالي فطرقنا سيل أذهب ما كان لي من مال وأهل وولد الا صبيا رضيعا وبعيرا صعبا فند البعير والصبي معي فوضعته واتبعت البعير لأحبسه فما جاوزت الا ورأس الولد في بطن الذئب قد أكله فتركته واتبعت البعير فاستدار فرمحني رمحة حطم بها وجهي وأذهب عيني فأصبحت لا ذا مال ولا ذا أهل ولا ذا ولد ولا ذا بدن فقال الوليد اذهبوا به الى عروة ليعلم أن في الناس من هو أعظم بلاء منه

* وروي عن عبد الواحد بن زيد رضي الله عنه أنه خرج مع بعض اخوانه الى ناحية من نواحي البصرة فألجأهم السير الى كهف جبل فاذا فيه عبد مقطع بالجذام يسيل جسده قيحا وصديدا فقالوا يا هذا لو دخلت البصرة فتعالجت من هذا الذي بك فرفع طرفه الى السماء وقال يا سيدي بأي ذنب سلطت هؤلاء علي يسخطوني عليك ويكرهونك الي سيدي لك العتبى من ذلك الذنب وأستغفرك منه ولا أعود فيه أبدا قال ثم أعرض عنا بوجهه فانصرفنا وتركناه وروي عن بشر بن الحرث الحافي رضي الله عنه أنه قال رأيت بعبادان رجلا قد قطعه البلاء وقد سالت حدقتاه على خديه وهو مع ذلك كثير الذكر عظيم الشكر لله تعالى قال واذا هو صريع من جنة به قال فوضعت رأسه في حجري وجعلت أسأل الله تعالى أن يكشف ما به وأدعو فأفاق فسمع دعائي فقال من هذا الفضولي الذي يدخل بيني وبين ربي ويعترض عليه في نعمته علي ونحى رأسه من حجري قال بشر فعاقدت الله تعالى أن لا أعترض على عبد في نعمة أراها عليه من البلاء * وقد روي في بعض الأخبار أن يونس وجبريل عليهما الصلاة والسلام التقيا فقال يونس لجبريل دلني على أعبد أهل الأرض فأتى به على رجل قد قطع الجذام يديه ورجليه قال واذ هو يقول متعتني بهما حيث شئت وسلبتنيهما حيث شئت وأبقيت لي فيك الأمل يا بر يا وصول فقال يونس يا جبريل انما سألتك أن تريني صواما قواما فقال ان هذا كان قبل البلاء هكذا وقد أمرت أن أسلبه بصره فأشار الى عينيه فسالتا فقال متعتني بهما حيث شئت وسلبتنيهما حيث شئت وأبقيت لي فيك الأمل يا بر يا وصول فقال جبريل هلم تدعو وندعو معك أن يرد الله عليك يديك ورجليك وبصرك فتعود الى العبادة التي كنت فيها فقال ما أحب ذلك قال ولم قال اذا كانت محبته في هذا فمحبته أحب الي من ذلك

قال يونس ياجبريل والله مارأيت أحدًا أعبد من هذا قال جبريل يا يونس ان هذا الغريق ليس يوصل الى رضاه بشئ أفضل منه وفى الخبر اذا أحب الله عبدا ابتلاه فان صبر اجتباه فان رضى اصطفاه وفيها أيضا يحصل له كفارة الذنوب والخطايا و يستوجب من الله جزيل الهبات والعطايا ولا سبيل له الى ذلك الا بما يرد عليه من أنواع البلايا لان العبد قد يعجز عن القيام بوظائف الطاعات و يتكاسل عن المواظبة على نوافل الخيرات فيكون حينئذ محروما من ثوابها غير حاصل لمن يكفر سيئاته بها وان قدر عليها ولم يتكاسل عنها لم يأمن تخليصها من الشوائب وتسليمها من الآفات والمعايب وحينئذ يبطل عمله و يخيب من انتفاعه به أمله فليحسن العبد ظنه بمولاه وليعلم أن ما اختاره له خير له مما يختاره لنفسه بشهواته وهواه فقد روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال للرجل الذى قال له أوصني قال لا تتهم الله فى شئ قضاه عليك وذكر مسلم رحمه الله من حديث صهيب رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عجبا لامر المؤمن ان أمره كله خير وليس ذلك لاحد الا للمؤمن ان أصابه سرور فشكر كان خيرا له وان أصابه ضرر فصبر كان خيرا له وذكر البخارى ومسلم فى صحيحهما من حديث أبى هريرة وأبى سعيد الخدرى رضى الله عنهما أنهما سمعا رسول الله ﷺ يقول ما يصيب المؤمن من وصب ولا نصب ولا سقم ولا حزن حتى الهم يهمه الا كفر الله به من سيئاته وذكرا أيضا من حديث عبد الله بن مسعود رضى الله عنهما قال قال رسول الله ﷺ ما من مسلم يصيبه أذى من مرض فما سواه الا حط الله تعالى عنه به سيئاته كما تحط الشجرة أوراقها وذكر البخارى ومسلم أيضا من حديث عائشة رضى الله عنها قالت قال رسول الله ﷺ ما من مسلم يشاك بشوكة فما فوقها الا كتبت له درجة ومحيت عنه بها خطيئة وذكر البخارى أيضا عن أبى هريرة قال قال رسول الله ﷺ من يرد الله به خيرا يصب منه وفى حديث أنس بن مالك رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ مثل المريض اذا برئ وصح من مرضه كمثل البردة تقع من السماء فى صفائها ولونها وروى البزار عن عيسى عليه السلام أنه قال لا يكون عالما من لم يفرح بدخول المصائب والامراض على جسده وماله لما يرجو بذلك من كفارة خطاياه وروى عن نبينا ﷺ أخبار كثيرة فى الحمى والعمى وغير ذلك وروى البزار من حديث أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه أنه دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فوضع يده عليه وعليه حمى فوجد حرها من فوق اللحاف فقال ما أشدها عليك يارسول الله قال انا كذلك يشدد علينا البلاء ليضاعف لنا الأجر قال يارسول الله أى الناس أشد بلاء قال الانبياء ثم الصالحون لئن كان أحدهم ليبتلى بالفقر حتى ما يجد الا العباءة يحويها وان كان أحدهم ليبتلى بالقمل حتى يقتله وان كان أحدهم ليفرح بالبلاء كما يفرح أحدكم بالرخاء وقيل فى معنى قوله تعالى فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المطهرين أى من الآثام والذنوب بالحمى والامراض كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يروى عنه للحمى اذهبى الى أهل قباء وقد روى فى بعض الاخبار بدلا من أهل قباء الانصار ففيه أن النبى ﷺ رأى يوما شخصا أسود فقال من أنت فقالت أم ملدم آكل اللحم وأشرب الدم وحرى من فيح جهنم سورة الحمى فقال عليه السلام اذهبى الى الانصار فان لهم علينا حقوقا فأصبح النبى ﷺ فلم ير أحدا من الانصار حضر الصلاة فطلبهم فقيل أخذتهم الحمى فقال قوموا بنا نعودهم وقال لهم الحمى طهارة وكفارة فقالوا يارسول الله ادع الله لنا حتى يزيدنا منها وذكر مسلم رحمه الله من حديث جابر رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ دخل على أم السائب أو أم المسيب فقال مالك يا أم السائب أو يا أم المسيب تزفزفين

قالت

قالت الحمى لا بارك الله فيها فقال لا تسبي الحمى فانها تذهب خطايا بني آدم كما يذهب الكير خبث الحديد وذكر البخاري من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول أن الله عز وجل قال اذا ابتليت عبدي المؤمن بحبيبتيه ثم صبر عوضته منهما الجنة يريد عينيه كذا قال في آخر الحديث من قول أحد الرواة والحبيبتان هما العينان وهما الكريمتان أيضا وروي أن أنس ابن مالك وأبا ظلال رضي الله عنهما كانا في بيت ثابت البناني فقال أنس يا أبا ظلال متى فقدت بصرك قال وأنا صبي لا أعقل فقال ألا أحدثك بحديث حدثنيه حبيبي رسول الله ﷺ يرويه عن جبريل ويرويه جبريل عن ربه عز وجل قال يا جبريل ما جزاء من سلبت كريمتيه قال سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا قال جزاؤه الخلود في داري والنظر الى وجهي ومن طريق هلال بن سويد وهو أبو ظلال المذكور أنه سمع أنسا رضي الله عنه يقول مر بنا ابن أم مكتوم فسلم فقال رسول الله ﷺ ألا أحدثكم بما حدثني به جبريل عليه السلام عن هذا وأضرابه الذين ذهبت أبصارهم قال رسول الله ﷺ حدثني جبريل أن الله عز وجل يقول حق على من أخذت كريمتيه ليس له جزاء الا الجنة وفي حديث بريدة عن النبي ﷺ قال ما أصيب عبد بعد ذهاب دينه بأشد من ذهاب بصره وما ذهب بصر عبد فصبر الا لقي الله ولا حساب عليه * وذكر البخاري ومسلم رحمهما الله تعالى من حديث ابن عباس رضي الله عنهما أن امرأة سوداء أتت النبي ﷺ فقالت يا رسول الله اني أصرع واني أتكشف فادع الله لي قال ان شئت صبرت ولك الجنة وان شئت دعوت الله أن يعافيك قالت أصبر قالت فاني أتكشف فادع الله أن لا أتكشف فدعا لها الى غير ذلك مما روي عن النبي ﷺ في هذا الباب مما لا يحصى كثرة وفيها أيضا يحصل له تجديد التوبة وأداء الحقوق والتبعات والظلامات وكثرة الاستغفار وحسن التذكار وكثرة ذكر الموت اذ ذاك أبلغ ما يذكر به فقد قيل الحمى بريد الموت وقد قيل في قوله تعالى أولا يرون أنهم يفتنون في كل عام مرة أو مرتين ثم لا يتوبون ولا هم يذكرون أي يختبرون بها وفي حديث عائشة وأنس رضي الله عنهما قيل يا رسول الله هل يكون مع الشهداء يوم القيامة غيرهم قال نعم من ذكر الموت كل يوم عشرين مرة وفي لفظ الحديث الآخر من يذكر ذنوبه فتحزنه وقد كان السلف رضي الله عنهم يستوحشون اذا خرج عنهم عام لم يصابوا فيه بنقص من نفس أو مال ويقال لا يخلو المؤمن في كل أربعين يوما أن يراع بروعة أو يصاب بنكبة وكانوا يكرهون فقد ذلك في هذا العدد من غير أن يصابوا فيه بشيء وفيها أيضا يقع له خلف ما يفوته من الطاعات ونوافل العبادات فيكتب له في مرضه مثل ما كان يعمل من ذلك في صحته وذلك أبلغ له في الوصول الى غرضه لأنه من اختيار الله تعالى له وهو خير مما اختار لنفسه وفي الخبر يقول الله تعالى للملائكة اكتبوا لعبدي صالح ما كان يعمله في صحته فانه في وثاقي ان أطلقته أبدلته لحما خيرا من لحمه ودما خيرا من دمه وان توفيته توفيته الى رحمتي وفي الحديث الصحيح من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ اذا مرض العبد أو سافر كتب له مثل ما كان يعمل مقيما صحيحا الى غير ذلك من الألطاف التي لا نعلمها وانما ذكرنا هذه المعاني ههنا لأنها لائقة بكلام المؤلف رحمه الله وكأنها تفسير له وأيضا فان العبد محتاج اليها غاية الاحتياج لأنه في حال نزول البلايا يتسخط ويجزع ويضطرب ايمانه ويتزلزل ايقانه فيحتاج الى يذكر بأمثال هذه المعاني ليحصل له بذلك من الرضا وحسن الظن بالله تعالى والمحبة ما يرجى له بذلك أن مات من فوره حسن الخاتمة وحب لقاء الله تعالى والأعمال بخواتيمها وهذا الغرض هو الذي أوجب لنا في هذا الفصل الاكثار من الحكايات والاظهار نسقا أكثر الاحاديث فيه الحديث واتها الثقات لتطمئن قلوب أهل البلاء بذلك ونسلك الى الله واضحات تلك المسالك والله ولي التوفيق

(لا يخاف عليك) اذا كنت متلبساً بحال من الأحوال كطاعة أو معصية أو نعمة أو بلية (أن تلتبس الطرق عليك) أي طرق العبودية التي توصلك الى ربك عند تلبسك بحال من الأحوال لأن الشرع بينها مبينة لذلك فان من نظر في الكتاب والسنة وجد ما يرشده فعبوديتك في الطاعة أن تشهد منته بها عليك وفي المعصية الاستغفار والتوبة منها وفي النعمة الشكر عليها وفي البلية الصبر عليها (وانما يخاف عليك) في هذه الأحوال (من غلبة الهوى عليك) حتى يعميك عن رؤية طريق قصدك مما ذكر بأن تعجب بالطاعة وتصر في المعصية وتستقل النعمة فلا تشكرها وتجزع في البلية ويحتمل أن المعنى لا يخاف عليك أيها المريد الصادق أن تلتبس عليك الطرق أي الأعمال الموصلة الى الله من صلاة وصيام وذكر أي يلتبس عليك الأولى منها فتصير تعمل هذا تارة وهذا أخرى وتنتقل في أنواع العبادات لكونك لا تعرف الأولى منها من غيره اذا لم تكن تحت تربية شيخ وانما يخاف عليك من غلبة الهوى عليك فيصدك عن سلوك أي طريق من تلك الطرق فترجع عن التوجه الى مولاك بل الذي يلزمك أن تستعمل طرق القربات وان لم تعرف الأولى منها حتى يجمعك الله على شيخ ناصح يريك ذلك وتكون تحت تربيته (سبحان من ستر سر الخصوصية) أي سرها وهو الخصوصية وهي العلوم والمعارف والأسرار الالهية التي يعطيها الله لأوليائه ويفيضها على قلوبهم (بظهور البشرية) أي الأحوال التي تعرض للبشر والأمور الدنيوية التي يتعاطاها الناس فان بعض الأولياء قد يكون حمارا أو خواصا أو حياكا فلا يعرفه غالب الناس لستر خصوصيته بهذه الصنعة التي يتعاطاها ومخاصمته الناس في حال معاملته معهم وقد يظهر الله آثار الخصوصيات على بعض الناس وهم الدعاة الى الله تعالى ليتكمل بهم غيرهم (وظهر) للعباد (بعظمة الربوبية) أي بربوبيته العظيمة (في اظهار) آثار (العبودية) عليهم وهي الأحوال التي تطرأ على العبد فتقتضي افتقاره للرب كالمرض والفقر فان العبد اذا قام به حال من تلك الأحوال التجأ الى الرب في ازالته وظهر له عظمة ربوبيته أي ربوبيته العظيمة أي أن له ربا بالسكاله يزيل عنه ما قام به ولولا ذلك لم يعرفه فعظمة الربوبية انما ظهرت للعباد من وراء حجاب العبودية ولولا ذلك لكان باطنا لا يظهر ولذا قال الشاذلي قدس سره العبودية جوهرة أظهرتها الربوبية فسبحان اللطيف الخبير (لا تطالب ربك) أي تعترض عليه وتسيء الظن به (بسبب (تأخر مطلبك) أي ما طلبته منه باطنا كان كالخصوصيات أو ظاهرا كالأغراض الدنيوية فاذا طلبت منه شيئا ولم يسرع لك الاجابة فلا تسيء به ظنك ولا تطالبه بالوفاء بذلك فانه يفعل ما يشاء لا يسئل عما يفعل (ولكن طالب نفسك بتأخر أدبك) أي عدم وجوده حيث طلبت منه اسراع اجابتك ولا يخفى ما في ذلك من سوء الأدب وأيضا مطالبتك له بالاجابة

(لا يخاف عليك أن تلتبس الطرق عليك وانما يخاف عليك من غلبة الهوى عليك) الطريق الى الله تعالى واضحة لا محالة لأن الحق تعالى هو الذي تولى ذلك وبه أنزل الكتب وأرسل الرسل ونصب عليه الأدلة والبراهين فلا يخاف على العبد من التباسها عليه وانما يخاف من غلبة الهوى عليه حتى يعميه ذلك عن رؤيته قال أحمد بن خضرويه البلخي رضي الله عنه الطريق واضح والحق لائح والداعي قد أسمع فما التحير بعد هذا الا من العمى (سبحان من ستر سر الخصوصية بظهور البشرية وظهر بعظمة الربوبية في اظهار العبودية) سر الخصوصية هو حقيقة المعرفة التي اختص بها أهل ولاية الله تعالى بحيث لا يبقى معها وجود لغير ولا كون وذلك لما جعله فيهم من التهيؤ والقابلية فمن لطيف حكمة الله تعالى أن ستر ذلك بما أظهره من البشرية التي من لوازمها وجود الغير والكون ولولا هذا الستر لكان سر الله مبتذلا غير مصون كما قال في لطائف المنن ولا بدر للشمس من سحاب وللحسناء من نقاب ثم ان من حقيقة ظهور البشرية الاتصاف بصفة الافتقار والاحتياج وغير ذلك من أوصاف الحدوث وذلك هو حقيقة التعبد والتأله فظهر لنا من ذلك لزوم وجود اله معبود وهذه هي عظمة الربوبية التي ظهرت لنا من وراء حجاب العبودية ولولا ذلك لكان باطنا لا يظهر كما قال سيدي أبو الحسن الشاذلي رضي الله عنه العبودية جوهرة أظهرتها الربوبية فسبحان اللطيف الخبير ومن هو على كل شيء قدير والتسبيح الذي ذكره المؤلف رحمه الله ههنا في غاية المناسبة لما ذكره من المعنى (لا تطالب ربك بتأخر مطلبك ولكن طالب نفسك بتأخر أدبك) اذا دعوت ربك وسألت منه مطلبا من المطالب ولم تظهر لك الاجابة فحسن به ظنك ولا تطالبه بالوفاء بذلك فانه يفعل ما يشاء لا يسئل عما يفعل ولكن طالب نفسك بتأخر أدبك فانها أهل للمطالبة وسوء أدبها من وجوه أحدها أنك دعوت لتجاب في دعائك فيحصل لك بذلك غرض وهذا مما يقدح في كمال عبوديتك وسيأتي هذا المعنى عند قوله لا يكن طلبك سببا الى العطاء منه فيقل فهمك عنه وليكن طلبك لاظهار العبودية وقياما بأحكام الربوبية والثاني اعتقادك أنه لم يستجب لك اذ لم يظهر لك عدم الاجابة منه وليس من شرط الاجابة أن تظهر لك بل له أن يخفيها عنك لما في ذلك من المصالح والاجابة اليه أمرها يجعلها ما شاء مما تعلمه أو تجهله وقد تقدم هذا المعنى عند قوله لا يكن تأخير أمد العطاء مع الالحاح في الدعاء

دليل على أنك دعوت لتجاب في دعائك فيكون دعاؤك لغرض وهذا مما يقدح في كمال عبوديتك وأيضا اعتقادك أنه لم يستجب لك إساءة أدب إذ ليس من شرط الإجابة أن تظهر لك بأن يجيبك بعين ما طلبت في الحال بل له أن يخفيها عنك لما في ذلك من المصالح فيجيبك بغير ما طلبت أو بعينه لكن يؤخر ذلك لمصلحة يعلمها ثم أشار إلى كمال الأدب الذي إذا قام به العبد حصل له غاية مقصوده وهو المعبر عنه بالاستقامة وبالصراط المستقيم في قوله تعالى اهدنا الصراط المستقيم فقال (متى جعلك في الظاهر ممتثلا لأمره) بأن وفقك للقيام بطاعته ويسرها لك (ورزقك في الباطن الاستسلام لقهره) أي الرضا بما يجري عليك من مولاك (فقد أعظم المنة عليك) حيث جمع لك بين عبودية الظاهر وعبودية الباطن فهذان الأمران هما اللذان يلزمانك في إقامة العبودية لربك لا غير فلماذا تتشوف وما الذي تلتمس بعد حصولهما إن كنت عبدا حقيقيا وهل موجبات أهل الكمال إلا التقلب في عبودية الظاهر وعبودية الباطن (ليس كل من ثبت تخصيصه) بإظهار أمر خارق للعادة على يده كطي الأرض والطيران في الهواء والمشي على الماء (كمل تخليصه) من آفات النفوس وغوائلها وما تدعو إليه من الشهوات والمخالفات فكأنه يقول ليس كل مخصص بالآيات والكرامات مخلصا من الآفات بل قد يكون بعض من خصص بالكرامة لم تثبت له الاستقامة فالكرامة الحقيقية هي الاستقامة التي تضمنها ما تقدم بخلاف الكرامات التي هي خوارق العادات فإنها قد يحصل على يد من لم يكن مستقيما استقامة تامة وكثيرا ما تظهر على أيدي المبتدئين ولا تظهر على أهل التمكين والكل من أهل الله تعالى فينبغي احترامهم وتعظيمهم لكن يعظم أهل الاستقامة أكثر من أهل الكرامة

الدعاء موجبا لبأسك إلى آخره والثالث وهو أشد اعتراضك على ربك في حكمه ومطالبتك له إذا أخرت إجابته عليك ثم ذكر المؤلف رحمه الله تعالى الحالة التي يكون عليها العبد فإنما تحق الأدب ووصلا إلى غاية الأدب فقال ۞ (متى جعلك في الظاهر ممتثلا لأمره ورزقك في الباطن الاستسلام لقهره فقد أعظم المنة عليك) هذان الأمران هما اللذان يلزمانك في إقامة العبودية لربك لا غير فتى يسرهما الله تعالى لك وأقامك في مراعاة أحكامهما ووفقك لذلك فقد أعظم المنة عليك فلماذا تتشوف وما الذي تلتمس بعدهما إن كنت عبدا حقيقيا قال سيدي أبو الحسن رضي الله عنه صحبت أخا في الله تعالى في البادية واعتزلنا في مغارة عسى أن نكون من أولياء الله تعالى وأن يفتح الله علينا بما فتح الله عليهم فأقمنا زمانا نقول لعل في هذه الجمعة لعل في هذا الشهر فلم يفتح الله علينا فنحن كذلك وإذا بشيخ على باب المغارة يستأذن فأذناه فدخل فسلم ووقف فقلنا له من أنت فقال عبد الملك فعلمنا أنه من أولياء الله فقلنا له كيف حالك فقال كيف حال من يقول لنفسه في هذه الجمعة أكون وليا في هذا الشهر أكون وليا فلا ولاية ولا فلاح ولا دنيا ولا آخرة يا نفس ألا تعبدين الله تعالى كما أمرك مخلصة لوجهه كما أمرك قال الله تعالى وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ثم انصرف عنا فانتبهنا لغلطنا وتيقظنا من أين دخل علينا وعلمنا أن الله تعالى زجرنا به فرجعت على نفسي باللوم والتوبيخ وقلت لها يا نفس من أنت وما عملك وما خطرك أنت لا شيء وتبنا واستغفرنا الله تعالى قال ففتح الله علينا بجوده وفضله ۞ (ليس كل من ثبت تخصيصه كمل تخليصه) التخصيص ههنا هو أن يظهر الحق تعالى على بعض عباده أثر عنايته وتولية لطفه ورعايته فمنهم من يتيسر له ذلك حتى يتحقق بالعرفان ويتخلص عن رؤية الأغيار والأكوان وهؤلاء هم خواص المقربين أهل العلم بالله والحياء ومنهم من يوقفه عن بلوغ ذروة الكمال ويربيه في حال بما يليق به من علوم وأعمال وهؤلاء عامة المقربين وخاصة أصحاب اليمين العباد الزهاد وأهل المجاهدة والأوراد وهؤلاء وإن شاركوا الأولين فيما تحفهم الحق تعالى من لطائف الكرامات وفيما يمنحهم إياه من القيام بوظائف الطاعات والعبادات فلم يتخلصوا من رؤية نفوسهم ولم ينكفوا عن مراعاة حظوظهم بل هم ساكنون إلى الأسباب مرتبطون بوجود الحجاب وقد يخص الحق تعالى هؤلاء بإظهار الكرامات على أيديهم بسببهم تسكينا لنفوسهم وتثبيتا لليقين في قلوبهم ويمنعها الأولين لأنهم لا يحتاجون إليها لما لهم فيه من الرسوخ في اليقين والقوة والتمكين كما قال صاحب كتاب عوارف المعارف وقد يكون من لا يكاشف بشيء من معاني القدر أفضل ممن يكاشف بها إذا كاشفه الله تعالى بصرف المعرفة فالقدرة أثر القادر ومن أهل القرب القادر لا يستغرب ولا يستكثر شيئا من القدرة ويرى القدرة تتجلى له من سجف أجزاء عالم الحكمة وسئل الشبلي رضي الله عنه وقيل له إن أبا تراب ذكر أنه جاع في البادية فرأى البادية كلها طعاما فقال عبد ترفق به ولو بلغ إلى محل التحقيق لكان كمن قال أبيت عند ربي فيطعمني ويسقيني قال في لطائف المنن واعلم أن الكرامات تارة تظهر للولي في نفسه وتارة تظهر منه لغيره فإن ظهرت للولي في نفسه فالمراد تعريفه بقدرة الله تعالى وفرديته وأحديته وأن قدرته لا تتوقف على الأسباب

وأن العوائد هو حاكمة عليها ليست هي حاكمة عليه وانما جعل العوائد والوسائط والأسباب حجب قدرته وسحب شمس أحديته فالواقف عندها مخذول والنافذ منها اليه محمول بالعناية موصول قال وقال الشيخ أبو الحسن رضي الله عنه فائدة الكرامة تعريف اليقين من الله تعالى بالعلم والقدرة والارادة والصفات الأزلية تجتمع لا يفترق وأمر لا ينفقد كأنها صفة واحدة قائمة بذات الواحد لا يستوي من تعرف الله اليه بنوره بمن تعرف الله بعقله ولأجل أنها تثبيت لمن ظهرت له ربما وجدها أهل البدايات في بداياتهم وفقدها أهل النهايات في نهاياتهم لما علم أهل النهايات من الرسوخ في اليقين والقوة والتمكين لا يحتاجون معه الى مثبت وهكذا كان السلف رضي الله عنهم لم يحوجهم الحق سبحانه وتعالى الى ظهور الكرامات لكثير ما أعطاهم من المعارف الغيبية والعلوم الاشهادية ولا يحتاج الجبل الى مرساة فالكرامة رافعة لزلزلة الشك في المنة ومعرفة تفضل الله تعالى فيمن أظهرت عليه وشاهدة له بالاستقامة مع الله سبحانه وتعالى والناس في الكرامات على ثلاثة أقسام قوم يجعلونها غاية الأمر فان وجدوها عظموا من ظهرت عليه وان فقدوها لم يتوجهوا بالتعظيم اليه وقسم قالوا وما هي الكرامات انما هي خدع يخدع بها أهل الارادة ليقفوا بها على حدودهم حتى لا يلحقوا مقاما ليس هو لهم حتى قال أبو تراب النخشبي لأبي العباس الرقي ما تقول أصحابك في هذه الأمور التي يكرم الله بها على عباده فقال ما رأيت أحدا الا وهو يؤمن بها فقال أبو تراب من لم يؤمن بها فقد كفر انما سألتك من طريق الأحوال فقال ما أعرف لهم قولا فقال أبو تراب بل قد زعم أصحابك أنها خدع من الحق وليس الأمر كذلك انما الخدع في حال السكون اليها فأما من لم يقترح بها ولم يساكنها فتلك مرتبة الربانيين وكان هذا من أبي تراب رضي الله عنه بعد أن عطش القوم وهم أصحابه فضرب بيده الأرض فنبع الماء فقال اني أريد أن أشرب به في قدح فضرب بيده الأرض فناوله قدحا من زجاج أبيض فشرب وسقانا أبو العباس الرقي وما زال القدح معنا الى مكة قال الشيخ أبو الحسن والقول الفصل في ذلك أنه لا ينبغي أن تطلب أدبا مع الله تعالى ومن ظهرت عليه عظم لأنها شاهدة له بالاستقامة مع الله تعالى قال والقسم الثالث وهو أن تظهر الكرامات في الولي لغيره والمراد بذلك تعريف ذلك العبد الذي شهدها بصحة طريق هذا الولي الذي ظهرت عليه الكرامة اما أن يكون جاحدا فيرجع الى الاعتراف أو كافرا فيعود الى الايمان أو شاكا في خصوصية هذا العبد فأظهرت عليه ليعرفك الله بما فيه من ودائع الاحسان انتهى كلامه وقال أبو نصر السراج سألت أبا الحسن بن سالم فقلت له ما معنى الكرامات وهم قد أكرموا حتى تركوا الدنيا اختيارا وكيف أكرموا بأن تجعل لهم الحجارة ذهبا فما وجه ذلك فقال لا يعطيهم ذلك لقدرها ولكن يعطيهم ذلك حتى يحتجوا بذلك على نفوسهم عند اضطرابها وجزعها من فوت الرزق الذي قسم الله لهم فيقولون الذي يقدر على أن يصير لك الحجارة ذهبا كما هو ذا تنظر اليه قادر على أن يسوق اليك رزقك من حيث لا تحتسبين فيحتجوا بذلك على تصحيح نفوسهم عند فوت الرزق ويقطعوا بذلك حجج نفوسهم فيكون ذلك سببا لرياضة نفوسهم وتأديبا لها قال أبو نصر وقد حكى لنا ابن سالم في معنى ذلك حكاية عن سهل بن عبد الله رضي الله تعالى عنه أنه قال كان رجل بالبصرة يقال له اسحق بن أحمد وكان من أبناء الدنيا فخرج من الدنيا أعني من جميع ماله وتاب وصحب سهلا فقال يوما لسهل يا أبا محمد ان نفسي هذه ليست تترك الصياح والصراخ من خوف فوت القوت والقوام فقال له سهل خذ ذلك الحجر وسل ربك أن يصيره لك طعاما تأكله فقال له ومن امامي في ذلك حتى أفعل فقال امامك ابراهيم عليه السلام حيث قال رب أرني كيف تحيي الموتى قال أولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي المعنى في ذلك أن النفس لا تطمئن الا برؤية العين

لان

لأن من جبلتها الشك فقال ابراهيم رب أرنى كيف تحيي الموتى حتى تطمئن نفسي فانى مؤمن بذلك والنفس لا تطمئن الا برؤية العين قال فكذلك الأولياء يظهر الله لهم الكرامات تأديبا لنفوسهم وتهذيبا لها وزيادة لهم انتهى كلام أبي نصر وقال بعض العلماء ما رأيت هذه الكرامات الا على أيدي البله من الصادقين وكان رجل يصحب سهل بن عبدالله رضي الله عنه فقال له يوما ربما أتوضأ للصلاة فيسيل الماء من بين يدي قضبان ذهب وقضبان فضة فقال سهل أما علمت أن الصبيان اذا بكوا أعطوا خشخاشة ليشتغلوا بها وحكى جعفر الخالدي عن الجنيد رضي الله عنه قال جاء أبو حفص النيسابوري مرة ومعه عبدالله الرباطي وجماعة وكان فيهم رجل أصلع قليل الكلام فقال يوما لأبي حفص قد كان فيمن مضى لهم الآيات الظاهرة يعني بها الكرامات وليس لك شيء من ذلك فقال له أبو حفص رضي الله عنه تعال فجاء به الى سوق الحدادين الى كير عظيم فأحمي فيه حديدة عظيمة فأدخل يده في الكير فأخذ الحديدة المحماة فأخرجها فبردت في يده فقال له يجزيك هذا فسئل بعضهم عن معنى اظهار ذلك من نفسه فقال كان مشرفا على حاله فخشي على حاله أن يتغير عليه ان لم يظهر له ذلك فخصه بذلك شفقة عليه وصيانة لحاله وزيادة لايمانه بل ربما ينفر عنها العارفون ويخاف منها المحققون قال بعض السلف ألطف ما يخادع به الأولياء الكرامات والمعونات وذكر عن أبي حفص أو غيره أنه كان جالسا وحوله أصحابه قال فنزل ظبي من الجبل فبرك عندهم قال فبكى أبو حفص فسئل عن بكائه فقال كنتم حولي فوقع في قلبي أن لو كان لي شاة لذبحتها لكم فلما برك هذا الظبي عندنا أشبهت نفسي بفرعون حين سأل الله تعالى أن يجري معه النيل فأجراه معه فبكيت وسألته الاقالة فما غبت وأطلقت الظبي ويحكى أن بعض الابدال قال لتلميذ من تلامذة الشيخ أبي مدين رضي الله عنهما بالنيل لا يعتاص علينا شيء وهو يعتاص عليه أقل الأمور مع أنا نتمنى مقامه وهو لا يتمنى مقامنا فبلغ ذلك الشيخ أبا مدين فقال قل له تركنا مرادنا مع مراده وعن بعضهم أنه كان يسير في البادية فانتهى الى بئر فاذا الماء لم يرتفع الى رأس البئر فقال انا أعلم أنك قادر على هذا ولكن لا أطيقه فلو قيضت لي بعض الأعراب ليصفعني صفعات ويسقيني شربة ما كان أسهل لي ثم انى لا أعلم أن ذلك الرفق ليس من جهته قال يحيى بن معاذ الرازي رضي الله عنه اذا رأيت الرجل يشير الى الآيات والكرامات فطريقه طريق الأبدال واذا رأيته يشير الى الآلات والنعمات (١) فطريقه طريق المحبة وهو أعلى من الذي قبله واذا رأيته يشير الى الذكر ويكون قلبه معلقا بالذكر الذي ذكر فطريقه طريق العارفين وهو أعلى درجة من جميع الأحوال وقال أبو يزيد رضي الله عنه كنت في بدايتي يريني الحق تعالى الآيات والكرامات فلم ألتفت اليها فلما رآني كذلك جعل لي الى معرفته سبيلا ❁ (لا يستحقر الورد الا جهول الوارد يوجد في الدار الآخرة والورد ينطوي بانطواء هذه الدار وأولى ما يعتنى به ما لا يخلف وجوده الورد هو طالبه منك والوارد أنت تطلبه منه وأين ما هو طالبه منك مما هو مطلبك منه) الورد عبارة عما يقع بكسب العبد من عبادة ظاهرة أو باطنة والوارد هو الذي يرد على باطن العبد من لطائف وأنوار فينشرح بها صدره ويستنير بها قلبه وسره فالورد ما من العبد للحق تعالى من معاملة وعبودية والوارد ما من الحق سبحانه للعبد من لطف وكرامة والورد أحق ما يعتني به العبد ويراعيه من الوارد لوجهين أحدهما أن الورد مختص بهذه الدار لا يقع الا فيها فهو منقطع بانقطاعها وفان بفنائها فينبغي للعبد أن يستكثر من الأوراد قبل فواتها اذ لا يمكنه خلف ما فات منها والثاني أن الورد هو حق للحق منك والوارد هو حظك منه وقيامك بحقوقه عليك أولى وأليق بالعبودية من طلب حظوظك ووقوفك معها فاذا ثبتت مزية الورد على الوارد باعتبار العبد كان استحقاره من نهاية الجهل وكان مستحقره جهولا كما قال في لطائف

(لا يستحقر الورد) وهو الأعمال الصالحة التي تعمر بها الأوقات وتنكف بها الجوارح عن الوقوع في المكروهات بأن لا يعتنى به ولا يواظب عليه (الا جهول) لما فيه من العبودية لله تعالى والحضور بين يديه والتنعم بذكر مولاه لأنه يورث تصفية الباطن وجلب الأنوار وهي الواردات فالتشوف لها مع عدم الاعتناء بما يجلبها من الجهل والحق ثم ذكر أن لمزية على الوارد من وجهين أشار الى الأول بقوله (الوارد) وهو ما يرد على باطن العبد من المعارف الربانية واللطائف الروحانية وهي الأنوار التي ينشرح بها صدره ويستنير بها قلبه وسره (يوجد في الدار الآخرة والورد ينطوي بانطواء هذه الدار) أي يفني بفنائها (وأولى ما يعتنى به ما لا يخلف وجوده) أي فينبغي للعبد أن يستكثر من الأوراد قبل فواتها اذ لم يمكنه خلف ما فات منها والى الثاني بقوله (الورد هو طالبه منك والوارد أنت تطلبه منه وأين ما هو طالبه منك مما هو مطلبك منه)

١ قوله الآلات والنعمات في نسخة الآلاء والنعماء

المنن واعلموا أن الله تعالى أودع أنوار الملكوت في أصناف الطاعات فإنّ من فاته من الطاعات صنف
أو أعوزه من الموافقة جنس فقد من النور بمقدار ذلك فلا تهملوا شيئا من الطاعات ولا تستغنوا عن
الأوراد بالواردات ولا ترضوا لأنفسكم بما رضي به المدعون من جري الحقائق على ألسنتهم وفقد أنوارها
من قلوبهم لأن الحق بحكمته جعل الطاعة الجارية على العباد مستقرعة لباب الغيب فمن قام بالطاعة
والمعاملة بشرط الأدب لم يحتجب الغيب عنه وإنما حجاب الغيوب وجود العيوب والتطهر من العيب
يفتح لك باب الغيب ولا تكن ممن يطالب الله لنفسه ولا يطالب نفسه لله فذلك حال الجاهلين الذين
لم يفهموا عن الله ولا واجههم الود من الله والمؤمن ليس كذلك بل المؤمن من يطالب نفسه لربه
ولا يطالب ربه لنفسه فان يوقف عليه الوقت استبطأ أدبه ولا يستبطئ مطلبه ثم ذكر كلاما كثيرا وفي
كلامه رحمه الله تعالى تنبيه على تأكيد أمر الاوراد وعظم موقعها من الدين وان مراعاتها من أحسن
سمات العارفين وقد رؤي الجنيد رضي الله عنه وفي يده سبحة فقيل له أنت مع شرفك تأخذ بيدك
سبحة فقال نعم سبب وصلنا به الى ما وصلنا لا نتركه أبدا وكان يدخل كل يوم حانوته ويسبل الستر ويصلي
أربعمائة ركعة ثم يعود الى بيته ورؤي بعد وفاته في المنام فقيل له ما فعل الله بك فقال طاحت تلك
الاشارات وفنيت تلك العبارات وأبيدت تلك الرسوم وغابت تلك العلوم وما نفعنا الا ركيعات كنا
نركعها في السحر وحكى أبو محمد الجريري رضي الله عنه قال كنت عند الجنيد رضي الله عنه في حال نزعه
وكان يوم جمعة ويوم نيروز وهو يقرأ القرآن فختم فقلت في هذه الحالة يا أبا القاسم فقال ومن أولى
مني بذلك وهو ذا تطوى صحيفتي وقال أبو الحسن الدراج رضي الله عنه ذكر عند الجنيد أهل
المعرفة بالله تعالى وما يراعونه من الأوراد والعبادات بعد ما أطلعهم الله به من الكرامات فقال الجنيد
رضي الله عنه العبادة على العارفين أحسن من التيجان على رءوس الملوك * وقال أبو بكر العطار
حضرت الجنيد عند الموت في جماعة من أصحابنا فرأيناه قاعدا يصلي ويثني رجله اذا أراد أن يسجد
فلم يزل كذلك حتى خرجت الروح من رجليه فثقلت عليه حركتهما فمد رجليه فرآه بعض أصدقائه
ممن حضر ذلك الوقت وكانت رجلاه قد تورمتا فقال ما هذا يا أبا القاسم فقال هذه نعم الله أكبر فلما
فرغ من صلاته قال له أبو محمد الجريري رضي الله عنه يا أبا القاسم لو اضطجعت فقال يا أبا محمد هذا
وقت وجود منة الله الله أكبر فلم يزل ذلك حاله حتى مات رحمة الله عليه ورضوانه * وقال الحصري
رضي الله عنه الناس يقولون الحصري لا يقول بالنوافل وعلي أوراد من حال الشباب لو تركت منها ركعة
لعوتبت وقال محمد بن ثابت البناني رضي الله عنهما لما حضرت أبي الوفاة جعلت ألقنه الشهادة
فقال لي يا بني دعني فاني في وردي السابع * قال أبو طالب المكي رضي الله عنه ومداومة الأوراد
من أخلاق المؤمنين وطريق العابدين وهي مزيد الايمان وعلامة الايقان وفي خبر أن عائشة
رضي الله عنها سئلت عن عمل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت كان عمله ديمة وفي لفظ آخر
كان اذا عمل عملا أتقنه وأثبته وفي الخبر المشهور أحب الأعمال الى الله تعالى أدومها وإن قل
وجاء في الأثر كلام تارة يروى عن الحسن بن علي وتارة يروى عن الحسن البصري ومرة عن
عائشة رضي الله عنهم أجمعين وبعضهم يحكيه عن النبي صلى الله عليه وسلم في المنام من استوى يوماه
فهو مغبون ومن كان يومه شرا من أمسه فهو محروم ومن لم يكن في مزيد فهو في نقصان ومن كان
في نقصان فالموت خير له وقد يكون استحقار الورد من المكر والاستدراج للعبد ويكون مبدأ ذلك
أن تلوح له خيالات وتظهر له صور كرامات توجب له استحسان حالته واختيار بطالته وفي ذلك

يعني أن الورد هو حق الله
منك والوارد هو حظك
منه وقيامك بحقوقه عليك
أولى وأليق بالعبودية من
طلبك حظوظك ووقوفك
معها وأتى المصنف بذلك
ارشادا للمريدين الذين
يتشوفون الى الواردات
ويتركون الأوراد
ويستحقرونها وذلك
من الجهل بثمراتها ولذا
لم يترك العارفون أورادهم
مع تمكنهم في أحوالهم
أكثر من المريدين

(وورود الامداد) من الله تعالى على عبده (بحسب الاستعداد) أى بحسب استعداد العبد بتطهير قلبه وملازمته لورده ولذا قيل طهر قلبك من الاغيار تملؤه بالمعارف والاسرار فالوارد تابع للورد كيفا وكما وجودا وعدما فان كان الورد كاملا بأن برز من قلب صاف كان الوارد مثله أو ناقصا كان مثله وان كان كثيرا كان الوارد كثيرا أو قليلا فبحسبه ويعتبر ذلك بمجموع العمر (٨٧) ولذا كان أحب العمل الى الله أدومه وان قل وان كان دائما كان الامداد دائما فالمواظبة على الورد من أهم المهم وهذا يصلح أن يكون توجيها ثالثا لمزية الورد على الوارد (و) قوله (شروق الانوار على حسب صفاء الاسرار) تعليل لما قبله وايضاح له أى شروق أنوار اليقين والعرفان وهى الامدادات المذكورة على حسب صفاء الاسرار من كدر التعلق بالآثار والركون الى الاغيار ولا يكون صفاؤها غالبا الا بملازمة الاوراد • (الغافل) عن التوحيد وأن كل شئ بقضاء الله وقدره (اذا أصبح ينظر ماذا يفعل) أى ينسب أفعاله الى نفسه فيقول ماذا أفعل فى هذا اليوم مثلا (والعاقل) أى المستيقظ الذى لا يغفل عن التوحيد ولا يغيب عنه أن كل شئ بقضاء الله وقدره (ينظر ماذا يفعل الله به) أى ينسب أفعاله كلها الى الله تعالى فيقول اذا أصبح ماذا يفعل الله بى فى هذا اليوم مثلا فنظر الغافل لنفسه فربما وكله الله اليها فلا تنجح مطالبه ونظر العاقل لربه فيكفيه ما أهمه وييسر له مطالبه فهذا ميزان يعرف به المرء حال نفسه فأول خاطر يرد عليه هو ميزان توحيده فلينظر اذا استقبله شغل فان عاد قلبه فى أول وهلة الى حوله وقوته فهو منقطع عن الله وان عاد الى الله سبحانه فهو واصل اليه يصح أن يكون معنى نظره الى ما يفعل الله به ان ينظر ما يرد على قلبه من الاشارة من قبله تعالى فيكون اقدامه واحجامه بوجود بصيرة وحسن توفيق وهذا ميزان سريع اقتضاه دوام التحقق بصدق افتقاره

رفض العبودية بالكلية وهو امارة لوجود الطرد والبعد والعياذ بالله وصاحب هذا عظيم الجهالة شديد العماية والضلالة وقد قال الجنيد رضى الله عنه لرجل ذكر المعرفة فقال الرجل أهل المعرفة بالله يصلون الى ترك الحركات من باب البر والتقرب الى الله تعالى فقال الجنيد ان هذا قول قوم تكلموا باسقاط الاعمال وهذه عندى عظيمة والذى يسرق ويزنى أحسن حالا من الذى يقول هذا وان العارفين بالله أخذوا الاعمال عن الله واليه راجعون فيها ولو بقيت ألف عام لم أنقص من أعمال البر ذرة الا أن يحال بى دونها وانه لا وكد لى فى معرفتى وأقوى فى حالى • قال السهروردى رضى الله عنه فى كتاب عوارف المعارف فأما من تعوق بخيال أو قنع بمحال ولم يحكم أساس خلوته بالاخلاص فيدخل الخلوة بالزور ويخرج بالغرور فيرفض العبادات ويستحقرها ويسلبه الله تعالى لذة المعاملة ويذهب عن قلبه هيبة الشريعة ويفتضح فى الدنيا والآخرة فيعلم الصادق أن المقصود من الخلوة التقرب الى الله تعالى بعمارة الاوقات وكف الجوارح عن المكروهات فيصلح لقوم من أرباب الخلوة معلومة الاوراد وتوزيعها على الاوقات ويصلح لقوم دوام المراقبة ويصلح لقوم ملازمة ذكر واحد ويصلح لقوم الانتقال من الذكر الى الاوراد ولقوم الانتقال من الاوراد الى الذكر انتهى مما يتعلق بغرضنا من كلام السهروردى رضى الله عنه وهو مناسب لما ذكره المؤلف رحمه الله وليس من هذا المعنى ما روى عن أبى سليمان الدارانى وأحمد بن عاصم الانطاكى رضى الله عنهما أنهما قالا اذا صارت المعاملة الى القلوب استراحت الجوارح وان كان ظاهره موهما لما قال أبا نصر السراج رضى الله عنه فى تفسيره بعد أن حكاه عن أبى سليمان الدارانى فقال وهذا الذى قاله أبو سليمان يحتمل معنيين أحدهما انه أراد بذلك استراحة الجوارح من المجاهدات والمكابدات من الاعمال اذا اشتغل بحفظ قلبه ومراعاة سره من الخواطر والعوائق المذمومة التى تشغل عن ذكر الله تعالى قلبه ويحتمل أيضا انه أراد بذلك أن تمكن من المجاهدات والاعمال والعبادات وتصير وطنه ويستلذ بها بقلبه ويجد حلاوتها ويسقط عنه التعب ووجود الآلام التى كان يجدها قبل ذلك انتهى كلام أبى نصر ومعناه صحيح والله أعلم وبه التوفيق

(ورود الامداد بحسب الاستعداد وشروق الانوار على حسب صفاء الاسرار) ورود الموارد الامدادية من الله تعالى على قلب عبده بحسب القوة الاستعدادية المجبولة فيه وشروق الانوار اليقينية على حسب صفاء سره من كدر التعلق بالآثار والركون الى الاغيار (الغافل اذا أصبح ينظر ماذا يفعل والعاقل ينظر ماذا يفعل الله به) أول خاطر يرد على العبد هو ميزان توحيده فالغافل اذا أصبح أول خاطر يرد عليه نسبة الفعل الى نفسه فيقول ماذا أفعل اليوم فهو مشتغل بتدبير نفسه مصروف عن النظر الى مولاه وذلك لوجود غفلته عنه فهو حقيق بأن يكله الله تعالى الى نفسه فيتشتت عليه عقله وينغص عليه مراده والعاقل أول خاطر يرد عليه نسبة الفعل الى الله تعالى فيقول ماذا يفعل الله بى فهو ناظر الى الله تعالى والى ما يرد عليه منه وذلك لوجود عقله ودوام يقظته فلا جرم أن يكفيه الله تعالى

تعلقات الآمال ويفرغه من جميع الأشغال ويرضيه ويفرغه عنه بما يقيمه فيه من أعمال أو يورده عليه
من أحوال وهذه لسعادة عظيمة ومنة من الله تعالى لمن وليه من عباده جسيمة قال عمر بن عبد العزيز
أصبحت ومالي سرور الا في مواقع القدر وقال أبو عثمان رضي الله تعالى عنه منذ أربعين سنة ما أقامني
الله في حال فكرهته ولا نقلني الى غيره فسخطته ومن أملح ما رأيت في هذا المعنى الذي ذكره المؤلف
رحمه الله وما يجب أن يحذو على مثاله كل عالم متصوف ما ذكره الشيخ أبو القاسم عبد الرحمن الصقلي
رضي الله تعالى عنه في كتابه صفة الأولياء ومراتب أحوال الأصفياء بسنده الى أيوب بن بشر
الطالقاني قال حدثنا رجل من أصحابنا قال رأيت رجلا في طرج الديباج ليس معه شيء فدنوت منه
فسلمت عليه فرد علي السلام فقلت يرحمك الله أين تريد قال ما أدري قلت هل رأيت أحدا يريد مكانا
لا يدري أين يذهب فقال نعم أنا واحد فقلت فأين تنوي قال الى مكة قلت تنوي مكة ولا تدري أين تذهب
قال نعم وذلك أني كم مرة أردت أذهب الى مكة فيردني الى طرسوس وكم مرة أردت طرسوس فيردني
الى عبادان فيبلغني الى مكة ولا أدري قلت فمن أين المعاش قال لا أدري قلت أخبرني بأسباب ذلك قال من
حيث يريد يجيعني مرة ويشبعني مرة ويكرمني مرة ويهينني مرة ومرة يقول لي ما على وجه الأرض
أزهد منك ومرة يقول لي أنت لص ومرة ينومني على الفراش ويطعمني الطيب ويدهن رأسي
ويكحل عيني ومرة يطردني الطرد العنيف ولا ينومني الا عند النواويس قلت يرحمك الله من يفعل
ذلك بك قال الله عز وجل قال الطالقاني فتحيرت فقلت يرحمك الله كيف هذا قال أنا رجل أسير نهاري
فإذا جن علي الليل بت فربما يأويني الليل الى قرية فإذا نظر الي أهلها قال بعضهم لبعض هذا لص
لا تدعون هذا يجاوري الليلة في هذه القرية فإذا صليت العشاء الآخرة يدخل المسجد رجل فيقول يا نائم
فأقول لبيك فيقول لي بالعنف قم من ههنا ليس لك ههنا موضع فأقول له حبا وكرامة فأين أبيت
الليلة فيقول خارج القرية عند النواويس فأقول نعم وكرامة لا يكون لي مأوى الا عند النواويس
تلك الليلة فإذا أصبحت سرت فيأويني الليل الى قرية فإذا رآني أهلها قال بعضهم لبعض قد ورد
عليكم الليلة رجل زاهد خير فاضل فيقول هذا عندي يبيت ويقول هذا عندي يبيت فإذا صليت
العشاء الأخيرة فيقول رجل منهم قم بنا الى البيت فأقول نعم حبا وكرامة فأمضي معه الى المنزل فيأتيني
بالطعام الطيب ويدهن رأسي ويكحل عيني ويأتيني بالفراش اللين فينومني عليه ولا يدع شيئا من البر الا
فعله بي حتى أصبح فهذا حالي مع سيدي فقلت يرحمك الله ان قدر لك أن تدخل بغداد فإن منزلي في
موضع كذا وكذا قال فأنا يوما قاعد وإذا بإنسان يدق الباب فخرجت فإذا أنا بأخي فسلمت عليه
وأدخلته البيت فقلت له أي شيء صنع بك مولاك قال آخر ما فعل بي ضربني ضربا شديدا وقال لي
يا لص ثم أراني ظهره فإذا أثر الضرب عليه فقلت أخبرني القصة قال كان بي جوع شديد فلما
بلغت الأنبار جئت الى مقناة قد نبذ منها المدرد والمر فقعدت مقعدا آكل منه فنظر بي صاحب
المقناة فأقبل الي بعصا فجعل يضرب ظهري ويقول يا لص ما أخرب مقناتي غيرك كم أرصدك
حتى وقعت علي وإذا أنا بفارس قد أقبل مسرعا اليه فقصده بالسوط في رأسه وقال تعمد الى
رجل زاهد فتضربه أو يقال له مثل هذا يا لص قال فما كان بأسرع من أن كنت عنده لما صرت
زاهدا كما حدثتك قال فأخذ بيدي صاحب المقناة فذهب بي الى منزله فما أبقى من الكرامة شيئا
واستحلني فخرجت من عنده وجئت اليك وقد يكون في معنى نظره الى ما يفعل الله به أن ينظر ما يرد
على قلبه من الإشارات من قبله فيكون إقدامه وإحجامه بوجود بصيرة وحسن توفيق وهذا أمر إن شرف
اقتضاه دوام التجائه وصدق افتقاره قال سيدي أبو مدين رضي الله تعالى عنه أحرص من أن تصبح

وعدى

(انما يستوحش العباد) وهم المتوجهون الى الله بطريق العمل (والزهاد) وهم المتوجهون له بطريق التوكل (من كل شىء) فكل من الطائفتين ينفر من الخلق لكونهم قاطعين عن الله وذلك (لغيبتهم عن الله فى كل شىء) أى انهم محجوبون عن ربهم برؤية نفوسهم ومراعاة حظوظهم فينفرون من الأشياء ويستوحشون منها لأنها موجودة فى نظرهم فيخافون منها أن تعوق عليهم أغراضهم وتفوتهم مقاصدهم لميلهم اليها وافتتانهم بها (فلو شهدوه فى كل شىء) كما شهده العارفون والمحبون (لم يستوحشوا من شىء) أى من أى شىء من الأشياء لرؤيتهم له حينئذ ظاهرا له فى الأشياء كلها فيشغلهم ذلك عن رؤيتهم لنفوسهم فلا يكون لهم من الأشياء وحشة ولا يخشون منها فتنة لأنها متلاشية فانية بهذا الاعتبار (أمرك) أيها العارف (فى هذه الدار بالنظر فى مكوناته) لتراه ظاهرا فيها بعين بصيرتك قال تعالى قل انظروا ماذا فى السموات الى غير ذلك من الآيات (وسيكشف لك فى تلك الدار عن كمال ذاته) لتراه بعين بصرك فرؤية العباد لربهم عز وجل على حسب تجليه لهم ففى هذه الدار يرونه ظاهرا فى المكونات بأنوار بصائرهم لما تجلى لهم من وراء حجابهم وهو تلك المكونات ولذا أمرهم بالنظر فيها وفى الدار الآخرة يرونه عيانا بأنوار أبصارهم من غير حجاب ولا مانع وهذا غاية الظهور والكشف والرؤية فى الدنيا على الوجه المذكور خاصة بالعارفين وفى الآخرة عامة لجميع المؤمنين (علم منك أنك لا تصبر عنه) أى عن مشاهدتك له كما هو شأن المحب فانه لا يصبر عن رؤية محبوبه لكن رؤيتك له فى هذه الدار من غير حجاب متعذرة (فأشهدك ما برز منه) من الآثار والأكوان أى أشهدك اياها لتراه فيها بعين بصيرتك وان كانت تلك الأكوان حاجبة لك عن رؤيتك له بعين بصرك فقد رأيته ولو من وراء حجاب وذلك كرامة من الله لك وعناية منه بك حيث لم يحجبك عنه فى الدنيا أيضا

وعسى الأمر فوضا مستسلما لعله أن ينظر اليك فيرحمك وقال بعضهم من اهتدى الى الحق لم يهتد الى نفسه ومن اهتدى الى نفسه لم يهتد الى الله فانظر اذا استقبلك شغل فان عاد قلبك فى أول وهلة الى حولك وقوتك فأنت المنقطع عنه وان عاد قلبك الى الله فأنت الواصل الى الله وكل العالم فى قبضته وتخصيص أهل الوصلة بأنهم فى كنف ايوائه ولا يكلهم الى غيره واعتبر هذا المعنى بعمرة الحديبية وذلك أن النبى صلى الله عليه وسلم لما صده المشركون فيها عن مكة ومنعوه من أن يتم بين أظهرهم نسكه رجع فى الحال عن تلك العمرة ولم يتعرض لهم بما يحصل له به فى الظاهر عزة أو نصرة بعد ما كان دعا اليه من بيعة الرضوان تحت الشجرة وما عزم عليه من مناجزة من حاده من الكفرة وعمل فى ذلك على ما أظهره الله له من آياته العظام عند بروك ناقته لما أراد توجيهها الى البيت الحرام وقال حينئذ يظهر الله قصده ويخفر الله اعتمده انما حبسها حابس الفيل لا تدعونى اليوم قريش الى خصلة فيها صلة الرحم الا أجبتهم اليها فكان كما قال صلى الله عليه وسلم وشرف وكرم صالحهم على وضع الحرب فيما بينهم عشر سنين ليتقلبوا فى الأرض آمنين فلما استتب بينهم الصلح وأنزل الله تعالى سورة الفتح ظهرت الفوائد التى تضمنها ذلك التدبير الحسن وقرت أعين الصحابة رضى الله تعالى عنهم بما أبرزه الله اليهم من ألطاف ومنن وقد صح بالمعنى جميع ما قلناه فى الخبر ونقله الينا علماء الحديث والسير وليقل من دعاء صاحب هذا المقام ومناجاته ليوافق معتقده بقوله فى جميع تصرفاته اللهم انى أصبحت لا أملك لنفسى ضرا ولا نفعا ولا موتا ولا حياة ولا نشورا ولا أستطيع أن آخذ الا ما أعطيتنى ولا أتقى الا ما وقيتنى اللهم وفقنى لما تحبه وترضاه من القول والعمل فى طاعتك انك ذو الفضل العظيم وليقل أيضا ما رأيته لسيدى أبى الحسن الشاذلى رضى الله تعالى عنه اللهم ان الأمر عندك وهو محجوب عنى ولا أعلم أمرا أختاره لنفسى فكن أنت المختار لى واحملنى فى أجمل الأمور عندك وأحمدها عاقبة فى الدين والدنيا والآخرة انك على كل شىء قدير (انما يستوحش العباد والزهاد من كل شىء لغيبتهم عن الله فى كل شىء فلو شهدوه فى كل شىء لم يستوحشوا من شىء) العباد والزهاد فى حجبهم عن ربهم لنظرهم لنفوسهم ومراعاة حظوظهم فهم ينفرون من الأشياء ويستوحشون منها لأنها موجودة فى نظرهم والزهد فى المزهود شاهد له بالوجود كما قال سيدى أبو الحسن رضى الله تعالى عنه والله لقد عظمتها اذ زهدت فيها فهم يخافون منها أن تعوق عليهم أغراضهم وتفوتهم عن مقاصدهم بميلهم اليها وافتتانهم بها ولو كانوا من أهل العلم بالله والمحبة له لرأوه ظاهرا فى الأشياء كلها ولكان لهم فى ذلك من قرة أعينهم ما يشغلهم عن رؤيتهم لنفوسهم فلا يكون لهم من الأشياء وحشة ولا يخشون منها فتنة لأنها فانية متلاشية بهذا الاعتبار (أمرك فى هذه الدار بالنظر فى مكوناته وسيكشف لك فى تلك الدار عن كمال ذاته) رؤية العباد لربهم عز وجل على حسب تجليه لهم ففى هذه الدار يرونه ظاهرا فى المكونات بأنوار بصائرهم لما تجلى لهم من وراء حجابها ولذلك أمرهم بالنظر فيها وفى الدار الآخرة يرونه متجليا بأنوار أبصارهم من غير حجاب ولا مانع وهذا غاية الظهور والكشف (علم منك أنك لا تصبر عنه فأشهدك ما برز منه) لما عدم الصبر عن الله تعالى من وجود الاغتباط

(لما علم الحق منك) أيها المريد (وجود الملل) أي السآمة من ثقل العمل المؤدية الى تركه (لون) أي نوع (لك الطاعات) رحمة بك وتسهيلا عليك لأنك اذا سئمت من نوع منها انتقلت الى غيره ولو كانت من نوع واحد لسئمته النفس وتركته استثقالا له بخلاف الأنواع المتعددة فانها تستخفها وتستحليها لتنقلها من نوع الى آخر وشأن النفس أن لا تدوم على حال واحد بل تنظر في الأحوال ألا ترى أن الانسان اذا داوم على طعام واحد تسأمه نفسه كما وقع لبني اسرائيل (وعلم ما فيك من وجود الشره) أي مجاوزة الحد في التسارع الى العمل والحرص عليه فيؤديك الى أن لا تأتي به على وجه الكمال (فحجرها) بالتخفيف أي منعها (عليك في بعض الأوقات) فان الفرائض يمتنع فعلها في غير أوقاتها المحدودة والنوافل (٩٠) يمتنع فعلها في وقت الكراهة وفي بعض النسخ فحجرها عليك في الأوقات بالتشديد

بمعرفته وهو حال شريف يقتضي دوام وجود المعية الاختصاصية والمعية الاختصاصية تقتضي دوام المشاهدة والحضور والمشاهدة الحقيقية غير متصورة في هذه الدار لما هي عليه من الدناءة والنقص والفناء والذهاب فاذا كرم الله تعالى عبده لعلمه بعدم صبره عنه بأن أشهده ما برز عنه من الآثار والأكوان تسلية له بالأثر عن النظر فحصلت له حينئذ المعية الاختصاصية اللائقة بحاله حتى اذا أقعده في مقعد الصدق وحصلت له عندية الحق خلع عليه خلع التقريب والتكريم وواجهه بوجهه الكريم فحصلت له حينئذ المعية الحقيقية والمشاهدة السرمدية وما ذلك على الله بعزيز (لما علم الحق منك وجود الملل لون لك الطاعات وعلم ما فيك من وجود الشره فحجرها عليك في بعض الأوقات ليكون همك اقامة الصلاة لا وجود الصلاة فما كل مصل مقيم) تلوين الطاعات لوجود الملل وتحجيرها في الأوقات لوجود الشره نعمتان عظيمتان أنعم الله بهما على عبده فان الملل والشره فتنتان عظيمتان قاطعتان على العبد سبيل عبوديته والملل تكره يعرض للانسان من عمل يلحقه فيه مشقة فيصبر عليه ويتحمل التعب فيمضي فيضجر ويسأم فيترك ذلك العمل ويرفضه استثقالا له وهو شيء يتعرض للطبع لعدا بثاره للشيء ومحبته والشره مجاوزة الحد في التسارع الى العمل والحرص عليه والذي يوجب وجود الملل المداومة على نمط واحد من العبادات فتسأمها النفس وتستثقلها فاذا لونت عليها استحلتها واستخفتها وقد قال بعض الشعراء

لا يصلح النفس اذ كانت مدبرة * الا التنقل من حال الى حال

والموجب لوجود الشره صلاحية الأوقات كلها لايقاع العبادات فيها مع شدة الحرص عليها وعند وجود الشره يقع النقص والتقصير فيها فلذلك عين لها أوقاتا توقع فيها وأوقاتا لا توقع فيها وذلك هو معنى تحجيرها في الأوقات فان كان الملل والشره واقعين في الصلاة لم يكن ثم الا ما يبقيها لها الوقوع التقصير منه فيها ولم يوص الا باقامة الصلاة لا بوجود صورة الصلاة قال سيدي أبو العباس المرسي رضي الله تعالى عنه كل موضع ذكر فيه المصلون في معرض المدح فانه انما جاء لمن أقام الصلاة اما بلفظ الاقامة أو بمعنى يرجع اليها قال الله سبحانه وتعالى الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة وقال الله تعالى رب اجعلني مقيم الصلاة ومن ذريتي وقال الله عز وجل أقم الصلاة وأقام الصلاة والمقيمي الصلاة ولما ذكر المصلين بالغفلة قال فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون ولم يقل فويل للمقيمين الصلاة والاقامة انه اذا صلى المؤمن صلاة فقبلت منه خلق الله من صلاته صورة في ملكوته راكعة ساجدة الى يوم القيامة وثواب ذلك لصاحب الصلاة واقامة الصلاة حفظ حدودها

أي جعل لكل طاعة وقتا مخصوصا ولم يجعل أداءها في جميع الأوقات لئلا يحصل منك تبرم فيجرك الى الترك والحاصل أن تلوين الطاعات لوجود الملل وتحجيرها في الأوقات لوجود الشره نعمتان أنعم الله بهما على عبده فان الملل والشره آفتان عظيمتان قاطعتان للعمل والموجب للملل المداومة على نمط واحد من العبادات فتسأمها النفس وتستثقلها فاذا لونت عليها استحلتها واستخفتها والموجب للشره صلاحية الأوقات كلها لايقاع العبادات مع شدة الحرص عليها وعند وجود الشره يقع النقص والتقصير بأن يقرأ القرآن مثلا ولا يتدبر في معانيه ولا يحضر قلبه مع مولاه في حال قراءته فلذلك عين لها أوقاتا تقع فيها وذلك هو معنى تحجيرها في

الأوقات وقوله (ليكن همك اقامة الصلاة لا وجود الصلاة فما كل مصل مقيم) بنصب يكون بعد لام كي على ظاهرا أنه تعليل لما قبله أي انما لون لك الطاعات حتى لا تمل وحجرها عليك في الأوقات حتى لا تشره لأجل أن يكون همك الخ فانهما اذا انتفيا أمكن توجيه الاهتمام الى حضور اقامة الصلاة لا الى مطلق وجودها وحصول صورتها بخلاف ما اذا وجدا فانه لا يكون معهما اتقان وفي بعض النسخ ليكن بالجزم فيكون كلاما مستأنفا واقامة الصلاة المراد هنا حفظ حدودها مع حفظ السر مع الله عز وجل فلا يختلج فيه وخص الصلاة بالذكر دون سائر العبادات لأن ذلك أكثر ما يقع فيها ثم أشار الى فوائد صلاة المقيم لا مطلق الصلاة بقوله

وقيل تكثير القيام بأركانها وسننها ثم الغيبة عن مشهودها الى رؤية من يتجلى له فتكون مستقبلا الى القبلة ... متعرضا من حقائق الوصلة

(الصلاة) الحقيقية (طهرة القلوب) من تكدرها بالآثار وتلونها بالأقذار الأغيار ومن الأوصاف المبعدة لها عن مشاهدة العزيز الجبار وفي بعض النسخ (من أدناس الذنوب) من إضافة المشبه به للمشبه والذنوب مختلفة باختلاف المقيمين لها (واستفتاح) أي فتح وطلب فتح (لباب الغيوب) أي ما غاب عنك من المعارف والأسرار شبهها بكنز له باب مغلق عليه والباب تخييل وهذا مرتب على ما قبله لأن القلوب إذا طهرت رفع عنها الأستار فرأت ما غاب عنها من الأسرار (الصلاة محل المناجاة) أي مناجاة العبد لربه بإظهار صفاته الجليلة من رحمته للعباد وربيته للعالمين وملكه يوم الدين إلى غير ذلك من الصفات ومناجاة الرب له بما يلقيه في سره من العلوم الوهبية والأسرار العرفانية (ومعدن المصافاة) أي التودد أي مصافاة العبد لربه بتوجهه إليه بكليته وإقباله عليه بعوالمه الظاهرة والباطنة حتى لا يختلج في سره غيره ومصافاة الرب لعبده بأن يمنحه بشهوده ويفيض عليه فضله وجوده وهذه أعلى المصافاة ودونها مراتب وعلى قدر إقبال العبد يكون إقبال الرب جل جلاله (تتسع فيها ميادين الأسرار) أي تتسع فيها القلوب الشبيهة بالميادين للفرسان أي تنشرح بتوارد الأسرار أي العلوم والمعارف عليها وتسابقها فيها كتسابق الفرسان (وتشرق) أي تطلع (فيها شوارق الأنوار) أي الأنوار الشبيهة بالكواكب الشارقة وهو من عطف السبب على المسبب فإن الأنوار إذا أشرقت في القلوب انشرحت لما يرد عليها من العلوم والمعارف وذلك من ثمرات المناجاة والمصافاة وجميع ما ذكر كالدليل لما قبله من أن المطلوب إقامة

ظاهرا وباطنا قال ابن عطاء الله رضي الله تعالى عنه إقامة الصلاة تحفظ حدودها ظاهرا وباطنا مع حفظ السر مع الله عز وجل لا يختلج بسرك سواه وقال الإمام أبو القاسم القشيري رضي الله تعالى عنه هو القيام بأركانها وسننها ثم الغيبة عن شهودها برؤية من يصلى له فتحفظ عليه أحكام الأمر فيما يجري عليه منه وهو عن ملاحظتها محو فنفوسهم منهم مستقبلة إلى القبلة وقلوبهم مستغرقة في حقائق الوصلة وتمثيل المؤلف رحمه الله تعالى بالصلاة دون سائر العبادات حسن لأن ذلك أكثر ما يقع فيها وقد يكون في ذلك استطراد الكلام على الصلاة حسبما يقوله بإثر هذا ۞ (الصلاة طهرة للقلوب من أدناس الذنوب) كما روي في الحديث الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قوله إنما مثل الصلاة كمثل نهر غمر بباب أحدكم يقتحم فيه كل يوم خمس مرات فما ترون ذلك أبقى من دونه شيئا ۞ (واستفتاح لباب الغيوب) لأن القلوب إذا طهرت وزكت رفع عنها الحجب والأستار فرأت ما غاب عنها من الأسرار ۞ (الصلاة محل المناجاة) لأن فيها يكون محل الثناء والدعاء والمناجاة مخاطبة الأسرار عند صفاء الأذكار للملك الجبار ۞ (ومعدن المصافاة) وهي زوال الأكدار الكونية بينك وبين ربك حتى يصفو قلبك وسرك فيصفو لك حينئذ شهوده ويمحو ذاتك وجوده ۞ (تتسع فيها ميادين الأسرار) حتى تتكاثر عليك في الظهور ۞ (وتشرق فيها شوارق الأنوار) فيكون قلبك نورا على نور وهذه العبارات الست معانيها متقاربة ولما كانت هذه الأحوال التي ذكرها المؤلف رحمه الله تعالى من فوائد الصلاة وأن المقصود منها إنما هو تحصيلها كان ذكر المؤلف لها كالدليل على ما قاله من أن المأمور به إنما هو إقامة الصلاة لا وجود الصلاة فإن الصلاة المعتبرة إنما هي صلاة الخاشعين لا صلاة الغافلين التي لا تنتهض لبلوغ هذه المقاصد السنية ولذلك كانت الصلاة أم العبادات وأساس الخيرات قال الله تعالى أقم الصلاة لذكري فأخبر أن المراد من الصلاة الذكر وقد روي معنى ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال إنما فرضت الصلاة وأمر بالحج والطواف وأشعرت المناسك لإقامة ذكر الله ولذلك كانت قرة عين حبيب الله صلى الله عليه وسلم على ما سيأتي الكلام عليه حيث تعرض المؤلف له وفي بعض الأخبار أن العبد إذا قام إلى الصلاة رفع الله الحجاب بينه وبينه وواجهه بوجهه وقامت الملائكة من لدن منكبيه إلى السماء يصلون بصلاته ويؤمنون على دعائه وأن المصلي لينثر عليه البر من عنان السماء إلى مفرق رأسه وينادي مناد لو يعلم المناجي من يناجي ما انفتل وأن أبواب السماء تفتح للمصلي وأن الله تعالى يباهي ملائكته بصفوف المصلين وفي التوراة يا ابن آدم لا تعجز أن تقوم بين يدي مصليا باكيا فأنا الله الذي اقتربت من قلبك وبالغيب رأيت نوري كانوا يرون أن تلك الرقة والبكاء وذلك الفتوح الذي يجده المصلي في قلبه من دنو الرب من القلب وقال محمد بن علي الترمذي رضي الله عنه دعا الله تعالى الموحدين إلى هذه الصلوات الخمس رحمة منه عليهم وهيأ لهم فيها ألوان الضيافات لينال العبد من كل فعل وقول شيئا من عطاياه فالأفعال كالأطعمة والأقوال كالأشربة وهي عرس الموحدين هيأها رب العالمين لأهل رحمته في كل يوم خمس مرات حتى لا يبقى عليهم دنس ولا غبار وقال أبو طالب المكي رضي الله تعالى عنه حدثت أن المؤمن إذا توضأ للصلاة تباعدت عنه الشياطين في أقطار الأرض خوفا منه لأنه تأهب للدخول على الملك فإذا كبر محجب عنه إبليس وضرب بينه وبينه سرادق لا ينظر إليه وواجهه الجبار بوجهه الكريم فإذا قال الله أكبر اطلع الملك

الصلاة لاوجودها (علم وجود الضعف منك) أيها المريد لأن الطاقة البشرية لاتقدر على دوام التجلي الالهي (فقلل أعدادها) بجعل الخمسين خمسة (وعلم احتياجك الى فضله) باقباله عليك ومواجهته لك بما تحبه (فكثر أمدادها) بالفتح جمع مدد كما الاسرار والعلوم والمعارف التي ترد على قلب المصلى فجعل أمداد الخمسين في الخمس هذا بالنسبة للمريد ويقال بالنسبة لغيره علم وجود الضعف منك بتكاسلك عنها وكثرة اشتغالك وعلم احتياجك الى فضله أي كرمه فكثر أمدادها أي ثوابها بأن جعل للخمسة ثواب الخمسين (متى طلبت) أيها المريد من ربك (عوضا على عمل) صلاة كان أوغيرها بأن عملت ذلك لأجل ثواب آجل وهو الجزاء عليه في الدار الآخرة أو عاجل كالامدادات التي ترد عليك من قبل الحق سبحانه (طولبت) أي طالبك الحق تعالى (بوجود الصدق فيه) أي قال لك انك لم تصدق في كونك عملت العمل لاجلي بل عملت لحظ نفسك والصدق مطابقة الباطن للظاهر وهو مفقود في هذا العامل لأن ظاهره أنه يعمل العمل لله قياما بحق ألوهيته وباطنه أنه لم يعمل الا لحظ نفسه فيكفيه حينئذ سلامته من العقاب عليه كما قال (ويكفي المريب) أي المرتاب في كون مولاه يجعل له الثواب العاجل والآجل وان لم يقصد بعمله اذ لو كان جازما بذلك متيقناله لسعى وجود وسبحانه وتعالى لم يخطر بباله ذلك في حال عمله بل كان يخلص فيه لله تعالى فيكفيه حينئذ (وجدان السلامة) من العقاب على ذلك العمل المدخول أي فيقول له الرب هذا العمل الذي عملته لانستحق عليه مني الجزاء بل يكفيك من الجزاء عليه سلامتك وعدم عقابك وهذا تقبيح لحال طالبي الجزاء على العمل وبيان أن المنهل العذب الصافي أن يعبد العبد ربه لما هو عليه من عظمة الالوهية ونعوت الربوبية لا لما يعود عليه في دنياه أو أخراه وقد ذكر المصنف هذا المعنى في مواضع متفرقة من هذا الكتاب وأشار الى موضع منها أيضا بقوله (لاتطلب عوضا على عمل لست له فاعلا) بل هو الفاعل له حقيقة وانما أنت محل لظهوره واذا كان الفاعل هو الله فكيف تطلب أنت الجزاء عليه أو يقال ان المنفرد بخلق أفعال العباد واختراعها هو الله وليس للعبد الا مجرد الكسب فكيف يطلب الجزاء على عمل ليس منسوبا اليه الا بطريق الكسب (يكفي من الجزاء لك على العمل أن كان له قابلا) أي قبوله له والمراد به عدم مؤاخذتك عليه مع كونه مدخولا لا بقصدك بطلب الثواب

على قلبه فاذا كان ليس في قلبه أكبر من الله فيقول الملك صدقت الله أكبر في قلبك كما تقول قال فينشعشع من قلبه نور يلحق بملكوت العرش فيكشف له بذلك النور ملكوت السموات والأرض ويكتب له حشو ذلك النور حسنات قال وان الغافل الجاهل اذا قام الى الوضوء احتوشته الشياطين كما تحتوش الذباب نقطة العسل فاذا كبر اطلع الملك على قلبه فاذا كل شيء في قلبه أكبر من الله عنده فيقول الملك كذبت ليس الله أكبر في قلبك كما تقول قال فيثور من قلبه دخان يلحق بعنان السماء فيكون حجابا لقلبه عن الملكوت قال فيرد ذلك الحجاب صلاته وتلتقم الشياطين قلبه فلا تزال تنفخ فيه وتنفث وتوسوس اليه وتزين له حتى ينصرف من صلاته ولا يعقل ما كان فيه ومعاني هذه الأخبار والآثار موافقة لمعنى ما ذكره المؤلف رحمه الله تعالى دالة عليه فلذلك أوردتها ههنا والله ولي التوفيق برحمته ۞ (علم وجود الضعف منك فقلل أعدادها وعلم احتياجك الى فضله فكثر أمدادها) فهذا من فضل الله تعالى الذي عوده عبده فتقليل أعدادها بأن جعل الخمسين خمسة وذلك تخفيف منه لما علم من وجود ضعفه وتكثير أمدادها بأن جعل للخمسة ثواب الخمسين وذلك تفضل منه عليه اذ كان محتاجا اليه فله الحمد والشكر على ذلك وهذه المعاني مذكورة في حديث الاسراء ۞ (متى طلبت عوضا على عمل طولبت بوجود الصدق فيه ويكفي المريب وجدان السلامة) تقدم أن العمل لأجل حصول الجزاء مدخول معلول وحكينا هنالك من الآثار والحكايات عن العارفين وأرباب القلوب ما فيه مقنع وقد كرر المؤلف رحمه الله تعالى هذا المعنى في مواضع متفرقة من هذا الكتاب ومما ذكره ههنا تقبيح لحال طالب الجزاء على العمل ومعنى ما ذكره أن العمل على هذا الوجه معرض للبطلان لأنه اذا طالب ربه بالجزاء على عمله طالبه ربه بوجود الصدق فيه والصدق فيه الوفاء بحقه في العمل وأنى له بتوفية ذلك مع كونه طالبا للحظ من ربه فهو لا محالة مريب فيكفيه وجدان السلامة من غير مزيد عليها ۞ وقال الواسطي رضى الله تعالى عنه العبادات الى طلب العفو عنها أقرب منها الى طلب الأعواض عليها وقريب من هذا قول النصراباذي العبادات الى طلب العفو والصفح عن تقصيرها أقرب منها الى طلب الأعواض والجزاء عليها وقال خير النساج رضى الله تعالى عنه ميزان أعمالك ما يليق بأفعالك فاطلب ميزان فضله فانه أتم وأحسن قال الله تعالى قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون ۞ (لاتطلب عوضا على عمل لست له فاعلا يكفي من الجزاء لك على العمل أن كان له قابلا) المنفرد بخلق أفعال العباد واختراعها هو الله عز وجل فكيف يطلب العبد الجزاء على عمل لا مدخل له فيه على الحقيقة ومعنى كون القبول جزاء

(اذا أراد أن يظهر فضله عليك) أي تفضله عليك واحسانه لك (خلق) أي العمل فيك (ونسب اليك) أي نسبه اليك بأن قال فيك عند ملائكته انك مطيع ومتق ومجتهد وعامل أو نسبه اليك على ألسنة العباد بأن يطلق ألسنتهم بأنك مطيع ومتق الخ فاذا اشهد العبد هذا الفضل العظيم واستولى عليه الخجل والحياء من سيده الكريم لم ينسب لنفسه شيئا من محامد الصفات ومحاسن الأعمال لا حقيقة ولا أدبا اذ لا أهلية فيه لذلك وأما مذام الصفات والأعمال ومساويها فمقتضى الأدب أنه يضيف ذلك الى نفسه وأن يعترف أنه من ظلمه وجهله * قال سهل بن عبد الله قدس الله سره اذا عمل العبد حسنة وقال يارب أنت بفضلك استعملت وأنت أعنت وأنت سهلت شكر الله تعالى له ذلك وقال له ياعبدي بل أنت أطعت وأنت تقربت واذا نظر الى نفسه وقال أنا عملت وأطعت

وأنا تقربت أعرض الله تعالى عنه وقال ياعبدي أنا وفقت وأنا أعنت وأنا سهلت واذا عمل سيئة وقال يارب أنت قدرت وأنت قضيت وأنت حكمت غضب المولى جلت قدرته عليه وقال له ياعبدي بل أنت أسأت وأنت جهلت وأنت عصيت واذا قال يارب أنا ظلمت وأنا أسأت وأنا جهلت أقبل المولى جلت قدرته عليه وقال ياعبدي أنا قضيت وأنا قدرت وقد غفرت وحلمت وسترت اهـ (لانهاية لمذامك ان أرجعك اليك) أي وكلك الى نفسك لأنها مجبولة على الشر فاذا خلى الله بينك وبينها أي لم يعنك عليها ولم يحكمك فيها غلبتك وتحكمت فيك فتوقعك في أنواع القبائح حتى لا يبقى في أعمالك ما يستحسن ولا في أحوالك ما يعجب وذلك من علامات الطرد والبعد عن الله (ولا تفرغ مدائحك ان أظهر جوده عليك) بأن تولى عنايتك ونصرك على نفسك ولم يحكمها فيك فتصير أحوالك حسنة جميلة فلا تفرغ مدائحك ولا تنقضي محاسنك وذلك من علامات اصطفائه لك واجتبائه وقد علم أنه لا طريق للنجاة من النفس وغوائلها الا التعلق بالله والالتجاء اليه (كن بأوصاف ربوبيته متعلقا) لا متحققا اذ لا حظ للعبد في شيء من أوصاف مولاه الا تعلقه به لا تحققه (وبأوصاف عبوديتك متحققا) ومعنى التعلق بأوصاف الربوبية النظر اليها وملاحظتها أي ملاحظة كونها له فلا يصح لك أن تتصف بشيء منها ومعنى التحقق بأوصاف العبودية النظر اليها وملاحظتها أي ملاحظة كونها لك فهي التي ينبغي أن يتصف بها العبد حقيقة لا بأوصاف الربوبية وما وجد فيه من أوصاف الربوبية فهو عارية عنده وليس هو له حقيقة فاذا لاحظ كون الغنى والقدرة والعزة والقوة ليست الا للمولى ولاحظ أن الذي يتصف به العبد حقيقة هو أضدادها وهي الفقر والعجز والذل والضعف أمده الله تعالى بأوصافه فيكون غنيا بالله قادرا بالله عالما بالله

قد تقدم ۞ (اذا أراد أن يظهر فضله عليك خلق ونسب اليك) فضل الله تعالى عظيم فاذا أراد أن يظهره عليك خلق لك الطاعة وحلاك بها ونسبها اليك وقال لك ياعبدي أنت مطيع ومتق ومجتهد وعامل وسأثيبك على ذلك فاذا شهد العبد هذا الفضل العظيم واستولى عليه الخجل والحياء من سيده الكريم وانطلق لسانه في هذه الحالة بالدعاء والسؤال وقال يارب كما تفضلت علي بخلق الطاعة لي وحليتني بها ووصفتني بصفات حميدة أنا خلي عنها في الحقيقة ووعدتني مع ذلك جزيل الثواب والنجاة من العقاب فتقبل مني عملي وأنجز لي ما وعدتني كان في ذلك مصيبا والا فلا فحق العبد أن لا ينسب الى نفسه شيئا من محامد الصفات ومحاسن الأعمال حقيقة ولا أدبا اذ لا أهلية فيه لذلك وأما مذام الصفات والأعمال ومساويهما فمقتضى الأدب أن يضيف ذلك الى نفسه وأن يعترف بأن ذلك من ظلمه وجهله * قال سهل بن عبد الله رضي الله تعالى عنه اذا عمل العبد حسنة وقال يارب أنت بفضلك استعملت وأنت أعنت وأنت سهلت شكر الله تعالى له ذلك وقال له ياعبدي بل أنت أطعت وأنت تقربت واذا نظر الى نفسه وقال أنا عملت وأنا أطعت وأنا تقربت أعرض الله تعالى عنه وقال ياعبدي أنا وفقت وأنا أعنت وأنا سهلت واذا عمل سيئة وقال يارب أنت قدرت وأنت قضيت وأنت حكمت غضب المولى جلت قدرته عليه وقال له ياعبدي بل أنت أسأت وأنت جهلت وأنت عصيت واذا قال يارب أنا ظلمت نفسي وأنا أسأت وأنا جهلت أقبل المولى جلت قدرته عليه وقال ياعبدي أنا قضيت وأنا قدرت وقد عفوت وحلمت وسترت

۞ (لانهاية لمذامك ان أرجعك اليك ولا تفرغ مدائحك ان أظهر جوده عليك) من أرجعه الحق الى نفسه ووكله الى عقله وخدمته فقد طرده عن بابه وأبعده عن جنابه وكانت أحواله مشوشة معلولة وأعماله مستقبحة مرذولة ومن أواه اليه وأظهر جوده عليه فقد اصطنعه لنفسه ورفعه الى حضرة قدسه وكانت أحواله حسنة جميلة وأعماله كلها ممدوحة مقبولة كما قيل

فلما انتسبت الى جاهك تعرفت * ذاتي فصرت أنا والا من أنا

۞ (كن بأوصاف ربوبيته متعلقا وبأوصاف عبوديتك متحققا) التعلق بأوصاف الربوبية أن تشهد وجودك ولوازم وجودك لا شيء من جميع ذلك لك ولا منك وانما هي عوار عندك فلا ترى وجودك الا بوجوده ولا بقاءك الا ببقائه ولا عزتك الا بعزته ولا قدرتك الا بقدرته ولا غناك الا بغناه الى غير ذلك من الأوصاف ولا يتم لك ذلك الا بأن تتحقق بأوصاف عبوديتك من عدمك وفقرك وذلك وعجزك والتعلق والتحقق المذكوران متلازمان بل هما شيء واحد لا تعدد فيهما على التحقيق

(منعك أن تدعي ما ليس لك مما للمخلوقين أفيبيح لك أن تدعي وصفه وهو رب العالمين) أورد هذا كالدليل على ما ذكرنا من أنه لا حظ للعبد من صفات مولاه الا التعلق بها فقط وأن ادعاء شئ منها من كبائر معاصي القلب ومن مشاركة المربوب للرب ومن مقتضى الغيرة التي اتصف بها وأعلمنا شأنها على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال لا أحد أغير من الله تعالى ومن غيرته أنه حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن تحريم ذلك على العبد والتسجيل عليه باستحقاق الطرد والبعد ومن أفحش الفواحش عند العارفين وجود شئ من الشركة في قلب العبد بادعاء شئ من أوصاف الربوبية لنفسه عقدا أو قولا لأن ذلك منازعته وتكبر عليه وفي حديث ابن عباس رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله عز وجل الكبر ياء ردائي والعظمة ازاري فمن نازعني في واحدة منهما ألقيته في النار ومعنى المنازعة الدعوى قولا وعبارة والاصرار فعلا واشارة ومعنى الغيرة في حقه تعالى أنه لا يرضى بمشاركة غيره له فيما اختص به من صفات الربوبية وفيما هو حق له من الأعمال الدينية واذا كان الحق تعالى بما نواك وحرم ما عليك أن تدعي ما ليس لك مما أعطى المخلوقين من الأموال وسمى ذلك ظلما وعدوانا فكيف يبيح لك أن تدعي وصفه وهو رب العالمين لا شريك له في ذلك لا أنت ولا غيرك فهو اذا من أعظم الظلم وأشد العدوان عافانا الله من ذلك (قلت) وهذا المعنى الذي ضمنه المؤلف رحمه الله تعالى هذه المسئلة هو الغرض الأقصى الذي هو مرمى نظر الصوفية وكل ما صنفوه ودونوه وأمروا به ونهوا عنه من أفعال وأقوال وأحوال انما هي وسائل الى هذا المقصد الشريف والمقام المنيف فشأنهم انما هو العمل على موت نفوسهم واسقاط حظوظها بالكلية كما قيل الصوفي دمه هدر وملكه مباح وليس ذلك هو المقصود لهم بالذات وانما غرضهم من ذلك ما يلزم عنه من انفراد الله تعالى عندهم بالوجود ولوازم الوجود بانفراد الايثار كونه في شئ منها البتة كما ذكرنا آنفا وهذا هو كيمياء السعادة الذي أعوز أكثر الناس ولم يحظوا منه الا بالافلاس اذ بذلك يستحق المرء عبودية الله عز وجل الذي لا مقام للعبد أشرف منه كما قال الشاعر

ألست لي خلفا مني كفى شرفا * فما وراءك لي قصد ومطلوب

ولهذا المعنى كانت عندهم دقائق خطرات الحظوظ وخفيات هواجس الهوى وكل ما يقتضي بقاء حظ النفس وثبوتها في محبة المقامات وايثار الألطاف والكرامات ذنوبا عظيمة وأخلاقا ذميمة لئيمة قادحة في صدق العبودية والاخلاص للربوبية يتوبون من جميع ذلك الى ربهم ويتعوذون به من شرهم ويخافون مما كتبه وملاحظته غاية البعد ونهاية المكر والطرد كما قيل

اذا قلت ما أذنبت قالت مجيبة * وجودك ذنب لا يقاس به ذنب

ذكر أنه كان لبعض الملوك عبد تقدمه على أشكاله وأقرانه فشكا أهل اقليم عاملهم الى الملك فقال تخيروا من شئتم أوليه عليكم فاختاروا ذلك العبد لما رأوا ميل الملك اليه فقال الملك راجعوه فان اختار الولاية وليته عليكم فرغب الغلام في الولاية فأمر بكتب المنشور وأمر باستقباله اذا رأى محل ولايته والمبالغة في الطافه بأنواع المكرمات والمبار ودس من يرش عليه ماء ورد فيه سم ثم أمر من يقول اذا أشرف على الموت هذا جزاء من اختار الولاية على خدمة مولاه ففي هذا عبرة لأولي الأبصار وتبصرة لأرباب الاعتبار والى هذا المعنى الجليل المؤدي الى سواء السبيل تشير الحكاية المشهورة المروية عن أبي يزيد البسطامي رضي الله تعالى عنه حدث يحيى بن معاذ رضي الله تعالى عنه أنه رآه في بعض مشاهده من بعد صلاة العشاء الى طلوع الفجر مستوفزا على صدور قدميه رافعا أخمصيه مع عقبيه عن الأرض ضاربا بذقنه على صدره شاخصا بعينيه لا يطرف قال ثم سجد عند السحر فأطال ثم قعد فقال اللهم ان قوما طلبوك

عزيزا بالله قويا بالله كما سيأتي في قوله تحقق بأوصافك يمدك بأوصافه ثم علل ذلك بقوله (منعك أن تدعي ما ليس لك) أي حرم عليك أن تدعي شيئا ليس لك (مما) أعطى (المخلوقين) من الأموال وسماه تعالى عدوانا وظلما (أفيبيح لك) سبحانه (أن تدعي وصفه وهو رب العالمين) أي فيكون ادعاؤك ذلك من أعظم الظلم وأشد العدوان فاذا ادعيت أنك غني أو قادر أو عزيز أو قوي أو عالم كما يقع لبعض الناس كان ذلك من كبائر معاصي القلب ومن مشاركة المربوب للرب ومن أفحش الفواحش عند العارفين وجود شئ من الشركة في قلب العبد بادعاء شئ من أوصاف الربوبية لنفسه اعتقادا أو قولا لأن ذلك منازعته وتكبر عليه وفي الحديث الكبرياء ردائي والعظمة ازاري فمن نازعني واحدة منهما ألقيته في النار وفي رواية قصمته ومعنى المنازعة الدعوى بالعبارة أو الاعتقاد واضافة هذين الوصفين له تعالى كناية عن شدة الاختصاص بهما

فاعطيتهم

وأعطيتهم المشي على الماء والمشي في الهواء فرضوا بذلك واني أعوذ بك من ذلك وان قوما طلبوك فأعطيتهم طي الأرض فرضوا بذلك واني أعوذ بك من ذلك وان قوما طلبوك فأعطيتهم كنوز الأرض فانقلبت لهم الأعيان فرضوا بذلك واني أعوذ بك من ذلك وان قوما طلبوك فأعطيتهم عبدك خضرا فرضوا بذلك واني أعوذ بك من ذلك حتى عد نيفا وعشرين مقاما من كرامات الأولياء ثم التفت الي فرآني فقال يحيى قلت نعم يا سيدي قال مذ متى أنت ههنا قلت منذ حين فسكت فقلت يا سيدي حدثني بشيء فقال أحدثك بشيء يصلح لك أدخلني في الفلك الأسفل فدورني في الملكوت السفلى فأراني الأرضين وما تحتها الى الثرى ثم أدخلني في الفلك العلوي فطوف بي في السموات وأراني ما فيها من الجنان الى العرش ثم أوقفني بين يديه فقال سلني أي شيء رأيت حتى أهبه لك فقلت يا سيدي ما رأيت شيئا استحسنته فأسألك اياه فقال أنت عبدي حقا تعبدني لأجلي صدقا لأفعلن بك ولأفعلن بك وذكر أشياء فقال يحيى ابن معاذ رضي الله تعالى عنه فهالني ذلك وامتلأت به وعجبت منه فقلت يا سيدي لم لا تسأله المعرفة به وقد قال لك ملك الملوك سلني ما شئت قال فصاح بي صيحة وقال ويلك اسكت ويلك غيرة عليه مني لا أحب أن يعرفه سواه قال الشيخ أبو طالب المكي رضي الله تعالى عنه بعد أن ذكر هذه الحكاية فهذا حال عبد فان عن نفسه مأخوذ اذ كان بربه عز وجل له موجدا طال مقامه في المقامات فقصرت عن وصفه الصفات وحق له اذا نظر الى الحسن الذي حسنت المحاسن كلها عن حسنه وشانت الزينات جميعها بعد النظر الى زينته وشهد الجمال الذي تجمل الجمال والمتجملون بجماله أن لا يستحسن سواه وكيف يحب غير ما استحسن أو يرتضي بن في عينه الا اياه أم كيف يطلب غير ما أحب أو يبصر مع غير ما طلب بل كيف يهتم بغير ما طلب فهو نعت عبد مطلوب بعين ما طلب ووصف شخص محبوب بعين ما أحب الله يصطفي من الملائكة رسلا ومن الناس انتهى وفي الاشارات عن الله سبحانه يا عبدي اعزل نفسك تنعزل معها الملك والملكوت فتلحق الدارين بالملك وتلحق العلوم بالملكوت فتكون عندي من وراء ما أبدي فلا يستطيعك ما أبدي لأنك عندي واذا كنت عندي كنت عبدي حقا واذا كنت عبدي كان عليك نوري فلا يستطيعك ما أبدي وان أرسلته اليك لأن نوري عليك وليس نوري عليها فاذا جاءك لم تطقك فأوذنك به فتأذن أنت والعبارات عنهم في هذا المعنى خارجة عن الحصر وفيما سمناه منها كفاية وانما ذكرنا هذه المعاني وان كانت في الظاهر أعلى من أن يتناولها كلام المؤلف رحمه الله تعالى لأن مرجع أمرها اليها اذا وقفنا في النظر وتصرفنا فيه بوجوه العبر فكان باطنه هو المقصود المعتبر وكلام الصوفية رضي الله تعالى عنهم كثيرا ما تجري هذا المجرى والله تعالى يجزيهم عنا خيرا ويمن علينا بالفهم عنهم وحسن القبول منهم ويفتح أسماعنا للاصغاء اليهم ويشرح صدورنا باستحسان ما يرد منهم أو يبدو عنهم بمنه وفضله ۞ (كيف تخرق لك العوائد وأنت لم تخرق من نفسك العوائد) بخرق العوائد بانكشاف عالم القدرة لا يكرم الحق تعالى به الا من خرق عوائد نفسه وفني عن ارادته وحظوظه ومن لم يصل الى هذه المقامات لا يطمع فيها وان ظهر له ما هو في صورة الكرامات فينبغي له أن يخاف عند ذلك من الاستدراج والمكر بحيث لا يحب ذلك ولا يطلبه فان أحبه أو طلبه فهو دليل على بقائه مع ارادته وحظوظه وعاداته فكيف تخرق العوائد لمن هذه صفته على سبيل الكرامة وهل هذا الا محال لا يستقيم قال الشيخ أبو طالب المكي رضي الله عنه وجميع الأنوار من الغيوب التي وراء الحجب والأستار لا يظهر عليها الا مطلوب والمطلوب لا يكون الا محوا وهو عن نفسه مسلوب فمن بقيت عليه من نفسه بقية ونظر الى حركته وسكونه بعينه نظرة خفية فسترها عليه رحمة له لأنه لو كشف له لهلك في حيرة الهوى وغرق في عار الدنيا وتفلت عنه وعن طلبه اياها هو

(كيف تخرق لك) أيها المريد أي تطمع أن تخرق لك (العوائد) بأن تظهر على يدك كرامة كطي الأرض (وأنت لم تخرق من نفسك العوائد) أي ما اعتدته من الكبر والعجب والدعوى وغير ذلك تخرق العوائد ظهور شيء من عالم القدرة لا يكرم الله به الا من خرق عوائد نفسه وفني عن ارادته وحظوظه ومن لم يصل الى هذا المقام لا يطمع فيه فان ظهر له ما في صورته كرامة فينبغي له أن يخاف من الاستدراج والمكر ولا يحب ذلك ولا يطلبه فان أحبه أو طلبه كان ذلك دليلا على بقائه مع ارادته وحظوظه وعاداته فكيف تخرق العوائد لمن هذه صفته على سبيل الكرامة

بحجابه عنها واستتارها عنه حتى يكون كارها لظهورها كراهيته ظهور الخلق على معصيته وخائفا منها كخوفه على نفسه في تظاهرها عليه تهلكته فيناله حين يبتلى بها ويختبر ليظهر كيف يعمل وكذا الشيخ أبو عبد الله القرشي رضي الله عنه قال من لم يكن كارها لظهور الآيات وخوارق العادات منه كراهية الخلق لظهور المعاصي فهو في حقه حجاب وسترها عليه رحمة فاذا من خرق عوائد نفسه لا يريد ظهور شيء من الآيات وخوارق العادات له بل تكون نفسه عنده أقل وأحقر من ذلك فاذا فني عن ارادته جملة فكان له تحقق في رؤية نفسه بعين الحقارة والذلة حصلت له أهلية ورود الالطاف ووجود الاسعاف وسلك الى مرتبة الصديقية المهيع الناهج وضرب مع أهل الارادة بقدح فالج قال الشيخ أبو العباس بن العريف أصبحت يوما مهموما فقلت للشيخ أبي القاسم بن رويبل حدثني بحكاية عسى الله أن يفرج ما بي فقال نعم وصف لي رجل ببعض السواحل يعرف بأبي الخيار فقصدته فوجدته على ساحل البحر فسلمت عليه وجلست فلم يتكلم ولم أكلمه حتى اذا كان وقت الصلاة أقبل نفر من بعض الاودية متفرقون فاجتمعوا اليه وتقدمهم أحدهم فصلى بهم ثم افترقوا ولم يكلم أحد منهم أحدا وجلس الشيخ مكانه وجلست عنده حتى اذا كان وقت الصلاة حضر النفر فصلوا ثم انصرفوا حتى اذا كان وقت العصر اجتمعوا وصلوا ثم جلسوا بعد ذلك وتذاكروا سير الصالحين ومقامات العارفين والاولياء الى قريب الاصفرار ثم تفرقوا واجتمعوا للمغرب ثم تفرقوا فجلست عندهم ثلاثة أيام كذلك ثم وقع في نفسي أن أسأله عن مسئلة أستفيدها فتقدمت اليه فقلت أيها الشيخ مسئلة أسأل عنها فقال قل فنظر الجماعة الي كالمنكرين ففزعت فقلت أيها الشيخ متى يعلم المريد أنه مريد قال فأعرض عني ولم يجبني فخفت أن أكون قد أغضبته فقمت عنه فلما كان في اليوم الثاني قلت لابد أن أسأله عن المسئلة وعزمت على ذلك فتقدمت اليه وقلت أيها الشيخ متى يعلم المريد أنه مريد فأعرض عني كالاولى ولم يجاوبني فقمت وعدت في الثالثة وسألته عن المسئلة بعينها فاجتمع وقال لا تقل هكذا أظنك تريد أن تسأل عن أول قدم يضعه المريد في الارادة فقلت نعم قال لي اذا اجتمع فيه أربع خصال احداها أن تطوى له الارض وتكون عنده كقدم واحد وأن يمشي على الماء وأن يأكل من الكون متى أراد وأن لا ترد له دعوة فعند ذلك يضع أول قدمه في الارادة وأما متى ما علم المريد عندنا أنه مريد سقط من حد الارادة قال الشيخ أبو العباس بن العريف رضي الله عنه فصحت صيحة كادت نفسي تذهب معها قلت لها أيستنا من الارادة يا أبا القاسم وتعجبت من علو همة هذا الشيخ انتهى واعلم أنه أول ما خرق له من العادة تسميته باسم المريد مع كونه مسلوب الارادة وما أحسن ما قال الشاعر

تكون مريدا ثم فيك ارادة • اذا لم ترد شيئا فأنت مريد

والتحقيق في هذا أن من محضت ارادته لعبودية الله عز وجل بمراعاة حقوقه لاجل ما وجب عليه من ذلك لا يتوصل به الى نيل حظ ما هو الذي يسمى مريدا فلم يسم بذلك الا أنه متصف بالارادة الحقيقية المتعلقة بأشرف المطالب ونهاية الآمال والمآرب وذلك أمر وجودي يصح أن يشتق منه اسم لمن قام به ذلك الامر لا أنه سمي بذلك لاجل ما سلب عنه من الارادة المجازية المتعلقة بحظوظه لكن لما كان سلب احداهما يقتضي وجود الاخرى كاقتضاء الواجب صح لذلك الشاعر أن يطلق اسم الارادة على من سلبت منه بعد حرة ثمن وجدت فيه رشاقة وملاحة ونعمة وبهذا تبين لك صحة كلام أبي يزيد رضي الله عنه واستقامته حيث قيل له ما تريد فقال أريد أن لا أريد وأنه ليس بمحتمل ولا متناقض كما توهم بعضهم قال في التنوير واعلم أنه قال بعضهم ان أبا يزيد لما أراد أن لا يريد فقد أراد وهذا قول من لا معرفة عنده وذلك أن أبا يزيد رضي الله عنه انما أراد أن يريد لان الله تعالى اختار له وللعباد أجمع

عدم

(ما الشأن وجود الطلب) أى الدعاء بلسان المقال أى ليس الشأن المعتبر عند المحققين أن تطلب حوائجك وحظوظك من مولاك دون غيره ظانا أن طلبك ذلك منه دون غيره يوفى بما يجب عليك فى الدعاء من الأدب فان ذلك لا يوفى به (انما الشأن أن ترزق حسن الأدب) أى انما الشأن المعتبر عند المحققين أن تطلب جميع مطالبك منه دون غيره لا لقصد نيل حظك ومرادك فقط بل أن تطلب ذلك منه اظهارا للعبودية وقياما بحقوق الربوبية فبذلك يحسن أدبك ويصح سؤالك وطلبك وذلك هو الوفاء على التحقيق بحق الأدب فى الدعاء ويحتمل أن يراد بالطلب الطلب بالقلب وتوجهه لشئ من الأغراض أى ليس الشأن أن تطلب شيئا من مولاك بقلبك مما لك فيه حظ سواء صاحبه طلب باللسان أولا بل الشأن أن ترزق حسن الأدب وهو ترك الطلب اكتفاء بنظره اليك فالأدب الحسن فى الدعاء على الوجه الأول أن يدعو اظهارا للعبودية وقياما بحق الربوبية لا لنيل حظ نفسه فقط وعلى الوجه الثانى ترك الدعاء والطلب اعتمادا على قسمته واكتفاء بمشيئته واشتغالا بذكره عن مسئلته (ما طلب لك) بالبناء للفاعل وهو (شئ مثل الاضطرار) أى ان أحسن الطالبين لك هو الاضطرار فشبهه بشخص طالب والاضطرار اظهار غاية الفاقة فلا تتوهم من نفسك شيئا من الحول والقوة ولا ترى لها شيئا من الأسباب تعتمد عليه أو تستند اليه وتكون بمنزلة الغريق فى البحر أو الضال فى التيه القفر لا ترى لغناك الا مولاك ولا ترجو النجاة من هلكتك الا منه ويحتمل بناء طلب للمفعول والنائب قوله شئ أى اضطرار العبد هو أقصى أوصاف عبوديته ولذلك لم يطلب من العبد شئ أجل منه وقوله (ولا أسرع بالمواهب اليك مثل الذلة والافتقار) من عطف اللازم على الملزوم لأن الذلة والافتقار لازمان للمضطر وهما موجبان لاسراع مواهب الحق تعالى الى العبد المتصف بهما واليه الاشارة بقوله تعالى ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة فذلتهم أوجبت لهم عزهم ونصرتهم

عدم الارادة معه فهو لا يختار معه شيئا ولا يريده فهو أى ارادته أن لا يريد موافق لارادة الله له ولذلك قال الشيخ أبو الحسن فكل مختارات الشرع ومرتباته هو مختار لله ليس لك منه شئ فاسمع وأطع وهذا موضع الفقه الربانى والعلم اللدنى وهو أرض تنزل علم الحقيقة المأخوذ عن الله فأبان الشيخ بهذا الكلام أن كل مختار للشرع لا يناقض اختيار مقام العبودية المبنى على ترك الاختيار لئلا ينخدع عقل قاصر عن درك الحقيقة بذلك فيظن أن الوظائف والارادات ورواتب السنن اذا أتى بها تخرج بها العبد عن صريح العبودية لأنه قد اختار فبين الشيخ أن كل مختارات الشرع ومرتباته ليس لك منه شئ وانما أنت مخاطب أن تخرج عن تدبيرك لنفسك واختيارك لها الا عن تدبير الله تعالى ورسوله لك فافهم قال فقد علمت اذا أن أبا يزيد انما أراد أن لا يريد الا أن الله أراد منه ذلك فلم تخرجه هذه الارادة عن العبودية المقتضاة منه انتهى وقد طال بنا الكلام فى هذا المعنى حتى آل الى بعد المناسبة بينه وبين المسئلة المنبه عليها من الكتاب والحديث مشحون يجر بعضه الى بعض لكن لما كان قصدنا فى هذا التنبيه اغتنام ذكر الفوائد فى مواضعها ومظانها لتقرع مسائل هذا الفن الغريب أسماع من أراد الله تعالى توفيقه ممن يمكنه وينبه بعلو المشرب فيمن صحح منازله كنا سائرين فيها على أوضح المسالك وبالله تعالى التوفيق

(ما الشأن وجود الطلب انما الشأن أن ترزق حسن الأدب) اذا التزم العبد طلب حوائجه وحظوظه من مولاه ولم يطلب ذلك من غيره فلا يظن أنه يوفى بما يجب عليه من حق الربوبية فليس ذلك بالشأن المعتبر عند المحققين وانما الشأن أن يتأدب العبد بين يدى مولاه أدبا حسنا بأن يفوض أمره اليه ويرضى بما قسم له ولا يطلب منه ما ليس له كما سيقول المؤلف رحمه الله بعد هذا ويطلب عبوديته لا أن القصد نيل حظه فبهذين الوجهين يحسن أدبه ويصح سؤاله وطلبه وذلك هو الوفاء على التحقيق

(ما طلب لك شئ مثل الاضطرار ولا أسرع بالمواهب اليك مثل الذلة والافتقار) اضطرار العبد هو أخص أوصاف عبوديته ولذلك لم يطلب من العبد شئ أجل منه قال أبو محمد عبد الله بن منازل رضى الله عنه العبودية الرجوع فى كل شئ الى الله عز وجل على حد الاضطرار وفيه أيضا خاصية اجابة الدعاء قال الله عز وجل أمن يجيب المضطر اذا دعاه والاضطرار المطلوب منه أن لا يتوهم العبد من نفسه شيئا من الحول والقوة ولا يرى لنفسه سببا من الأسباب يعتمد عليه أو يستند اليه ويكون بمنزلة الغريق فى البحر أو الضال فى التيه القفر لا يرى لغياثه الا مولاه ولا يرجو لنجاته من هلكته أحدا سواه وقال بعض العارفين المضطر الذى يقف بين يدى مولاه فيرفع يديه اليه بالمسئلة فلا يرى بينه وبين الله حسنة يستحق بها شيئا فيقول هب لى يا مولاى بلا شئ والذلة والافتقار أمران لازمان له وهما موجبان لاسراع مواهب الحق تعالى الى العبد المتصف بهما واليه الاشارة بقوله عز من قائل ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة فذلتهم أوجبت لهم عزتهم ونصرتهم كما قيل

وإذا تذللت الرقاب تقربا ● منها اليك فعزها فى ذلها

وقيل

حيث أسلمتنى الى الذال واللام ● ثم تلقتنى بعين وزاى

(لو أنك لا تصل اليه الا بعد فناء مساويك) أي عيوب نفسك ومنها شهوة الوصول اليه (ومحو دعاويك) أي نسبة ما لا تستحقه اليك كالقوة والعزة والغنى والقدرة وفناء ذلك ومحوه بالرياضات والمجاهدات أي لا تعتقد أنك لا تصل اليه الا بعد فناء ذلك برياضتك ومجاهدتك فان اعتقدت ذلك (لم تصل اليه أبدا) لأن ذلك من الأوصاف الذاتية الجبلية التي لا ينفك عنها العبد وحينئذ فالوصول منة من الله عليك لا بكسبك كما أشار الى ذلك

بقوله (ولكن اذا أراد أن يوصلك اليه) أي الى حضرة قربه (غطى وصفك بوصفه ونعتك بنعته) أي ستر عنك أوصافك وأظهر عليك أوصافه فأفناك عنك وأبقاك به، أي غيب صفاتك الدنية باظهار صفاته العلية عليك والى ذلك الاشارة بقوله في الحديث القدسي ولا يزال عبدي يتقرب الي بالنوافل حتى أحبه فاذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها (فوصلك اليه بما منه اليك) وهو اظهار صفاته عليك (لا بما منك اليه) من الاجتهاد في الأعمال قال الشاذلي قدس سره لن يصل الولي الى الله ومعه شهوة من شهواته أو تدبير من تدبيراته أو اختيار من اختياراته فلو خلى الله تعالى عبده وذلك لم يصل اليه أبدا ولكن اذا أراد الله أن يوصل عبده اليه تولى ذلك له بأن يظهر له من صفاته العلية ونعوته القدسية بما يغيب بصفات عبده ونعوته عنه وعند ذلك لا يكون له ارادة ولا اختيار الا ما اختاره مولاه وأراده اهـ (لولا جميل ستره) أي ستره الجميل (لم يكن عمل أهلا للقبول) لأن العبد ممتلئ بنظره الى نفسه وفرحه بعمله من حيث نسبته اليه وشهوده حوله وقوته عليه وقد يكشف صحابه فيرائي به ويطلب حمد الناس له وهذا كله من الشرك الخفي القادح في الاخلاص والاخلاص شرط في قبول العمل كما مر وحينئذ فيكون اعتماد المريد في وصوله على فضل الله وكرمه لا على اجتهاده ولو قال لولا فضله لكان أولى (أنت الى حلمه اذا

اطعته

قال في لطائف المنن والحالب للتوفيق علامة صدق الرجعى الى الله في أول كل فعل وترك تحقيق الفقر والفاقة اليه والانغماس في بحر الذلة والمسكنة بين يديه واستصحاب ذلك الى الفراغ من ذلك أبدا وقد قال الله سبحانه ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة وقال تعالى انما الصدقات للفقراء والمساكين فلا تدخل جنة عملك وعلمك وما أعطيت من نور وفتح فتقول كما قال من خذل فأخبر الله عنه بقوله ودخل جنته وهو ظالم لنفسه قال ما أظن أن تبيد هذه أبدا ولكن ادخلها كما بين لك وقل كما رضي لك ولولا اذ دخلت جنتك قلت ما شاء الله لا قوة الا بالله وافهم ههنا قوله صلى الله عليه وسلم لا حول ولا قوة الا بالله كنز من كنوز الجنة وفي رواية أخرى كنز من كنوز تحت العرش فالترجمة ظاهر الكنز والمكنوز فيها صدق التبري من الحول والقوة والرجوع الى حول الله تعالى وقوته ۞ (لو أنك لا تصل اليه الا بعد فناء مساويك ومحو دعاويك لم تصل اليه أبدا ولكن اذا أراد أن يوصلك اليه غطى وصفك بوصفه ونعتك بنعته فوصلك اليه بما منه اليك لا بما منك اليه) الوصول الى الله تعالى لا يكون الا بمحو صفات النفس وقطع علاقات القلب من شيء من ذلك لا يتصور من العبد من حيث هو لأن ذلك طبعه وجبلته ولو لم يكن الا ارادته وعمله في تحصيل هذا الغرض بنفسه فهما من جملة المساوي والدعاوي المحتاج الى محوها قال سيدي أبو العباس المرسي رضي الله عنه لن يصل الولي الى الله حتى تنقطع عنه شهوة الوصول الى الله تعالى يعني انقطاع أدب لا انقطاع ملل وقال سيدي أبو الحسن رضي الله عنه ولن يصل الولي الى الله ومعه شهوة من شهواته أو تدبير من تدبيراته أو اختيار من اختياراته فلو خلى الله تعالى عبده وذلك لم يصل اليه أبدا ولكن اذا أراد الله تعالى أن يوصل عبده اليه تولى ذلك له بأن يظهر له من صفاته العلية ونعوته القدسية بما يغيب بذلك صفات عبده ونعوته عنه ويكون ذلك علامة على محبته له كما أشار اليه بقوله في الحديث القدسي فاذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي عليها وعند ذلك لا تكون له ارادة ولا اختيار الا ما اختاره لمولاه وأراده فيكون حينئذ واصلا الى الله بما من الله اليه من الفضل والكرم لا بما من العبد اليه من الاجتهاد والعمل فسبحان المتفضل على من شاء بما شاء ۞ وقال رضي الله عنه ۞ (لولا جميل ستره لم يكن عمل أهلا للقبول) العبد ممتلئ بنظره الى نفسه وفرحه بعمله من حيث نسبته اليه وشهود حوله وقوته عليه وهذا لا يخلص له عنه الا بما شاء ربه وقد يكشف صحابه فيرائي به ويطلب حمد الناس له وهذا كله من الشرك الخفي القادح في الاخلاص الحقيقي والاخلاص شرط في قبول العمل كما تقدم قال يحيى بن معاذ رضي الله عنه مسكين ابن آدم جسمه معيب وقلبه معيب يريد أن يخرج من معيبين عمل بلا عيب فعمل العبد لما كان بهذه المثابة لم يكن فيه أهلية لوجود القبول لولا جميل ستر الله تعالى وعظيم حلمه وبره فليعتمد المريد على فضل الله تعالى وكرمه لا على اجتهاده وعمله قال الشيخ أبو عبد الله القرشي رضي الله عنه اذا طالبهم بالاخلاص تلاشت أعمالهم واذا تلاشت أعمالهم زاد فقرهم وفاقتهم فتبرؤوا عن كل شيء ومن كل شيء لهم ومنهم ۞ (أنت الى حلمه اذا

أطعته أخوج منك الى حلمه اذا عصيته) وكذلك أن المطيع قد يتعرض له عند طاعته أحوال كرؤية نفسه والاعجاب والكبر وازدراء الغير واستحقاقه الجزاء الى غير ذلك من كبائر القلوب فيخاف أن تنقلب طاعته معصية والعاصي ربما تحمله معصيته على الحذر والخوف من ربه وتوجب له الاستكانة والخضوع وشدة الافتقار اليه فلذلك كان العبد الى حلم الله اذا أطاعه أحوج منه الى حلمه اذا عصاه وهذا زيادة تحذير من رؤية استحقاق الوصول بالأعمال فان ذلك غلط وجهل (الستر على قسمين ستر عن المعصية) بأن يمنعه عنها ولا يهيء له أسبابها (وستر فيها) أي مع فعلها بأن لا يظهرها للناس حال فعلها أو بعده

(فالعامة) لعدم تحققهم بحقائق الايمان يغلب عليهم شهود الخلق ويتوقعون منهم حصول المنافع ودفع المضار فيراءونهم ويتصنعون لهم ويتزينون ويطمعون فيهم ويتملقون بين أيديهم ويكرهون أن يطلعوا منهم على ما يسقط بمنزلتهم من قلوبهم ولذا (يطلبون من الله تعالى الستر) أي أن يستر عليهم (فيها) أي في المعصية أي في حال كونهم عاملين لها ومستخفين بها ومحبين لها وانما طلبوا ذلك (خشية سقوط مرتبتهم عند الخلق) اذا اطلعوا على حالهم فيفوتهم ما كانوا يتوقعون منهم من حصول المنافع ودفع المضار وهؤلاء هم الذين يعتمدون على غير الله وهم أهل الشرك الخفي الذي يخرج صاحبه من حقائق الايمان وفي مثلهم قال الله تعالى يستخفون من الناس ولا يستخفون من الله وهو معهم (والخاصة) لتحققهم بحقائق الايمان براءة من هذا الوصف الذميم لا يلتفتون الى الخلق مدحا ولا ذما ولا يتوقعون منهم نفعا ولا ضرا ولا يعتمدون عليهم ولا يسكنون اليهم وكمالهم انما هو القناعة بنظر الله اليهم (يطلبون من الله الستر عنها) بأن يغيبها عن نظرهم ولا يخطرها بقلوبهم فتميل اليها نفوسهم ويعملونها وانما طلبوا ذلك (خشية سقوطهم من نظر الملك الحق) بمخالفته والتعرض لسخطه وشتان ما بين هذين الحالين وهذا هو الغالب من حال الفريقين وقد تطلب العامة الستر فيها امتثالا لأمر الله ورسوله بالستر لمن ابتلي بشيء منها ولا يكون عندهم استحقار بها ولا محبة لها وتطلب الخاصة الستر فيها رفع منهم بأن لا يفضحهم بين خلقه ولا بين يديه بخجلهم من وقوع المعصية منهم ولاساءة الناس ظنهم بالمنتسبين الى الله اذا اطلعوا عليهم

أطعته أحوج منك الى حلمه اذا عصيته) شرف العبد ورفعة قدره انما يكون بنظره الى ربه عز وجل واقباله عليه وسكونه اليه واعتماده عليه ودناءته وخسته وسقوطه من عين الله تعالى انما تكون بنظره الى نفسه واقباله على غيره واستناده الى سواه فالعبد عند عمله بالطاعة متعرض لهذه الأخطار من نظره الى نفسه واستعظام عمله وعجبه بطاعته وسكونه الى معاملته وليته يسلم فيه من دقائق الرياء والتصنع بخلاف المعصية في جميع هذه الأشياء فانها تحمله على الحذر والخوف من ربه وتوجب له الاستكانة والخضوع وشدة الافتقار اليه فلذلك كان العبد الى حلم الله اذا أطاعه أحوج منه الى حلمه اذا عصاه وفي الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال أوحى الله تعالى الى نبي من الأنبياء قل لعبادي الصديقين لا تغتروا فاني ان أقمت عليهم عدلي وقسطي أعذبهم غير ظالم لهم وقل لعبادي الخطائين لا تيأسوا من رحمتي فانى لا يكبر على ذنب أغفره وبهذا المعنى قال أبو يزيد رضي الله عنه توبة المعصية واحدة وتوبة الطاعة ألف توبة ۞ (الستر على قسمين ستر عن المعصية وستر فيها فالعامة يطلبون من الله تعالى الستر فيها خشية سقوط مرتبتهم عند الخلق والخاصة يطلبون من الله الستر عنها خشية سقوطهم من نظر الملك الحق) العامة يغلب عليهم شهود الخلق والتصنع والتزين لهم ومحبة حمدهم وكراهية ذمهم فهم يعملون المعصية ويستخفون بها ويطلبون الستر من الله عليهم فيها أي في حال كونهم عاملين بها لئلا يراهم الخلق فيسقطوا من أعينهم وفي أمثالهم قال الله عز وجل يستخفون من الناس ولا يستخفون من الله وهو معهم اذ يبيتون ما لا يرضى من القول قال الامام أبو القاسم القشيري رضي الله عنه في هذه الآية الغالب على قلوبهم رؤية الخلق ولا يشعرون بأن الحق مطلع عليهم أولئك الذين وسم الله قلوبهم بوسم الفرقة روى عدي بن حاتم رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال يؤمر يوم القيامة بناس من الناس الى الجنة حتى اذا دنوا منها ونظروا اليها واستنشقوا ريحها وما أعد الله لأهلها نودوا أن اصرفوهم عنها فلا نصيب لهم فيها قال فيرجعون بحسرة ما رجع الأولون بمثلها فيقولون يا ربنا لو أدخلتنا النار قبل أن ترينا ما أريتنا من ثوابك وما أعددت فيها لأوليائك كان أهون علينا قال ذلك أردت بكم كنتم اذا خلوتم بارزتموني بالعظائم واذا لقيتم الناس لقيتموهم مخبتين تراءون الناس بخلاف ما تعطوني من قلوبكم هبتم الناس ولم تهابوني وأجللتم الناس ولم تجلوني وركنتم الى الناس ولم تركنوا الي فاليوم أذيقكم أليم العذاب مع ما حرمتم من الثواب وفي بعض الكتب المنزلة ان لم تعلموا اني أراكم فالخلل في ايمانكم وان علمتم اني أراكم فلم جعلتموني أهون الناظرين اليكم وقال ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور هو الرجل يمر به المرأة في القوم فيريهم أنه يغض بصره عنها ويود أنه يطلع على عورتها ويقدر

(من أكرمك) أي أقبل عليك باعطاء أو صحبة أو شكر (انما أكرم فيك جميل ستره) أي ستره الجميل عليك فلولا وجوده ما أقبلوا عليك ولا أحبوك ولا نظروا اليك بعين الرضا إذ لو اطلعوا على ما أنت عليه لاستقذروك و نفروا عنك وحينئذ (فالحمد) لا ينبغي أن يكون الا (لمن سترك ليس الحمد لمن أكرمك وشكرك) فلا تحمده الا من حيث اجراء الخير على يديه لا من حيث انه المكرم والمعظم حقيقة اذ ليس ذلك الا الله فمن أقبل الناس عليه وأكرموه فقد يغلط فيضع الحمد والثناء في غير موضعه فيكون من الظالمين وقد يغلط فيرى لنفسه وصفا محمودا يستحق به الاكرام فيكون من الجاهلين بأنفسهم الناظرين الى عملهم الغافلين عن منة الله عليهم نجانا الله والمصنف من هاتين الغلطتين (ماصحبك) أي ليس الصاحب الحقيقي (الا من صحبك) أي أقبل عليك باحسانه (وهو بعيبك عليم) أي لم يمنعه من صحبته لك واقباله عليك ما يعلمه من تفاصيل عيوبك (وليس ذلك الا مولاك الكريم) وكذا من تخلق بأخلاقه من السادة الصوفية العارفين بالله تعالى أما الذي يصحبك مع جهله بها فليس بصاحب حقيقة لأنه لا يثبت عند ظهورها له وان عزم على ذلك فليس في مقدوره الصبر عليه وان صبر فلا بد من تأثر يلحقه من ذلك (خير من تصحب من يطلبك) أي يريدك و يؤثرك على غيرك و يعتني بك (لا لشيء يعود منك اليه) أي وليس ذلك الا مولاك أو من تخلق بأخلاقه أما من يصحبك لفعلك معه ونفعك له فليس بصاحب حقيقة لأن قصده مجرد قضاء حوائجه منك فاذا زال غرضه فارقك (لو أشرق لك نور اليقين) أي العلم بالله و بما وعد به على لسان نبيه أي لو كثر وأضاء ذلك النور في قلبك (لرأيت الآخرة) في تلك الحالة (أقرب اليك من) نفسها في حالة (أن ترحل اليها) أي في حال ارتحالك اليها وحلولك فيها (ولرأيت محاسن الدنيا قد ظهرت كسفة الفناء) أي الفناء الشبيه بالكسفة بفتح الكاف أي الكسوف والتغير أو كسرها وهي القطعة من الشيء التي يغطى بها الأشياء فلا تلتفت اليه النفس ولا تنظر ما فيه (عليها) وذلك أن نور اليقين تتراءى به حقائق الأمور على ما هي عليه فاذا أشرق في قلب العبد رأى به الحق حقا والباطل باطلا والآخرة حق والدنيا باطل فيبصر الآخرة التي كانت غائبة عنه حاضرة لديه حتى كأنها لم تزل فكانت أقرب اليه من أن يرحل فيقبل عليها بالتهيء والاستعداد لها و يبصر الدنيا الحاضرة لديه قد انكسف نورها وأسرع اليها الفناء والذهاب فغابت عن نظره بعد أن كانت حاضرة فظهر له بطلانها حتى كأنها لم تكن فيوجب له هذا النظر اليقيني الزهد فيها والتجافي عن زهرتها والاقبال على الآخرة والتهيؤ لنزولها وحضورها ووجدان العبد لهذا هو علامة انشراح صدره بذلك النور كما قال صلى الله عليه وسلم ان النور اذا دخل القلب انشرح له الصدر وانفسح قيل يا رسول الله هل لذلك من علامة يعرف بها

عليها وقال في رواية أخرى هو الرجل يكون في القوم فتمر بهم المرأة فيريهم أنه يغض بصره عنها فاذا رأى من القوم غفلة لحظ اليها ونظر فاذا خاف أن يفطنوا غض بصره عنها فقد اطلع الله عز وجل على قلبه أنه يود لو نظر الى عورتها وهذا كله شأن المرائين الذين يستخفون بنظر الجبار و يهابون الناس أن يطلعوا عليهم فيما يرتكبونه من الاوزار والخاصة من أهل الايمان واليقين براء من هذا الوصف الذميم لا التفات لهم الى الخلق مدحا ولا ذما وهمتهم مقصورة عن النظر اليهم والاعتماد عليهم في نفع أو دفع ضر وحالهم انما هو القناعة بعلم الله تعالى ومراقبة نظره فهم يطلبون الستر من الله عنها في أن يفيها عن نظرهم ولا يخطرها ببالهم فتميل اليها أنفسهم فيعملون بها فيقعون في مخالفة ربهم والتعرض لسخطه والسقوط من عينه وشتان ما بين الحالين والى هذا المعنى أشار سيدي أبو الحسن الشاذلي رضي الله عنه في دعائه بقوله اللهم انا نسألك التوبة ودوامها ونعوذ بك من المعصية وأسبابها وذكرنا بالخوف منك قبل هجوم خطراتها واحملنا على النجاة منها ومن التفكر في طرائقها وامح من قلوبنا حلاوة ما اجتنيناه منها واستبدلها بالكراهة لها والطعم لما هو بضدها ۞ (من أكرمك انما أكرم فيك جميل ستره فالحمد لمن سترك ليس الحمد لمن أكرمك وشكرك) العبد محل الآفات والعيوب وستر الله الجميل هو الذي حبب الناس الى الناس فاذا أكرمك أحد فلا يذهبن ذلك بك الى أن ترى لنفسك وصفا محمودا تستحق به الاكرام فتكون جاهلا بنفسك ولا يحملنك ايضا رؤية اكرام الخلق لك لوجود جهلهم بحالك على أن تحمدهم على ربك الذي اضطرهم الى اكرامك وستر عنهم عيوبك وأظهر لهم محاسنك فتكون بذلك كافرا بنعمة ربك ظالما بوضع الحمد في غير موضعه ۞ (ماصحبك الا من صحبك وهو بعيبك عليم وليس ذلك الا مولاك الكريم خير من تصحب من يطلبك لا لشيء يعود منك اليه) الصاحب على الحقيقة هو من بذل احسانه اليك وأسبغ نعمه عليك ولم تمنعه من ذلك ما يعلمه من عيوبك التي يكرهها منك وليس ذلك الا مولاك وخير صاحب لك أيضا من اعتنى بك وآثرك وأرادك من غير منفعة ينالها منك وليس ذلك أيضا الا مولاك فاتخذه صاحبا ودع الناس جانبا ۞ (لو أشرق لك نور اليقين لرأيت الآخرة أقرب اليك من أن ترحل اليها ولرأيت محاسن الدنيا قد ظهرت كسفة الفناء عليها)

نور اليقين يتراءى به حقائق الأمور على ماهي عليه فيحق به الحق ويبطل به الباطل والآخرة حق والدنيا باطل فاذا أشرق نور اليقين في قلب العبد أبصر به الآخرة التي كانت غائبة عنه حاضرة لديه حتى كأنها لم تزل فكانت أقرب اليه من أن يرحل اليها فحق بذلك حقها عنده وأبصر الدنيا الحاضرة لديه قد انكسف نورها وأسرع اليها الفناء والذهاب فغابت عن نظره بعد أن كانت حاضرة فظهر له بطلانها حتى كأنها لم تكن فيوجب له هذا النظر اليقيني الزهادة في الدنيا والتجافي عن زهرتها والاقبال على الآخرة والتهيؤ لنزول حضرتها وجدان العبد لهذا هو علامة انشراح صدره بذلك النور كما قال النبي ﷺ ان النور اذا دخل القلب انشرح له الصدر وانفسح قيل يارسول الله هل لذلك من علامة يعرف بها قال نعم التجافي عن دار الغرور والانابة الى دار الخلود والاستعداد للموت قبل نزوله و كما قال ﷺ وعند ذلك يموت شهواته وتذهب دواعي نفسه فلا تأمره بسوء ولا تطالبه بارتكاب منهي ولا يكون همه الا المسارعة الى الخيرات والمبادرة لاغتنام الساعات والأوقات وذلك لاستشعاره حلول الأجل وفوات صالح العمل والى هذا المعنى الاشارة بحديثي حارثة ومعاذ رضي الله عنهما روى أنس بن مالك رضي الله عنه قال بينا رسول الله ﷺ يمشي اذ استقبله شاب من الأنصار فقال له النبي ﷺ كيف أصبحت ياحارثة فقال أصبحت مؤمنا بالله حقا قال انظر ماتقول فان لكل قول حقيقة فقال يارسول الله عزفت نفسي عن الدنيا فأسهرت ليلي وأظمأت نهاري فكأني بعرش ربي بارزا وكأني أنظر الى أهل الجنة يتزاورون فيها وكأني أنظر الى أهل النار يتعاوون فيها فقال أبصرت فالزم عبد نور الله الايمان في قلبه قال يارسول الله ادع الله لي بالشهادة فدعا له رسول الله ﷺ فنودي يوما في الخيل ياخيل الله اركبي فكان أول فارس ركب وأول فارس استشهد فبلغ أمه ذلك فجاءت الى رسول الله ﷺ فقالت يارسول الله أخبرني عن ابني حارثة فان يك في الجنة فلن أبكي ولن أجزع وان يك غير ذلك بكيت ماعشت في الدنيا فقال ﷺ ياأم حارثة انها ليست بجنة ولكنها جنة في جنان وحارثة في الفردوس الأعلى فرجعت وهي تضحك وتقول بخ بخ لك ياحارثة

وروى أنس أيضا أن معاذ بن جبل دخل على رسول الله ﷺ وهو يبكي فقال له كيف أصبحت يامعاذ قال أصبحت بالله مؤمنا قال النبي ﷺ ان لكل قول مصداقا ولكل حق حقيقة فما مصداق ماتقول قال يانبي الله ماأصبحت صباحا قط الا ظننت أن لا أمسي وما أمسيت مساء قط الا ظننت أن لا أصبح ولا خطوت خطوة قط الا ظننت أن لا أتبعها أخرى وكأني أنظر الى كل أمة جاثية تدعى الى كتابها معها نبيها وأوثانها التي كانت تعبد من دون الله وكأني أنظر الى عقوبة أهل النار وثواب أهل الجنة قال ﷺ عرفت فالزم فهذان الرجلان الفاضلان حارثة بن سراقة ومعاذ بن جبل الأنصاريان رضي الله تعالى عنهما لما أشرق عليهما نور اليقين وتمكن من قلوبهما أي تمكين صدر منهما ماصدر عما ذكراه من فنون الفكر وشاهدا أمر الدارين بمنزلة رأي العين فسلمت أعمالهما من العيوب والآفات وحفظا من الهفوات والسيئات وظهرت منهما الأسرار والقلوب وصار عندهما كل أمر محبوب وطارت أرواحهما اشتياقا الى لقاء الواحد الفرد وطابت أنفسهما بالموت حتى صار عندهما أحلى من الشهد بحيث جاء على فاقة لا أفلح من ندم وكذلك غيرهما من الصحابة وكبار التابعين وأئمة الدين رضي الله عنهم أجمعين

ولقد أجاب معبر عن حالهم * فاسمع مقالا صادقا مقبولا

ان الألى ماتوا على دين الهدى * وجدوا المنية منهلا معسولا

وروى أنس بن مالك رضي الله عنه أن حرام بن ملحان رضي الله عنه وهو خال أنس طعن يوم بئر معونة

قال نعم التجافي عن دار الغرور والانابة الى دار الخلود والاستعداد للموت قبل نزوله وعند ذلك تموت شهواته وتذهب دواعي نفسه فلا تأمره الا بخير ولا تطالبه بارتكاب منهي ولا تكون له همة الا المسارعة الى الخيرات والمبادرة لاغتنام الساعات والأوقات وكذلك الاستشعاره في كل حين بحلول الأجل وفوات صلاح الأمل

(ما حجبك) أي المريد المحجوب (عن الله وجود موجود) من الأكوان الدنيوية والأخروية (معه) إذ لا وجود لما سواه على التحقيق

(ولكن حجبك عنه توهم موجود معه) أي توهمك أن ما سواه له وجود مع أنه في ذاته عدم محض عند العارفين

في رأسه فتلقى دمه بكفه ثم نضحه على رأسه ووجهه وقال فزت ورب الكعبة وكان جبار بن سلمى فيمن حضر بئر معونة مع عامر بن الطفيل ثم أسلم بعد ذلك فكان يقول مما دعاني الى الاسلام أني طعنت رجلا منهم فسمعته يقول فزت والله قال فقلت في نفسي والله ما فاز أليس قد قتلته حتى سألت بعد ذلك عن قوله فقالوا الشهادة فقلت فاز لعمر الله المطعون هنا والله أعلم هو عامر بن فهيرة رضي الله عنه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم في شأن الأمراء الثلاثة يوم مؤتة أخذ الراية زيد فأصيب ثم أخذها جعفر فأصيب ثم أخذها ابن رواحة فأصيب ثم أخذها خالد بن الوليد عن غير امرة ففتح الله عليه أظنه قال صلى الله عليه وسلم والله ما يسرنا أنهم عندنا أو قال ما يسرهم أنهم عندنا وعيناه تذرفان دموعا فلله درهم لقد حازوا مرتبة شريفة ومنزلة عالية منيفة وليت أمثالنا الذين عميت بصائرهم وأظلمت سرائرهم وحجبت عنا شموس المعارف وفي فيافي أودية المهالك والمتالف واغتررنا بهذه الدار الغرارة الفتانة السحارة فنشبت مخالبنا نشبا كها وارتبكنا في مصائدها وأشراكها من غير شعور منا بحالها وزور محالها فكنا في قصدنا اليها وتعويلنا عليها بمنزلة ظمآن لاح له سراب حسبه ماء فلما جاءه لم يجده شيئا ولا أغناه ثم مع هذا كله تنتسب الى الدين وندعي كمال المعرفة واليقين والدخول في غمار أولياء الله المتقين مع أن أحدنا لو خير بين حلول الحين أو البقاء في الدنيا معلقا بأشفار العين لاختار البقاء فيها على هذه الحال مع كونه لا يجد نفسه في طاعة بازدياد ولا عن معصية بانتقال وهذه كلها أخلاق يهودية لا تليق بمن ينتسب الى هذه الملة المحمدية قال الله عز وجل مخبرا عن حال اليهود وكاشفا لأسرارهم وهاتكا لأستارهم ولتجدنهم أحرص الناس على حياة ومن الذين أشركوا يود أحدهم لو يعمر ألف سنة وما هو بمزحزحه من العذاب أن يعمر والله بصير بما يعملون فلو لم ينه العاقل عن محبة البقاء في هذه الدار والركون الى ما يشاركه في هذا الاستشعار الا تشبيهه باليهود الناقضين للعهود المتهاونين بأوامر المعبود لكان ذلك أبلغ ناه وأمر فضلا عما ورد في ذلك من مواعظ وزواجر نزع الله عن قلوبنا حجاب الغفلة والغرور وحمانا عن مشابهة كل ظلوم وكفور وحبب الينا لقاءه ورزقنا مرافقة أوليائه وأصفيائه وأحبائه بمنه وكرمه ۞ (ما حجبك عن الله وجود موجود معه ولكن حجبك عنه توهم موجود معه) فقد علمت أن لا موجود سوى الله تعالى على التحقيق وأن وجود ما سواه انما هو وهم مجرد فلا حاجب لك عن الله تعالى الا توهم وجود ما سواه لا غير والتوهمات باطلة فلا حاجب لك عن الله تعالى اذا وقد استوفى المؤلف رحمه الله تعالى ذكر جميع أنواع الاعتبارات في هذا المعنى قبل هذا قال في لطائف المنن وأشبه شيء بوجود الكائنات اذا نظرت اليها بعين البصيرة وجود الظلال والظل لا موجود باعتبار جميع مراتب الوجود ولا معدوم باعتبار جميع مراتب العدم واذا ثبتت ظلية الآثار لم تنسخ أحدية المؤثر لأن الشيء انما يشفع بمثله ويضم الى شكله كذلك أيضا من شهد ظلية الآثار لم تعقه عن الله تعالى فان ظلال الأشجار في الأنهار لا تعوق السفن عن التسيار ومن ههنا يتبين لك أيضا أن الحجاب ليس أمرا وجوديا بينك وبين الله ولو كان بينك وبينه حجاب وجودي للزم أن يكون أقرب اليك منه ولا شيء أقرب من الله فرجعت حقيقة الحجاب الى توهم الحجاب فما حجبك عن الله وجود موجود معه وذلك كرجل بات في مكان وأراد البراز فسمع صوت الرياح من كوة هناك فظنه زئير أسد فمنعه ذلك عن البراز فلما أصبح لم يجد هناك أسدا وانما هو الريح انضغط في تلك الكوة فما حجبه وجود أسد وانما حجبه توهم الأسد ۞ (لولا ظهوره في المكونات ما وقع عليها وجود أبصار لو ظهرت صفاته اضمحلت مكوناته)

وجوده كوجود ظلال الشجر على الماء فانها لا تمنع سير السفن فلا حاجب لك عن الله الا توهم وجود ما سواه لا غير وذلك كرجل بات في مكان وأراد البراز فسمع صوت الرياح من كوة هناك فظنه زئير أي صوت أسد فمنعه ذلك عن البراز فلما أصبح لم يجد هناك أسدا وانما الريح انضغطت في تلك الكوة فما حجبه وجود أسد وانما حجبه توهم الأسد (لولا ظهوره في المكونات) أي تجليه عليها بالوجود (ما وقع عليها وجود أبصار) أي لم توجد واذا لم توجد فلا تبصر فوجودها انما هو بطريق العارية وظهور الحق فيها كظهور الشمس في الكوة ذات الزجاج والأقمر في ذاتها عدم محض لا وجود لها في ذاتها كما تقدم غير مرة ويحتمل أن المعنى أن ظهور الحق تعالى لنا من وراء حجاب المكونات هو الذي أوجب ظهورها ووقوع الأبصار عليها ولولا تجليه في هذه المكونات بأن يتجلى التجلي الحقيقي الذي لا خفاء معه لاضمحلت وتلاشت ولم يقع عليها أبصار بدليل قوله تعالى فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا وخر موسى صعقا والى ذلك أشار بقوله (لو ظهرت صفاته اضمحلت مكوناته) بل لم يكن ظهور هناك بصر ولا أبصار ولا مبصر كما جاء في الحديث حجابه النور وفي رواية حجابه النار لو كشف عنها لأحرقت سبحات وجهه كل شيء أدركه

بصره (أظهر كل شيء لأنه الباطن) أي فان مقتضى اسمه الباطن أن لا يشاركه في البطون شيء فلذا أظهر الأشياء كلها أي جعلها ظاهرة ولا باطن فيها غيره (وطوى وجود كل شيء لأنه الظاهر) أي ان مقتضى اسمه الظاهر أن لا يشاركه في الظهور شيء فلذا طوى وجود كل شيء أي لم يجعل لغيره وجودا من ذاته بل المكونات جميعها عدم محض ولا وجود لها الا من وجوده وحاصله أن من أسمائه تعالى الظاهر والباطن فاسمه الظاهر يقتضي بطون كل شيء حتى لا ظاهر معه فينطوي حينئذ وجود كل شيء واسمه الباطن يقتضي ظهور كل شيء حتى لا باطن معه فيظهر اذ ذاك وجود كل شيء أي بوجوده فالحق تعالى هو الموجود بكل اعتبار ولا وجود لغيره الا بطريق التبع عند أرباب البصائر بخلاف غيرهم من المحجوبين (أباح لك) أي أمرك الله تعالى (أن تنظر ما في المكونات) وهو جمال الحق سبحانه أي أن تتصدى بنظرك القلبي حتى تشاهد أنه الموجود في المكونات أي الظاهر فيها (وما أذن لك أن تقف مع ذوات المكونات) بان تحتجب بها عنه فلا تشاهده فيها ثم استدل على ذلك وبينه بقوله (قل انظروا ماذا في السموات) فأتى بفي الظرفية المشعرة بأن الاعتبار بالمظروف دون الظرف قال في لطائف المنن فانصبت لك الكائنات لتراها ولكن لترى فيها مولاها فمراد الحق منك أن تراها بعين من لا يراها تراها من حيث ظهوره فيها ولا تراها من حيث كونيتها له وأشار الى ذلك هنا بقوله قل انظروا ماذا في السموات (فتح لك باب الافهام) أي نبهك وأيقظك لما هو المطلوب منك وهو مشاهدة ما فيها كما يفهم من الظرفية (ولم يقل انظروا السموات لئلا يدلك على وجود الأجرام) فتحتجب بها عنه ولا تشاهده فيها فتصير مقصدا مع أنها وسيلة اذ ليست الأمرائي ومجالي يتجلى فيها الحق سبحانه لأرباب الشهود ويستدل بها عليه أرباب الحجاب ثم ذكر حاصل ما تقدم بقوله (الأكوان) من حيث ذاتها عدم محض وانما هي (ثابتة باثباته) أي انما حصل لها وصف الثبوت والتحقق باثبات الله لها أي ظهوره فيها فالثبوت لها أمر عرضي ولا ثابت حقيقة الا هو ولذا قال (وممحوة بأحدية ذاته) أي بمعنى النظر الى أحدية ذاته لم يجد للأكوان ثبوتا وتحققا حينئذ وانما لها ثبوت في النظر الى الواحدية لأن الأحدية عند العارفين هي الذات البحت أي الخالصة عن الظهور في المظاهر وهو الأكوان والواحدية هي الذات الظاهرة في الأكوان فيكون للأكوان حينئذ ثبوت باعتبار ظهور الحق فيها ولذا يقولون بلسان الاشارة الأحدية بحر بلا موج والواحدية بحر مع موج فان الحق سبحانه عندهم كالبحر والأكوان كالأمواج التي هي بحر كما ان ذلك البحر فهي ليست عينه ولا غيره هذا هو توحيد العارفين وقد كرر المصنف الكلام عليه في هذا الكتاب وأبرزه في عبارات مختلفة محاولة على أن يحقق عندك الحق ويبطل عندك الباطل وقد أفرده بعضهم بالتأليف وتكلم على وحدة الوجود بما لا مزيد عليه

ظهور الحق تعالى من وراء حجاب المكونات هو الذي أوجب ظهورها ووقوع الابصار عليها ولولا وجود حجابيتها لم تقع عليها أبصار ولتلاشت لوجود التجلي الحقيقي كما قال لو ظهرت صفاته اضمحلت مكوناته بل لم يكن هناك مبصر ولا ابصار ولا مبصر كما جاء في الحديث حجابه النار وفي رواية النور لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه كل شيء أدركه بصره ۞ (أظهر كل شيء لأنه الباطن وطوى وجود كل شيء لأنه الظاهر) من أسمائه تعالى الظاهر والباطن فاسمه الظاهر يقتضي بطون كل شيء حتى لا ظاهر معه فينطوي حينئذ وجود كل شيء واسمه الباطن يقتضي ظهور كل شيء حتى لا باطن معه فيظهر اذ ذاك وجود كل شيء فالحق تعالى هو الموجود بكل اعتبار والحمد لله ۞ (أباح لك أن تنظر ما في المكونات وما أذن لك أن تقف مع ذوات المكونات قل انظروا ماذا في السموات فتح لك باب الافهام ولم يقل انظروا السموات لئلا يدلك على وجود الأجرام) أمر الله تعالى بالنظر في المكونات ليس لذاتها لأن في ذلك التبعد عن الله تعالى بالنظر الى ماسواه ولم يبح هذا وانما أمرهم بذلك ليتوصلوا بنظرهم فيها اليه لوجود ظهوره فيها والاشارة الى هذا المعنى بفي في قوله تعالى قل انظروا ماذا في السموات والأرض فالمعنى المقصود في وجود الظرفية ومنها يستفاد وهو معنى قوله فتح لك باب الافهام فلو أسقطها وقال انظروا السموات لكان فيه دلالة على وجود الأجرام وهي أغياره وفيها البعد عنه فكيف يدل على ذلك وهو لم يأذن فيه قال في لطائف المنن فانصبت لك الكائنات لتراها ولكن لترى فيها مولاها فمراد الحق منك أن تراها بعين من لا يراها تراها من حيث ظهوره فيها ولا تراها من حيث كونيتها قال بعضنا في هذا المعنى

ما أثبتت لك العوالم الا ۞ لتراه بعين من لا يراها

فارق عنها رقي من ليس يرضى ۞ حالة دون أن يرى مولاها

۞ (الأكوان ثابتة باثباته وممحوة بأحدية ذاته) الأكوان من ذاتها العدم المحض كما تقدم وانما حصل لها وصف الثبوت باثبات الله تعالى لها وجعلها أكوانا فالثبوت لها أمر عرضي والحق اللازم هو وجود أحدية الله عز وجل والأحدية مبالغة في الوحدة ولا تتحقق الا اذا كانت الوحدة بحيث لا يمكن أن يكون أشد ولا أكمل منها فمن مقتضى حقيقتها محو الأكوان وبطلانها بحيث لا يوجد اذ لو وجدت

(الناس يمدحونك لما يظنونه فيك) من الأوصاف الحميدة (فكن أنت ذاما لنفسك لما تعلمه منها) أي فلا تغتر بمدح الناس لك وثنائهم عليك بل ارجع على نفسك باللوم والذم على تلبسها بخلاف ما يظن الناس فيك ولذا قال علي كرم الله وجهه اللهم اجعلنا خيرا مما يظنون ولا تؤاخذنا بما يقولون واغفر لنا ما لا يعلمون ويؤخذ من قوله فكن أنت الخ انه ليس مأمورا بتكذيب الناس ولا بالسعي في تبديل ظنهم فيه وانما هو مأمور بعدم الاغترار وتقديم علمه على ظنهم نعم ان كان المادح كاذبا في مدحه بارتكاب المبالغة والغلو تأكد تكذيبه وزجره وعليه يحمل قوله صلى الله عليه وسلم احثوا التراب في وجه المداحين فمدحه حينئذ منهي عنه وكذا لو كان مدحه يورث عند الممدوح غرة ويغلطه في نفسه وعليه يحمل قوله صلى الله عليه وسلم لمن مدح عنده رجلا قطعت عنق صاحبك وقال اياكم والمدح فانه الذبح (المؤمن) الحقيقي (اذا مدح استحيا من الله ان يثني عليه بوصف لا يشهده من نفسه) أي لا يرى ذلك الوصف الذي مدح عليه من نفسه وانما براءته من الله عليه فلا يشهد من نفسه صفة محمودة يستحق بها أن يثني عليه وانما يشهد ذلك من ربه فاذا أثنى الناس عليه وذكروا محاسنه استحيا من الله استحياء تعظيم واجلال أن يثني عليه بصفة ليست منه فيزداد بذلك مقتا لنفسه واستحقارا لها ونفورا عنها وتقوى عنده رؤية احسان الله اليه وشهود فضله في اظهار المحاسن عليه وهذا هو الشكر الذي به ينال المزيد مع سلامته من السكون الى ثناء العبيد

لم تكن أحدية ولكان في ذلك تعدد واثنينية كما قيل

رب وعبد ونفي وضد ● قلت له ليس ذاك عندي
فقال ما عندكم فقلنا ● وجود فقد وفقد وجدي
توحيد حق بترك حق ● وليس حق سواي وحدي

وأنشد أيضا

سري سري من جناب القدس أفناني ● لكن بذاك الفنا عني قد احياني
وردني للبقا حتى أعبر عن ● جمال حضرته بكل هيماني
وطرت في ملكوت من عجائبه ● علم الى غير وجود ماله ثاني

وأنشد المؤلف رحمه الله تعالى في لطائف المنن يوصي رجلا من اخوانه اسمه حسن فقال

حسن بأن تدع الوجود بأسره ● حسن فلا يشغلك عنه شاغل
ولئن فهمت لتعلمن بأنه ● لا ترك الا للذي هو حاصل
مني شهدت سواه فاعلم أنه ● من وهمك الأدنى وقلبك ذاهل
حسب الاله شهوده لوجوده ● والله يعلم ما يقول القائل
ولقد أشرت الى الصريح من الهدى ● ودلت عليه ان فهمت دلائل
وحديث كان ولا شيء غيره ● يقضي به الآن اللبيب العاقل
لا غرو أن لا نسبة منسوبة ● ليدم ذوقك والمحمد فاعل

وقال رضي الله تعالى عنه ◈ (الناس يمدحونك لما يظنونه فيك فكن أنت ذاما لنفسك لما تعلمه منها) ذم العبد لنفسه واحتقارها لما يتحققه من عيوبها أمر مطلوب منه لأن ذلك يؤديه الى الحذر من غرورها وسرورها فتصلح بسبب ذلك أعماله وتصدق أحواله والا فسدت عليه واعتلت لدخول الآفات عليها ولا يصدنه عن ذلك ثناء الناس عليه ومدحهم له لأنه يعلم من عيوب نفسه ما لا يعلمه غيره ثم انهم لما قاموا بحق ما يجب عليهم من المدح له وحسن الظن به فينبغي له أيضا أن يقوم هو بحق ما يجب عليه من اتهام نفسه وسوء اعتقاده فيها قال بعضهم من فرح بمدح نفسه فقد أمكن الشيطان أن يدخل في بطنه وقال آخر اذا قيل لك نعم الرجل أنت فكان أحب اليك من أن يقال بئس الرجل أنت فأنت والله بئس الرجل وقيل لبعض الصحابة رضي الله تعالى عنهم لن يزال الناس بخير ما أبقاك الله فيهم فغضب وقال اني لأحسبك عراقيا وقال بعضهم لما مدح اللهم ان عبدك تقرب الي بمقتك فأشهدك على مقته وقال آخر اللهم اجعلنا خيرا مما يظنون ولا تؤاخذنا بما يقولون واغفر لنا ما لا يعلمون قال الامام أبو حامد الغزالي رضي الله تعالى عنه وانما كرهوا المدح خيفة أن يفرحوا بمدح الخلق وهم ممقوتون عند الخالق فكان اشتغال قلوبهم بحالهم عند الله يبغض اليهم مدح الخلائق لأن الممدوح هو المقرب عند الله تعالى والمذموم على الحقيقة هو المبعد عن الله تعالى الملقى في النار مع الأشرار فهذا الممدوح ان كان عند الله تعالى من أهل النار فما أعظم جهله اذا فرح بمدح غيره وان كان من أهل الجنة فلا ينبغي أن يفرح الا بفضل الله تعالى وثنائه عليه إذ ليس أمره بيد الخلق ومهما علم أن الارزاق والآجال بيد الله تعالى قل التفاته الى مدح الخلق وذمهم وسقط من قلبه حب المدح واشتغل بما يهمه من أمر دينه انتهى كلام أبي حامد رضي الله تعالى عنه ◈ (المؤمن اذا مدح استحيا من الله تعالى أن يثنى عليه بوصف لا يشهده من نفسه) المؤمن الحقيقي هو الذي لا يشهد من نفسه صفة محمودة يستحق بها أن يمدح أو يثني

(أجهل الناس) أى أشدهم جهلا (من ترك يقين ماعنده) أى اليقين الذى عنده وهو علمه بعيوب نفسه وتقصيره معترف به (لظن ماعند الناس) أى لأجل الظن الذى عند الناس وهو ظنهم صلاح حاله حتى مدحوه وأثنوا عليه فاذا أغتر ذلك الممدوح واعتقد استحقاقه لما مدح به واغتر بشهادة الخلق فيه بذلك كان أجهل الناس لأنه ألغى اليقين وقدم الظن عليه وقدم ماعند غيره على ماعند نفسه وقد شبه ذلك بعضهم بمن يهزأ بك ويقول لك ان العذرة التى تخرج من جوفك لها رائحة كرائحة المسك وأنت ترضى بالسخرية بك وتفرح بذلك ولاشك أن العيوب التى يعلمها العبد من نفسه أنتن وأقذر من العذرة التى تخرج من جوفك (اذا أطلق الثناء) أى ألسنة الناس بالثناء (عليك ولست بأهل) أى والحال انك لست أهلا لما يثنون به عليك إما لعدم وجود ذلك فيك أو لكونك متصفا بالعيوب الأصلية والعارضة فلا تستحق ثناء عليك لولا فضل الله عليك وستره الجميل (فأثن عليه بما هو أهله) أى فالأدب أن تثنى على سيدك بما هو أهله ليكون ذلك شكرا لنعمة ستره عليك واطلاق الألسن بمدحك مع علم أهليتك لذلك ولا تغتر بأقوال المادحين (الزهاد اذا مدحوا) أى مدحهم أحد من الناس (انقبضوا لشهودهم الثناء) صادرا (من الخلق) وغيبتهم عن الرب وانما انقبضوا خوف الاغترار بذلك الثناء فيفوتهم نصيبهم من ربهم والعارفون اذا مدحوا انبسطوا لشهودهم ذلك من الملك الحق) فهم حاضرون مع ربهم لا يشاهدون معه غيره فانلون ألسنة الخلق أقلام الحق فاذا مدحوا أشهدوا الثناء منه فانبسطوا لذلك وكان مزيدا فى حالهم ومقامهم لغيبتهم عن أنفسهم فلا يحصل عندهم اعجاب ولا اغترار قيل وهذا محمل قوله ﷺ اذا مدح المؤمن فى وجهه ربا الايمان فى قلبه ولذا كان يمدح المصنف شيخه المرسى وهو ساكت ويقع عنده المدح موقعا عظيما وكذا وقع لغيره من العارفين وصاحب هذا المقام اذا ذمه أحد لا يجد فى نفسه عليه ولا

عليه وانما يشهد ذلك من ربه عز وجل فاذا أثنى الناس عليه وذكروا محاسنه استحيا من الله تعالى استحياء تعظيم واجلال أن يثنى عليه بصفة ليست فيه فيزداد بذلك مقتا لنفسه واستحقارا لها ونفورا عنها وتقوى عنده مزية احسان الله تعالى اليه وشهود فضله فى اظهار المحاسن عليه وهذا هو الشكر الذى ينال به المزيد مع سلامته من السكون الى ثناء العبيد ۞ (أجهل الناس من ترك يقين ماعنده لظن ماعند الناس) الاغترار بمدح الناس وثنائهم غاية فى الجهل والغباوة وذلك من علامات الحمق لأن المغتر بذلك ترك يقينه بنفسه لظن غيره به وهو على كل حال أعلم بنفسه وقد شبه الحرث المحاسبى رضى الله عنه الراضى بالمدح بالباطل بمن يهزأ به يقال له ان العذرة التى تخرج من جوفك لها رائحة كرائحة المسك وهو يفرح بذلك ويرضى بالسخرية به قلت ولاشك أن الذنوب والعيوب التى يعلمها العبد من نفسه أنتن وأقذر من العذرة التى تخرج من جوفه ولا فرق بين الحالين الا أنه من حال المدح يعلم أن المادح لم يشاركه فى معرفة ذنوبه وعيوبه مشاركة ذلك المستهزئ له فى معرفة حال ما يخرج من جوفه فهو بجهله وغباوته قد رضى بأن يكون له فى قلوب العباد الجاهلين بحاله قدر وجاه من غير مبالاة بسقوطه من عين مولاه الذى يعلم من حاله مالا يعلمه هو ولا غيره من حيث رضى بالمدح وفرح به ولم يقابل ذلك بالاباء والنكر لا سيما اذا كان المادح من أهل العلم والدين وأما ان كان جاهلا أو فاسقا فلا غباوة أعظم من الرضا بمدحهم والفرح به قال يحيى بن معاذ الرازى رضى الله عنه تزكية الأشرار هجنة بك وحبهم لك عيب عليك وقيل لبعض الحكماء ان العامة يثنون عليك فأظهر الوحشة من ذلك وقال لعلهم رأوا منى شيئا أعجبهم ولا خير فى شئ يسرهم ويعجبهم ۞ ويروى عن بعض الحكماء انه مدحه بعض العوام فبكى فقال له تلميذه أتبكى وقد مدحك فقال له انه لم يمدحنى حتى وافق بعض خلقى خلقه فلذلك بكيت فانظر هذا فقد نبهك هذا الحكيم على العلة فى ذلك ۞ (اذا أطلق الثناء عليك ولست بأهل فأثن عليه بما هو أهله) المؤمن هو الذى لا يرى نفسه أهلا لأن يمدح أو يثنى عليه لأن موجبات ذلك ليس له منها شئ كما تقدم فاذا أطلق الله تعالى ألسنة الناس بالثناء عليه ولا أهلية فيه لذلك فينبغى أن يعرف الحق لأهله فيستعمل نفسه بالثناء على الله تعالى بما هو أهله ليكون ذلك شكرا لنعمة اطلاق الألسنة بالثناء عليه من غير استحقاق لذلك ولا لثبوت أهلية ۞ (الزهاد اذا مدحوا انقبضوا لشهودهم الثناء من الخلق والعارفون اذا مدحوا انبسطوا لشهودهم ذلك من الملك الحق) تقدم أن الزهاد فى غيبة عن الله تعالى فهم لا يشاهدون الا الخلق فاذا مدحوا وأثنى عليهم شهدوا ذلك من الخلق فانقبضوا عند ذلك لأنهم يخافون فوات نصيبهم من ربهم لأجل ما يتوقعون من الاغترار بذلك والعارفون حاضرون مع ربهم فهم لا يشاهدون معه غيره فاذا مدحوا شهدوا الثناء من ربهم فانبسطوا لذلك وكان ذلك مزيدا فى حالهم ومقامهم لغيبتهم عن أنفسهم كان بعضهم يمدح وهو ساكت فقيل له فى ذلك فقال وما على من ذلك ولست أغلط فى نفسى بل لست فى البين والمجرى والمثنى عليه الله عز وجل وقيل هذا المعنى فى الخبر المروى اذا مدح المؤمن فى وجهه ربا الايمان فى قلبه قال أبو طالب المكى رضى الله عنه وفيه طريق للعارفين بأن يعلو الايمان العلى الى المولى الأعلى فيفرح بذلك لمولاه

يؤذيه لعدم شهوده الذم صادرا منه (متى كنت اذا أعطيت بسطك العطاء واذا منعت قبضك المنع فاستدل بذلك على ثبوت طفوليتك) أى طفيلك على أهل الله ولست منهم بل أنت داخل معهم فى أمر لا تستحقه كما أن الطفيلى يدخل مع الأضياف فى ضيافتهم ولا يستحق الدخول معهم وهو منسوب لطفيل رجل من أهل الكوفة كان يأتى الولائم من غير أن يدعى اليها وكان يقال له طفيل الأعراس (وعدم صدقك فى عبوديتك) لأن القبض عند المنع والبسط عند العطاء من علامات بقاء الحظ والعمل على نيله وهو مناقض للعبودية عند العارفين فمن وجد ذلك فليعرف عدم صدقه فى عبوديته وأنه طفيلى بين أهل الله فى ادعائه مقاماتهم وهو لم يؤهل لها بل الحاصل عنده مجرد دعوى نعم ان كان قبضه خوفا من عدم صبره ومقاومته للقهر الالهى فيحصل عنده بعض ضجر وكان بسطه لعدم وقوعه فى ذلك ففيه اعتناء من الحق به حيث لم يوقعه فى أمر يشوش عليه حاله لم يكن دليلا على ما ذكر لأن العارفين لابد من بقايا شئ من بشريتهم يتمكنون به من مخالطة الخلق ومن لازم البشرية ذلك فالخطاب المذكور مع المريدين (اذا وقع منك ذنب) على حسب مقامك (فلا يكن سببا ليأسك) أى يقتضى يأسك (من حصول الاستقامة) أى اعتدال أحوالك (مع ربك) بأن تعتقد بسبب صدور الذنب أن حصول الاستقامة لك مستحيل فيحملك ذلك على تعاطى غيره من الذنوب وهذا غلط لأن الاستقامة على العبودية لا يناقضها فعل الذنب على سبيل الفلتة والهفوة اذا جرى القدر عليه بذلك وانما يناقضها الاصرار عليه والعزم على فعله ثانيا فالواجب عليك أن تتوب الى مولاك وترجع اليه ولا تيأس من رحمته (فقد يكون ذلك آخر ذنب قدر عليك

ويضيفه الى سيده الذى تولاه فيرد الصنعة الى صانعها ويشهد من الفطرة فاطرها فيكون ذلك مدحا للصانع ووصفا للفاطر لا ينظر الى وصفه ولا يعجب بنفسه انتهى قلت وللمؤلف رحمه الله قصائد فى مدح شيخه أبى العباس المرسى رضى الله عنه وكان ينشدها كثيرا بين يديه ويقع ذلك منه موقعا عظيما وكان يستعيد منهم بعضها ويقول له فى بعضها أيدك الله بروح القدس نحو ما كان يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم لشاعره حسان بن ثابت مع أن حب المدح عندهم من الرذائل التى تشبه الفضائل وبهذا النظر والشهود الحق استقام لهم من مدحهم لأنفسهم وثنائهم عليها ما لم يستقم لغيرهم كما وقع لجماعة منهم وقد روى فى ذلك عن سيدى عبد القادر الجيلانى وسيدى أبى الحسن الشاذلى وسيدى أبى العباس المرسى رضى الله عنهم وغيرهم غير شئ مع أن ذلك معدود عندهم من الصدق القبيح وما ذلك الا لما ذكرناه ولا يتأول ما وقع لهم من ذلك بما تأول به علماء الظاهر مدح يوسف عليه الصلاة والسلام لنفسه وثناءه عليها بغاية الحفظ والعلم لعدم الحاجة اليه فى هذا المقام والله تعالى أعلم وعلامة الصادق فى حب المدح ان كان صاحب هذا المقام لا يحتاج الى علامة أن لا يكره ذم الناس له من حيث نسبة ذلك اليهم لأنهم مصروفون فى قبضة القدرة فيسمح لهم ويصفح عنهم ولا يحقد قلبه عليهم ولا يصل بشئ من الأذى اليهم كما قيل

ربترامى باحجار الأذى * لم أجد بدا من العطف عليه

فعسى يطلع الله على * فرح القوم فيدنينى اليه

(متى كنت اذا أعطيت بسطك العطاء واذا منعت قبضك المنع فاستدل بذلك على ثبوت طفوليتك وعدم صدقك فى عبوديتك) القبض عند المنع والبسط عند العطاء من علامات بقاء الحظ والعمل على نيله وهو مناقض للعبودية عند العارفين فمن وجد ذلك فليعرف به عدم صدقه فى عبوديته وأنه طفيلى بين أهل الله تعالى فى ادعائه مقاماتهم وهو لم يؤهل لها والطفيلى هو الذى يأتى الولائم والضيافات فيدخل مع أهلها من غير دعوة وهو منسوب الى رجل من أهل الكوفة من بنى عبد الله بن غطفان كان يقال له طفيل الأعراس وطفيل العرائس وكان يأتى الولائم من غير أن يدعى اليها فشبه صاحب الكتاب هذا به قال الشيخ أبو عبد الرحمن السلمى رضى الله عنه أكثر الخلق مع الله تعالى فى أحوالهم وارادتهم على الظنون ما تحقق منهم له الا قليل ألا تراه تعالى يقول وما يتبع أكثرهم الا ظنا فمن تحقق فى حاله مع الله تعالى غاب عن كل ما منه وله من الأحوال والأقوال والأفعال نظرا الى ما اليه من رعاية الحق وحياطته وتوليه وكان للحق من حيث الحق له لا من حيث هو للحق ولكن أكثر العبيد يشيرون اليه بالمعرفة ويظهرون حالة المحبة فاذا ورد عليهم وارد بلاء أو خلاف مراد رجعت نفوسهم الى حد الاشفاق عليها والاهتمام بها ونسوا ما ادعوا بعوما أشاروا اليه ولو كانوا للحق من حيث الاستحقاق لنسوا فى جنب ما أشار اليه جميع الموارد ساءهم أو سرهم لأن من حصل فى ميدان الوصول لا يعترض عليه معارض خلافه واذهله حاله عما سواه * وقال رضى الله عنه (اذا وقع منك ذنب فلا يكن سببا ليأسك من حصول الاستقامة مع ربك فقد يكون ذلك آخر ذنب قدر عليك) الاستقامة على العبودية لا يناقضها فعل الذنب على سبيل الفلتة والهفوة اذا جرى القدر عليه بذلك وانما يناقضها الاصرار عليه فاذا وقع من العبد ذنب فينبغى له أن يبادر الى التوبة منه ولا ييأس بسبب وقوعه فيه من

ويقبل عليك المولى بعد ذلك بتوفيقه واحسانه ثم أشار الى ما يكون سببا فى الرجوع الى الله عند صدور الذنب فقال (اذا أردت أن يفتح الله لك باب الرجاء) فيه (فاشهد) أى استحضر فى نفسك (ما) هو واصل (منه اليك) من جلب المنافع ودفع المضار من حين كونك فى بطن أمك الى الوقت الذى أنت فيه فاذا شهدت ذلك غلب عليك حال الرجاء فيه وعدم اليأس من رحمته ولو مع الوقوع فى الذنب (واذا غلب عليك الرجاء وخفت أن يوقعك ذلك فى مخالفته و (أردت أن يفتح لك باب الخوف) ليكفك عن ذلك (فاشهد) أى استحضر فى نفسك (ما) هو واصل (منك اليه) من المخالفات والعصيان وسوء الأدب بين يديه فاذا شهدت ذلك غلب عليك حال الخوف فتكف عن مخالفته فالرجاء والخوف حالان ينشآن عن المشاهدتين المذكورتين وشبههما بشىء عليه باب مغلق استعارة بالكناية والباب تخييل والفتح ترشيح أو الاضافة للبيان (ربما أفادك) أيها العارف (فى ليل القبض) **(١٠٧)** أى القبض الشبيه بالليل بجامع السكون فى كل (ما لم تستفده) أى علوما ومعارفه لم تستفدها (فى اشراق نهار البسط) أى البسط الشبيه بالنهار بجامع الانتشار فى كل لما تقدم أن من حصل عنده البسط تهيج نفسه الى اظهار ما عنده من المعارف وغيرها فربما كان ذلك سببا لحجبه بخلاف من حصل عنده القبض فان نفسه تنكسر وتذل فيكون ذلك سببا فى افاضة الله الخير عليه ولذا كان العارفون يؤثرونه على البسط لما فيه من عدم حظ النفس ووجود قدرتهم على الوفاء بآدابه دون البسط وقد يحصل عندهم فيه جزع وعدم صبر على مقاومة القهر الالهى بخلاف البسط فينبغى للعبد أن يعرف قدر نعمة الله عليه فى حال القبض كما يعرفها فى حال البسط وأن يكل ذلك الى ربه ويحسن ظنه به فانه لا يدرى أيهما أقرب له نفعا كما قال تعالى (لا تدرون أيهم أقرب لكم نفعا) (مطالع الأنوار) أى مواضع طلوع وشروق الأنوار المعنوية وهى نجوم العلم وأقمار المعرفة وشموس التوحيد (القلوب والأسرار) أى قلوب العارفين وأسرارهم فهى كالسماء التى تشرق فيها الكواكب وتطلع وتقدم أن تلك الأنوار أشد اشراقا من أنوار الكواكب قال بعضهم لو كشف الحق تعالى عن مشرقات أنوار قلوب أوليائه لانطوى نور الشمس والقمر من مشرقات أنوار قلوبهم وأين نور الشمس والقمر من أنوار القلوب فان ذلك النور يطرأ عليه الكسوف والغروب وأنوار قلوب أهل الله لا كسوف لها ولا غروب اهـ قال الشاذلى قدس سره لو كشف عن نور المؤمن العاصى لطبق ما بين السماء والأرض فما ظنك بنور المؤمن الطائع فمن لطف الله بهم عدم الاطلاع على أنوار العارفين فقد قال المرسى قدس سره لو كشف عن حقيقة الولى لعبد لان أوصافه من أوصافه

الاستقامة مع ربه ويرى أنه طرده وأبعده فربما يوجب له القنوط من رحمة الله تعالى واليأس من روح الله تعالى لأنه قد يكون ذلك الذنب آخر ذنب قدر عليه وقد وقع ذلك وفرغ منه ۞ (اذا أردت أن يفتح لك باب الرجاء فاشهد ما منه اليك واذا أردت أن يفتح لك باب الخوف فاشهد ما منك اليه) الرجاء والخوف حالان عن مشاهدتين فمن أراد أن يفتح له باب الرجاء فليشهد ما من الله له من الفضل والكرم والاسعاف والالطاف فيغلب عليه حينئذ حال الرجاء ومن أراد أن يفتح له باب الخوف فليشهد ما منه الى الله تعالى من المخالفة والعصيان وسوء الأدب بين يديه فيغلب عليه حينئذ حال الخوف ۞ (ربما أفادك فى ليل القبض ما لم تستفده فى اشراق نهار البسط لا تدرون أيهم أقرب لكم نفعا) تقدم أن القبض يؤثره العارفون على البسط لما فيه من عدم حظ النفس ووجود قدرتهم على الوفاء بآدابه دون البسط وقد ينفتح لهم من أبواب المعارف ما لا ينفتح لهم فى البسط فينبغى للعبد أن يعرف نعمة الله تعالى عليه فى ليل القبض كما يعرفها فى اشراق نهار البسط فلا يعلم أى الليل من المنافع ما ليس فى النهار فليكل علم ذلك الى ربه وليحسن ظنه به فانه لا يدرى أيهما أقرب له نفعا كما أشار اليه بالآية الكريمة وتشبيه القبض بالليل والبسط بالنهار مجاز بديع وقد تقدم نحوه فى كلام الاستاذ سيدى أبى الحسن رضى الله عنه ۞ (مطالع الأنوار القلوب والأسرار) نجوم العلم وأقمار المعرفة وشموس التوحيد مطالعها وموضع شروقها قلوب العارفين وأسرارهم وهذه هى الأنوار الحقيقية من المطالع الروحانية بخلاف الأنوار الحسية قال فى لطائف المنن واعلم أن الله سبحانه وتعالى اذا تولى وليا صان قلبه من الأغيار وحرسه بدوام الأنوار حتى لقد قال بعض العارفين اذا كان الله سبحانه وتعالى قد حرس السماء بالكواكب والشهب كيلا يسترق السمع منها فقلب المؤمن أولى بذلك يقول الله تعالى فيما حكيه عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يسعنى أرضى ولا سمائى ووسعنى قلب عبدى المؤمن فانظر رحمك الله هذا الأمر الأكبر الذى أعطيه هذا القلب حتى صار لهذه الرتبة أهلا ولهذا قال الشيخ أبو الحسن رضى الله عنه لو كشف عن نور المؤمن العاصى لطبق ما بين السماء والأرض فما ظنك بنور المؤمن المطيع ولقد سمعت شيخنا أبا العباس رضى الله عنه يقول لو كشف عن حقيقة الولى لعبد لان أوصافه من أوصافه ونعوته من نعوته قال ولقد أخبرنى بعض المريدين قال صليت خلف شيخى صلاة فشهدت ما بهر عقلى وذلك أنى شهدت بدن الشيخ والأنوار قد ملأته وانبثت الأنوار من وجوده حتى انى لم أستطع النظر اليه قال فلو كشف الحق تعالى عن مشرقات

ونعوته من نعوته اه (نورٌ مستودعٌ في القلوب) وهو نور اليقين المودع في قلوب العارفين (مدده) أي يمتد و يتزايد ضياؤه (من النور الوارد من خزائن الغيوب) وهو نور الأوصاف الأزلية فاذا تجلى الله عليهم بأوصافه تزايد ذلك النور الحاصل في قلوبهم وذلك دليل على عناية الله بهم قال في لطائف المنن واعلم أن الله سبحانه وتعالى اذا تولى وليا صان قلبه من الأغيار وحرسه بدوام الأنوار اه ثم أشار الى أن النور المستودع في القلب على قسمين بقوله (نورٌ يكشف لك عن آثاره) أي عن أحوال المكونات فتطلع على أحوال العباد وعلى ما فوق السماء وما تحت الأرض وهذا يسمى كشفا صوريا وهو ليس معتنى به عند المحققين (١٠٨) (ونورٌ يكشف لك به عن أوصافه) أي أوصاف جلاله وجماله وذلك النور لا يحصل الا من تجلى تلك الأوصاف عليه وهذا يسمى كشفا معنويا وهو المعتد به عندهم ولم يقل ونور يكشف لك به عن ذاته لأن تجلي الذات البحت الخالية عن الصفات مختلف فيه عندهم فبعضهم نفاه وبعضهم أثبته ويسميه الشيخ محيي الدين بالبوارق لكونه يطرأ ويزول سريعا لأن القدرة البشرية لا تطيق دوامه (ربما وقفت القلوب مع الأنوار) أي فتحتجب بها وتتعطل عن السير الى الله تعالى (كما حجبت النفوس بكثائف الأغيار) أي بكثائف هي الأغيار أي الشهوات واللذات التي هي غير المولى سبحانه فالحجاب عن المولى قسمان نوراني وهو العلوم والمعارف اذا وقفت القلوب معها وركنت اليها وجعلتها غاية مقصدها وظلماني وهو شهوات النفوس وعاداتها ووصفها بالكثافة لأنها لا تزول الا بمعاناة ومشقة (ستر أنوار السرائر) أي أنوار قلوب أوليائه (بكثائف الظواهر) أي بالأحوال التي يتلبسون بها في ظواهرهم و يتعاطونها من الصنائع وغيرها فان تلك الأحوال كثائف أي ساترة لغيرهم عن الاطلاع على أنوار قلوبهم وانما ستر تلك الأنوار مع أن الظهور التام لا ينبغي أن يكون الا لها (اجلالا لها أن تبتذل بوجود الاظهار وأن ينادى عليها بلسان الاشتهار) أي لأنها رفيعة القدر جليلة الخطر فأجلها عن الابتذال لها بوجود اظهارها وصانها من أن ينادى عليها بلسان الاشتهار بين الأغيار فيكون ذلك نوعا من الاهانة بها وقد تقدم هذا في قوله سبحان من ستر سر الخصوصية الخ لكن أعاد ذلك هنا لأجل التعليل المذكور وأيضا سترها رحمة من الله للمؤمنين اذ لو ظهرت أسرار الولاية على أحد لأوجبت على من ظهرت له حقوقا لا يقدر على القيام بها فاذا قصر وقع في المحذور

أنوار قلوب أوليائه لا تطوى نور الشمس والقمر من مشرقات أنوار قلوبهم وأين نور الشمس والقمر من أنوارهم الشمس يطرأ عليها الكسوف والغروب وأنوار قلوب أولياء الله تعالى لا كسوف لها ولا غروب كذلك قال قائلهم

ان شمس النهار تغرب بالليـــل ... وشمس القلوب ليست تغيب

(نورٌ مستودعٌ في القلوب مدده من النور الوارد من خزائن الغيوب) نور اليقين المستودع في القلوب يستمد و يتزايد ضياؤه من النور الوارد من خزائن الغيوب وهو نور الأوصاف الأزلية كما ذكرناه عن الشيخ أبي العباس المرسي رضي الله عنه قبل هذا وقد تقدم من كلام المؤلف رحمه الله تعالى أنار الظواهر بأنوار آثاره وأنار السرائر بأنوار أوصافه (نورٌ يكشف لك به عن آثاره ونورٌ يكشف لك به عن أوصافه) النور المدرج بالحواس يكشف لك به عن آثاره وهي الأكوان المحدثة وليس لك الى ذلك كبير حاجة الا من حيث يستدل به على المؤثر والنور المستودع في القلوب يكشف لك به عن أوصافه الأزلية حتى تراها عيانا وفي هذا تمام نعمتك وبه شرف قدرك ومنزلتك اذ بذلك تتحقق في المعرفة وترفع في المشاهدة ولا تحتاج الى دليل بذلك وهذا فرقان ما بين النورين قال في لطائف المنن نور الشمس تشهد به الآثار ونور اليقين تشهد به المؤثر قال ولنا في هذا المعنى

هذه الشمس قابلتنا بنور ... ولشمس اليقين أبهر نورا
فرأينا بهذه النور لــكن ... بهاتيك قد رأينا المنيرا

(ربما وقفت القلوب مع الأنوار كما حجبت النفوس بكثائف الأغيار) القلوب نورانية فتحتجب بوقوفها مع لطائف الأغيار النورانية من العلوم والمعارف والنفوس ظلمانية فتحتجب بمحبتها لكثائف الأغيار الظلمانية من العادات والشهوات فالقلوب محجوبة بالأنوار كما أن النفوس محجوبة بالظلمات والحق وراء ذلك كله قال أبو الحسن الششتري رحمه الله عليه في قصيدته النونية

تقيدت الأوهام لما تداخلت ... عليك ونور العقل أورثك السجنا
وهمت بأنوار فهمنا أصولها ... ومنبعها من أين كان فاهمنا
وقد تحجب الأنوار للعبد مثل ما ... تبعد من اظلام نفس حوت ضغنا

(ستر أنوار السرائر بكثائف الظواهر اجلالا لها أن تبتذل بوجود الاظهار وأن ينادى عليها بلسان الاشتهار) أنوار السرائر انما خفيت عن العيان بما سترها به من كثائف الظواهر مع أن الظهور التام لا ينبغي أن يكون الا لها لأنها رفيعة القدر جليلة الخطر فأجلها عن الابتذال لها بوجود اظهارها وصانها من أن ينادى عليها بلسان الاشتهار بين الأغيار فيكون ذلك نوعا من الاهانة بها وقد تقدم مثل هذا المعنى في قوله سبحان من ستر سر الخصوصية بظهور البشرية

تم الجزء الأول من شرح ابن عباد على الحكم ويليه الجزء الثاني أوله سبحان من لم يجعل الدليل على أوليائه الا من حيث الدليل عليه

شرح الحكم

للعالم العلامة والحبر البحر الفهامة
وحيد دهره وفريد عصره محمد بن
ابراهيم المعروف بابن عباد النفزى الرندى

على متن الحكم

للامام المحقق أبى الفضل احمد بن محمد
بن عبد الكريم ابن عطاء الله السكندرى
تغمدهما الله بالرحمة والرضوان
واسكنهما أعلى الجنان
ونفعنا الله تعالى بهما
امين

الجزء الثانى

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وقال رضى الله عنه ﴾

(سبحان من لم يجعل الدليل على أوليائه الا من حيث الدليل عليه ولم يوصل اليهم الا من أراد أن يوصله اليه) لادليل على الله سواه ولا وصول اليه بغيره وكذلك أولياؤه ولما كان الوصول الى الله تعالى لايكون الا بالعناية والخصوصية ويستحيل أن يكون بطلب أو سبب كان أولياؤه المخصوصون بالقرب منه كذلك لما خلع عليهم الخلع العظيمة وتولاهم بمنه الجسيمة فاصطفاهم لنفسه واختصهم بمحبته وأنسه وطهر أسرارهم من أجناس الاغيار وصان قلوبهم مما أودع فيها من الانوار والاسرار فكانوا لذلك صفته فى عباده وخباياه فى بلاده كما قال فى بعض الاشارات عنه سبحانه أوليائى تحت قبابى لايعرفهم أحد غيرى وهذا من غيرته عليهم لان الحق تعالى أغير على أوليائه من أن يظهرهم الى من لايعرفهم فلم يجعل لاحد دليلا عليهم الا من حيث الدليل عليه ولم يوصل اليهم الا من أراد أن يوصله اليه لانه يلبسهم لباس التلبيس بين الانام ويظهرهم بما يحقرهم فى أعين الخواص والعوام فلم يكن لاحد دليل عليهم أو وصول بسبب اليهم ٭ قال فى لطائف المنن فأولياء الله أهل كهف الايواء فقليل من يعرفهم قال وقد سمعته يقول يعنى شيخه أبا العباس المرسى رضى الله عنه معرفة الولى أصعب من معرفة الله فان الله معروف بكماله وجماله وحتى متى تعرف مخلوقا مثلك يأكل كما تأكل ويشرب كما تشرب وقال فيه واذا أراد الله تعالى أن يعرفك بولى من أوليائه طوى عنك وجود بشريته وأشهدك وجود خصوصيته وقال صاحب كتاب أنوار القلوب لله سبحانه عباد ضن بهم عن العامة وأظهرهم للخاصة فلا يعرفهم الا شكل منهم أو محب لهم ولله تعالى عباد ضن بهم عن الخاصة والعامة وعباد أظهرهم للخاصة والعامة ولله تعالى عباد يظهرهم فى البداية ويسترهم فى النهاية ولله عباد يظهرهم فى النهاية ويسترهم فى البداية ولله عباد لايظهر حقيقة ماينه وبينهم الى الحفظة فمن سواهم حتى يلقونه بما أودعهم منه فى قلوبهم وهم شهداء الملكوت الاعلى والصفيح الايمن من العرش الذين يتولى الله قبض أرواحهم بيده فتطيب أجسادهم به فلا يعدو عليها الثرى حتى يبعثوا بها مشرقة بنور البقاء المجعول فيهم ببقاء الابدى الباقى الاحد عز وجل اه ٭ (وقال) أبو يزيد رضى الله عنه أولياء الله تعالى عرائس ولا يرى العرائس الا من كان محرما لهم وأما غيرهم فلا وهم مخدرون عنده فى حجال الانس لايراهم أحد فى الدنيا ولا فى الآخرة وقال أبو على الجرجانى رضى الله عنه الولى هو الفانى فى حاله الباقى فى مشاهدة الحق تولى الله سبحانه وتعالى سياسته فتوالت عليه أنوار

(سبحان من لم يجعل الدليل) أى الاهتداء والوصول والاستدلال (على أوليائه الا من حيث) أى من جهة (الدليل عليه) أى انه مماثل لذلك فكما أن الله محتجب بالاكوان عن المخلوقين فاهتداؤهم اليه ووصولهم الى معرفتهم أمر عسير يتعجب منه فاذا حصل ذلك لاحد كان منحة عظيمة ومنة جسيمة يشكره عليها كذلك الولى مستتر بكثائف الظواهر من الصنائع الخسيسة وما يتعاطاه من مأكول ومشروب وغيرهما فيكون الاهتداء اليه والوصول الى معرفته أمرا عسيرا يتعجب منه فاذا حصل ذلك لاحد كان منحة عظيمة ومنة جسيمة يشكره عليها والحاصل أن الوصول الى معرفة الله تعالى الخاصة عناية من الله تعالى لابطلب ولا بسبب وكذلك الولى بل معرفته أصعب من معرفة الله تعالى لانه تعالى معروف بكماله وجماله والولى مثلك يأكل كما تأكل ويشرب كما تشرب فاذا أراد الله تعالى أن يعرفك بولى من أوليائه لتنتفع به طوى عنك وجود بشريته وأشهدك وجود خصوصيته (ولم يوصل اليهم) أى لم يعرف بهم ويجمع عليهم (الا من أراد أن يوصله اليه)

التوالى

كذلك لأنهم أحبابه فيغار عليهم أن يجمع عليهم غير أحبابه وهذا البعض الأولياء وهم السالكون فمن أراد أن يوصله إليه وجه عليهم على وجه الصحبة الخاصة وهم قسمان قسم يظهر للعامة والخاصة وقسم لا يظهر إلا للخاصة وهناك عباد لا يظهر عليهم أحدا من خلقه حتى الحفظة يتولى قبض أرواحهم بيده ولا يسلط التراب على أبدانهم (ربما أطلعك (٣) على غيب ملكوته) أي ملكوته الغائب عنك كالذي فوق السماء وتحت الأرض (وحجب عنك الاستشراف) أي الاطلاع (على أسرار العباد) أي ما في قلوبهم من خير أو شر وذلك من لطف الله بك لأن (من اطلع على أسرار العباد ولم يتخلق بالرحمة الإلهية) بأن يستر على المذنبين ويحلم على الظالمين ويصفح عن الجاهلين ويحسن إلى المسيئين ويرأف بعباد الله أجمعين فمن لم يتصف بذلك (كان اطلاعه فتنة عليه) لأن ذلك يؤدي به إلى رؤية نفسه واستعظام أمرها والعجب بعمله والتكبر على غيره وهذا هو أعظم الفتنة (و) كان أيضا (شيئا يجر الوبال إليه) من ادعائه صفات ربه ومنازعته لكبريائه وعظمته وهذا هو أعظم الوبال ونهاية الخزي والنكال روي أن ابراهيم عليه السلام لما أراه الله ملكوت السموات والأرض أشرف على رجل في معصية من معاصي الله تعالى فدعا عليه فهلك وكذلك آخر وآخر فهلكوا فأوحى الله تعالى إليه أن يا ابراهيم إنك رجل مستجاب الدعوة فلا تدعون على عبادي فإنهم مني على ثلاث خصال إما أن يتوب العبد منهم إلي فأتوب عليه وإما أن أخرج منه نسمة تسبح لي وإما أن يبعث إلي فإن شئت عفوت عنه وإن شئت عاقبته قيل إن هذا شديد لأن أمر الله له بذبح ولده لأنه تعالى رحيم بعباده كشفقته على ولده والحاصل أن المكاشفة نعمة من الله على المريد وشكرها الستر والصفح

التوالي لم يكن له عن نفسه أخبار ولا مع غير الله عز وجل قرار وفي الاشارات عن الله سبحانه إنما سميت الولي وليا لأنه يليني دون ما سواي فهم ممزوجون بتنزيه الحق تعالى لهم من أن يوصل إليهم بغيره ولذلك صدر المؤلف كلامه بالتسبيح ۞ (ربما أطلعك على غيب ملكوته وحجب عنك الاستشراف على أسرار العباد) من لطف الله تعالى إخفاء أسرار الناس بعضهم على بعض لأن اسرار يقتضي وجود غيب وهو ظاهر ما ذكره المؤلف هنا بدليل الكلام الذي عقبه به وقد يظهر لبعض الناس ما سوى ذلك من الأسرار الملكوتية ووجه الفرق بينهما ما ذكره المؤلف الآن ويحتمل أن يريد بذلك ما هو أعم مما ذكرناه ويدخل في ذلك أسرار الولاية إذا اختص الحق تعالى بها بعض عباده ويكون في ذلك تنبيه على العلة الموجبة لخفاء الولي حسبما ذكره المؤلف في المسئلة التي فرغنا منها حتى يمتنع الوصول إليه بطلب وسبب إخفاء ذلك أيضا عن عامة المؤمنين من النعم العظيمة إذ لو ظهرت أسرار الولاية على أحد لأوجبت على من ظهرت له حقوقا لا يقدر على القيام بها فإن فرط في ذلك وترك القيام بتلك الحقوق ربما وقع بسبب ذلك في محذورات لا تقوم لها شيء وقد فهمت هذا المعنى من كلام سهل بن عبد الله رضي الله عنه وقد سأله بعض تلامذته كيف تعرف أولياء الله تعالى فقال إن الله تعالى لا يعرفهم إلا أشكالهم أو من أراد أن ينفعه بهم ولو أظهرهم حتى يعرفهم الناس لكانوا حجة عليهم ومن خالفهم بعد علمه بهم كفر ومن قعد عنهم خرج ولكن الله تعالى جعل اختياره تغطية أمورهم رحمة منه لخلقه ورأفة ولكن الله تعالى قد أخبر بكرامتهم فقال عز وجل الله ولي الذين آمنوا والله ولي المؤمنين فأفردهم به ولو أظهرهم حتى يبرزهم لكان في النظر إليهم حجة وكان الامتناع منهم فرضا اه والمعنى الذي ذكرناه في هذه المسئلة فهمته من الكلام الذي ذكره الشيخ أبو طالب رضي الله عنه في كتاب الشكر قال فيه ثم نجد ذلك من لطائف النعم شمول ستره لهم بتغطيتهم عن بعض وسترهم عند العلماء والصالحين منهم ولولا ذلك لما نظروا إليهم ثم حجب الصالحين عنهم ولو أظهر عليهم آيات يعرفون بها حتى يكون الجاهلون على يقين من ولاية الله تعالى لهم وقربه منهم لبطل ثواب المحسنين إليهم بقدر حكم قبول احسانهم عليهم ولحبطت أعمال المسيئين إليهم ففي حجب ذلك وستره ما يحمل العاملين لهم في الخير والشر على الرجاء وحسن الظن من وراء حجاب اليقين وتأخرت عقوبات المؤذين لهم عن المعاجلة لما سترهم عليهم من عظيم شأنهم عند الله عز وجل وجليل قدرهم ففي ستر هذا نعم عظيمة على الصالحين في نفوسهم من سلامة دينهم وقلة فتنتهم ونعم جليلة على المنتهكين لحرمتهم المصغرين لشعائر الله من أجل ما ذكرناه إذ كانوا أساؤوا إليهم من وراء حجاب فهذا هو لطف خفي من لطف المنعم الوهاب كما جاء في الخبر من آذى لي وليا فقد بارزني بالمحاربة ثم أنا الثائر لأوليائي فقد يكون مثل ذلك ممن آذى نبيا وهو لا يعلم بنبوته قبل أن يعلم أنه رسول الله وأن الله عز وجل نبأه فلا يكون وزره وزر من انتهك حرمة من كان أعلمه أنه نبي لله عز وجل لعظم حرمة النبي اه ما ذكره الشيخ أبو طالب والوجه الأول أولى في تقرير معنى ما ذكره المؤلف والله تعالى أعلم ۞ (من اطلع على أسرار العباد ولم يتخلق بالرحمة الإلهية كان اطلاعه فتنة عليه وسببا لجر الوبال إليه) الاطلاع على السرائر التي

(حظ النفس في المعصية) كالزنا (ظاهر جلي) وهو التذاذه بها فانها لا تطلب منك التلبس بالمعصية الا لأجل أن تلتذ بها فيحصل لك الوبال والنكال (وحظها في الطاعة باطن خفي) لا يطلع عليه الا أرباب البصائر وكذلك لأن في الطاعة مشقة عليها فاذا (٤) أمرتك بها لم تعلم حظها فيها الا بعد تفتيش فقد تريك أن حظها فيها التقرب الى الله تعالى وفي الباطن ليس لها حظ الا اقبال الناس عليك واشتهارك بينهم بالصلاح ومن حاسب نفسه وراقب خاطره تبين له مصداق هذا (ومداواة ما يخفى) أي زوال حظوظها الخفية (صعب علاجه) لأنه يحتاج الى دقة فهم ونفوذ ادراك فأهل البصائر يتهمون نفوسهم اذا مالت الى عبادة من العبادات ويفتشون عن سبب ميلهم اليه فان كان لحظ من حظوظها تركوها أو عالجوا نفوسهم في حال فعلها حتى تكون خالصة لله تعالى كما وقع لبعضهم أنه حدثته نفسه بالخروج الى الغزو وأظهرت له أن ذلك لله تعالى ففتش فاذا هو لأجل أن تستريح من تعب المجاهدة فانه كل يوم يقتلها مرات كثيرة بمنعها من شهواتها فأرادت أن تقتل مرة واحدة فتستريح وأيضا لأجل أن يتسامع الناس بأنه استشهد فيكون شرفا له وذكرا في الناس فترك الخروج الى الغزو وقد يجد الشخص من النشاط واللذة في نوع من العبادات ما لا يجده في نوع آخر وما ذلك الا لأجل أن حظها فيه أكثر من الآخر فاذا كان من أهل البصائر انتقل عما مالت اليه نفسه الى غيره فان طاوعته لم يكن لها في الاشتغال بذلك النوع حظ والا كان لأجل حظها كذا

تقتضي وجود العيب اذا لم يتخلق صاحبه بالرحمة الالهية فيرحم المذنبين ويحلم على الظالمين ويصفح عن الجاهلين ويحسن الى المسيئين ويرأف بعباد الله أجمعين فانه يكون ذلك الاطلاع فتنة عليه لأن ذلك يؤديه الى رؤية نفسه واستعظام أمرها والعجب بعمله والتكبر على غيره وهذا هو أعظم الفتنة ويكون بذلك سببا الى جر الوبال اليه من ادعائه لصفات ربه ومنازعته الكبرياء وعظمته وهذا هو أعظم الوبال وغاية الخزي والنكال وفي بعض الأخبار المروية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال ما نزعت الرحمة الا من قلب شقي وفي حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال الراحمون يرحمهم الرحمن ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء وفي الاشارات عن الله تعالى أنه قال عبدي ان استخلفتك شفقت لك من الرحمة شفقا فكنت أرحم بالمرء من نفسه وقد أدب الله تعالى خليله ابراهيم عليه السلام في بعض مواطنه العظيمة المقدار وعلمه كيف يتخلق بهذا الخلق الكريم عند اطلاعه على الأسرار روي عن قطامة بن زهير رضي الله عنه أنه قال بلغني أن ابراهيم عليه السلام حدث نفسه أنه أرحم الخلق قال فرفعه الله تعالى حتى أشرف على أهل الأرض فأبصر أعمالهم وما يفعلون فقال يارب دمرهم فقال الله تعالى أنا أرحم بعبادي منك ياابراهيم اهبط فلعلهم يتوبون ويرجعون وعن علي رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لما أرى الله ابراهيم ملكوت السموات والأرض أشرف على رجل بمعصية من معاصي الله عز وجل فدعا الله عليه فهلك وكذلك على آخر وآخر فهلكوا فأوحى الله اليه أن ياابراهيم انك رجل مستجاب الدعوة فلا تدعون على عبادي فانهم مني على ثلاث خصال اما أن يتوب العبد منهم فأتوب عليه واما أن أخرج منه نسمة تسبح لي واما أن يبعث الي فان شئت عفوت عنه وان شئت عاقبته وقيل ان سبب أمر الله له بذبح ولده هو هذا المعنى الذي ظهر منه من غلظته على العصاة وقلة رحمته لهم وقد ذكر في بعض التفاسير أنه عليه السلام كان يعرج به كل ليلة الى السماء وهو قوله تعالى وكذلك نري ابراهيم ملكوت السموات والأرض فعرج به ذات ليلة فاطلع على مذنب على فاحشة فقال اللهم أهلكه يأكل رزقك ويمشي على أرضك ويخالف أمرك فأهلكه الله تعالى فاطلع على آخر فقال اللهم أهلكه فنودي كف عن عبادي رويدا رويدا فاني طالما رأيتهم عاصين فلما هبط أري في المنام ما ذكر الله تعالى حيث يقول اني أرى في المنام أني أذبحك فانظر ماذا ترى فلما تشمر لذلك وأخذ السكين بيده قال اللهم هذا ولدي وثمرة فؤادي وأحب الناس الي فسمع قائلا يقول أما تذكر الليلة التي سألتني فيها اهلاك عبدي أو ما تعلم أني رحيم بعبادي كما أنت شفيق بولدك فاذا سألتني اهلاك عبدي أسألك ذبح ولدك واحدا بواحد والبادي أظلم ۞ (حظ النفس في المعصية ظاهر جلي وحظها في الطاعات باطن خفي ومداواة ما يخفى صعب علاجه) النفس من شأنها أبدا طلب الحظوظ والفرار من الحقوق فهي لا تسعى الا في ذلك ولو في عملها في الطاعات فضلا عن المعاصي ومن حاسب نفسه وراقب خواطره تبين له مصداق هذا وقد تجد من النشاط واللذة في نوع من العبادة ما لا تجده في نوع آخر وان كان هذا النوع الآخر أتم فضيلة منه وما ذاك الا من أجل أن حظها فيه أكثر من الآخر فأهل الخبرة والبصيرة يتهمون أنفسهم اذا ألفت بابا من أبواب العبادات لمعرفتهم بخدعها ومكايدها فيشوشون ذلك عليها ويتنقلون منه ۞ وقد حكي عن أبي محمد المرتعش رضي الله عنه أنه قال حججت

كذا وكذا حجة على التجريد فبان لي أن جميع ذلك كان نشوا بالحظي وكذلك أن والدتي سألتني يوما أن أستقي لها جرة ماء فثقل ذلك على نفسي فعلمت أن مطاوعة نفسي في الحجات كانت بشوب وحظ من نفسي إذ لو كانت نفسي فانية لم يصعب عليها ما هو حق في الشرع فهذا مما يبين أن حظ النفس في الطاعة موجود ولكنه خفي على العامل فلذلك تعسر جدا وانه لأنه يحتاج الى دقة فهم ونفوذ ادراك فليتطلب بذلك آفات نفسه ولطائف خدعها وخفايا حظوظها فيعمل على تصفية عمله من ذلك فلاجرم اذ كان متعذرا صعب عليه اتهام نفسه ومخالفتها في كل ما يدعو اليه كائنا ما كان قال الشيخ أبو بكر الخفاف رضي الله عنه سمعت بعض مشايخي يقول عن أحمد بن أرقم البلخي قال حدثتني نفسي بالخروج الى آسبيجاب للغزو فقلت سبحان الله ان الله تعالى يقول ان النفس لأمارة بالسوء وهذه تأمرني بالخير لا يكون هذا أبدا ولكنها استوحشت فتريد لقاء الناس فتستروح به وتتسامع الناس بها فيستقبلونها بالبر والتعظيم والاكرام فقلت لها أسلك العمران ولا أنزل على معرفة فأجابت فأساءت ظني بها وقلت والله أصدق قولا فقلت لها أقاتل العدو حاسرا فتكوني أول قتيل فأجابت وعد أشياء مما أرادها به فأجابت الى كل ذلك قال فقلت يا رب نبهني لها فاني لها متهم ولقولك مصدق فالهمت كأنها تقول لي انك تقتلني كل يوم مرات بمخالفتك اياي ومنع شهواتي ولا يشعر بي أحد فان قاتلت فقتلت كانت قتلة واحدة فنجوت منك ويتسامع الناس فيقال استشهد أحمد فيكون شرفا لي وذكرا في الناس قال فقعدت ولم أخرج ذلك العام فهكذا خدع النفس وغرورها أعاذنا الله من شرها وسيأتي من كلام المؤلف رحمه الله اذا التبس عليك أمران انظر أثقلهما على النفس فاتبعه فانه لا يثقل عليها الا ما كان حقا

(ربما دخل الرياء عليك من حيث لا ينظر الخلق اليك) رياء العبد بالعمل حيث يكون بمرأى من الناس ظاهر لا يحتاج الى أمارة عليه ورياؤه بعمله حيث لا يراه أحد أمر خفي لا يعرف الا بالامارات والعلامات بل هو أخفى من دبيب النمل ومن أماراته أن يلتبس بقلبه توقير الناس له وتعظيمه وتقديمه في المحافل والمجالس ومسارعتهم الى قضاء حوائجه واذا قصر أحدهم في حقه الذي يستحقه عند نفسه استبعد ذلك واستنكره ويجد تفرقة بين اكرامه واكرام غيره واهانته واهانة سواه حتى ربما يظهر بعض سخفاء العقول ذلك على ألسنتهم فيتوعدون من قصر في حقهم بمعاجلة الله له بالعقوبة وأن الله تعالى لا يدعهم حتى ينتصر لهم ويأخذ بثارهم فاذا وجد العبد هذه الامارات من نفسه فليعلم أنه مراء بعمله وان أخفاه عن أعين الناس ● وقد روى عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال ان الله تعالى يقول للقراء يوم القيامة ألم تكونوا ترخص لكم في السعر ألم تكونوا تبادرون بالسلام ألم تكن تقضى لكم الحوائج وفي الحديث الآخر لا أجر لكم قد استوفيتم أجوركم وقال عبد الله بن المبارك روى وهب بن منبه رضي الله عنه أن رجلا من العباد قال لأصحابه انا فارقنا الاموال والاولاد مخافة الطغيان فنخاف أن يكون قد دخل علينا في أمرنا هذا من الطغيان أكثر مما دخل على أهل الاموال في أموالهم ان أحدنا اذا لقي أحب أن يعظم لمكان دينه وان سأل حاجة أحب أن تقضى له لمكان دينه وان اشترى شيئا أحب أن يرخص عليه لمكان دينه فبلغ ذلك ملكهم فركب في موكب من الناس فاذا السهل والجبل قد امتلأ من الناس فقال السائح ما هذا فقيل له هذا الملك قد أتاك فقال للغلام ائتني بطعام فأتاه ببقل وزيت وقلوب الشجر فأقبل يحشو شدقه ويأكل أكلا عنيفا فقال الملك أين صاحبكم قالوا هذا قال كيف أنت قال كالناس وفي حديث آخر بخير فقال الملك ما عند هذا من خير فانصرف عنه فقال السائح الحمد لله الذي صرفك عني وأنت لي ذام ومن هذا النوع من الرياء خاف الكبار وعدوا أنفسهم بسببه من الأشرار كما روي عن الفضيل بن عياض رضي الله عنه أنه قال من أراد أن ينظر الى مراء فلينظر الي

(ربما دخل الرياء عليك من حيث لا ينظر الخلق اليك) أي وأنت في مكان لا ينظر الناس اليك فيه يعني أن الرياء كما يدخل في العمل اذا عمله صاحبه عند الناس ويسمى الرياء الجلي يدخل فيه اذا عمله وحده بأن يقصد به توقير الناس وتعظيمه وتقديمه في المحافل ومسارعتهم في قضاء حوائجه فاذا قصر أحدهم في حقه الذي يستحقه عند نفسه استبعد ذلك واستنكره وربما توعد من قصر في حقه بمعاجلة الله له بالعقوبة وأن الله يأخذ بثاره منه فاذا وجد العبد هذه الأمارة في نفسه فليعلم أنه مراء بعمله وان أخفاه عن الناس ويسمى هذا الرياء بالخفي ولا يسلم من الرياء الجلي والخفي الا العارفون الموحدون لأن الله تعالى طهرهم من دقائق الشرك وغيب عن نظرهم رؤية الخلق بما أشرق على قلوبهم من أنوار اليقين والمعرفة فلم يرجوا منهم حصول منفعة ولم يخافوا من قبلهم وجود مضرة فأعمال هؤلاء خالصة وان عملوها بين أظهر الناس ومن لم يعط هذا أو شاهد الخلق وتوقع منهم حصول المنافع ودفع

المضار فهو المرائي بعمله وان عبد الله في جبل بحيث لا يراه أحد ولا يسمع به (استشرافك) أيها المريد أي محبتك وميلك الى (أن يعلم الخلق بخصوصيتك) أي بما خصك الله تعالى به من علم نافع أو عمل صالح أو أحوال باطنية (دليل على عدم صدقك في عبوديتك) لأن الصدق في العبودية هو طرح الأغيار وعدم الالتفات اليها رأسا فلو كنت صادقا في عبودية الرب لقنعت بعلمه بك ولم تحب أن يعلمك غيره فتغار على حالك من رؤية الأغيار له قال بعضهم من أحب أن يطلع الناس على عمله فهو مراء ومن أحب أن يطلع الناس على حاله فهو كذاب هذا في بداية السلوك فان تحقق العبد في المعرفة ومشاهدة الوحدانية الصرفة فلا بأس بالاخبار بأعماله والاظهار لمحاسن أحواله ليؤدي حق شكرها وليقتدي به غيره فنهي أمر أهل الطريق في البداية على الفرار من الخلق والانفراد بالملك الحق واخفاء الاعمال وكتمان الاحوال تحقيقا لفنائهم وتثبيتا لزهدهم وعملا على سلامة قلوبهم وحبا في اخلاص أعمالهم لسيدهم حتى اذا تمكن اليقين وأيدوا بالرسوخ والتمكين وتحققوا بحقيقة الفناء وردوا الى وجود البقاء فهنالك ان شاء الله أظهرهم وان شاء سترهم ولم تتعلق ارادتهم بظهور ولا خفاء بل يردون الأمر اليه في ذلك ثم بين حقيقة صدق العبودية بقوله

وسمع مالك بن دينار رضي الله عنه امرأة وهي تقول له يا مرائي فقال لها يا هذه وجدت اسمي الذي أضله أهل البصرة ودخل رجل على داود الطائي رضي الله عنه فقال ما حاجتك قال زيارتك فقال أما أنت فقد عملت خيرا حين زرت ولكن انظر ماذا ينزل بي اذا قيل لي من أنت أمن الزهاد أنت لا والله أمن العباد أنت لا والله أمن الصالحين أنت لا والله ثم أقبل يوبخ نفسه ويقول كنت في الشبيبة فاسقا فلما كبرت صرت مرائيا والله المرائي شر من الفاسق الى غير هذا مما روي عنهم في هذا المعنى ولا يسلم من الرياء للخلق والجلي الا العارفون الموحدون لأن الله تعالى طهرهم من دقائق الشرك وغيب عن نظرهم رؤية الخلق بما أشرق على قلوبهم من أنوار اليقين والمعرفة فلم يرجوا منهم حصول منفعة ولم يخافوا من قبلهم وجود مضرة فأعمال هؤلاء خالصة وان عملوها بين أظهر الناس ومن رأى منهم ومن لم يحظ بهذا وشاهد الخلق ويرجو منهم حصول المنافع ودفع المضار فهو مراء بعمله وان عبد الله تعالى في قنة جبل بحيث لا يراه أحد ولا يسمع به وقد تقدم قول يوسف بن الحسين الرازي رضي الله عنه أعز شيء في الدنيا الاخلاص وكم أجتهد في اسقاط الرياء عن قلبي فكأنه ينبت فيه على لون آخر ۞ (استشرافك أن يعلم الخلق بخصوصيتك دليل على عدم صدقك في عبوديتك) الخصوصية ههنا ما اختص الحق تعالى به بعض عباده من عمل نافع أو علم صالح وصدق العبودية فيه أن يقنع بعلم الله تعالى فيه بحاله ولا يتطلع الى أن يعرف بذلك أحد من الخلق فيشغله حينئذ الحياء من ربه والشكر له عن الاستشراف الى معرفة الخلق بذلك ويغار على حاله من رؤية الاغيار له ولهذا فضل عمل السر على عمل العلانية بسبعين ضعفا كما ورد في الخبر عن نبينا صلى الله عليه وسلم وقال عيسى عليه السلام اذا كان يوم صوم أحدكم فليدهن رأسه وليمسح شفتيه فاذا خرج الى الناس رأوا أنه لم يصم واذا أعطى أحدكم فليعط بيمينه وليخفه عن شماله واذا صلى أحدكم فليسدل عليه ستر بابه فان الله تعالى يقسم الثناء كما يقسم الرزق وقد سئل حكيم من الحكماء عن علامة الصادق فقال كتمان الطاعة وقال أحمد بن أبي الحواري رضي الله عنه من أحب أن يعرف بشيء من الخير ويذكر به فقد أشرك في عبادته لأن من عبد الله على المحبة لا يحب أن يرى خدمته سوى مخدومه وقال الشيخ أبو عبد الله القرشي رضي الله عنه كل من لم يقنع في أفعاله وأقواله بسمع الله ونظره دخل عليه الرياء لا محالة وقال بعضهم ما أخلص أحد قط الا أحب أن يكون في جب لا يعرف وقال سهل بن عبد الله التستري رضي الله عنه من أحب أن يطلع الخلق على ما بينه وبين الله فهو غافل وقال أبو الخير الاقطع رضي الله عنه من أحب أن يطلع الناس على عمله فهو مراء ومن أحب أن يطلع الناس على حاله فهو كذاب وقال بعضهم لمن استوصاه لا تحب أن تعرف ولا تحب أن تعرف انك ممن لا يحب أن يعرف فعلى العبد اخفاء حاله بجهده وأن يبلغ في كتمانه أقصى ما يجده (قال) الحسن رضي الله عنه أدركت أقواما ما من أحد منهم يستطيع أن يسر شيئا من عمله الا أسره وان كان الرجل ليجلس مع القوم وانه لفقيه وما يعلم به حتى يقوم ولقد أدركت أقواما يأتي أحدهم الزور فيقوم فيصلي وما يشعر به الزور ولقد أدركت أقواما وما من عمل يقدرون أن يعملوه لله سرا فيكون علانية أبدا ولقد أدركت أقواما يجمع أحدهم القرآن وما يعرف به جاره ولقد أدركت أقواما يجتهدون في الدعاء وما يسمع لهم أحد وقال محمد بن واسع رضي الله عنه أدركت رجالا كان الرجل يكون رأسه مع رأس امرأته على وسادة واحدة قد بل ما تحت خده من دموعه لا تشعر به امرأته ولقد أدركت رجالا يقوم أحدهم في الصف فتسيل دموعه على خده ولا يشعر به الذي الى جنبه وفي رواية عنه ان كان الرجل ليبكى

عشرين ثمنة وأمر أن نفعه لا نعلم فان وقع منه اعلان واظهار في وقت ما فليشتغل حينئذ بمراقبة قلبه وصونه عن أن يعمل فيه الفرح باطلاع الناس على حاله ولينكر ذلك على نفسه وليكرهه ولا يرضه منها وليجاهد نفسه في ذلك أشد المجاهدة فان خالف هذا واستشرف الى معرفة غير الله بحاله وغفل عن مجاهدة نفسه في حال ظهور ذلك منه ولو في لحظة خيف عليه أن يعمل الفرح في قلبه فيقع عند ذلك في الفتنة فان كان ضعيف الارادة لم يسلم من الوقوع في الرياء الجلي والخفي لأن سببه قد استتب له وان كان قوي الارادة وسالكا سبيل المعرفة لم يسلم من السكون والركون فتفقد حينئذ الغيرة على الحال وينحط بذلك عن ذروة الكمال ولهذا كان اسقاط المنزلة عند الناس من ضروريات سالكي هذه الطريقة كما تقدم عند قوله ادفن وجودك في أرض الخمول فان تحقق العبد في المعرفة ومشاهدة الوحدانية الصرفة جاز له الاخبار بأعماله والاظهار بمحاسن أحواله عناء منه على نفي الغير وأداء لواجب حق الشكر ٭ كان بعض السلف يصبح فيقول صليت البارحة كذا وكذا ركعة وتلوت كذا وكذا سورة فيقال له أما تخشى من الرياء فيقول ويحكم وهل رأيتم من يرائي بفعل غيره وكان آخر يفعل مثل ذلك فيقال له لم لا تكتم ذلك فيقول ألم يقل الله سبحانه وتعالى وأما بنعمة ربك فحدث وأنتم تقولون لا تحدث فان قصد من هذا اعماله الى هداية عباد الله ودعائهم الى الله تعالى فأظهر أحواله وأعماله للاقتداء به والاهتداء بهديه فهو خارج عن النمط الأول كله وداخل في حكم هذا النوع الثاني وعلانية هذا أفضل من سره لأنه يسلم من الآفات التي تعرض لها غيره وحصلت منه الفوائد التي تضمنها اظهاره وجهره وقد جاء في الخبر السر أفضل من العلانية والعلانية أفضل لمن أراد الاقتداء وهذا أرجح الوجوه عند العلماء في قوله صلى الله عليه وسلم للرجل الذي سأله عن فرحه باطلاع الناس على بعض أعماله لك أجران أجر السر وأجر العلانية وقد فعل ما ذكرناه من اظهار الطاعة جماعة من الصحابة والتابعين منعنا من ذكر وقائعهم خشية الاطالة وكان ذلك منهم لأجل هذا الغرض ومقام هذا العبد مقام النصحاء لعباد الله والدعاة لهم الى الله فلا جرم كان له الدرجات العلى عند الله تعالى لأنهم من أئمة المتقين لله وقد أخبر الله تعالى بجزائهم وذكرهم عقيب دعائهم لذلك فقال عز من قائل أولئك يجزون الغرفة بما صبروا ويلقون فيها تحية وسلاما خالدين فيها حسنت مستقرا ومقاما قال في لطائف المنن اعلم أن مبنى أمر الولي على الاكتفاء بالله والقناعة بعلمه والاغتناء بشهوده قال الله تعالى ومن يتوكل على الله فهو حسبه وقال سبحانه أليس الله بكاف عبده وقال ألم يعلم بأن الله يرى وقال تعالى أولم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد فمبنى أمرهم في بدايتهم على الفرار من الخلق والانفراد بالملك الحق واخفاء الأعمال وكتمان الأحوال تحقيقا لفنائهم وتثبيتا لزهدهم وعملا على سلامة قلوبهم وحبا في اخلاص أعمالهم لسيدهم حتى اذا تمكن اليقين وأيدوا في الرسوخ والتمكين وتحققوا بحقيقة الفناء وردوا الى وجود البقاء فهناك ان شاء الحق أظهرهم وان شاء سترهم وان شاء أظهرهم هادين لعباده اليه وان شاء سترهم فاقتطعهم عن كل شيء اليه فظهور الولي ليس بارادته لنفسه ولكن بارادة الله تعالى له بل يطلبه ان كان له تطلب الخفاء لا الجلاء كما قدمناه فلما لم يكن الظهور مطلبهم وأراد الله سبحانه اظهارهم فأظهرهم وتولاهم في ذلك بتأييده وواردات مزيده لقوله صلى الله عليه وسلم لعبد الرحمن بن سمرة لا تطلب الامارة فانك ان أعطيتها من غير مسئلة أعنت عليها وان أعطيتها عن مسئلة وكلت اليها ومن تحقق منهم بالعبودية لله تعالى لم يطلب ظهورا ولا خفاء بل ارادته وقف على اختيار سيده له وقال الشيخ أبو العباس المرسي رضي الله عنه من أحب الظهور فهو عبد الظهور ومن أحب الخفاء فهو عبد الخفاء ومن كان عبد الله فسواء عليه أظهره أو أخفاه اه ﴿ غب نظر الخلق اليك

(غب نظر الخلق اليك) أي لا تلتفت الى نظرهم اليك ولا تطلبه ولا تخطره ببالك بل اجعله غائبا عنك

ينظر الله اليك وغب عن اقبالهم عليك بشهود اقباله عليك) هذا المعنى هو حقيقة صدق عبودية الله الذى أشار اليه فى المسئلة التى قبل هذه وهو أن لا يكون له شعور مامن الخلق اليه من نظر واقبال ولا تشوف اليه ولا طلب له وانما يكون شعوره وتشوفه وطلبه مقصورا على مامن الله اليه من نظره اليه واقباله عليه فيقيب أدنى الحالين بأعلاهما وذلك بأن يعلم أن مامن الخلق اليه أمر وهمى باطل فينقاد اليه كل ذى عقل قاصر يوجب له هذا الانقياد أنواعا من الكبائر والرذائل من الانحطاط فى أهواء الناس وتحسين مواقع نظرهم منه بالتصنع والتزين لهم وتزيينه الجاه والحشمة لديهم تكبرا وتعظما عليهم ومعاشرتهم بالنفاق والادهان ومخالفة الاسرار والاعلان وهذا عذاب أليم استعجله فى دنياه اذ يفوته بذلك راحة قلبه وطيب عيشه ويسلبوا ثواب الغنى والعزة ويلبسه لباس الطمع والذلة فتردى بذلك همته وتقل قيمته ولعذاب الآخرة أكبر وقد قال الشاعر

من راقب الناس مات غما ● وفاز باللذة الجسور

ورأى سهل بن عبد الله رضى الله عنه رجلا من الفقهاء بمكة فقال له شيئا فقال له يا أستاذ لا أقدر على هذا من الناس فالتفت سهل الى أصحابه فقال لا ينال العبد حقيقة من هذا الأمر حتى يكون بأحد وصفين حتى يسقط الناس من عينه فلا يرى فى الدنيا الا هو وخالقه فان أحدا لا يقدر أن يضره ولا ينفعه أو تسقط نفسه عن قلبه فلا يبالى بأى حال يرونه ثم من له بحصول ما أراد منهم فأغراضهم مختلفة وطباعهم متباينة فربما استحسن من نفسه شيئا لم يستحسنه غيره وربما أرضى شخصا بما لا يرضى الآخر فهو يعمل بزعمه فيما ينفعه عند الناس وساع فيما يضره عندهم وعند الله تعالى مع مقاساة التعب والنصب فى نفسه ● وفى الحكاية المذكورة عن لقمان وابنه تنبيه على هذا المعنى ذكر أن لقمان دخل ذات يوم السوق وهو راكب حمارا وابنه يسوقه فقال الناس حين رأوه شيخ لم يشفق على صبى فأركبه خلفه فقالوا اثنان على حمار هلا زادتالنا فنزل لقمان وبقى الولد فقالوا شيخ ماش وصبى راكب فنزل الولد يمشى مع والده وساقا الحمار جميعا فقالوا حمار فارغ وهذان يسوقانه وكان غرض لقمان بهذا أن يرى ابنه شأن الناس مع من يراعى نظرهم فانه لا يسلم منهم على أى حالة يكون فرضا الناس غاية لا تدرك وأحمق الناس من طلب ما لا يدرك فهذا حال من انقاد الى الاوهام من ضعفاء العقول وسخفاء الاحلام وأما من كان له عقل وافر وعلم فاخر فلا يميل الا الى ما هو حق ووجود صدق وهو ما من الله اليه من نظر واقبال وجزيل عطاء وعظيم نوال فهو يعمل فيما يؤديه الى هذه المطالب من غير اكتراث بذم ذام أو عتب عاتب ويقول بلسان حاله

ان الذى تكرهون منى ● هو الذى يشتهيه قلبى

ويقول أيضا ما قاله محمد بن أسلم رضى الله عنه مالى ولهذا الخلق كنت فى صلب أبى وحدى ثم صرت فى بطن أمى وحدى ثم دخلت الدنيا وحدى ثم تقبض روحى وحدى فأدخل فى قبرى وحدى ويأتينى منكر ونكير فيسألانى وحدى فان صرت الى خير صرت وحدى وان صرت الى شر صرت وحدى ثم أوقف بين يدى الله وحدى ثم يوضع عملى وذنوبى فى ميزانى وحدى فان بعثت الى الجنة بعثت وحدى وان بعثت الى النار بعثت وحدى فمالى وللناس وقد سئل الحرث بن أسد المحاسبى رضى الله عنه عن علامة الصادق فقال الصادق هو الذى لا يبالى لو خرج كل قدر له من قلوب الخلق من أجل صلاح قلبه ولا يحب أن يطلع الناس على مثاقيل الذر من حسن عمله ولا يكره أن يطلع الناس على السيء من عمله فان كراهته لذلك دليل على أنه يحب الزيادة عندهم وليس هذا من أخلاق الصادقين ● (من عرف الحق شهده فى كل شيء) فلا يستوحش من شيء ويستأنس به كل شيء كما تقدم من نعت العارفين

(ينظر الله اليك) فلا يكن التفاتك وتشوفك الا لنظر الله اليك وكذا يقال فى قوله (وغب عن اقبالهم عليك بشهود اقباله عليك) فلا تلتفت الى اقبالهم عليك ولا تطلبه بل لا يكون التفاتك وطلبك الا لاقبال الله عليك فان اقبال الخلق على المريد قبل كماله يوجب له التصنع لهم ومداهنتهم وغير ذلك من الآفات وذلك يوجب انحطاط رتبته وسقوطه من عين الحق والعياذ بالله تعالى فلا يرضى باقبالهم الا ذو عقل قاصر وهمة دنيئة لأن رضا الناس غاية لا تدرك وأحمق الناس من طلب ما لا يدرك وأما من كان له عقل وافر فلا يميل الا لاقبال الله من غير مبالاة بذم ذام ولا عيب معيب قال بعضهم الصادق هو الذى لا يبالى لو خرج كل قدر له من قلوب الخلق من أجل اصلاح قلبه ولا يحب أن يطلع الناس على مثقال ذرة من صلاح عمله ولا يكره أن يطلعوا على السيء من عمله فان كراهته لذلك دليل على أنه يحب الزيادة عندهم وليس هذا من اخلاص الصادقين اه (من عرف الحق) أى من تحقق فى مقام المعرفة بالله (شهده فى كل شيء) أى رآه ظاهرا فى أعيان الموجودات فلا يستوحش من شيء ويأنس به كل شيء كما تقدم فى نعت العارفين (ومن

(ومن فني به) أى تحقق فى مقام الفناء (غاب عن كل شىء) فلا يرى فى الوجود ظاهرا الا الله ويغيب هو عن نفسه وحسه فلا يشاهد له وجودا وتحققا بخلاف العارف فانه متحقق فى مقام البقاء فيرى الخلق والحق ويرى الحق ظاهرا فى كل الأشياء وقائما بها مع عدم غيبته عن نفسه وحسه (ومن أحبه لم يؤثر عليه شيئا) أى من اراداته وشهواته فهذه علامات يعرف بها حال من ادعى بلوغ هذه المقامات (انما حجب الحق) أى الله (عنك شدة قربه منك انما احتجب لشدة ظهوره) ولأن الحجاب كما يكون بشدة البعد يكون بشدة القرب فان اليد اذا قربت من البصر والتصقت به لم يرها بخلاف ما اذا كانت بعيدة عنه وكذلك الرب لم نره لاحاطته بنا احاطة تامة ولقربه منا قربا معنويا ولا يدرك ذلك الا ارباب البصائر الذين تجلى الحق على بصائرهم فازال عنهم الحجاب حتى رأوه قائما بالاشياء ومحيطا بها (و) انما (خفى عن الابصار) فى الدنيا فلم ندركه (لعظم نوره) وذلك كالشمس فان نورها أقوى من سائر الانوار المحسوسة وقوة نورها هو الذى حجب الابصار الضعيفة عن ادراك كنهها فقد صار ظهورها الذى أوجبه وجود نورها حجابا لها وليس الحجاب منها على الحقيقة فان الظاهر لذاته لا يحتجب من ذاته وانما يطرأ الحجاب عليه من غيره وهو هنا ضعف البصر عن مقاومة فيضان النور وهذا لازم لما قبله (لا يكن طلبك تسببا الى العطاء منه) أى لا تقصد بطلبك أى توجهك له بالدعاء والاعمال الصالحة حصول النوال منه وتعتقد أنه سبب مؤثر فى ذلك (فيقل فهمك عنه) أى عن الله أى فلا تفهم السر والحكمة فى أمر الله عباده بالطلب وهو ما ذكره بقوله (ولكن طلبك لاظهار العبودية) أى لاظهار كونك عبدا ذليلا ضعيفا لا غنى لك عن سيدك (وقياما بحقوق الربوبية) فان الربوبية تقتضى التذلل والخضوع من المربوب يعنى أن الله تعالى لم يأمر عباده بالطلب منه الا ليظهر افتقارهم اليه وتذللهم بين يديه لا لأن ينسبوا به الى حصول ما طلبوه ونيل ما رغبوا فيه وهذا أعز فهم العارفين عن الله ومن هذا حاله لا ينقطع سؤاله ولا رغبته وان أعطاه كل مطلب وأناله كل سؤل ومأرب ولا يفرق بين العطاء والمنع فيكون عبد الله فى الأحوال كلها كما أمره به فى الأحوال كلها وقبيح بالعبد أن يصرف وجهه عن باب مولاه

﴿ (ومن فنى به غاب عن كل شىء) فلا يكون منه على الأشياء اعتماد ولا له اليها استناد ﴿ (ومن أحبه لم يؤثر عليه شيئا) من مراداته وشهواته وهذه الأمور التى ذكرها المؤلف رحمه الله هى علامات بلوغ هذه المقامات العلية وبها تصح وتكمل فمن لم يجدها فى نفسه فلا ينبغى له أن يدعى تلك المقامات وليعمل على مجاهدة نفسه فيما يصححها ويكملها ﴿ (انما حجب الحق عنك شدة قربه منك) شدة القرب حجاب كما أن شدة البعد حجاب لأن شدة قربه منك موجبة لاضمحلالك وذهابك والمضمحل الذاهب لا مناسبة بينه وبين الثابت الموجود فكيف يراه قال فى لطائف المنن فعظم القرب هو الذى غيب عنك شهود القرب قال الشيخ أبو الحسن حقيقة القرب أن تغيب فى القرب عن القرب لعظم القرب كمن يشم رائحة المسك فلا يزال يدنو وكلما دنا منها تزايد ريحها فلما دخل البيت الذى هو فيه انقطعت رائحته عنه وأنشد بعض العارفين

كم ذا تموه بالشعبين والعلم * والأمر أوضح من نار على علم
أراك تسأل عن نجد وأنت بها * وعن تهامة هذا فعل متهم

﴿ (انما احتجب لشدة ظهوره وخفى عن الأبصار لعظم نوره) هذه عبارة تداولها الناس وضربوا لها مثلا بالشمس وذلك أن الشمس نورها أقوى من سائر الأنوار المحسوسة وقوة نورها هى التى حجبت الأبصار الضعيفة عن ادراك كنهها فقد صار ظهورها الذى أوجبه وجود نورها حجابا لها وليس الحجاب على الحقيقة منها فان الظاهر لذاته لا يحجب من ذاته وانما الحجاب عليه من غيره والحجاب هنا ضعف البصر عن مقاومة فيضان النور فالحق تعالى احتجب عن الخلق بشدة ظهوره وخفى عن الأبصار لعظم نوره وأنشدوا فى هذا المعنى

لقد ظهرت فلا تخفى على أحد * الا على أكمه لا يعرف القمرا
لكن بطنت بما أظهرت محتجبا * وكيف يعرف من بالعزة استترا

﴿ وأنشدوا أيضا ﴾

بالنور يظهر ما ترى من صورة * وبه وجود الكائنات بلا امترا
لكنه يخفى لفرط ظهوره * حسا ويدركه البصير من الورى
فاذا نظرت بعين قلبك لم تجد * شيئا سواه على الذوات مصورا
واذا طلبت حقيقة من غيره * فبذيل جهلك لا تزال معثرا

وقال رضى الله عنه ﴿ (لا يكن طلبك تسببا الى العطاء منه فيقل فهمك عنه وليكن طلبك لاظهار العبودية وقياما بحقوق الربوبية) لم يأمر الله تعالى عباده بالطلب له والسؤال منه الا ليظهر افتقارهم اليه ومنوطهم بالتضرع والخضوع بين يديه ليكون بذلك اظهار العبوديتهم وقياما بحقوق ربوبيته

ما ينيله من شهواته وهواه (كيف يكون طلبك اللاحق) أى الموجود فيما لا يزال (سببا فى عطائه) أى اعطائه (السابق) أى الموجود فى الأزل فان الاعطاء وهو تعلق الارادة فى الأزل تعلقا تنجيزيا قديما لا يكون الطلب سببا فيه لتأخره عنه والسبب لابد من تقدمه على المسبب ولذا قال (جل حكم الأزل) أى ما حكم به فى الأزل وتعلقت ارادته به وهو الاعطاء (أن ينضاف الى العلل) أى ان ينسب لعلة وهو الطلب أى أن يكون سببا مؤثرا فيه ● ان قيل قد يكون ذلك الاعطاء معلقا على الطلب فيكون سببا فيه ● أجيب بأن السبب فى الحقيقة هو تعلق ارادة الله فى الأزل أنك تدعوه فيما لا يزال لا نفس الطلب المتأخر (١٠) (عنايته فيك) أى اعطاؤه اياك ما تطلبه منه

أى تعلق ارادته فى الازل بالاعطاء (لا لشىء منك) أى وقع منك اقتضى حصول تلك العناية كالدعاء والاعمال الصالحة (وأين كنت حين واجهتك عنايته وقابلتك رعايته) وهى بمعنى العناية أى انك كنت معدوما فى الازل ويلزم من ذلك عدم ما يصدر منك (لم يكن فى أزله اخلاص أعمال) أى أعمال خالصة كالدعاء والصلاة والصوم (ولا وجود أحوال) مرادف لما قبله (بل لم يكن هناك الا محض الافضال وعظيم النوال) مرادف لما قبله فالدعاء ليس سببا مؤثرا فى المطلوب والاعمال الصالحة ليست سببا مؤثرا فى عناية الله أى فى دخول الجنة والنجاة من النار (علم أن العباد يتشوفون الى ظهور سر العناية) السر هو الشىء المغطى لأنه يخفى عنا والعناية هى تعلق الارادة بحصوله فى المستقبل فلما علم أننا نتشوف الى حصوله فنطلبه بالدعاء والأعمال الصالحة ونعتقد تأثير ذلك فيه فقال

(فقال يختص برحمته من يشاء) أى زجرا لنا وقطعا لأطماعنا لاحتمال أن سر العناية خاص ببعض الناس كما أن النبوة لما تشوف الناس الى ظهورها آخر الزمان ادعاها جماعة فزجرهم الله بقوله الله أعلم حيث يجعل رسالته (وعلم أنه لو خلاهم وذلك) أى مع ملاحظة أن العناية الأزلية خاصة ببعض الناس وليست عامة (لتركوا العمل اعتمادا على الأزل) قائلين ان كان سبق فى الأزل أنا من أهل العناية ومن أهل الخصوص نجونا من النار ودخلنا الجنة من غير أعمال فلا حاجة الى الأعمال ولا الى الدعاء بحصول المطالب

لا لأن يتسببوا به الى حصول ما طلبوه ونيل ما رغبوه مما لهم فيه منفعة وحظ هذا هو فهم العارفين عن الله تعالى ويدل على هذا المعنى ما بعد كره المؤلف الآن قال أبو نصر السراج رضى الله عنه سألت بعض المشايخ عن الدعاء ما وجهه لأهل التسليم والتفويض فقال ندعو الله على وجهين أحدهما نريد بذلك تزيين الجوارح الظاهرة بالدعاء لأن الدعاء ضرب من الخدمة فنريد أن نزين جوارحه بهذه الخدمة والوجه الثانى أن ندعو ائتمارا للأمر لأن الله تعالى من الدعاء اهـ وقد قيل فائدة الدعاء اظهار الفاقة بين يديه والا فالرب يفعل ما يشاء ومقتضى هذا أن لا ينقطع سؤاله ولا رغبته وان أعطاه كل ما طلبه وأناله سؤله وأربه وأن لا يفرق بين العدم والوجود والمنع والاعطاء فيما يرجع الى اظهار الفاقة والفقر فيكون عبد الله فى الاحوال كلها كما أن ربه واسع الفضل فى الأحوال كلها وقبيح بالعبد أن يصرف وجهه عن باب مولاه بما ينيله من شهواته وهواه ● قال سيدى أبو الحسن رضى الله عنه لا يكن همك بدعائك الظفر بقضاء حاجتك فتكون محجوبا وليكن همك مناجاة مولاك قال الامام أبو القاسم القشيرى رضى الله عنه شر الناس من يبتهل الى الله تعالى عند هجوم البلاء بخلوص الدعاء وشدة التضرع والبكاء فاذا زالت شكايته ورفعت عنه فتضيع الوفاء ونسى البلاء وقابل الرفد بنقض العهد وأبدل العقد برفض الود أولئك الذين أبعدهم الله فى سابق الحكم وخرطهم فى سلك أهل الرد وقد قيل بلاء يلجئك الى الانتصاب بين يدى معبودك خير لك من عطاء ينسيك اياه ويقصيك عنه ۞ (كيف يكون طلبك اللاحق سببا فى عطائه السابق) هذا دليل على نفى السببية المذكورة لأن ما طلبه العبد أمر سابق فى الأزل تقديره وطلبه أمر لاحق فيما لا يزال وكيف يكون اللاحق سببا فى وجود السابق وحق السبب أبدا التقدم على المسبب ۞ (جل حكم الأزل أن ينضاف الى العلل) هذا دليل آخر على ما ذكره وهو أن حصول ما طلبه الداعى حكم من الله تعالى فى الأزل فلا يكون سببه الدعاء والسؤال لأن أحكام الله تعالى تجل عن أن تنضاف الى علة أو سبب من قبل أن له الارادة المطلقة والمشيئة النافذة فصنعه علة لكل شىء ولا علة لصنعه كما قاله العارفون المحققون ۞ (عنايته فيك لا لشىء منك وأين كنت حين واجهتك عنايته وقابلتك رعايته لم يكن فى أزله اخلاص أعمال ولا وجود أحوال بل لم يكن هناك الا محض الافضال وعظيم النوال) عناية الله تعالى بك فى الأزل حين لم تكن حين لا حين غير معللة بشىء كائن منك من اخلاص أعمال ولا وجود أحوال تتوسل بجميع ذلك اليه وأين كنت اذ ذاك وأنت عدم محض بل لم يكن هناك الا محض كرمه وافضاله وعظيم احسانه ونواله لا غير قال الواسطى رحمه الله تعالى أقسام قسمت ونعوت وأحكام أجريت كيف تستجلب بحركات أو تنال بسعايات ۞ (علم أن العباد يتشوفون الى ظهور سر العناية فقال يختص برحمته من يشاء وعلم أنه لو خلاهم وذلك لتركوا العمل اعتمادا على الأزل

(فقال ان رحمة الله قريب من المحسنين) بالاعمال الصالحة فهي علامة وأمارة على تلك العناية الازلية وان لم تكن علة موجبة لها فلا ينبغي تركها اعتمادا على ما في الازل وان لم يكن لها تأثير في حصول المطلوب (الى المشيئة يستند كل شيء) أى ان كل موجود يستند الى مشيئة الله من حيث تعلقها به أزلا (وليست تستند هي الى شيء) من الموجودات والمراد بالمشيئة في مرجع الضمير ما تعلقت به أزلا وهو مطالب العباد التى سبق بها القلم فان طلبها بالدعاء والاعمال الصالحة ليس سببا مؤثرا فيها وهذه العبارات التى ذكرها المصنف في غاية الحسن وفيها اشارة الى التعلق بأحكام الازل وطرح الاسباب والعلل فعلى العبد أن يلزم العبودية والافتقار ويترك التدبير والاختيار • (١١) قال أبو بكر الواسطى ان الله لا يقرب فقيرا لاجل فقره ولا يبعد غنيا لاجل غناه وليس للاعراض عنده خطر حتى بها يصل وبها يقطع ولو بذلت له الدنيا والآخرة ما أوصلك اليه بهما ولو أخذتهما كلهما ما قطعك بهما قرب من قرب من غير علة وابعد من أبعد من غير علة قال تعالى ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور (ربما دلهم الأدب على ترك الطلب اعتمادا على قسمته واشتغالا بذكره عن مسئلته) يعنى أن بعض العارفين قد يغلب عليهم التفويض والتسليم فيترك السؤال والطلب اعتمادا على القسمة الازلية وممن رأيناه متحققا في هذا القلم العارف بالله تعالى الغارف من بحر الحقيقة الشيخ مصطفى أفندى التركى القسطمونى الجركسى فسح الله في مدته ورزقنا دوام مودته واختلف القوم هل الأفضل الدعاء أم السكوت والرضا فمنهم من قال الدعاء أفضل لانه في نفسه عبادة لقوله صلى الله عليه وسلم الدعاء مخ العبادة والاتيان بما هو عبادة أولى من تركه ومنهم من قال السكوت والخمول تحت جريان الحكم أتم وأرضى لان ما سبق من اختيار الحق لك أولى من اختيارك وقد ورد في الحديث القدسى من شغله ذكرى عن مسئلتى أعطيته أفضل ما أعطى السائلين ومنهم من فصل فقال الاوقات مختلفة فان وجد الداعى في قلبه اشارة الى الدعاء كالانبساط وتوجه القلب فالدعاء أولى وان وجد فيه اشارة الى السكوت كالقبض وعدم توجه القلب فالسكوت أولى فان لم يجد في قلبه شيئا من ذلك كان الدعاء وتركه سواء نعم ان كان الغالب عليه حينئذ المعرفة كان السكوت أولى • ثم علل ما ذكره من كون الأدب قد يكون غالبا في ترك الطلب فقال

فقال ان رحمة الله قريب من المحسنين) ظهور سر العناية التى مقتضاها الرحمة هو تخصيص للمشيئة في قوله عز من قائل يختص برحمته من يشاء ولا علة له من العبد والاحسان المنسوب اليه في قوله تعالى ان رحمة الله قريب من المحسنين أمارة وعلامة على تلك العناية وليس بعلة موجبة وانما أسند الرحمة اليه وعلقها به لئلا يتكل العباد على السابقة ويتركوا العمل الذى هو مقتضى العبودية الواجبة لله تعالى عليهم ۞ (الى المشيئة يستند كل شيء) لان وقوع ما لم يشأ الحق تعالى محال (ولا تستند هي الى شيء) لاستحالة وجود النقص فيما يجب له الكمال وهذه العبارات التى ذكرها المؤلف رحمه الله من أول الفصل الى هنا بلغت الغاية في الحسن واستغنت بترددها وتكررها عن البيان والشرح وفيها اشارة الى أحكام الازل وفقد الاسباب والعلل فيجب على العبد أن لا يبنى عليها أعماله وأحواله فيلتزم العبودية والافتقار ويدع التدبير والاختيار لمن بيده ذلك وهذا هو أدب التوحيد جعلنا الله من أهله بمنه وكرمه وفضله • قال أبو بكر محمد بن موسى الواسطى رضى الله عنه ان الله لا يقرب فقيرا لاجل فقره ولا يبعد غنيا لاجل غناه وليس للاعراض عنده خطر حتى بها يصل وبها يقطع ولو بذلت له الدنيا والآخرة ما أوصلك اليه بهما ولو أخذتهما كلهما ما قطعك بهما قرب من قرب من غير علة وقطع من قطع من غير علة كما قال تعالى ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور وقال أيضا رضى الله عنه ما خالفه أحد ولا وافقه وكلهم مستعملون بمشيئته وقدرته أنى يكون الوفاق والخلاف وهو يقلب الليل والنهار بما فيهما وهو قائم على الاشياء وبالاشياء في بقائها وفنائها لا يؤنسه وجد ولا يوحشه فقد بل لا فقد ولا وجد انما هى رسوم تحت الرسوم وقال رضى الله عنه ۞ (ربما دلهم الأدب على ترك الطلب اعتمادا على قسمته واشتغالا بذكره عن مسئلته) قد يكون من الأدب ترك السؤال والطلب لمن هو مستغرق في الاذكار راض بما يجرى عليه من تصاريف الاقدار وهو أحد مذاهب القوم قال الامام أبو القاسم القشيرى رضى الله عنه واختلف الناس في أى شيء أفضل الدعاء أم السكوت والرضا فمنهم من قال الدعاء في نفسه عبادة قال النبى صلى الله عليه وسلم الدعاء مخ العبادة فالاتيان بما هو عبادة أولى من تركها ثم هو حق الحق سبحانه وتعالى فان لم يستجب للعبد ولم يصل الى حظ نفسه فلقد قام بحق الربوبية لان الدعاء اظهار فاقة العبودية وقد قال أبو حازم الاعرج لان أحرم الدعاء أشد على من أن أحرم الاجابة وطائفة قالوا السكوت والخمول تحت جريان الحكم أتم والرضا بما سبق من اختيار الحق أولى ولهذا قال الواسطى اختيار ما جرى لك في الازل خير لك من معارضة الوقت وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

خبرا عن الله تعالى من شغله ذكري عن مسألتي أعطيته أفضل ما أعطي السائلين وقال قوم يجب أن يكون العبد صاحب دعاء بلسانه وصاحب رضا بقلبه ليأتي الأمرين جميعا قال الامام أبو القاسم والأولى أن يقال ان الأوقات مختلفة ففي بعض الأحوال الدعاء أفضل من السكوت وهو الأدب وفي بعض الأحوال السكوت أفضل من الدعاء وهو الأدب وانما يعرف ذلك في الوقت لأن علم الوقت يحصل في الوقت فاذا وجد بقلبه اشارة الى الدعاء فالدعاء به أولى واذا وجد اشارة الى السكوت فالسكوت له أولى ويصح أن يقال ينبغي للعبد أن لا يكون ساهيا عن شهود ربه تعالى في حال دعائه ثم يجب أن يراعي حاله فاذا وجد من الدعاء زيادة بسط في وقته فالدعاء له أولى وان عاد الى قلبه في وقت الدعاء شبه زجر ومثل قبض فالأولى ترك الدعاء في هذا الوقت وان لم يجد في قلبه لا زيادة بسط ولا حصول زجر فالدعاء وتركه ههنا سيان وان كان الغالب عليه في هذا الوقت العلم فالدعاء أولى لكونه عبادة وان كان الغالب عليه في هذا الوقت المعرفة والحال فالسكوت أولى ويصح أن يقال ما كان للمسلمين فيه نصيب أو للحق سبحانه وتعالى فيه حق فالدعاء أولى وما كان لنفسك فيه حظ فالسكوت أتم وأولى وفي الخبر المروي ان العبد ليدعو الله عز وجل وهو يحبه فيقول الله يا جبريل أخر حاجة عبدي فاني أحب أن أسمع صوته وان العبد ليدعو وهو يبغضه فيقول الله يا جبريل اقض لعبدي حاجته فاني أكره أن أسمع صوته اه كلام الامام أبي القاسم القشيري وهو حسن بديع وهو أوفق بما ذكره المؤلف رحمه الله فلذلك أوردته ههنا بكماله ۞ (انما يذكر من يجوز عليه الاغفال وانما ينبه من يمكن منه الاهمال) أورد هذا كالدليل على ما ذكره من أن ترك الطلب قد يكون من الأدب وذلك لأن في الطلب اشعارا بتجويز الاغفال عليه فيقع بذلك التذكير له تعالى عما يليق أو باحتمال وجود الاهمال منه فيكون ذلك تنبيها له وجميع ذلك محال على الحق تعالى عن ذلك علوا كبيرا فلأجل هذه العلل كان ترك الطلب عند هؤلاء أدبا وقد سئل الواسطي رضي الله عنه أن يدعو فقال أخشى ان دعوت أن يقال لي ان سألتنا ما لك عندنا فقد اتهمتنا وان سألتنا ما ليس لك عندنا فقد أسأت الثناء علينا وان رضيت أجرينا لك من الأمور ما قضينا لك في الدهور وروي عن عبد الله بن منازل رضي الله عنه أنه قال ما دعوت الله منذ خمسين سنة وما أريد أن يدعو لي أحد لأنه ماض على ما سبق ۞ (ورود الفاقات أعياد المريدين) الأعياد عبارة عن الأوقات العائدة على الناس بالمسرات والأفراح وهم يختلفون في ذلك فمنهم من مسرته وفرحه بوجود حظه ونيل شهواته وغرضه وهذا هو حال عامة المسلمين ومنهم من مسرته وفرحه بفقدان حظوظه واعواز أمانيه وأغراضه وهذا هو حال الخاصة من المريدين لأن مدار أمرهم انما هو على مراعاة قلوبهم وتصفية أسرارهم من كدورات الأغيار والآثار ولا يتأتى لهم ذلك الا بوجدانهم لما يقهرهم من ضرورات الفاقات وأنواع الحاجات والضرورات فتراهم يؤثرون الفقر على الغنى والشدة على الرخاء والذل على العز والمرض على الصحة اذ يحصل لهم بذلك رقة وحلاوة لا يعرف قدرها الا هم لأنها من وجودهم لقرب ربهم ورؤيتهم لولي حال فقدان حظهم وكلما ازدادوا فاقة وبلاء ازدادهم مولاهم قربة وولاء كان بعضهم يطوف حول الكعبة الشريفة وهو يقول

مؤتزر بشملتي كما ترى ۞ وصبيتي بأكتك عاري

وامرأتي بعبر بانة كما ترى ۞ يا من يرى الذي بنا ولا يرى

أما ترى بحالي بي أما ترى ۞ أما ترى الذي بنا أما ترى

فسمعه بعضهم فجمع له كسرا ودفعها اليه فقال له اليك عني لو كان معي شيء لما أمكنني أن أقول هذا القول قال في التنوير وفي البلايا والفاقات من أسرار الألطاف ما لا يفهمه الا أولو البصائر ألم تر

ان

(انما يذكر) بالدعاء (من يجوز عليه الاغفال) أي السهو بأن يكون عنده غفلة وعدم علم بحال السائل فيذكره بالسؤال (وانما ينبه) بمعنى يذكر (من يمكن منه الاهمال) أي عدم الاعتناء بحال السائل مع علمه بحاله فهذا مستحيل على الله تعالى ولذا كان ترك الطلب عند هؤلاء دبارا فسئل الواسطي أن يدعو فقال أخشى ان دعوت أن يقال لي ان سألتنا ما لك عندنا فقد اتهمتنا وان سألتنا ما ليس لك فقد أسأت الثناء علينا وان رضيت أجرينا لك من الأمور ما قضينا لك في الدهور اه (ورود الفاقات أعياد المريدين) الأعياد جمع عيد وهي الأوقات العائدة على الناس بالمسرات والافراح فالمريدون يسرون بالفاقات لأنها تسرع بوصولهم لمقصودهم لما فيها من الذل وقصر النفس كما تسر العوام بالأعياد لما فيها من نيل شهواتهم من ملابس وغيرها

(ربما وجدت) أيها المريد (من المزيد) أى الزيادة فى حالك من طهارة السر وحصول أنوار ومعارف (فى الفاقات) أى فى حال ورودها عليك (ما لا تجده فى الصوم والصلاة) لأنه قد يكون قيامك بهما لشهوة نفسك وحظوظها ومن كان هذا سبيله فلا يؤمن فيه دخول الآفات فلا يفيدك تزكية ولا تحلية بخلاف ورود الفاقات فانها مباينة للهوى والشهوة على كل حال (الفاقات بسط المواهب) أى كالبسط التى ترد عليها المواهب الالهية لكل من جلس عليها كما أن الملك اذا جلس أحد على بساطه أعطاه شيئا من مواهب الدنيا فالفاقات تحضرك مع الحق وتجلسك على بساط الصدق وناهيك بما يكون فى تلك الحضرة والمجالسة من المواهب الربانية والنفحات الرحمانية ولذا قال (ان أردت ورود المواهب عليك صحح الفقر والفاقة لديك) بأن تتحقق بهما فى نفسك تحققا تاما فلا يكون عندك استغناء بغيره بوجه من الوجوه فحينئذ ترد المواهب الالهية عليك لقوله تعالى (انما الصدقات للفقراء تحقق بأوصافك يمدك) بضم الياء وفتحها مع كسر الميم على الأول وضمها على الثانى (بأوصافه) ثم فصل ذلك بقوله (تحقق بذلك يمدك بعزه) فتصير عزيزا به لا بنفسك (تحقق بعجزك يمدك بقدرته) فتصير قادرا به لا بنفسك (تحقق بضعفك يمدك بحوله وقوته) فتصير قويا به وكذا ان تحققت بفقرك يمدك بغناه فاذا جلست على بساط الذل وقلت يا عزيز من للذليل غيرك وعلى بساط العجز وقلت يا قادر من للعاجز غيرك وعلى بساط الضعف وقلت يا قوى من للضعيف غيرك وعلى بساط الفقر والفاقة وقلت يا غنى من للفقير غيرك وجدت

أن البلايا تخمد النفوس وتذهلها وتدهشها عن طلب حظوظها ويقع مع البلايا وجدان الذلة ومع الذلة تكون النصرة ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة وقال أبو اسحق ابراهيم الهروى رضى الله عنه من أراد أن يبلغ الشرف كل الشرف فليختر سبعا على سبع فان الصالحين اختاروها حتى بلغوا سنام الخير أن يختار الفقر على الغنى والجوع على الشبع والدون على الرفع والذل على العز والتواضع على الكبر والحزن على الفرح والموت على الحياة وقد تقدم عند قول المؤلف رحمه الله من ظن انفكاك لطفه عن قدره فذاك لقصور نظره الشفاء فى هذا المعنى فواجب اذا أن يكون ورود الفاقات أعياد المريدين كما قال فاذا فقدوا ذلك بمؤاتاة الأسباب استشعروا بذلك وجوب الحجاب وبعدهم عن محل الاقتراب حزنوا لذلك وتأسفوا وودوا لو عاد اليهم الحال الأول ومن هذا المعنى ما حكى عن خير النساج رضى الله عنه قال دخلت بعض المساجد فاذا فيه فقير فلما رآنى تعلق بى وقال أيها الشيخ تعطف على فان محنتى عظيمة فقلت وما هى قال فقدت البلاء وقرنت بالعافية فنظرت فاذا هو قد فتح عليه شئ من الدنيا وقال بعضهم ان الفقير الصادق ليحترز من الغنى حذرا أن يدخله الغنى فيفسد عليه فقره كما أن الغنى يحترز من الفقر حذرا أن يدخل عليه الفقر فيفسد عليه غناه وقد تقدم من حكايات عطاء السلمى وفتح الموصلى والفضيل بن عياض والربيع بن خثيم رضى الله تعالى عنهم ما يوافق ما ذكرناه وأنشدوا فى ذكر أعياد المريدين والعارفين وقيل انها لأبى على الروذبارى رضى الله تعالى عنه

قالوا غدا العيد ماذا أنت لابسه ❊ فقلت خلعة ساق حبه جرعا
فقر وصبر هما ثوباى تحتهما ❊ قلب يرى الفه الاعياد والجمعا
أحرى الملابس أن تلقى الحبيب به ❊ يوم التزاور فى الثوب الذى خلعا
الدهر لى مأتم ان غبت يا أملى ❊ والعيد ما كنت لى مرأى ومستمعا

(ربما وجدت من المزيد فى الفاقات ما لا تجده فى الصوم والصلاة) ورود الفاقات يحصل للمريد بها مزيد كثير من صفاء القلب وطهارة السريرة وقد لا يحصل له ذلك بالصوم والصلاة لأن الصوم والصلاة قد يكون له فيهما شهوة وهوى كما تقدم ومن كان هذا سبيله لا يؤمن عليه فيه من دخول الآفات فلا يفيده تحلية ولا تزكية بخلاف ورود الفاقات فانها مباينة للهوى والشهوة على كل حال وقد تقدم نحو من هذا المعنى عند قوله اذا فتح لك وجهة من التعرف فلا تبال معها ان قل عملك الى آخره ❊ (الفاقات بسط المواهب) الفاقات تحضره مع الحق وتجلسه على بساط الصدق وناهيك بما يكون فى تلك المحاضرة والمجالسة من المواهب الربانية والنفحات الرحمانية ❊ (ان أردت ورود المواهب عليك صحح الفقر والفاقة لديك انما الصدقات للفقراء) هذا مثل ما ذكره الآن وذكر الآية عقيبه اشارة بديعة وتصحيح الفاقة والفقر هو التحقق بأوصاف العبودية المذكورة فى المسئلة التى تأتى بأثر هذه ومما يتعلق بظاهر الآية التى استشهد بها المؤلف رحمه الله على طريقة القوم ما قال بعضهم صدق الفقير أخذه الصدقة ممن يعطيه لا ممن يقبل اليه على يده فالحق تعالى هو المعطى على الحقيقة لأنه يجعلها لهم فان قبلها من الحق فهو الصادق فى فقره العالى همته ومن قبلها من الوسائط فهو المتوسم بالفقر مع رداءة همته ❊ (تحقق بأوصافك يمدك بأوصافه تحقق بذلك يمدك بعزه تحقق بعجزك يمدك بقدرته تحقق بضعفك يمدك بحوله وقوته) هذا مناسب

الاجابة كأنها طوع يدك فقوله تحقق بأوصافك الخ مناسب لما ذكره من الفاقات والمواهب لأن من جملة المواهب الامداد عند الوصف الذي تحققت به (ربما رزق الكرامة) أي الأمر الخارق للعادة (من لم تكمل له الاستقامة) فلا ينبغي للمريد أن يعتني بها ويغتر بظهورها على يده لأنها حينئذ ربما كانت معونة أو استدراجا لا كرامة فالكرامة الحقيقية هي كمال الاستقامة ومرجعها الى أمرين صحة الايمان بالله واتباع ما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم ظاهرا وباطنا فالواجب على المريد أن لا يحرص الا عليها ولا يكون له همة الا في الوصول اليها وأما الكرامة بمعنى خرق العادة فلا عبرة بها عند المحققين (من علامات اقامة الحق) أي الله (لك في الشيء) كالاكتساب أو التجريد (اقامته اياك فيه) أي تيسير أسبابه لك وادامته عليك (مع حصول النتائج) أي ثمرات ذلك الشيء كسلامة الدين ووجود الربح من الكسب كما مر (من عبر) أي تكلم في علوم القوم وأفادها للمريدين (من بساط احسانه) أي ملاحظا أن تعبيره وافادته تلك العلوم نشأ من احسانه أي أعماله الصالحة الشبيهة بالبساط الذي يجلس عليه عند ورود المواهب (أصمتته الاساءة) أي أسكتته اساءته ومخالفته لربه فتنقبض عن ذلك التعبير لما يعتريه من الخجل والحياء بسبب المعصية التي صدرت منه وبسبب ذلك مشاهدته احسان نفسه

ومن

لما ذكره من الفاقات والمواهب وقد تقدم التنبيه على هذا المعنى عند قوله كن بأوصاف ربوبيته متعلقا وبأوصاف عبوديتك متحققا قال سيدي أبو الحسن الشاذلي رضي الله عنه بعد كلام ذكره وتصحيح العبودية بملازمة الفقر والعجز والضعف والذل لله تعالى وأضدادها أوصاف الربوبية فما لك ولها فلازم أوصافك وتعلق بأوصافه وقل من بساط الفقر الحقيقي يا غني من للفقير غيرك ومن بساط الضعف يا قوي من للضعيف غيرك ومن بساط العجز يا قادر من للعاجز غيرك ومن بساط الذل يا عزيز من للذليل غيرك تجد الاجابة كأنها طوع يدك استعينوا بالله واصبروا ان الله مع الصابرين اهـ كلام سيدي أبي الحسن وهو بمعنى ما ذكره المؤلف ههنا وأكثر كلام المؤلف جار على منهاج كلام أبي الحسن رضي الله عنهما ونفع بهما ❁ وقال رضي الله عنه ❁ (ربما رزق الكرامة من لم تكمل له الاستقامة) الكرامة الحقيقية انما هي حصول الاستقامة والوصول الى كمالها ومرجعها الى أمرين صحة الايمان بالله عز وجل واتباع ما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم ظاهرا وباطنا فالواجب على العبد أن لا يحرص الا عليهما ولا تكون له همة الا في الوصول اليهما وأما الكرامة بمعنى خرق العادة فلا عبرة بها عند المحققين اذ قد يرزق ذلك من لم تكمل له الاستقامة قال سيدي أبو الحسن الشاذلي رضي الله عنه انما هما كرامتان جامعتان محيطتان كرامة الايمان بمزيد الايقان وشهود العيان وكرامة العمل على الاقتداء والمتابعة ومجانبة الدعاوى والمخادعة فمن أعطيهما ثم جعل يشتاق الى غيرهما فهو عبد مفتر كذاب ليس بذي حظ في العلم والعمل بالصواب كمن أكرم بشهود الملك على نعت الرضا فجعل يشتاق الى سياسة الدواب وخلع الرضا وكل كرامة لا يصحبها الرضا عن الله ومن الله فصاحبها مستدرج مغرور وناقص أو هالك مثبور وقال سيدي أبو العباس المرسي رضي الله عنه ليس الشأن من تطوى له الارض فاذا هو بمكة وغيرها من البلدان انما الشأن من تطوى عنه أوصاف نفسه فاذا هو عند ربه وذكر عند سهل بن عبد الله رضي الله عنه الكرامات فقال وما الآيات وما الكرامات شيء ينقضي لوقتها ولكن أكبر الكرامات أن تبدل خلقا مذموما من أخلاق نفسك بخلق محمود وقال بعض المشايخ لا تعجبوا ممن لم يضع في جيبه شيئا فيدخل يده في جيبه فيخرج منه ما يريد ولكن تعجبوا ممن يضع في جيبه شيئا فيدخل يده في جيبه فلا يجده فلا يتغير وقيل لأبي محمد المرتعش رضي الله عنه ان فلانا يمشي على الماء فقال عندي من مكنه الله من مخالفة هواه فهو أعظم من المشي على الماء والهواء وقال أبو يزيد رضي الله عنه لو أن رجلا بسط مصلاه على الماء وتربع في الهواء فلا تغتروا به حتى تنظروا كيف تجدونه في الأمر والنهي وقيل لبعضهم فلانا يقال انه يمر في ليلة الى مكة فقال الشيطان يمر في لحظة من المشرق الى المغرب وهو في لعنة الله وقيل له يقال ان فلانا يمشي على الماء فقال الحيتان في الماء والطير في الهواء أعجب من ذلك وقال الجنيد رضي الله عنه حجاب قلوب الخاصة المختصة رؤية النعم والتلذذ بالعطاء والسكون الى الكرامات وقد تقدم مثل هذا عند قوله ليس كل من ثبت تخصيصه كمل تخليصه ❁ (من علامات اقامة الحق لك في الشيء اقامته اياك فيه مع حصول النتائج) لا اعتبار بما يقوم فيه العبد بنفسه من عمل أو حال وانما العبرة بما يقيمه فيه ربه وعلامة اقامة الله عبده في الشيء أن يديمه عليه ويحصل له ثمرته ونتيجته وينبني على هذا آداب ومعاملات وقد أشرنا الى نحو من هذا عند قول المؤلف رحمه الله ارادتك التجريد مع اقامة الله اياك في الاسباب الى آخره ❁ (من عبر من بساط احسانه أصمتته الاساءة

(ومن عبّر من بساط احسان الله اليه لم يصمت اذا أساء) ومن شاهد احسان نفسه وعمل بطاعة ربما انبسط
لسانه بالنصيحة والموعظة لعباد الله فان وقعت منه اساءة ومخالفة انقبض عن ذلك وصمت لما عنده من
الخجل والحياء وهذه طريقة أهل التكليف الذين ينظرون الى ما منهم الى الله تعالى من عمل صالح أو طالح
ومن شاهد احسان الله اليه وغاب عن رؤية احسانه هو انبسط لسانه في الحالين من غير فرق لأن مشاهدته
لوحدانية ربه وقيوميته في الحالين أوجبت جراءته على ذلك وقد قيل جراءة الجنان تنطق اللسان وتطلق
العنان وهذه طريقة أهل التعريف الذين ينظرون الى ما من الله تعالى اليهم * قلت وما ذكره هنا من
لفظي التعريف والتكليف وما نبهت به عليهما من الكلام اللطيف أشرت به الى مسئلة عظيمة مهمة
ينبني عليها آداب وأحكام جمة وهي مسئلة اختلاف الناس في معاملاتهم لربهم بحسب نياتهم في مراتب
قربهم ومن أحكامها مسئلة التعبير التي اقتصر المؤلف عليها في هذا الفصل ولم يذكر معها سواها مما ينبني
على ذلك الأصل وقد نبه عليها في لطائف المنن وأتى فيها بكلام مستوعب حسن فرأينا أن ننقله ههنا
بكماله لتبين به مقصدنا في تفصيله واجماله * قال فيه رضي الله عنه يعني شيخه أبا العباس الناس على
ثلاثة أقسام عبد هو بشهود ما منه الى الله وعبد هو بشهود ما من الله اليه وعبد هو بشهود ما من الله الى
الله قال ومعنى كلام الشيخ هذا أن من الناس من يكون الغالب عليه شهود تقصيره واساءته فيقوم مقام
المعتذر بين يدي الله تعالى وتلازمه الأحزان وتحالفه الأشجان ويستولي عليه الكمد كلما بدت منه سيئة
أو كشف له من نفسه عن أوصاف سوء وعبد آخر الغالب عليه شهود ما من الله اليه من الفضل
والاحسان والجود والامتنان فهذا تلازمه المسرة بالله والفرح بنعمة الله قال الله سبحانه قل بفضل الله
وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون فالأول حال العباد والزهاد والثاني حال أهل العناية والوداد
الأول شأن أهل التكليف والثاني شأن أهل التعريف الأول حال أهل اليقظة والثاني حال أهل المعرفة
فلذلك قال الشيخ أبو الحسن رضي الله عنه العارف من عرف شدائد الزمان في الألطاف الجارية من الله
عليه وعرف اساءته في احسان الله اليه فاذكروا آلاء الله لعلكم تفلحون * وقال رضي الله عنه قليل
العمل مع شهود المنة من الله خير من كثرة العمل مع رؤية التقصير من النفس وقال بعض أهل المعرفة
لا يخلو شهود التقصير من الشرك في التقدير وقال الشيخ أبو الحسن رضي الله عنه قرأت ليلة من الليالي
قل أعوذ برب الناس الى أن انتهيت الى قوله تعالى من شر الوسواس الخناس الذي يوسوس في صدور
الناس من الجنة والناس فقيل لي شر الوسواس وسواس يدخل بينك وبين حبيبك ينسيك ألطافه الحسنة
ويذكرك أفعالك السيئة ويقلل عندك ذات اليمين ويكثر عندك ذات الشمال ليعدل بك عن حسن
الظن بالله ورسوله الى سوء الظن بالله ورسوله فاحذر هذا الباب فقد أخذ منه كثير من الزهاد والعباد
وأهل الجد والاجتهاد ولذلك قل أن تجد الزاهد والعابد الا مكمودا حزينا لأنه علم أن الله تعالى طالبه
بالعبودية وحمله أعباءها وألزمه ما أشفقت السموات والأرض والجبال من حمله قال الله سبحانه وتعالى
انا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الانسان انه
كان ظلوما جهولا فكان الزهاد ثقل ما حملوا ولم ينفذوا الى شهود لطف الحامل للأثقال عن عباده
المتوكلين عليه فلذلك لزمهم الكمد واستولى عليهم الحزن وأهل المعرفة بالله علموا أنهم حملوا من
التكليف أمرا عظيما وعلموا ضعفهم عن حمله والقيام به متى وكلوا الى نفوسهم قال الله عز وجل وخلق
الانسان ضعيفا وعلموا أنهم اذا رجعوا الى الله تعالى حمل عنهم ما حملهم قال الله تعالى ومن يتوكل على الله
فهو حسبه فرجعوا اليه بصدق اللجا فحمل عنهم الأثقال فساروا الى الله محمولين في محفات المنن يروح
عليهم بنفحات اللطف والآخرون ساروا الى الله حاملين لأثقال التكاليف فلازمهم المشقات وتطول

(ومن عبر من بساط احسان الله اليه) أى ملاحظا أن تعبيره وافادته تلك العلوم ناشئ من احسان الله اليه غائبا عن رؤية نفسه (لم يصمت اذا أساء) أى لم يسكت عن ذلك التعبير اذا صدرت منه معصية لأن غفلته عن نفسه ومشاهدته لوحدانية ربه وقيوميته أوجبت جراءته على ذلك ولذا قيل بجراءة الجنان تنطق اللسان وتطلق العنان

(تسبق أنوار الحكماء) وهم العارفون بالله تعالى العالمون به (أقوالهم) وأنوارهم هي أنوار معرفتهم وهي قوة يقينهم بأن الأمور كلها بيد الله تعالى لاشريك له فيها فاذا أرادوا ارشاد عباد الله ونصيحتهم باذن من الله تعالى توجهوا الى الله والتجؤا اليه في أن يتولى لهم أمر قلوب عباده بأن يجعل فيها أهلية واستعدادا لقبول ما يرد عليها فيخرج من قلوبهم حينئذ نور ناشئ من نور سرائرهم يصل الى تلك القلوب (حيث صار) أي حصل (التنوير) أي النور أي استقر في قلوب عباد الله الذين يريدون ارشادهم (وصل التعبير) أي تلقته تلك القلوب بالقبول كما تتلقى الأرض الميتة وابل المطر فينتفعون بذلك أتم انتفاع ثم علل ذلك بقوله (كل كلام يبرز وعليه) الواو للحال وفي بعض النسخ اسقاطها (كسوة القلب الذي منه برز) فاذا كان القلب منورا اكتسى الكلام نورا فلا تمجه الأسماع ولا تنكره القلوب فكسوته هو ذلك النور وكلام الحكماء يبرز مكسوا بكسوة الأنوار فتنفتح به أقفال القلوب يستجيبون لنداء حبيبهم وكلام المدعين يبرز وعليه الظلمة فلا ينتفع به أتم انتفاع وقد ينتفع به من جهة حقيقته ومضمونه لا من جهة قائله ان الله ليؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر

بهم المسافات فان شاء أدركهم بلطفه فأخذ بأيديهم من شهود معاملتهم الى شهود سابق توفيقه لهم فطابت لهم الأوقات وأشرقت فيهم العنايات وأما القسم الثالث وهم الذين أمدهم الله تعالى بشهود ما من الله الى الله ولا هم أهل التوحيد والداخلون في ميدان التفريد وأهل القسم الأول وهم الذين غلب عليهم شهود ما منهم الى الله لم يخرجوا عن باطن الشرك وان خرجوا عن ظاهره لأنهم أقبلوا على أنفسهم فهم مع ما شاهدوا من تقصيرهم وأسائتهم فلولم يشهدوا الفعل لها أو منها لما توجهوا لها بالتوبيخ اذا قصرت فلذلك قال ذلك العارف الذي سبق قوله لا يخلو شهود التقصير من الشرك في التقدير ● فان قلت اذا كان توبيخ النفس وذمها يستلزم دقيقة الشرك فكيف تصنع وقد الله تعالى قد ذم النفس وأمرنا بتوبيخها اذا قصرت وخطيئة اذا كانت كذلك ● قالجواب أن ذمها لأن الله تعالى أمرك بذمها من غير أن تشهد لها قدرة أو تضيف اليها فعلا فلا تراها هي الفاعلة وأما القسم الثاني وهو الذي يشهد ما من الله اليه فهو وان كان خيرا من القسم الأول لكنه ما سلم من اثبات لنفسه اذرأى نفسه مهداة اليها هذا اياه الحق فلولا اثباته لنفسه ما شهد ذلك فلأجل هذين المعنيين آثر أهل الله تعالى القسم الثالث وهو أن يكون بشهود ما من الله الى الله فافهم اه كلامه رحمه الله تعالى ولأجل ما تضمنه من الفوائد الجليلة والمقاصد النبيلة دعانا قرب المناسبة الى ذكره على ما هو عليه في هذا الموضع والله الموفق لا رب غيره ● (تسبق أنوار الحكماء أقوالهم فحيث صار التنوير وصل التعبير) الحكماء هم العارفون بالله تعالى العالمون به والأنوار المنسوبة اليهم هي أنوار معرفتهم وهي قوة يقينهم فان الأمور كلها بيد الله تعالى لاشريك له فيها فاذا أرادوا ارشاد عباد الله تعالى ونصيحتهم باذن الله تعالى سبقت أنوار قلوبهم الى الله تعالى بالالتجاء والافتقار اليه في أن يتولى لهم أمر قلوب عباده بأن يجعل فيها أهلية واستعدادا لقبول ما يرد بدون ايراده عليهم من كلام الحكمة فيحيهم الى ذلك فاذا تكلموا به تلقته قلوبهم التي وصل اليها أنوار أسرار الحكماء كما تتلقى الأرض الميتة وابل المطر فينتفعون بذلك أتم انتفاع وقد أوصى لقمان الحكيم ابنه فقال يا بني ما بلغت من حكمتك قال لا أتكلف ما لا يعنيني قال يا بني انه قد بقي شيء آخر جالس العلماء وزاحمهم بركبتيك فان الله يحيي القلوب الميتة بنور الحكمة كما يحيي الأرض الميتة بوابل السماء وانما قلنا ان الحكماء هم العارفون بالله تعالى العالمون به لأنهم خائفون من الله تعالى وفي بعض الآثار رأس الحكمة مخافة الله والخوف من ثمرات العلم بالله وقال الله تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء والعلم الموجب للخشية هو العلم بالله فقط فالحكماء هم العالمون بالله تعالى وان كانوا ضعفاء في سائر العلوم الرسمية كليلة ألسنتهم في البيان عنها ● (كل كلام يبرز وعليه كسوة القلب الذي منه برز) اللسان ترجمان القلب فاذا صفا من الأكدار وتزكى من الأغيار وأشرقت فيه الأنوار كانت روحانية لسانه على حسب ذلك فيتكلم بالكلام النوراني الذي يلج آذان السامعين فتنفتح بسببه اذ ذاك أقفال قلوبهم ويستجيبون لنداء الحق حبيبهم وروى الحافظ أبو نعيم رحمه الله عن سعيد بن عاصم قال كان قاص يجلس قريبا من مجلس محمد بن واسع فقال له يوما وهو يوبخ جلساءه مالي أرى القلوب لا تخشع ومالي أرى العيون لا تدمع ومالي أرى الجلود لا تقشعر فقال محمد بن واسع يا عبد الله ما أرى القوم أتوا الا من قبلك ان الذكر اذا خرج من القلب وقع على القلب ● قلت وقد حاز المؤلف قصب السبق في هذا المعنى الذي ذكره ومن مارس كلامه في هذا الكتاب وفي غيره وحصل له منه التأثير المحمود علم ما قلناه وكفى بشهادة شيخه أبي العباس المرسي رضي الله عنه على عظم قدره ودعائه له برهانا على ذلك قال في لطائف المنن وكنت قد قلت لبعض تلامذة الشيخ يعني أبا العباس أريد لو نظر الي الشيخ برعايته وجعلني

في خاطره فقال ذلك للشيخ فلما دخلت على الشيخ قال رضي الله عنه لا تطالبوا الشيخ بأن تكونوا
في خاطره بل طالبوا أنفسكم أن يكون الشيخ في خاطركم فعلى مقدار ما يكون عندكم تكونون عنده ثم
قال أي شيء تريد أن تكون والله ليكونن لك شأن عظيم والله ليكونن لك كذا وكذا والله ليكونن
لك كذا وكذا لم أثبت منه إلا قوله ليكونن لك شأن عظيم قال فكان من فضل الله سبحانه ما لا أنكره
قال فأخبرني سيدي جمال الدين ولد الشيخ قال قلت للشيخ يريدون أن يصدروا ابن عطاء الله في الفقه
فقال الشيخ هم يصدرونه في الفقه وأنا أصدره في التصوف وقال دخلت عليه فقال إذا عوفي الفقيه
ناصر الدين نجلسك في موضع جدك ويجلس الفقيه من ناحية وأنا من ناحية وتتكلم إن شاء الله تعالى
في العلمين فكان ما أخبر به رضي الله عنه قال وسمعته يقول أريد أن أستنسخ كتاب التهذيب
لولدي جمال الدين فذهبت أنا فاستنسخته من غير أن أعلم الشيخ وأتيته بالجزء الأول فقال ما هذا فقلت
كتاب التهذيب استنسخته لكم فأخذه فلما نهض ليقوم قال اجعل بالك ألا يتفضل علينا أحد بجد
هذا إن شاء الله في ميزانك فلما أتيته بالجزء الثاني لقيني بعض أصحابه عند نزولي من عنده قال قال الشيخ
عنك والله لأجعلنه عينا من عيون الله تقتدي به في علم الظاهر والباطن فلما أتيته بالجزء الثالث ونزلت
من عنده لقيني بعض أصحابه وقال طلعت عند الشيخ فوجدت عنده مجلدة حمراء فقال هذا الكتاب
استنسخه لي ابن عطاء الله والله ما أرضى له بمجلسة جده ولكن بزيادة التصوف قال وأخبرني بعض
أصحابه قال قال لي الشيخ يوما إذا جاء ابن الفقيه الإسكندرية فأعلموني به فلما أتيت الشيخ أعلمنا الشيخ
بذلك فقال تقدم فتقدمت بين يديه فقال جاء جبريل عليه السلام إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه
ملك الجبال حين كذبته قريش فقال له هذا ملك الجبال قد أمره الله أن يطيع أمرك في قريش فسلم
عليه ملك الجبال ثم قال يا محمد إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين فعلت فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم لا ولكن أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يوحد الله تعالى ولا يشرك به شيئا فصبر عليهم رسول
الله صلى الله عليه وسلم رجاء أن يخرج من أصلابهم كذلك صبرنا على جد هذا الفقيه لأجل هذا الفقيه
قال وخرجت يوما من عند الفقيه المكين الأسمر وخرج معي أبو الحسن الجوهري وكان من أصحاب
الشيخ أبي الحسن فسلمت عليه وسلم علي ببشاشة وإقبال فقلت له من أين تعرفني فقال وكيف
لا أعرفك كنت يوما جالسا عند الشيخ أبي العباس وكنت أنت عنده فلما نزلت قلت يا سيدي إنه
ليعجبني هذا الشاب انقطع فلان وفلان عن الملازمة وهذا الشاب ملازم قال فقال الشيخ يا أبا الحسن
لن يموت هذا الشاب حتى يكون داعيا يدعو إلى الله فكان ما قال الشيخ رحمه الله تعالى قال وكنت
كثيرا ما يطرأ علي الوسواس في الطهارة فبلغ ذلك الشيخ فقال بلغني أن بك وسواسا في الوضوء قلت
نعم فقال رضي الله عنه هذه الطائفة تلعب بالشيطان لا الشيطان يلعب بهم ثم مكثت أياما ودخلت عليه
فقال ما حال ذلك الوسواس قلت على حاله فقال إن كنت لا تترك الوسوسة لا تعد تأتينا فشق ذلك
علي وقطع الله ذلك الوسواس عني قال وكان رضي الله عنه يلقن للوسواس سبحان الملك القدوس
الخلاق الفعال إن يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد وما ذلك على الله بعزيز قال وعملت قصيدة أمدحه بها
فقال حين أنشدته أيدك الله بروح القدس قال ثم عملت قصيدة أخرى بإشارة بعثوا بالقصيدة يمدحه بها
إنسان من بلاد العجم فلما قرأت عليه قال رضي الله عنه صحبني هذا الفقيه وبه مرضان وقد عافاه الله
منهما ولا بد أن يجلس ويتحدث في العلمين يشير الشيخ إلى مرض الوسواس قال فلقد انقطع عني ببركة
الشيخ حتى صرت أخاف أن أكون لشدة التوسعة التي أجدها قد تساهلت في بعض الأمر والمرض
الآخر كان بي ألم أسراري فشكوت ذلك إليه فدعا لي فعافاني الله تعالى وشفاني (قال) ورب ليلة من

الليالي مهموما فرأيت الشيخ في المنام فشكوت اليه ما أنا فيه فقال اسكت والله لأعلمنك علما عظيما قال
فلما انتبهت جئت الى الشيخ رضي الله عنه فقصصت عليه الرؤيا فقال هكذا تكون ان شاء الله تعالى
قال وجاء يوما من السفر فخرجنا للقائه فلما سلمت عليه قال لي يا أحمد كان الله لك ولطف بك وسلك
بك سبيل أوليائه وبهاك بين خلقه قال فلقد وجدت بركة هذا الدعاء وعلمت أنه لا يمكنني الانقطاع
عن الخلق وأني مراد بهم لقوله وبهاك بين خلقه قال وكنت أنا لأمره من المنكرين وعليه من
المعترضين لا لشيء سمعته منه ولا لشيء صح نقله عنه حتى جرت مقاولة بيني وبين بعض أصحابه وذلك قبل
صحبتي اياه وقلت لذلك الرجل ليس الا أهل العلم الظاهر وهؤلاء القوم يدعون أمورا عظاما وظاهر الشرع
يأباها فقال ذلك الرجل بعد أن صحبت الشيخ تدري ما قال لي الشيخ يوم تخاصمنا فقلت لا قال دخلت
عليه فأول ما قال لي هؤلاء كالحجر ما أخطأك منه خير مما أصابك فعلمت أن الشيخ كوشف بأمرنا
ولعمري لقد صحبت الشيخ اثني عشر عاما فما سمعت منه شيئا ينكره ظاهر الشرع من الذي كان
ينقله عنه من يقصد الأذى قال وكان سبب اجتماعي معه أن قلت في نفسي بعد أن جرت المخاصمة بيني
وبين ذلك الرجل دعني أذهب فأرى هذا الرجل فصاحب الحق له أمارات لا يخفى شأنه قال فأتيت الى
مجلسه فوجدته يتكلم في الانفاس التي أمر الشارع بها فقال الأول اسلام والثاني ايمان والثالث احسان
وان شئت قلت الأول عبادة والثاني عبودية والثالث عبودة وان شئت قلت الأول شريعة
والثاني حقيقة والثالث تحقق ونحو هذا فما زال يقول وان شئت قلت الى أن بهر عقلي وعلمت أن
الرجل انما يغرف من فيض بحر الهي ومدد رباني فأذهب الله ما كان عندي ثم أتيت تلك الليلة الى
المنزل فلم أجد شيئا في يقبل الاجتماع بالأهل على عادتي ووجدت معنى غريبا لا أدري ما هو فانفردت
في مكان أنظر الى السماء والى كواكبها وما خلق الله فيها من عجائب قدرته فحملني ذلك الى العود اليه مرة
أخرى فأتيت فاستؤذن لي فلما دخلت عليه قام وتلقاني ببشاشة واقبال حتى دهشت خجلا واستصغرت
نفسي أن أكون أهلا لذلك فكان أول ما قلت له يا سيدي أنا والله أحبك فقال أحبك الله كما أحببتني
ثم شكوت اليه ما أجده من هموم وأحزان فقال أحوال العبد أربعة لا خامس لها النعمة والبلية والطاعة
والمعصية فان كنت بالنعمة فمقتضى الحق منك الشكر وان كنت بالبلية فمقتضى الحق منك الصبر وان
كنت بالطاعة فمقتضى الحق منك شهود المنة عليك وان كنت بالمعصية فمقتضى الحق منك وجود
الاستغفار قال فقمت من عنده وكأنما كانت تلك الهموم والأحزان ثوبا نزعته قال ثم سألني بعد ذلك
بمدة كيف حالك فقلت أفتش على الهم فلا أجده فقال

ليلي بوجهك مشرق ● وظلامه في الناس ساري
والناس في سدف الظلا ● م ونحن في ضوء النهار

الزم فوالله ان لزمت لتكونن مفتيا في المذهبين يريد مذهب أهل الشريعة أهل العلم الظاهر ومذهب
أهل الحقيقة أهل العلم الباطن اهـ مما نقلته من لطائف المنن وانما أوردت ذلك هنا على طوله لتعرف
بفضل المؤلف وليدفع بواضح برهانه طعن الطاعن وتعسف المتعسف ولنتعرض بذلك لنزول الرحمة
من الله تعالى علينا وموالاة منحه وعطاياه لدينا فقد قيل عند ذكر الصالحين تنزل الرحمة مع ما في
ذلك من قرب المناسبة لمعنى ما أورده المؤلف من الكلام الحائز به قصب السبق بين من عاصره
من الأئمة الأعلام وأما شيخه أبو العباس وشيخ شيخه أبو الحسن فأمرهما أوضح من نار على علم ولقد
طرزت بكلامهما الكتب والدفاتر وزهت بما زهيا وعلومهما الألسنة والأقلام والصحف
والمحابر ولا خشية الملال وكراهة الاطالة لذكرنا من ذلك ما يبهر عقول السامعين والمطالعين ويرغم

(من أذن له) من العارفين بالله تعالى (في التعبير) عن الحقائق وهي علوم الوهب والفتح المأخوذة عن الله تعالى بلا واسطة وعلامة الاذن له في ذلك تيسير التعبير عليه وسهولته وعدم احتياجه في القاء المعارف الى كلفة بل يجد لسانه منطلقا ويجد عنده باعثا الى التعبير عنها مع السلامة من آفات النطق وعلامة ذلك بالنسبة للسامعين ما ذكره بقوله (فهمت في مسامع الخلق عبارته) فلم يفتقروا الى معاودة وتكرار وجعل الاسماع محلا للفهم مبالغة والا فمحلها حقيقة هو القلب (وجليت) بضم الجيم وتشديد اللام أي ظهرت (اليهم اشارته) وهي ألطف من العبارة التي يستعملها أهل الطريق في الاخبار من العلوم الباطنية والحقائق العرفانية أي فلا يحتاجون الى اطناب ولا اكثار بخلاف غير المأذون له في ذلك ثم قال (ربما برزت الحقائق) وهي العلوم العرفانية (مكسوفة الانوار) بما غشيها من ظلمة رؤية الاغيار فحجبتها آذان السامعين وانكرتها قلوبهم (اذا لم يؤذن لك فيها بالاظهار) قال أبو العباس المرسي قدس الله سره كلام المأذون له يخرج وعليه كسوة وطلاوة وكلام غير المأذون له يخرج مكسوف الانوار حتى ان الرجلين ليتكلمان بالحقيقة الواحدة فتقبل من أحدهما وترد على الآخر (عباراتهم) التي يعبرون بها عن العلوم والمعارف التي يجدونها في باطنهم (اما لفيضان وجد) أي لفيضان ما يجدونه في قلوبهم من ذلك فقلوبهم ضيقة يفيض عنها ما حل فيها قهرا عنهم كالاناء الضيق اذا وضع فيه ماء كثير فانه يفيض منه قهرا (أو لقصد هداية مريد) وان كانت قلوبهم متسعة يمكنهم ردما يستقر فيها فلا يفيض منها شيء (الاول حال السالكين) أي من أهل البداية فهم معذورون في التعبير لوجود الغلبة عليهم (والثاني حال ارباب المكنة والمحققين) من أهل النهاية فيلزمهم ذلك لما فيه من الارشاد والهداية فان عبر السالك لا عن غلبة وجد كان في ذلك نوع من الدعوى وان عبر المتمكن من غير قصد هداية مريد كان في ذلك افشاء سر لم يؤذن له فيه وأيضا فحاله يقتضي وجود الصمت وعدم النطق لانه في حضرة الحق تعالى يتلقى ما يرد على سمع قلبه من عجائب العلوم وغرائب الفهوم (العبارات) التي يعبر بها أهل هذه الطريقة عن العلوم والمعارف (قوت لعائلة المستمعين) الاضافة للبيان أي كلها من حيث معناها قوت الارواح العائلة وهم المستمعون المحتاجون الى ما يلقى اليهم من المواعظ والحكم كما أن الاطعمة الحسية قوت

آناف الجاحدين والمعاندين سيكفيك من ذاك المسمى اشارة ❁ ودعه مصونا بالجمال محجبا

❁ (من أذن له في التعبير فهمت في مسامع الخلق عبارته وجليت اليهم اشارته) المأذون له في التعبير هو الذي يتكلم لله وبالله وفي الله ولذلك كان كلامه صوابا قال الجنيد رضي الله عنه الصواب كل نطق عن اذن اشار بهذا والله أعلم الى قوله تعالى لا يتكلمون الا من أذن له الرحمن وقال صوابا فاذا قرع اسماع السامعين كلامه فهمت في مسامعهم عبارته فلم يفتقروا الى معاودة ولا تكرار وجليت اليهم اشارته فلم يحتاجوا معها الى اطناب ولا اكثار بخلاف غير المأذون له في ذلك قيل للحسن بن احمد بن عمارة القصار رضي الله عنهما بال كلام السلف انفع من كلامنا قال لانهم تكلموا لعز الاسلام ونجاة النفوس ورضا الرحمن ونحن نتكلم لعز النفس وطلب الدنيا وقبول الخلق ❁ (ربما برزت الحقائق مكسوفة الانوار اذا لم يؤذن لك فيها بالاظهار) ممن لم يستكمل الاوصاف المذكورة ثم يؤذن له في اظهار شيء من الحقائق الربانية فان أظهرها برزت مكسوفة الانوار بما غشيها من ظلمة رؤية الاغيار فحجبتها آذان السامعين وانكرتها قلوبهم وعلامة استكمال الاوصاف المذكورة أن يفتح له باب التعبير مع وجود السلامة من آفات النطق قال في لطائف المنن ان من أجل مواهب الله لاوليائه وجود العبارة قال وسمعت شيخنا أبا العباس يقول الولي يكون مشحونا بالعلوم والمعارف والحقائق لديه مشهودة حتى اذا أعطي العبارة كان كالاذن من الله له في الكلام قال وسمعت شيخنا أبا العباس يقول كلام المأذون له يخرج وعليه كسوة وطلاوة وكلام الذي لم يؤذن له يخرج مكسوف الانوار حتى ان الرجلين ليتكلمان بالحقيقة الواحدة فتقبل من أحدهما وترد على الآخر ❁ (عباراتهم اما لفيضان وجد أو لقصد هداية مريد فالاول حال السالكين والثاني حال ارباب المكنة والمحققين) انما يقع التعبير منهم عما يطالعون به من الامور الغيبية والعلوم الاشهادية لاحد معنيين اما حال غلبة الوجد عليهم وفيضانه وهم معذورون في ذلك لوجود الغلبة وهذا حال السالكين من أهل البداية واما لقصد هداية مريد فيلزمهم ذلك لما فيه من فائدة الارشاد والهداية وهذا حال أهل التمكين والمحققين من أهل النهاية فان عبر السالك لا عن غلبة وجد كان في ذلك نوع من الدعوى وان عبر المتمكن من غير قصد هداية مريد كان في ذلك افشاء سر لم يؤذن فيه وأيضا فحاله يقتضي وجود الصمت وعدم النطق لانه في حضرة الحق تعالى يتلقى ما يرد على سمع قلبه من عجائب العلوم وغرائب الفهوم فكيف يصدر منهم نطق أو تعبير على غير الوجه المذكور والصمت من آداب الحضرة قال الله عز وجل وخشعت الاصوات للرحمن فلا تسمع الا همسا ❁ (العبارات قوت لعائلة المستمعين

وليس لك الا ما أنت له آكل) المستمعون موسومون بالفقر والحاجة الى معنى ما يستمعون اليه من المواعظ والحكم وهو قوت قلوبهم وغذاء أرواحهم كما أن المستطعمين والسؤال موسومون بالفقر والحاجة الى قوت أبدانهم وكما أن أقوات هؤلاء مختلفة فلا يصلح لواحد من هؤلاء ما يصلح للآخر من الأطعمة والأشربة لاختلاف طبائعهم وأمزجتهم فكذلك أقوات الآخرين مختلفة فلا يصلح لواحد منهم من العبارات التي تتضمن وجود القوت المعنوي ما يصلح للآخر لاختلاف مذاهبهم وتباين مطالبهم فاذا سمعت عبارة من عالم أو عارف أو أحد من أهل هذا الطريق ولم تحظ منها بشيء فاعلم أنها لا تصلح لقوتك وغذائك وهي صالحة لقوم آخرين ومما ينتظم في هذا السلك أن تقرع أسماع بعض الناس العبارة من بعض الأشخاص فيفهم منها معنى لم يقصده المتكلم ويتأثر باطنه بذلك تأثرا عجيبا وقد يقع ذلك لجملة من الناس فيفهم كل واحد منهم ما لا يفهمه الآخر ويحصل لهم بذلك التأثر مع أن المتكلم لم يرد شيئا من ذلك وربما كان ذلك مضاد المراد فقد يسمع أرباب القلوب من الجمادات ويستعدون به للشيء الحالات قال في لطائف المنن وربما فهم من اللفظ ضد ما قصد واضعه كما أخبرنا الشيخ الامام مفتي الأنام تقي الدين محمد بن علي القشيري رحمه الله قال كان ببغداد فقيه يقال له الجوزي يقرأ اثني عشر علما فخرج يوما قاصدا المدرسة فسمع منشدا يقول

> اذا العشرون من شعبان ولت • فواصل شرب ليلك بالنهار
>
> ولا تشرب بأقداح صغار • فان الوقت ضاق عن الصغار

فخرج هائما على وجهه الى مكة ولم يزل مجاورا بها حتى مات قال وقرئ على الشيخ مكين الدين الأسمر قول القائل

> لو كان لي مسعد بالراح يسعدني • لما انتظرت لشرب الراح افطارا
>
> الراح شيء شريف أنت شاربه • فاشرب ولو حملتك الراح أوزارا
>
> يا من يلوم على صهباء صافية • خذ الجنان ودعني أسكن النارا

فقال انسان هناك لا تجوز قراءة هذه الأبيات فقال الشيخ مكين الدين الأسمر للقاري اقرأ هذا رجل محجوب والشيخ مكين الدين الأسمر هذا هو الذي شهد له الشيخ أبو الحسن الشاذلي رضي الله عنه بأنه من السبعة الأبدال قال ويكفيك في هذا أن ثلاثة سمعوا مناديا ينادي يا سعتر بري ففهم كل واحد منهم خطابا خوطب عن الله بها في سره فسمع الواحد اسع تر بري وسمع الآخر الساعة ترى بري وسمع الآخر ما أوسع بري فالمسموع واحد واختلفت أفهام السامعين كما قال سبحانه يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الأكل وقال سبحانه قد علم كل أناس مشربهم فأما الذي سمع اسع تر بري فهو عبد دل على الله تعالى بالنهوض الى الله بالأعمال فيستقبل الطريق بالجد وقيل له اسع الينا بصدق المعاملة تر بنا بوجود المواصلة وأما الثاني فكان واصلا الى الله تعالى طالت له الأوقات فخاف أن تفوته المواصلة فقيل له تر ذلك وتجاهل قلبه للأمر فتنة نار الشغف الساعة ترى بري وأما الآخر فعارف تكشف له عن وسع الكرم فخوطب من حيث أشهد فسمع ما أوسع بري انتهى قال وقال الشيخ محيي الدين بن العربي رحمه الله دعانا بعض الفقراء الى دعوة بزقاق القناديل بمصر فاجتمع بها جماعة من المشايخ فقدم الطعام وعمروا الأوعية وهنالك ركاز زجاج مقد أعد للبول ولم يستعمل فغرف فيه رب المنزل الطعام فالجماعة يأكلون واذا الوعاء يقول لقد أكرمني الله بأكل هؤلاء السادة مني لا أرضى لنفسي أن أكون بعد ذلك اليوم محلا للأذى ثم انكسر نصفين فقال الشيخ محيي الدين فقلت للجماعة سمعتم ما قال الوعاء فقالوا نعم قال فقلت ما سمعتم فأعادوا القول الذي قد تقدم قال فقلت قولا غير ذلك قالوا وما هو قلت

لأبدان المحتاجين اليها (وليس لك الا ما أنت له آكل) أى كما أن الأقوات الحسية مختلفة فلا يصلح للواحد منها ما يصلح للآخر لاختلاف طبائعهم وأمزجتهم كذلك الأقوات المعنوية التي تفهم من العبارات مختلفة فلا يصلح للواحد منها ما يصلح للآخر لاختلاف مذاهبهم وتباين مطالبهم فقد تلقى العبارة على جماعة فيفهم كل واحد منها ما لا يفهمه الآخر وقد يفهم بعضهم من الكلام الذي يسمعه معنى لا يقصده المتكلم ويتأثر باطنه بذلك تأثرا عجيبا وربما فهم منه ضد ما قصده المتكلم به فقد سمع بعضهم قائلا يقول

اذا العشرون من شعبان ولت فواصل شرب ليلك بالنهار ولا تشرب بأقداح صغار فان الوقت ضاق عن الصغار

فخرج هائما على وجهه حتى أتى مكة ولم يزل مجاورا بها حتى مات

قال

(ربما عبر عن المقام) أي عن أي مقام من مقامات اليقين كمقام الزهد ومقام الورع ومقام التوكل الى غير ذلك (من استشرف عليه) أي اطلع عليه وقارب الوصول اليه ولم يظفر به ولم يتحقق فيه (وربما عبر عنه من وصل اليه) وتحقق فيه (وذلك) أي ماذكر من الحالتين (ملتبس) أي يلتبس الفرق بين حال هذا وحال هذا (الا على صاحب بصيرة) فانه لا يخفى عليه لأنه يرى في الكلام صورة المتكلم الباطنة وما هو عليه من كمال أو نقص وعلامة الأول أن يجد الفرح والاستبشار عند التعبير واستعظام الأمر واستحسانه لكونه في مباديه وقريب عهد بغيره بخلاف الثاني فانه يتكلم فيه كما ذكره بكلامه بغيره وربما عبر عن المقام من نقله من كتاب وحفظ أحواله من ممارسته لكلام القوم وحفظه لعباراتهم وقد يتوهم مع ذلك أنه واصل متمكن وعلامته التي تبين حاله أن يبحث معه على مقتضى قواعد فنون العلم فان صار يتكلف الأجوبة ويشم منه رائحة التعصب والانتصار للنفس والانفة من العجز فهو مدع كاذب (لا ينبغي للسالك أن يعبر عن وارداته) أي ما يمنحه الله من العلوم الوهبية والأسرار التوحيدية فلا ينبغي له أن يعبر عنها اختيارا منه بل يخفيها ويصونها ولا يطلع عليها أحدا الا شيخا مرشدا له (فان ذلك يقل عملها في قلبه) أي فلا يحصل كمال الانتفاع بها وهو تمكنها في القلب وتأثره بها (ويمنعه وجود الصدق مع ربه) إذ لا يخلو التعبير عنها عن شهوة نفسانية لأن النفس تجد عند التعبير عنها لذة وانشراحا وذلك يقوي صفاتها وقوة صفاتها تمنعها من وجود الصدق مع ربها (لا تمدن يدك) أيها المريد المتجرد (الى الأخذ من الخلائق) مما يعطونه لك من الارزاق على وجه الرفق الا بشرطين أشار الى الأول بقوله (الا أن ترى) أي الا بعد ملاحظتك (أن المعطي فيهم مولاك) فلا ترى العطاء الذي يصل اليك الا منه وأن الخلق أسباب ووسائط ولا يكفي في تلك الرتبة أن تكون علما وايمانا فقط بل لابد أن تكون حالا وذوقا فان ذلك هو اللائق بحال المتجرد والى الثاني بقوله (فاذا كنت كذلك) أي ملاحظا مولاك (فخذ ما وافقك العلم) على أخذه وحاصله أن لا تأخذ الا ما وافقك العلم على أخذه وأباح لك أخذه والمراد علم الظاهر بأن لا تأخذ الا من يد مكلف رشيد تقي وعلم الباطن بأن لا تأخذ الا ما كان على وجه الرفق والمعونة أي لا تأخذ الا ما أنت مفتقر اليه في الحال لتنفقه في ضروريا تك وحاجاتك من غير اسراف ولا اقتار كما كان عليه الصلاة والسلام في أكله وشربه ولباسه ومسكنه وغير ذلك فلا تأخذ ما يأتيك قبل وقتك ولا زائدا على حاجتك الآن يكون في خلقك شح ولا تأخذ ما تعطاه على جهة الاختبار من الله بأن أعطيت شيئا كنت قد قصدت تركه لله من شهوة كنت مبتلى بها فقد ملكتك ومنعتك القيام بحقوق ربك ولا تأخذ من منان ولا فخور ولا مظهر لعطيته ولا ممن يثقل على قلبك قبول عطيته فقد قيل لا تأكل الا ممن يرى لك الفضل عليه في أكله

قال كذلك فلو بكم قد أكرمها الله بالايمان فلا ترضوا بعد ذلك أن تكون محلا لنجاسة المعصية وحب الدنيا جعلنا الله واياكم من أولي الفهم عنه والتلقي منه * قلت وهذه المنازع كلها مما تستملح وتستظرف وتتأثر بها القلوب السليمة وتنقاد لها النفوس الكريمة وقد جرت عادة أهل هذه الطريق باستعمالها وايرادها في محالها فلا حرج علينا اذن في ذكر بعض ذلك اذا كانت لمناسبة تامة ووجدت فيها فائدة خاصة أو عامة وبالله التوفيق لا رب غيره ۞ (ربما عبر عن المقام من استشرف عليه وربما عبر عنه من وصل اليه وذلك ملتبس الا على صاحب بصيرة) كما أن الواصل الى مقام من مقامات اليقين يعبر عنه كذلك يعبر عنه من استشرف عليه ولم يتحقق فيه بالمنازلة والمواصلة والتباس ذلك على من ليس له بصيرة ظاهرة وأما ذو البصيرة فلا يخفى عليه ذلك لأنه يرى في الكلام صورة المتكلم الباطنة وما هو عليه من كمال أو نقص وقد قيل تكلموا تعرفوا ۞ (لا ينبغي للسالك أن يعبر عن وارداته فان ذلك يقل عملها في قلبه ويمنعه وجود الصدق مع ربه) الواردات الالهية لا ينبغي للسالك أن يعبر عنها اختيارا منه بل يخفيها ويصونها ولا يطلع عليها أحدا الا شيخا مرشدا لأن نفسه تجد في ذلك لذة وانشراحا فتقوى به صفاتها فيقل بسبب ذلك عمل الواردات في قلبه من التأثير المحمود لأجل غلبة أحكام نفسه ويمنعه حظه عنه ذلك من وجود صدقه مع ربه وقد تقدم هذا المعنى في قوله استشرافك أن يعلم الخلق بخصوصيتك دليل على عدم صدقك في عبوديتك ۞ (لا تمدن يدك الى الأخذ من الخلائق الا أن ترى أن المعطي فيهم مولاك فاذا كنت كذلك فخذ ما وافقك العلم) هذه قاعدة عظيمة يحتاج اليها السالكون المتجردون ليبنوا عليها أحوالهم فيما يصل اليهم من الرفق على أيدي الخلق وقد ذكرها المؤلف رحمه الله بعبارات بديعة محمودة موجزة يجمع فيها جملة المعاني التي يحتاج اليها نحن ذكرناه فلنبسط الكلام في ذلك على حسب ما تنامعه على الوجه الذي ذكرناه في مقدمة هذا التنبيه وهذا قصدنا في جميع ما تكلمنا عليه من مسائل كتابه ونقول على حسب ذلك ان أرزاق العباد المعتادة لهم تنقسم الى قسمين أحدهما رزق يصلون اليه بأسباب وأعمال وتصرفات كالتجارات والصناعات وغيرهما وهذا حال أهل الأسباب والثاني رزق يصل اليهم على أيدي الخلق من غير عمل ولا سعي وهذا حال أرباب التجريد ولكل واحد من القسمين له آداب

وأحكام تخصه فأحكام القسم الأول وآدابه لم يتعرض لها المؤلف رحمه الله تعالى وهي مذكورة في فن الفقه وغيره فواجب على كل من تلبس بشيء من الأسباب تحصيل علمه وطلبه من حيث هو وأحكام القسم الثاني وآدابه هي التي تعرض لها المؤلف وأجمل رحمه الله تعالى جميع ذلك في مراعاة شرطين وجعلهما من شروط صحة الأخذ * الشرط الأول أن لا يرى العطاء الا من مولاه عز وجل وهذا هو الأصل وانما اشترطه على الآخذ لأنه مقتضى حاله من تحقيق التوحيد وتخليص التجريد به يصح له مقام القناعة والتوكل ويسقط من قلبه هم الرزق وتزول به عنه علاقات الخلق وان لم يكن على هذا الوصف كان عبدا للناس مولها قلبه اليهم لتمكن طمعه فيهم ورغبته فيما في أيديهم واستشرافه اليهم فيقع بسبب ذلك في كبائر الذنوب من معاصي القلب والجوارح مثل المداهنة والنفاق والرياء والتصنع والتلبيس والغش وعدم النصيحة وقلة الشفقة وغير ذلك من الصفات المذمومة المناقضة للعبودية لله عز وجل قال يحيى بن معاذ رضي الله عنه من استفتح باب المعاش بغير مفاتيح الأقدار وكل الى المخلوقين ولا يكفي في تلك الرؤية المذكورة أن تكون علما وايمانا فقط بل لابد أن تكون حالا وذوقا * دعا بعض الناس شقيقا البلخي رضي الله عنه وكان في طبقته من أصحابه نحو خمسين رجلا فوضع الرجل طعاما واسعا وأنفق نفقة كثيرة فلما قعدوا قال لهم شقيق ان هذا الرجل يقول من لم ير أني صنعت هذا الطعام وأني أقدمه اليه فطعامي عليه حرام قال فقاموا كلهم وخرجوا الا شابا كان فيهم نقصت مشاهدته عنهم فقال صاحب المنزل لشقيق رحمك الله ما أردت بهذا قال أردت أن أختبر توحيد أصحابي أي كلهم لا يرون ما صنع ولا ينظرون اليه فلم يقدم الا ذلك الرجل وحده وانما اشترطنا في رؤية العطاء من الله تعالى أن يكون حالا وذوقا لأن ذلك هو اللائق بحال المتجرد كما ذكرناه لأن التجريد حال شريف لا يدخل فيه بالاختيار والتعمل لأن ذلك من اتباع هوى النفس وطلب الحظ والراحة وانما يقيم الحق تعالى فيه من أراده به من أهل التقوى والمراقبة بعد كمال شغله بالله تعالى وجده في الهرب عن كل ما يقطعه عن الله تعالى فحينئذ يسلبه الحق من تدبيره واختياره ويكاشفه بوحدانيته في ارادته ويكون تركه للأسباب بحكم الوقت واشارة الحال كما روي أن أبا حفص النيسابوري رضي الله عنه كان حدادا وكان غلامه يوما ينفخ عليه الكير فأدخل الشيخ يوما يده في النار وأخرج الحديدة من النار فغشي على غلامه وترك أبو حفص الحانوت وأقبل على أمره وكان يقول رضي الله عنه تركت العمل فرجعت اليه وتركني العمل فلم أرجع اليه وقال ابراهيم الخواص رضي الله عنه لا ينبغي للمعترف أن يتعرض للقعود عن الكسب الا أن يكون رجلا مغلوبا قد أغنته الحال عن المكاسب وأما من كانت الحاجات به قائمة ولم يقطع له عزف يحول بينه وبين التكلف فالعمل أولى به والكسب أحل له وأبلغ لأن القعود لا يصلح الا لمن لم يستغن عن التكلف وقال الشيخ أبو عبد الله القرشي رضي الله عنه ما دامت الأسباب قائمة بالنفس فالاكتساب أولى وقال بعض المنقطعين كنت ذا صنعة جليلة فأريد مني تركها فحاك في صدري من أين المعاش فهتف بي هاتف لا أراك تنقطع الي وتتهمني في الرزق على أن أخدمك وليا من أوليائي أو منافقا من أعدائي وقد اشترط رسول الله ﷺ في صحة قبول العطاء عدم الاستشراف الى الناس ولا يكاد يحصل هذا الشرط لمن ذكرناه من أهل التجريد الا بهذه الرؤية المذكورة روى زيد عن خالد الجهني رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ من جاءه معروف من أخيه من غير مسألة ولا استشراف نفس فليقبله فانما هو رزق ساقه الله تعالى اليه وروي عن رسول الله ﷺ أنه قال من وجه اليه شيء من هذا الرزق من غير مسألة

ولا

ولا استشراف فليأخذه وليوسع به رزقه فان كان عنده غنى فليدفعه الى من هو أحوج منه وقال عمر ابن الخطاب رضى الله عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعطيني العطاء فأقول أعطه يارسول الله من هو أفقر اليه مني فقال صلى الله عليه وسلم خذه فتموله أو تصدق به وما جاءك من هذا المال وأنت غير مستشرف ولا سائل فخذه وما لا فلا تتبعه نفسك قال سالم فمن أجل ذلك كان ابن عمر لا يسأل أحدا شيئا ولا يرد شيئا أعطيه فالاستشراف الى الناس مذموم قادح في التوحيد فلا ينبغي أن يأخذ المريد عطاء على هذا الوجه روي أن أحمد بن حنبل رضى الله عنه خرج ذات يوم الى شارع باب الشام فاشترى دقيقا ولم يكن في الموضع من يحمله فوافى أيوب الجمال فحمله ودفع اليه أحمد أجرته فلما دخل الدار بعد اذ نه اتفق أن أهل الدار قد خبزوا ما كان عندهم من الدقيق وتركوا الخبز على السرير لينشف فرآه أيوب وكان يصوم الدهر فقال أحمد لابنه صالح ادفع الى أيوب من الخبز فدفع له رغيفين فردهما فقال أحمد ضعهما ثم صبر قليلا ثم قال خذهما والحقه بهما فلحقه فأخذهما فرجع صالح متعجبا فقال له أحمد أعجبت من رده وأخذه قال نعم قال هذا رجل صالح لما رأى الخبز استشرفت نفسه اليه فلما أعطيناه مع الاستشراف رده ثم أيس فرددناه اليه بعد الاياس فقبله وأما الاستشراف الى الرزق مع قطع نظره عن الخلق فلا يضره ذلك لأنه خلق ضعيف ذو فاقة ورزقه معلوم لا بد منه فاستشرافه الى الرزق في الحقيقة استشراف الى الرازق ولا ينافي ذلك حقيقة العبودية ولكن ان كثر منها الاستشراف الى الرزق وشغلت صاحبها عن دوام المحاضرة والمناجاة من الحق فليصرفها عن ذلك صرفا جميلا ولينهج لها من التعلق والتوثق بالله سبيلا قال الشيخ أبو محمد عبد العزيز المهدوي رضى الله عنه كنت في بدايتي واقفا بين العشاءين أصلي وأنا فارغ بلا سبب حتى جاءتني النفس فقالت لي السلام عليك قلت لها وعليك السلام قالت العشاء فادهنني بداهية فتوقفت ثم ألهمني الله تعالى أن قلت لها أتدرين لمن موضعا قالت لا قلت لا أين هو ومتى هو قالت لا قلت لها أنا رب أو عبد قالت عبد قلت لها فالعبد يقدر على شيء فما هذا الكفر والشرك اللذان أتيتني بهما اهربي الى خالقك فاطلبي منه العشاء لأنه خالقك والقادر على كل شيء فيعطيك ويبعث لك ما طلبت فتطعمي وتأكلي مما لك ورأيي وما هذه الحيرة قال فذهبت الى خالقها فجاء عشاء متمكن كثير فأكلت قال وكذلك يحتج عليها ومن هنا تثبت الأقدام * وذكر أيضا مسئلة عظيمة مفيدة تتضمن كيف يكون حال الفقير بالنسبة الى الرزق وما يحتاج اليه ثنيته من الرزق وجعلها من قواعد الفقر والارادة فرأينا ذكرها في هذا الموضع من الواجب المتعين ليتحقق في العمل بها كل من يقف عليها من مريد مبتدي قال رضى الله عنه اعلم أن الفقير لا يخلو اما أن يكون جالسا أو ماشيا أما قاعدة الجالس فان جلسته موضع ألبته وهو مكانه وزمانه ظرف سجادته لا يتعداها ولا يكون التفاته لوقت ولا الى سبب معلوم لأنه لا يدري الأوقات ما هي ولا يعدها ولا يدري متى هي ولا وقتها ويعلم أن جميع الأشياء تطلبه وتحتاج اليه لأنها خلقت من أجله وهو خليفة فيها وقد فرغ من جميعها فالالتفات والأمل لماذا بل يكون هذا للاقدار تجري عليه ولا كسب له ولا سبب في التحصيل ثم قال وأما الماشي من الفقير الذي يكون في سفر أو غيره فلا يجاوز همته خطوته مثل أن يكون ماشيا فيخطر له التفكر والالتفات اليه من بلد أو شخص أو مطعم أو مشرب فيهلك ويظفر به العدو ويزل قدمه فان تمادى في التعلق بشيء من هذه القواطع والشواغل ومشى الى شيء منها فقده وما يتمنى ثم تأمل نفسه ومثال ذلك أنه يكون في يوم صائف وهجير فقد أصابه العطش فيعرض له خيال ماء فيجيء العدو فيروج عليه أن أسرع لتلحق ذلك الماء فتشرب منه فيزول عطشك فان مشى رائيا لهذا الخاطر يعني للموضع فيجده سرابا فيهلك بظفر به ويقول له الآن تموت

فيقتله من ساعته فيموت قاتل نفسه اذا كان جاهلا بضرر به وآياته ولم يعرف دواءه من دائه ولا نعل العلم ولا
سأل العلماء ليقانه مع نفسه فالحكمه اذا جاء هذا الخاطر بالتورع من العدو في سفر من السرعة الى
الماء والركون الى الأغيار من منازل أو أشخاص أو غير ذلك أن يعرض على العدو و يقول ان الله تعالى
يمكن أن يتوفاني قبل لحوقه فبالضرورة يطيعه في ذلك و يسلمه و يقول له أيضا قال النبي صلى الله عليه
وسلم من مشى الى طمع فليمش رويدا وقال من تأنى أصاب أو كاد ومن تعجل أخطأ أو كاد والعجلة من
الشيطان ومن هذا كثير فلا يشك شاك أنه كلما عتح النفس والشيطان بهذه القواعد من العلم أنهم
ينقطعون ولا حجة عندهم بعد الاستعانة بالله تعالى والتعلق به ثم يقول له أيضا تنكر أن الله تعالى قادر
على أن يطعمني و يسقيني ان شاء الله تعالى يسعى لي عينا الساعة قبل وصولي لذلك الماء فيقول الشيطان
بالضرورة نعم فاذا كان هذا كذلك فالله سبحانه أعلم بمصالحي ومنافعي من كل مخلوق فاذا حصل هذا
العلم رجع يمشي متأنيا متبعا خطوته خاطر الماء يرد عليه من ربه فاذا وصل الى ما خطر له أولا أو رآه من بعد
ولم يجد ما يتعلق به خاطره أولا من صاحب أو طعام بقي على أصله لا تغير عنده ولا يرد فظفر بالعدو وقتله كما
فعل أيضا الشيطان بغيره الشيء أو ضده هذا ما أردنا ذكره من كلام هذا الامام وهو عندي من أنفس
الكلام المقرب غاية المرام لما تضمنه من المعاني البديعة والانفاس الرفيعة ولما فيه من تجريد التوحيد
والآداب المرضية مع العبيد فهو جدير بان يكتب و يرسم و يكمل به الغرض الذي تقدم والله تعالى أعلم
وحكم الشرط الثاني أن لا يأخذ الا ما يوافق العلم وهذا شرط لازم للمتجرد أيضا * قال الشيخ أبو طالب
المكي رضي الله تعالى عنه و ينبغي لمن لا معلوم عنده من الأسباب أن يتورع في أخذها و يتخير المعطي
لما يتخير أهل المكاسب في الاكتساب لأن لله تعالى في كل شيء حكما والقعود عن المكاسب لا
يسقط أحكامها والقاعد عن الطلب لا يسقط أحكام المطالب ولأن ترك العمل عمل يحتاج الى علم ولم
تكن سيرة الفقراء الصادقين أن يأخذوا من كل أحد ولا في كل وقت ولا يأخذوا كل ما يعطون
مما يزيد على كفايتهم الا أن يكونوا ممن يخرجونه الى غيرهم اه موافقة العلم التي ذكرها المؤلف
رحمه الله على قسمين موافقة العلم الظاهر وموافقة العلم الباطن أما موافقة العلم الظاهر فبان
لا يأخذ الا من يد بالغ عاقل تقي وقد جاء في الحديث لا تأكل الا طعام تقي ولا يأكل طعامك الا تقي فلا يأخذ
من يد ظالم ولا عامل بالربا ولا جاهل بما يحل و يحرم من وجوه المكاسب ولا يأخذ من يد صبي ولا عبد غير
مأذون له ولا معتوه وأما موافقة العلم الباطن فبان لا يأخذ الا ما كان على وجه الرفق والمعونة فلا يأخذ
الا ما هو مفتقر اليه في الحال ولا غنى له عنه بين ضرورياته وحاجته من غير اسراف ولا اقتار ولا بأس أن
يأخذ ما يزيد على ذلك بأن كان في خلقه سخاء وبذل وايثار وتخلق بمحاسن الاخلاق لا ليتوصل به
الى حظ عاجل من جاه أو رئاسة أو قبول عند الناس ولا يأخذ ما يعطاه على جهة الابتلاء والاختبار أما
الابتلاء فبأن يستقبل وقته أو لا يجد أحدا على حاجته فان أخذه فليخرجه في السر ليأمن بذلك من آفة
الاظهار وأما الاختبار فبأن لا يأخذ شيئا قد يرى تركه لله تعالى من شهوة كان مبتلى بها قد ملكته وأسرته
ومنعته القيام بحقوق ربه فليوف بعهد الله تعالى وليدفع ذلك عن نفسه ان خاف اختلال عزمه وفساد
نيته فان لم يخف على ذلك فليأخذه وليخرجه الى غيره وهذا أشد شيء على النفس وهو من أعظم درجات
الزهد ولا يأخذ من منان ولا فخور ولا مظهر لعطيته ولا يأخذ ممن يثقل على قلبه قبول عطيته فقد قيل
لا تأكل الاطعام من يرى لك الفضل عليه في أكله ولا تأكل الاطعام من يرى أنه ذو نعمة عندك ولا تأكل
الاطعام زاهد لأنه يسر بأكلك ولا تأكل الاطعام الزاهد صاحبه أفضل من الطعام وقد روي أنه أهدي
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم سمن وأقط وكبش فقبل السمن والاقط ورد الكبش وكان يقبل

من

من بعض الناس و رد على بعض وقال لقد هممت أن لا أقبل الا من قرشي أو أنصاري أو ثقفي أو دوسي
قال أبو طالب المكي رضي الله عنه وفعل هذا جماعة من التابعين جاءت الى فتح الموصلي رضي الله عنه
صرة فيها خمسون دينارا فقال حدثني عطاء أن النبي صلى الله عليه وسلم قال من آتاه الله رزقا من غير مسئلة
فرده فانما يرده على الله عز وجل ثم فتح الصرة وأخذ منها درهما ورد سائرها وكان الحسن يروي هذا
الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وحدثنا عنه أن رجلا أهدى اليه كيسا فيه ألوف ورزمة فيها
من دقيق خراسان فرد ذلك فقال له بعض أصحابه في ذلك فقال له من جلس مثل مجلسي هذا وقبل
من الناس شيئا مثل هذا لقي الله تعالى يوم القيامة وماله عند الله من خلاق وكان الحسن رضي الله عنه
يقبل من أصحابه وكان ابراهيم التيمي رضي الله عنه يسأل أصحابه الدرهم والدرهمين ويعرض
عليه غيرهم المئين فلا يأخذ وكان بعض العباد اذا دفع اليه بعض أهل الدنيا الشيء يقال ضعه عندك
وأعرض على قلبك حالتي كيف أنا عندك بعد الأخذ أفضل أو دون ذلك وأصدقني فان قال أنت عندي
الآن أفضل منك قبل ذلك وقال له أنت عندي بعد الأخذ مثل ما كنت قبل ذلك يقبل منه وان أخبره
بنقصانه في قلبه لم يقبل منه وكان بعضهم يرد على أكثر الناس صلاتهم فعوتب في ذلك فقال ما أرد عليهم الا
اشفاقا عليهم ونصحا لهم يذكرون ذلك ويحبون أن يعلم به فتذهب أموالهم وتحبط أجورهم ● وروى
عن الأعمش أنه قال جاء شاب من العرب الى ابراهيم التيمي بألفي درهم فقال يا أبا عمران خذ هذه الدراهم
والله ما هي من ذي سلطان ولا من كذا ولا من كذا فقال له ابراهيم بارك الله لك وجزاك خيرا فلما ولى
قلت له يا أبا عمران ما يمنعك أن تأخذها والله ما لأمر أنك خميص فقال صدقت يا سليمان ولكن هذا شاب
من العرب لم تحنكه السن ولم تحنكه الآداب فكرهت أن يجلس في حيه فيقول أعطيت ابراهيم
ألفي درهم فيحبط الله أجره وتذهب دراهمه وممن ذهب الى هذا سفيان الثوري رضي الله عنه كان
يشترط على بعض من كان يأخذ منه أن لا يذكره لاشفاقه عليه لا من أجله بل من ذهاب أجره لأنه
قيل في معنى قوله تعالى لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى قال المن أن يذكره والأذى أن يظهره وقال
الجنيد للرجل الخراساني الذي جاءه بالمال وسأله أن يأكله فقال الجنيد بل أفرقه على الفقراء فقال
الرجل أنا أعلم بالفقراء منك ولم أختر هذا فقال له الجنيد وأنا أؤمل أن أعيش حتى آكل هذا فقال اني لم أقل
لك أنفقه في الخل والبقل وانما قلت أنفقه في الطيبات وألوان الحلاوات وكلما نفد أسرع كان أحب الي فقال
الجنيد ومثلك لا يحل أن يرد عليه فقبله فقال الرجل ما ببغداد أحد أعظم منة علي منك فقال الجنيد وما
ببغداد أحد ينبغي أن يقبل منه شيء الا من كان مثلك وكان السري السقطي يوصل الى أحمد بن حنبل رضي
الله عنهما الشيء فيرده فقال له يا أحمد احذر آفة الرد فانها أشد من آفة الأخذ فقال أحمد أعد علي ما قلت
فأعاده فقال له أحمد ما رددت عليك الا وعندي قوت شهر فاحبسه لي عندك فاذا كان بعد شهر فأنفذه الي
وعلى الجملة فلا ينبغي أن يأخذ المريد الا من مريد زاهد عارف فبذلك يسلم من الآفات ويكفى من جميع المؤنات
وقال أبو بكر الدقاق رضي الله عنه منذ أربعين سنة أصحب هؤلاء فما رأيت فقالا صحابنا الا من بعضهم
لبعض أو ممن يحبهم وممن لم تصحبه التقوى والورع في هذا الأمر أكل الحرام الصرف وان أراد أن يسأل
من مثل هؤلاء فليفعل قال أبو طالب المكي رضي الله عنه كان بشر بن الحرث رضي الله عنه لا يقبل من
الناس شيئا وكان بعضهم يقول أحب أن أعلم من أين يأكل فقال له من يخبر أمره أنا لا أدري من أين يأكل
كان له صديق عاقل يعني نظيره في العقل والدين لأن بعضهم كان لا يقبل الا من النظراء ولا يقبل من الأتباع
هذا الصديق العاقل الذي كان يقوم بكفايته ولم يكن يظهر أمره ولا يلتقي معه هو السري بن مغلس السقطي

رضى الله عنه * قال بشر رضى الله تعالى عنه ما سألت أحدا قط شيئا من الدنيا الا سرى السقطى لأنه قد
صح عندى زهده فى الدنيا فهو يفرح بخروج الشئ من يده ويتبرم ببقائه عنده فأكون قد أعنته
على ما يحب وكان سرى رضى الله عنه يوجه الى أحمد بن حنبل فى حاجاته فيقبل منه وكان اذا ذكر عند
أحمد بن حنبل رضى الله عنه يقول ذلك الفتى المعروف بطيب الغذاء انه ليعجبنى أمره وان بلغت به
الحاجات كل مبلغ وأشرف على الضعف وتحققت الضرورة وسأل مولاه فلم يقدر له بشئ ووقته يضيق
عن الكسب لشغله بحاله فعند ذلك يقرع باب السبب ويسأل من دون هؤلاء ممن جهل حاله * جاء فى الأثر
من جاع فلم يسأل فمات دخل النار وقد سأل الناس عند الحاجة والفاقة نبى الله تعالى موسى والخضر عليهما
السلام لقوله تعالى استطعما أهلها وكان أبو جعفر الحداد وهو شيخ الجنيد رضى الله عنهما يسأل من باب
أو بابين بين العشاءين ويكون ذلك معلوما عند حاجته من يوم أو يومين وكان له مقام فى الزهد والتوكل
قال أبو طالب ولم يعب هذا عليه عموم ولا خصوص ونقل عن أبى سعيد الخراز رضى الله عنه أنه كان
يمد يده عند الفاقة ويقول شئ لله ونقل عن ابراهيم بن أدهم رضى الله عنه أنه كان معتكفا بجامع
البصرة مدة وكان يفطر فى كل ثلاثة أيام ليلة وليلة افطاره يطلب من الأبواب وكان الثورى يسأل فى
البوادى من الحجاز الى صنعاء اليمن قال كنت أذكرهم حديثا فى الضيافة قال فيخرجون الى طعاما
فأتناول حاجتى وأترك ما بقى وليجتنب المريد الأكل بالدين وقبول ارفاق النسوان * فان قيل كيف
يرد ما يعطاه فى الوجود والحكيم عليه يعلم الأخذ فيها وهو انما يأخذ من ربه كما تقدم وهل الراد لذلك
الا راد على الله تعالى فكيف يستقيم ذلك فالجواب أن القيام بحق الشريعة والطريقة لا بد منه
والتوحيد لا ينافى ذلك وقد قيل الكامل من لا يطفئ نور معرفته نور ورعه وكل باطن من العلم يخالف
ظاهرا من الحكم فهو مردود ووجه صحة الرد للعطاء عند مشاهدة التوحيد ظاهر اذ لا فرق فى ذلك
بين يدى المعطى وكذا الآخذ فكما يشهد الآخذ يد الله تعالى فى العطاء عند يد المعطى فيأخذ ما يعطاه
عند موافقة العلم اتباعا لاذن الله تعالى وأمره يشهد يد الله تعالى فى المنع عند يد نفسه بالرد عند مخالفة
العلم فلا يأخذه ولا يقبله اتباعا لنهى الله تعالى عن ذلك وعدم اذنه فيه كما فعله رسول الله صلى الله عليه وسلم
فى الكبش الذى أهدى اليه مع السمن والأقط وكما فعله فتح الموصلى وحسن البصرى رضى
الله عنهما مع روايتهما الحديث الذى ذكر فيه أن رد الهدية رد على الله تعالى وقد تقدم ذكره
بلفظه فبهذا يندفع ذلك الخيال والله تعالى الموفق لصالح الأعمال وانما أطلت الكلام فى هذه المسئلة لأن
الحاجة ماسة اليها وليعلم من ذلك أن جميع تفاريعها ومسائلها داخل فى كلام المؤلف رحمه الله
تعالى على حكم الايجاز والاختصار وكلامه فيها من بديع الكلام ومستحسنه ولشيخه أبى العباس
المرسى رضى الله عنه فى معنى ما ذكره كلام بديع مختصر منتزع من كتاب الله عز وجل نقله عنه
فى لطائف المنن قال رضى الله عنه للناس أسباب وسببنا نحن الايمان والتقوى قال الله سبحانه ولو أن
أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض وقد جود المؤلف رحمه الله صناعته
وأحسن سياقته فى مقصد الارشاد والهداية والله أعلم * (ربما استحيا العارف أن يرفع حاجته
الى مولاه لاكتفائه بمشيئته فكيف لا يستحى أن يرفعها الى خليقته) قد تقدم أن من الأدب ترك
الطلب والسؤال من الله تعالى اكتفاء بمشيئته ورضا بسابق قسمته وان العارفين المحققين
يستحيون من الله تعالى فى ذلك فكيف لا يستحيون من مولاهم عز وجل عند سؤالهم للمخلوقين
وهل أدبهم فى ذلك واستحياؤهم من ربهم الا واجب عليهم فلا يسألون منهم شيئا ولا يرفعون اليهم

(ربما استحيا العارف) المحقق (أن يرفع حاجته الى مولاه) فلا يطلب منه شيئا (لاكتفائه بمشيئته) أى بما تعلقت به مشيئته من اعطاء أو منع أو ضر أو نفع قال الشاذلى قدس الله سره لما سئل عن الكيمياء أخرج الخلق من قلبك واقطع يأسك من ربك أن يعطيك غير ما قسم لك (فكيف لا يستحى أن يرفعها الى خليقته) فلا يسألون منهم شيئا ولا يرفعون اليهم حاجة لأنهم فقراء محتاجون ومولاهم هو الغنى الحميد فرفع الهمة عن الخلق وعدم التعرض لهم بما يحتاجه سالك هذه الطريق فان من خلعت عليه خلعة الملك حفظها وصانها فحرى أن تدوم له ولا تسلب عنه والمدنس لخلع الواهب حرى أن لا تترك له فلا تدنس ايمانك بطمعك فى المخلوقين ولا تجعل اعتمادك الا على رب العالمين واتبع ملة ابراهيم فى رفع الهمة عن الخلق فانه يوم زج به فى المنجنيق تعرض له جبريل وقال له ألك حاجة فقال أما اليك فلا وأما الى الله فبلى فقال له سل الله فقال حسبى من سؤالى علمه بحالى وخرج بالعارف باقى الفقراء وهم أقسام ثلاثة منهم من يصبر فاذا احتاج سأل الناس وقبل منهم مع كونه لا يرى أن المعطى فيهم الا مولاه ومنهم من لا يسأل واذا أعطى قبل على الوجه المذكور ومنهم من لا يسأل واذا أعطى لا يقبل قال بعضهم وهذا من الروحانيين اذا سأل الله تعالى أعطاه وان أقسم عليه أبر قسمه

حاجة لأنهم فقراء محتاجون ومولاهم هو الغني الحميد وقد تقدم هذا المعنى عند قوله لا تتعدنيّة همتك
الى غيره قال بكر لا تتخطاه الآمال قال سهل بن عبد الله التسترى رضى الله عنه ما من نفس ولا قلب الا
والله مطلع عليه فى ساعات الليل والنهار فايما نفس أو قلب رأى فيه حاجة الى سواه سلط عليه ابليس
وقال الاستاذ أبو على الدقاق رضى الله عنه من علامات المعرفة أن لا تسال حوائجك قلت أو كثرت
الا من الله سبحانه وتعالى مثل موسى عليه الصلاة والسلام اشتاق الى الرؤية فقال رب أرنى انظر اليك
واحتاج مرة الى رغيف فقال رب انى لما أنزلت الى من خير فقير وذكر الامام أبو القاسم القشيرى رضى
الله عنه أن بعض الفقراء كان يأتى كل يوم و يقف بحذاء الكعبة بعدما يطوف ما شاء الله تعالى و يخرج
من جيبه رقعة ينظر فيها فلما كان بعد أيام فعل مثل ذلك ثم تباعد ومات فجاء بعض من يرمقه ونظر
فى الرقعة فاذا فيها واصبر لحكم ربك فانك بأعيننا قال فكان الرجل أصابته الفاقة فصبر ولم يظهر حاله
للخلق حتى مات وقال أبو بكر الجوهرى رحمه الله تعالى كنت بعسقلان على برج الحرس فمر بى
رجل عليه جبة صوف متخرقة فقمت اليه مسلما وعانقته وأجلسته وجاريت معه فى فنون من العلم
وكان قدماه حافيتين فقلت له لم لا تسأل أصحابك فى نعل تقيك من الحفاء فقال يا أخى لرد أمس بالحبال
وحبس عين الشمس بالعقال ونقل ماء البحر بالغربال أهون على من موقف السؤال وأرجانى
من المخلوقين النوال ثم أخرجنى من باب المدينة فانتهى بى الى صخرة منقورة فاذا عليها مكتوب كل
من كد يمينك وعرق جبينك فان ضعف تقنك فاسأل المولى يعينك قال فى التنوير واعلم رحمك
الله أن رفع الهمة للسالكى طريق الآخرة عن الخلق وعدم التعرض لهم أزين لهم من الحلى للعروس
وهم أحوج اليه من الماء لحياة النفوس ومن خلعت عليه خلعة الملك فحفظها وصانها حرى بأن تدام
له ولا تسلب عنه والدنس يخلع خلع المواهب فحرى أن لا تترك له فلا تدنس أيها الأخ ايمانك بطمعك
فى المخلوقين ولا تجعلن اعتمادك الا على رب العالمين وكن أيها الأخ ابراهيميا فقد قال أبوك
ابراهيم صلوات الله عليه وسلامه لا أحب الا فلين وما سوى الله آفل اما وجودا واما امكانا وقد قال
سبحانه ملة أبيكم ابراهيم أى اتبعوا ملته فواجب على المؤمن أن يتبع ملة ابراهيم ومن ملته رفع همته
عن الخلق فانه يوم زج به فى المنجنيق تعرض له جبريل عليه السلام فقال له ألك حاجة فقال له أما اليك
فلا وأما الى الله تعالى فبلى قال فاسأله قال حسبى من سؤالى علمه بحالى فانظر كيف رفع همته عن الخلق
ووجهها الى الملك الحق فلم يستغث بجبريل ولا احتال على السؤال من الله بل رأى ربه أقرب اليه من
جبريل عليه السلام ومن سؤاله فلذلك سلمه من نمروذ ونكاله وأنعم عليه بنواله وافضاله وخصه
بوجود اقباله ومن ملة ابراهيم معاداة كل ما شغل عن الله وصرف الهمة بالرد الى الله لقوله تعالى
فانهم عدو لى الا رب العالمين والغنى ان أردت الدلالة عليه فهو فى اليأس من الناس ولقد قال الشيخ أبو
الحسن رضى الله عنه أيست من نفع نفسى لنفسى فكيف لا أيأس من نفع غيرى لنفسى ورجوت
الله لغيرى فكيف لا أرجوه لنفسى وهذا هو الكيمياء والاكسير الذى من حصل له حصل له غنى
لا فاقة بعده وعز لا ذل معه وانفاق لا نفاد له وهو كيمياء أهل الفهم عن الله قال الشيخ أبو الحسن رضى الله
عنه صحبنى انسان وكان ثقيلا على فبسطته بعض ما فانبسط فقلت له يا ولدى ما حاجتك ولم صحبتنى فقال
يا سيدى قيل لى انك تعلم الكيمياء فصحبتك لا تعلم منك ذلك فقلت له صدقت وصدق من حدثك
ولكنى أخالك لا تقبل فقال بل أقبل فقلت له نظرت الى الخلق فوجدتهم على قسمين أعداء وأحباء
فنظرت الى الأعداء فعلمت أنهم لا يستطيعون أن يشوكونى بشوكة لم يردنى الله بها فقطعت نظرى عنهم

ثم تعلقت بالأحياء فوجدتهم لا يستطيعون أن ينفعوني بشيء لم يرده الله به فقطعت نظري عنهم وتعلقت
بالله تعالى فقيل لي إنك لا تصل إلى حقيقة هذا الأمر حتى تقطع يأسك منا كما قطعته من غيرنا أن نعطيك
غير ما قسمناه لك في الأزل وقال مرة أخرى لما سئل عن الكيمياء أخرج الخلق من قلبك واقطع
يأسك من ربك أن يعطيك غير ما قسم لك قال وليس يدل على فهم العبد كثرة عمله ولا مداومته على
ورده وإنما يدل على نوره وفهمه غناه بربه وانحياشه إليه بقلبه وتحرره من رق الطمع وتحليه بحلية الورع
وبذلك تحسن الأعمال وتزكو الأحوال قال الله تعالى إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها لنبلوهم
أيهم أحسن عملا فحسن الأعمال إنما هو بالفهم عن الله والفهم هو ما ذكرناه من الاغتناء بالله
والاكتفاء به والاعتماد عليه ورفع الحوائج إليه والدوام بين يديه وكل ذلك من ثمرة الفهم عن الله
تعالى اه مما يتعلق بغرضنا من كلام صاحب التنوير وهو من الكلام النفيس الخطير وأنت رحمك
الله إذا تأملته بعين بصيرتك ناصحا لك بك في علانيتك وسريرتك علمت منه أن ما تضمنه عظيم الموقع
وأنه مستحسن منار إيراده في هذا الموضع إذ هو منوط بالإيمان والتوحيد محتاج إليه كل سالك ومريد
ممن رعاه حق رعايته وصرف إلى العمل بمقتضاه عنان عنايته فقد تحقق بمحاسن الإيمان وكان من
أولياء الله تعالى بمكان ومن أهمله وضيعه وجهل قدره وموقعه خيف عليه الوقوع في الشرك الخفي والجلي
واستحق بذلك أن يطرد عن باب مولاه العلي فيقوى طمعه في الخلق ويضيق عليه متسعات أبواب
الرزق كما قال بعض العارفين المكاشفين رضي الله عنه قيل لي في نوم كاليقظة أو يقظة كالنوم لا تبدين
فاقة إلى غيري فأضاعفها عليك مكافأة لسوء أدبك وخروجك عن حدك في عبوديتك إنما ابتليتك
بالفاقة لتفزع إلي منها وتتضرع بها لدي وتتوكل فيها علي سبكتك بالفاقة لتصير ذهبا خالصا فلا تزيفن
بعد السبك وسمتك بالفاقة وحكمت لنفسي بالغنى فإن وصلتها بي وصلتك بالغنى وإن وصلتها بغيري
قطعت عنك مواد معونتي وحسمت أسبابك من أسبابي طردا لك عن بابي فمن وكلته إلي ملك ومن
وكلته إليه هلك اه ومنهم من يأنف من قبول الرفق على أيدي الخلق ويرفع همته عن ذلك وإن
لم يكن بسؤال ولا طلب * يحكى عن حماد بن سلمة رحمه الله أنه قال كان في جواري امرأة أرملة لها
أيتام وكانت ليلة ذات مطر فسمعت صوتها تقول يا رفيق ارفق قال فخطر ببالي أنها إنما بها فاقة فصبرت
حتى احتبس المطر فحملت معي عشرة دنانير ودققت عليها الباب فقالت حماد بن سلمة فقلت نعم كيف
الحال فقالت بخير وعافية احتبس المطر ودفئ الصبيان فقلت خذي هذه الدنانير وأصلحي بها بعض
شأنك قال فصاحت بنية لها خماسية أبدا يا حماد أن تكون بيننا وبين معبودنا واسطة ثم قالت يا أماه
لما رفعت صوتك بإظهار السر علمت أن الله يؤدبنا بإظهار الرفق على يدي مخلوق وذكر الشيخ
عبد الرحمن السلمي عن ابن عباس بن دهقان قال كنت عند بشر بن الحرث رضي الله عنه وهو
يتكلم في الرضا والتسليم فإذا هو برجل من المتصوفة فقال له يا أبا نصر انقطعت عن أخذ البر من أيدي
الخلق لإقامة الجاه فإن كنت متحققا بالزهد منصرفا عن الدنيا فخذ من أيديهم لينمحي جاهك عندهم
واخرج بما يعطونك إلى الفقراء وكن بعقد التوكل تأخذ قوتك من الغيب فاشتد ذلك على أصحاب
بشر فقال بشر اسمع أيها الرجل الجواب الفقراء ثلاثة فقير لا يسأل وإن أعطي لا يأخذ فذلك من
الروحانيين إذا سأل الله تعالى أعطاه وإن أقسم على الله أبر قسمه وفقير لا يسأل وإن أعطي قبل
فذلك من أوسط القوم عقده التوكل والسكون إلى الله تعالى فهو ممن توضع له الموائد في حظيرة
القدس وفقير اعتقد الصبر وموافقة الوقت فإذا طرقته الحاجة خرج إلى عبيد الله وقلبه
إلى الله بالسؤال فكفارة سؤاله صدقه فقال الرجل رضيت رضي الله عنك وقال رضي الله عنه

(اذا التبس عليك) أيها المريد (أمران) واجبان أو مندوبان فلم تدر أيهما أولى أن تشتغل به كطلب ما لا بد منه من العلم والسعي على العيال وكطلب علم زائد على ما لا بد منه واشتغال بنوافل وكصلاة النوافل والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم (فانظر أثقلهما على النفس فاتبعه فانه لا يثقل عليها الا ما كان حقا) أي أولى لأنها مجبولة على الجهل فشأنها أبدا انما هو طلب الحظوظ والفرار من الحقوق فاذا وجد المريد من نفسه خفة وميلا عند بعض الأعمال دون بعض اتهمها وترك ما خف عليها ومالت اليه وعمل بما استثقلته فان عمل بالأخف كان ذلك معدودا عندهم من نفاق القلب هذا ان لم تصر نفسه مطمئنة فان صارت كذلك عمل بما خف عليها ومالت اليه لكن ينظر حينئذ الى ما هو أكبر فائدة وأعظم مزية بدا في حاله فيقدمه على غيره وهناك ميزان آخر يميز به الأولى من غيره مما التبس عليك وهو أن تقدر نزول الموت بك فأي عمل سرك أن تكون مشغولا به اذ ذاك فهو حق وما عداه باطل فان العبد في هذه الحالة لا يصدر منه الا العمل الصالح الخالص من شوائب الرياء وممازجة حظ النفس واتباع الهوى فاذا التبس عليك الاشتغال بالعلم أو بطريق القوم فانظر أيهما تحب أن تكون عليه حال خروج روحك فاشتغل به فان كنت تحب أن تخرج روحك وبيدك الكراس لاخلاصك في طلب العلم وقصدك به وجه الله فاشتغل به وان كنت تكره ذلك وتحب أن تكون في ذلك الوقت مشتغلا بذكر الله مثلا لا بطلب العلم فلا تطلب العلم بل اشتغل بغيره لأن ذلك دليل على عدم اخلاصك فيه والكلام في القدر الزائد على ما لا بد منه من العلم

(اذا التبس عليك أمران فانظر أثقلهما على النفس فاتبعه فانه لا يثقل عليها الا ما كان حقا) هذا ميزان صحيح باعتبار غالب الأنفس لأنها مجبولة على الجهل والشره فشأنها أبدا انما هو طلب الحظوظ والفرار من الحقوق كما تقدم عند قوله حظ النفس في المعصية ظاهر جلي وحظها في الطاعة باطن خفي فاذا وجد المريد من نفسه ميلا وخفة عند بعض الأعمال دون البعض اتهمها وترك ما مالت اليه وخف عليها وعمل بما استثقلته قال بعض العارفين منذ عشرين سنة ما سكن قلبي الى نفسي ساعة وسكون القلب الى النفس هو اتباعه للأخف عليها دون الأثقل وهو معدود عندهم من نفاق القلب ومن بقي عليه شيء من دواعي الهوى وان قل لا يؤمن عليه من مثل هذا فخفة العمل على النفس انما تكون لأجل موافقة هواها وهواها لا يميل الا الى الباطل فاذا التبس عليك أمران واجبان أو مندوبان ولم تعلم أيهما أوجب أو أفضل لتقدمه على الآخر فانظر أثقلهما على نفسك فاعمل به وانما قلنا باعتبار غالب الأنفس لأن النفس المطمئنة لا توصف بالجهل ولا بالشره فقد يخف العمل عليها ولا يدل ذلك على أنه باطل فليكن نظر العبد حينئذ الى ما هو أكثر فائدة وأعظم مزية فليقدمه على غيره وقد ذكر الشيخ أبو طالب المكي رضي الله عنه حكاية عجيبة في شره النفس وكونها لا تميل الا الى الباطل قال حدثني بعض اخواني عن بعض هذه الطائفة قال قدم علينا بعض الفقراء فاشترينا من جارتنا حملا مشويا ودعوناه اليه في جماعة من أصحابنا فلما مد يده أخذ لقمة وجعلها في فيه ثم لفظها ثم اعتزل وقال كلوا أنتم فانه قد عرض لي عارض منعني من الأكل فقلنا لا نأكل ان لم تأكل فقال أنتم أعلم أما أنا فغير آكل ثم انصرف قال فكرهنا أن نأكل دونه فقلنا لو دعونا الشواء فسألناه عن أصل هذا الحمل فلعل له سببا مكروها فدعوناه فلم نزل به نسأله عنه حتى أقر أنه كان ميتة وان نفسه شرهت الى بيعه حرصا على ثمنه فشواه ووافق أنكم اشتريتموه قال فرميناه للكلاب قال ثم اني لقيت الرجل بعد وقت فسألته لأي معنى تركت أكله وبأي عارض فقال أخبرك ما شرهت نفسي الى طعام منذ عشرين سنة للرياضة التي روضتها بها فلما قدمتم الي هذا شرهت نفسي اليه شرها ما عهدته قبل ذلك فعلمت أن في الطعام علة فكرهت أكله لأجل شدة شره النفس اليه قال الشيخ أبو طالب رضي الله عنه فانظر رحمك الله كيف اتفقا في شره النفس على قصة واحدة ثم اختلفا بالتوفيق والخذلان فعصم العالم بالورع والمحاسبة وترك الجاهل مع شره النفس بالحرص وترك المراقبة أعني البائع للحمل وعصم الآخرون بالتوفيق بحسن الأدب وهو قمع شره النفس عن الأكل بعد صاحبهم ثم تدارك البائع بعد وقوعه بصدق المشتري وحسن نيته اهـ وثم ميزان آخر أصح وأكثر تحقيقا من الأول وهو أن يقدر نزول الموت به فأي عمل سره أن يكون مشغولا به اذ ذاك فهو حق وما عداه باطل قال في لطائف المنن والموت ميزان على الأفعال والأحوال كما هو ميزان في دائرة الوقت أما الوقت فكما تقدم يعني أنه علامة صحة مرتبة الولاية وأما الأفعال والأحوال فاذا التبس عليك أمر لا تدري هل يرضي الله فعله أو تركه أو حالة أنت بها لا تدري هل أنت فيها بحق أو قمت فيها بهوى فأورد الموت على ما أنت فيه من أفعال وأحوال فكل حالة وعمل تثبت مع تقدير ورود الموت عليها ولم تنهزم فهي حق وكل حالة وعمل انهزمها.

الموت فهي باطلة اذ الموت حق والحق يهزم الباطل ويدمغه لقوله عز وجل بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فاذا هو زاهق قل ان ربي يقذف بالحق علام الغيوب وقل جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا وما كنت فيه حقا فما يحق لم يهزمه فالموت اذ هو حق والموت حق والحق لا يهزم الحق (قال) وقد تجاذبت الكلام أنا وبعض من يشتغل بالعلم في أنه ينبغي اخلاص النية فيه وأنه لا يشتغل به الا لله تعالى فقلت له الذي تقرأ العلم لله هو الذي اذا قلت له غدا تموت لا يضع الكتاب من يده اه قلت وهذا هو فصل الخطاب ونهاية الصواب فان العبد في هذه الحالة لا يصدر منه الا العمل الصالح الخالص من شوائب الرياء وممازجة حظ النفس واتباع الهوى فهذا هو المطلوب من العبد ولا يستتم له ذلك الا أن يتحقق بما يقدر من حلول الموت وحصول الفوت وهذا هو معنى قصر الأمل الذي هو أصل حسن العمل وهو أن لا يقدر لنفسه وقتا ثانيا يكون فيه حيا وعند ذلك يخلص عمله من الآفات ويتطهر من أنواع الرعونات لأن توقع الموت في كل نفس ولحظة يهدم عليه جميع ذلك كما ذكره المؤلف رحمه الله تعالى وكل عمل استرسل فيه صاحبه غافلا عن تقدير وقوع ذلك ان لم يكن متحققا به لم يسلم مما ذكرناه فاذا بعيد من الاخلاص من يأخذ في علم غير متعين عليه الأخذ فيه لا يجتني ثمرته الا في ثاني حال ويكون في الحالة الراهنة متمكنا من ايقاع طاعة ترتد مصلحتها على مصلحة ما أخذ فيه من العلم فيفوز بثوابها ويتنجز له حصول التقرب بها لأن في ذلك فوت نفسه وفارة حظه وآية ذلك أنه قد يعرض له في حال أخذه فيه غرض دنيوي يكون احتظاء نفسه به أكثر فيقدمه على ما كان أخذ فيه ويتشاغل به من غير مبالاة بما يفوته من ذلك وانما عبرنا بلفظ الأخذ ليدخل فيه تعلم المتعلم وتعليم المعلم فان الأمر فيهما واحد وكل عمل لا اخلاص فيه ليس بالله ولا لله مردود على صاحبه مضروب به وجهه وبهذا يتبين لك غرور أكثر الخلق في علومهم وأعمالهم الا من رحمه الله تعالى وهذا نشاهد أكثر الناس عند نزول الموت بهم يندمون على ما أسلفوه من عمل ويودون أن لو أنسئ لهم في الأجل وهيهات هيهات فنعوذ بالله من الغفلة في زمان المهلة فانها مبدأ كل عمل فاسد ومنشأ وجود الغرة والجهالة لكل عالم وعابد وما ذكرناه من معرفة اختلاف درجات الصالح ليقدم الفاضل فيها على المفضول لا يصلح الا لمن أيده الله بنور اليقين وحمله على النصيحة في الدين وكان له حظ وافر من الخوف والحذر وموافقة مولاه في كل ورد وصدر ولا شك أن هذه المرتبة عزيزة المنال متعذرة كما الاعلى الآحاد من الرجال وسبيل من لم يصل اليها ممن ذكرناه اذا كان منصفا أن يستعين بنظر من هو أصح منه حالا وأصوب مقالا وفعالا ويفوض جميع أموره اليه ويعتمد اشارته في كل ما يشير به عليه وعلامة انصافه وجود اتهامه لنفسه وعدم اعتماده على عقله وحسه ومن لم يكن منصفا فالكلام معه هذيان فاسد وضرب في حديد بارد وسيأتي لنا مزيد تنبيه على غرور الآخرين في العلم في موضع اليق من هذا والله ولي التوفيق ۞ (من علامات اتباع الهوى المسارعة الى نوافل الخيرات والتكاسل عن القيام بالواجبات) هذه من الصور التي يتبين بها خفة الباطل وثقل الحق على النفس وما ذكره هو حال أكثر الناس فترى الواحد منهم اذا عقد التوبة لا همة له الا في نوافل الصيام والقيام وتكرار المشي الى بيت الله الحرام وما أشبه ذلك من النوافل وهو مع ذلك غير متدارك لما فرط فيه من الواجبات ولا متحلل لما لزم ذمته من الظلامات والتبعات وما ذاك الا لأنهم لم يشتغلوا برياضة نفوسهم التي خدعتهم ولم يحظوا بمجاهدة أهوائهم التي استرقتهم وملكتهم ولو أخذوا في ذلك لكان لهم فيه أعظم شغل ولم يجدوا فسحة لشيء من الطاعات والنفل قال بعض العلماء من كانت الفضائل أهم اليه من أداء الفرائض فهو مخدوع وقال محمد بن أبي الورد رضي الله عنه هلاك الناس في حرفين اشتغال بنافلة

(من علامات اتباع الهوى المسارعة الى نوافل الخيرات) أي العبادات (والتكاسل عن القيام بالواجبات) فهذا من الصور التي يخف فيها الباطل ويثقل فيها الحق وانما كانت النوافل تخف على النفس دون الفرائض لأن العادة أنه لا مزية في القيام بالفرائض لاستواء الناس كلهم فيها بخلاف النوافل فانها تذكر بها ويحصل لها بها مزية وجاه ومنزلة في القلوب وهذا هو حال أكثر الناس فتجد الواحد منهم اذا عقد التوبة أي صمم عليها لا همة له الا في نوافل الصيام والقيام وتكرار المشي الى بيت الله الحرام وما أشبه هذا من النوافل ومع ذلك هو غير متدارك لما فرط فيه من الواجبات ولا متحلل لما لزم ذمته من الظلامات والتبعات وما ذاك الا لأنهم لم يشتغلوا برياضة نفوسهم التي خدعتهم ولم يعتنوا بمجاهدة أهوائهم التي أسرتهم وملكتهم

وتضييع

(قيد) الله تعالى (الطاعات) الواجبة عليك كالصلوات الخمس (بأعيان الاوقات) أي بأوقات معينة ولم يطلق وقتها (كي لا يمنعك عنها وجود التسويف) فانه تعالى لو أطلقها ولم يعين لها أوقاتا لحملك التسويف على تركها فانك تتكاسل وتقول حتى أفرغ من حاجتي أصلي لاتساع وقتها فربما مضى يومك أو ليلتك ولم تفعلها بخلاف تقييدها بأوقات معينة فان ذلك يلجئك الى تحصيلها و يحجزك عن تفويتها (ووسع عليك الوقت) أي وسّع أوقاتها عليك ولم يضيقها (كي تبقى لك حصة الاختيار) فيمكنك فعلها في أول وقتها أو وسطه أو آخره ولا تعد من المضيعين لها إذا أتيت بها في آخر وقتها مثلا ولتتمكن أيضا من الاتيان بها على الوجه الأكمل وهو مواطأة القلب للجوارح فان الوقت اذا كان متسعا يمكنك أن تتخلى عن الشواغل والقواطع المانعة من استجماع الفكر والحضور مع الله تعالى حال العبادة واستعمال الآداب اللائقة بين يدي الله تعالى حينئذ (علم قلة نهوض العباد الى معاملته) أي الاقبال عليه بطاعته والقيام بحقوق ربوبيته طوعا منهم لما هم عليه من وجود الضعف ولما في نفوسهم من وجود الكسل (فأوجب عليهم وجود طاعته) أي ألزمهم بذلك قهرا عنهم وخوفهم بدخول النار ان لم يفعلوها (فساقهم اليه) أي الى الاقبال عليه بطاعته وفي نسخة اليها أي الى الطاعة (بسلاسل الايجاب) أي الايجاب الشبيه بالسلاسل اللاتي توضع في عنق الاسير تجره بها قهرا عنه من أسره الى الموضع الذي يريده وكذلك الايجاب يسوقهم الله تعالى به الى الطاعة التي يحصل لهم بها ما يسرهم في المستقبل وان كانت شاقة عليهم في الحال فهو يفعل بهم كما يفعل الولي بالصبي الاتراه كيف يؤدبه ويضربه على استرساله على مقتضى طبعه وجبلته ويلزمه أمورا شاقة عليه فيفعلها وهو كاره لذلك لأجل تحصيل منافعه في المستقبل الذي هو جاهل بها الآن فاذا كبر وعقل عرف ذلك عيانا (عجب ربك من قوم يساقون الى الجنة بالسلاسل) كما يفعل بأسارى الكفار حين يراد منهم الدخول في الاسلام فيقادون الى الجنة بالسلاسل في رقابهم وهذا معنى حديث قاله ﷺ في أسارى بدر ولفظه عجب الله من أقوام يقادون الى الجنة بالسلاسل والعجب والتعجب استعظام أمر خفي سببه وهو مستحيل عليه تعالى ففيه المذهبان السلف يقولون ان لله عجبا ولا نعلم حقيقته وهو منزه عن معناه المشهور والخلف يؤولون ذلك فيقولون معنى التعجب المنسوب الى الله اظهار عجب هذا الأمر لخلقه لأنه بديع الشان وهو أن الجنة شأنها أن يسارع اليها لنفاستها وهؤلاء يرغبون عنها و يمتنعون منها حتى يقادوا اليها بالسلاسل كما يقادون الى الأمر المكروه وقيل المراد بالتعجب لازمه وهو الاحسان الى المتعجب منه فانك اذا قلت ما أعلم زيدا يلزمك أنك تريد الاحسان اليه واكرامه فالمعنى أحسن ربك الى هؤلاء القوم حيث دعاهم الى الجنة وساقهم اليها كرها وهذا في حق العامة أما الخاصة فلا يحتاجون الى الايجاب والتخويف والتحذير لأن الله تعالى شرح صدورهم ونور بصائرهم وكتب في قلوبهم الايمان وحبب اليهم الطاعات وبغض اليهم العصيان فلم يحتاجوا الى شيء من ذلك لتمام حريتهم من الأغيار التي تملك القلوب فهم ملازمون لطاعته طوعا بل لو أكرهوا على تركها لم يستطيعوا الصبر عنها وفائدة تكليفهم حينئذ اظهار محبتهم كما يأمر الملك وزراءه الملازمين لحضرته بخدمته زيادة في القرب والتشريف

وتضييع فريضة وعمل بالجوارح بلا مواطأة القلب عليه وانما حرموا الوصول بتضييعهم الأصول (وقال) الخواص رضي الله عنه انقطع الخلق عن الله بخصلتين احداهما أنهم طلبوا النوافل وضيعوا الفرائض والثانية أنهم عملوا أعمالا بالظاهر ولم يأخذوا أنفسهم بالصدق فيها والنصح لها وأبى الله أن يقبل من عامل عملا الا بالصدق واصابة الحق قال الشيخ أبو طالب المكي رضي الله عنه أفضل شيء للعبد معرفته بنفسه ووقوفه على حده واحكامه لحالته التي أقيم فيها وابتداؤه بالعمل بما افترض عليه بعد اجتنابه لما نهي عنه بعلم يدريه في جميع ذلك وورع يحجزه عن الهوى في ذلك ولا يشتغل بطلب نفل حتى يفرغ من فرض لأن النفل لا يصح الا بعد حوز السلامة كما لا يخلص الربح للتاجر الا بعد حوز رأس المال فمتى تعذرت عليه السلامة كان من الفضل أبعد والى الاغترار أقرب اهـ وقال رضي الله عنه

(قيد الطاعات بأعيان الاوقات كي لا يمنعك عنها وجود التسويف ووسع عليك الوقت كي تبقى لك حصة الاختيار) أنعم الله عليك فيما أمرك به من الطاعات المؤقتة بالأوقات بنعمتين عظيمتين احداهما تقييدها لك بأعيان الأوقات لتوقعها فيها فتفوز بثوابها ولو لم يفعل هذا لسوفت بها ولم تعمل بها حتى تفوت فيفوتك ثوابها والنعمة الثانية توسيع أوقاتها عليك ليبقى لك نصيب من الاختيار حتى تأتي بالطاعات في حال سكون وتمهل من غير حرج ولا ضيق فلله الحمد على نعمه (علم قلة نهوض العباد الى معاملته فأوجب عليهم وجود طاعته فساقهم اليها بسلاسل الايجاب عجب ربك من قوم يساقون الى الجنة بالسلاسل) لما علم الله تعالى قلة نهوض العباد الى معاملته الواجبة له عليهم من اقامة العبودية بمشاهدة الربوبية في حال طواعية منهم اذ في ذلك قرة أعينهم وغاية نعيمهم أوجب عليهم وجود طاعته على حال كراهية منهم لأجل ما خوفهم به ان لم يفعلوا فساقهم بسلاسل التخويف والتحذير اليه واستخرجهم بذلك

الى مافيه نعيمهم مما لاعلم لهم به وفعل بهم مايفعل بالصبي الاراه كيف يؤدب ويضرب على استرساله على مقتضى طبعه وجبلته ويلزم امور اشاقة عليه فيفعلها وهو كاره لذلك والغرض انما هو حصوله على منافعه التى هو جاهل بها فاذا كبر وعقل عرف ذلك عيانا وقد عجب ربك من قوم يساقون الى الجنة بالسلاسل كما يفعل باسارى الكفار حين يراد بهم الدخول فى الاسلام فيقادون الى الجنة بالسلاسل فى رقابهم وهذا حديث يروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم هكذا عجب الله من اقوام يقادون الى الجنة بالسلاسل قلت وتعبير المؤلف رحمه الله بالسلاسل والسوق بها واستعماله ذلك فى التكاليف الواجبة التى الزم العباد القيام بها من بديع الاستعارات كما قال الشاعر وهو ابو خراش الهذلى

وليس كعهد الدار ياام مالك * ولكن احاطت بالرقاب السلاسل

وكذلك تمثيله بالحديث المذكور فيه ذلك والاشارة به الى مقصوده فى غاية الحسن * قال بعض العلماء يجوز ان يكون معنى التعجب المنسوب الى الله تعالى فيه اظهار عجب هذا الامر لخلقه لانه بديع الشان وهو ان الجنة التى اخبر الله تعالى بما فيها من النعيم المقيم والعيش الدائم والخلود فيها الذى من حكم من سمع به من ذوي العقول ان يسارع اليها ويبذل مجهوده فى الوصول اليها ويتحمل المكاره والمشقات لينالها وهؤلاء قوم يمتنعون عنها ويرغبون عنها ويزهدون فيها حتى يقادوا اليها بالسلاسل كما يقاد الى المكروه العظيم الذى تنفر منه الطباع وتألم منه الابدان وتكرهه النفوس وقد قرأ جماعة من القراء بل عجبت ويسخرون بضم التاء وفى حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد عجب الله من فلان وفلانة فى قصة الانصارى الذى قال لامرأته اكرمى ضيف رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو حديث صحيح مشهور فالعجب منسوب الى الله تعالى وقد ورد فى الكتاب والسنة فهو اذا من الصفات السمعية ❁ (اوجب عليك وجود خدمته وما اوجب عليك الا دخول جنته) هذه عبارة حسنة موافقة للمعنى ما تقدم والمقصود من هذا كله الاعلام بان الله تعالى غنى عن خلقه لاتنفعه طاعتهم ولا تضره معصيتهم وان التكاليف كلها انما اوجبها عليهم لما يرجع اليهم من مصالحهم لاغير * قلت وما ذكره المؤلف رحمه الله تعالى هو حال عامة الناس الذين من شانهم التأبي وعدم الانقياد للاوامر والنواهي ولذلك احتاجوا الى التخويف والتحذير والموالاة والحض والمبالغة فى النكير واما الخاصة منهم فلم يحتاجوا الى شيء من ذلك لان الله تعالى شرح صدورهم ونور بصائرهم وكتب فى قلوبهم الايمان وحبب اليهم الطاعة وبغض اليهم العصيان فلم يقتصروا على ما اقتصر عليه المذكورون من فعل الواجبات واجتناب المحظورات فقط بل اضافوا الى ذلك المبادرة الى اعمال الطاعات والمسارعة الى نوافل الخيرات وبالجملة صارت اعمالهم كلها قربات وذلك لتمام حريتهم وصحة عبوديتهم نعم العبد صهيب لو لم يخف الله لم يعصه (قال) فى التنوير وانما جعل الحق سبحانه الايجاب على العباد علما منه بما هم عليه من وجود الضعف وبما نفوسهم متصفة به من وجود الكسل فاوجب عليهم ما اوجبه لانه لو خيرهم فيما اوجب عليهم لم يكونوا به بما هم الاقليلا وقليل ماهم فاوجب عليهم وجود طاعته وفى التحقيق ما اوجب عليهم الا دخول جنته فساقهم الى الجنة بسلاسل الايجاب عجب ربك من قوم يساقون الى الجنة بالسلاسل قال واعلم رحمك الله انا لما تصفحنا الواجبات فرأينا الحق سبحانه جعل فى كل ما اوجبه تطوعا من جنسه فى اى الانواع كان ليكون ذلك التطوع من ذلك الجنس جابرا لما عساه ان يقع من الخلل فى قيام العبد بالواجبات وكذلك جاء فى الحديث وانه ينظر فى مفروض صلاة العبد فان نقص منها شيء كمل من النوافل فافهم رحمك الله هذا ولا تكن مقتصرا على ما فرض الله عليك بل لتكن فيك نهضة حب توجب اكبابك على معاملة الله

تعالى

اوجب عليك وجود خدمته) فى الظاهر (وما اوجب عليك) فى الحقيقة ونفس الامر (الا دخول جنته) لانه تعالى غنى عن خلقه لاتنفعه طاعتهم ولا تضرهم معصيتهم وانما اوجب الاعمال عليهم لما يرجع اليهم من مصالحهم وهو دخول الجنة لا ليحصل له شرف بذلك وهذا تصريح بما علم قبله لان حاصله انه تعالى انما اوجب على عباده طاعته لقلة نهوضهم اليها فساقهم اليها بسلاسل الايجاب وسوقهم اليها بذلك انما هو لامر يرجع اليهم وهو دخول الجنة بدليل الحديث وهو عجب ربك الخ فيؤول المعنى الى ان سوقهم الى طاعته وهو ايجابها عليهم سوق الى الجنة فلم يوجب عليهم الا دخولها وهو ما صرح به هنا

تعالى فيما لم يوجبه عليك ولو كان العباد لا يجدون في موازينهم إلا فعل الواجبات وثواب ترك المحرمات لفاتهم من الخير والمنة ما لا يحصره حاصر ولا يحزره حازر فسبحان الله الفاتح للعباد باب المعاملة والمهيء لهم أسباب المواصلة قال واعلم أن الحق سبحانه علم أن في عباده ضعفاء وأقوياء فأوجب الواجبات وبين المحرمات فالضعفاء اقتصروا على القيام بما أوجب والترك لما حرم وليس في قلوبهم من سلطان الحب ووجود الشغف ما يحملهم على المعاملة من غير إيجاب فعلهم كمثل العبد يعلم السيد منه أنه إن لم يحرجه لم يهد إليه شيئاً فلذلك وقت سبحانه الأوراد ووظف وظائف العبودية وعرف ذلك بالطالع والغارب والزوال وصيرورة ظل كل شيء مثله في الصلاة وبالحول في الأموال النامية العين والماشية وبوقت حصول المنفعة في الزرع وإبان حصاده وبعشر ذي الحجة في الحج وبشهر رمضان في الصيام فوظف الوظائف ووقتها وجعل للنفوس فيها فسحة الحظوظ والسعي في الأسباب وأهل الله هم أهل الفهم عنه جعلوا الأوقات كلها وقتا واحدا والعمر كله سجا إلى الله تعالى قاصدا فعلموا أن الوقت كله لله فلم يجعلوا شيئا منه لغيره ولذلك قال الشيخ أبو الحسن رضي الله عنه عليك بورد واحد وهو إسقاط الهوى ومحبة المولى أبت المحبة أن تستعمل محبا إلا فيما يوافق محبوبه وعلموا أن الأنفاس أمانات الحق عندهم وودائعه لديهم فعلموا أنهم مطالبون برعايتها فوجهوا هممهم لذلك وكما أن له الربوبية الدائمة كذلك حقوق ربوبيته عليك دائمة فربوبيته غير موقتة بالأوقات فحقوق ربوبيته عليك ينبغي أن تكون أيضا كذلك كذلك * قال الشيخ أبو الحسن رضي الله عنه ان لكل وقت سهما يقتضيه الحق منك بحكم الربوبية اهـ

﴿من استغرب أن ينقذه الله من شهوته وأن يخرجه من وجود غفلته فقد استعجز القدرة الالهية وكان الله على كل شيء مقتدرا﴾ من استحكمت فيه الشهوة واستولت عليه الغفلة فلا ينبغي له أن يستغرب أن ينقذه الله من أسر شهوته وأن يخرجه من وجود غفلته لما يشاهد من استحكام ذلك فيه فإن في ذلك نسبة العجز الى القدرة الالهية والله تعالى متصف بالاقتدار على كل شيء وهذا من الأشياء وليعلم العبد أن قلوب العباد ونواصيهم بيده فلا يقنط ولا ييأس وليقصد باب مولاه بالذلة والانكسار والافتقار فعساه يسهل عليه ما استصعبه ويظهر فيه ما استغرب به وما ذلك على الله بعزيز وليعتبر هذا المعنى بالحكايات التي تروى عن الصالحين الذين تقدمت لهم في بدايتهم الزلات ووقعت منهم قبل توبتهم المفوات فتداركهم الله تعالى بلطفه واستنقذهم بجوده وعطفه فأصلح أعمالهم وصفى أحوالهم وأبدل سيآتهم حسنات ورفعهم من أسفل سافلين الى أعلى الدرجات كل ذلك في أقرب زمان وأقصر مدة وأوان والحكايات في هذا المعنى عن الشيوخ مثل سيدي الفضيل بن عياض وعبد الله بن المبارك وأبي عقال بن علوان وغيرهم رضي الله تعالى عنهم معروفة مشهورة * ومن أغرب ما رأيته في هذا المعنى ما رواه عبد الصمد ابن معقل عن عمه وهب بن منبه رضي الله عنهما أن رجلا قتل نفسا فجاء الى سائح من سائحي بني اسرائيل فسأله عن ذلك قال فرفع له السائح من الأرض عرجونا أبيض قديما حائلا ثم قال له إذا اخضر هذا العرجون قبلت توبتك وأراد السائح بذلك أن يؤيسه من التوبة لعظم ذنبه فأخذ الرجل العرجون وهو يطمع في التوبة ويعزم فتاب وجعل يعبد الله تعالى زمانا ويدعو حتى اخضر ذلك العرجون باذن الله تعالى وقدرته * وأغرب من هذا وأعجب ما أخرجه مسلم في صحيحه من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال كان فيمن كان قبلكم رجل قتل تسعة وتسعين نفسا فسأل عن أعبد أهل الأرض فدل على راهب فأتاه فقال قتلت تسعة وتسعين نفسا فهل لي من توبة فقال لا فقتله فكمل به المائة ثم سأل عن أعلم أهل الأرض فدل على رجل عالم فقال إنه قتل مائة نفس فهل له من توبة

(من استغرب أن ينقذه الله من شهوته) التي استرقته (وأن يخرجه من وجود غفلته) التي استولت عليه أي من استحكمت فيه الشهوة والغفلة واستغرب أن يخرجه الله منهما (فقد استعجز) أي فكأنه استعجز (القدرة الالهية) أي المنسوبة الى الاله وفي بعض النسخ قدرة الهية أي نسبها الى العجز (وكان الله على كل شيء مقتدرا) أي مع أنه تعالى وصف نفسه بالاقتدار على كل شيء وإخراجه من ذلك من جملة الأشياء فينبغي له أن يقصد باب مولاه بالذلة والافتقار فعساه يسهل عليه ما استصعبه ويظهر فيه ما استغرب به وليعتبر هذا المعنى بالحكايات التي تؤثر عن الصالحين الذين تقدمت لهم في بدايتهم الزلات ووقعت منهم قبل توبتهم الهفوات فتداركهم الله بلطفه وأصلح أعمالهم وصفى أحوالهم كفضيل ابن عياض وعبد الله بن المبارك وأبي عقال بن علوان وغيرهم رضي الله عنهم

فقال نعم ومن يحول بينه وبين التوبة انطلق الى أرض كذا وكذا فان بها أناسا يعبدون الله عز وجل فاعبد الله معهم ولا ترجع الى أرضك فانها أرض سوء فانطلق حتى اذا أتى نصف الطريق أتاه الموت فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب فقالت ملائكة الرحمة جاء تائبا مقبلا بقلبه الى الله تعالى وقالت ملائكة العذاب انه لم يعمل خيرا قط فأتاهم ملك في صورة آدمي فجعلوه بينهم حكما فقال قيسوا ما بين الأرضين فالى أيتهما كان أدنى فهو له فقاسوه فوجدوه أدنى الى الأرض التي أراد فقبضته ملائكة الرحمة قال قتادة قال الحسن ذكر لنا أنه لما أتاه ملك الموت نأى بصدره * وقال عيسى بن دينار كان يقال ما وفق الله عبدا للعمل الا وهو يريد أن يقبله منه ولا وفق الله عبدا للنزوع عن ذنب الا وهو يريد أن يغفر له * وقد ذكر القاضي يونس بن عبد الله المعروف بابن الصفار رحمه الله في كتاب التسبب والتيسير لصالح العمل أنه أخبره ثقة من أهل العلم قال كان رجل من أهل الأدب له أصحاب تجمعه بهم مجالس مكروهة فدعوه ذات يوم فلم يجبهم فقالوا له ما منعك من اجابتنا فقال دخلت البارحة في الأربعين وأنا أستحيي من سني ثم لزم الخير والعبادة . قال . وروى عن عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه أنه قال وجبت حجة الله على ابن الأربعين وذكر فيه أيضا عن مغيث بن سمي قال كان رجل من بني اسرائيل يعمل بالخطايا فبينما هو يسير ذات يوم ذكر ما سلف من عمله فقال اللهم غفرانك فمات على ذلك الحال فغفر له وذكر فيه أيضا عن رجل من العلماء أنه رأى في منامه شيخا وجماعة من الشعراء قد أحدقوا به يسألونه قال فقلت له أيها الشيخ أخبرني بأحكم بيت قالته العرب فأنشدني

صبا ما صبا حتى علا الشيب رأسه * فلما علاه قال للباطل ابعد

قال فوالله لقد نفعني الله عز وجل بهذا البيت ما ذكرته قط عند ذلك عند شهوة أو خطيئة الا ارتدعت عنها وأرجو أن لا يفارقني الانتفاع به ما بقيت ان شاء الله تعالى وفي الكتاب المذكور حكايات مستحسنات في هذا المعنى فطالع ذلك فيه والله المستعان الموفق لا رب غيره * (ربما وردت الظلم عليك ليعرفك قدر ما من به عليك) الظلم أضداد الأنوار فما من نور الا وفي مقابلته ظلمة وكل ظلمة على قدر نورها والشيء يعرف بضده كما قيل * وبضدها تتبين الأشياء * فالحق يورده عليك من ظلمات الحجبة والغيبة في ليالي الهجر والفرقة انما ذلك ليعرفك قدر ما من به عليك من أنوار التجلي والحضور في نهاية القربة والوصلة فجميع ذلك نعم سابغة عليك من غير علم منك بذلك * (من لم يعرف قدر النعم بوجدانها عرفها بوجود فقدانها) أكثر الناس لا يعرفون قدر النعم الا اذا فقدوها وذلك لأجل غلبة الغفلة عليهم حين وجودها عندهم قال سري السقطي رضي الله عنه من لم يعرف قدر النعم سلبها من حيث لا يعلم * وقال الفضيل رضي الله عنه عليكم بمداومة الشكر على النعم فقل نعمة زالت عن قوم فعادت اليهم وقال بعض البلغاء اذا كانت النعمة وسيمة فاجعل الشكر لها تميمة وقال آخر شكر النعمة عصمة من حلول النقمة وفي معنى هذا قيل انما يعرف قدر الماء من بلي بالعطش في البادية لا من كان على شاطئ الأنهار الجارية وقيل أيضا الولد العاق المصر على تأبيه انما يعرف قدر الأب يوم وفاة أبيه وقيل نعم الله مجهولة تعرف اذا فقدت ومن دعاء بعض الصالحين اللهم عرفنا نعمتك بدوامها ولا تعرفنا لنا بزوالها قلت ولأجل غلبة الجهل بالنعم الا عند الفقد وتضييع الشكر عليها من العبد أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالنظر الى من هو أسفل منا لئلا نزدري نعمة الله علينا والبعد عن وغظ بغيره قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما روى عنه أبو هريرة رضي الله عنه انظروا الى من هو أسفل منكم ولا تنظروا الى من هو فوقكم فهو أجدر أن لا تزدروا نعمة الله عليكم وروى أيضا عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال اذا نظر أحدكم الى من فضل عليه في المال والخلق فلينظر الى من هو أسفل منه ممن فضل عليه قال

للشيخ

(ربما وردت الظلم) أي الشهوات والمعاصي والغفلات (عليك ليعرفك) حال ورودها (قدر ما من) الله (به عليك) أي ما كان قدمن الله به عليك سابقا من الأنوار والاقبال على مولاك فتحمده عليها اذا رجعت الى حالك عرفت أن ذلك نعمة عظيمة فيكثر منك الحمد والشكر فقد صارت النقمة نعمة وقد يكون سبب ورودها ما حصل منك من الاعجاب بطاعتك فيوردها عليك لتعرف قدرك ولا تتعدى طورك فلا تتكبر ولا ترى نفسك على أبناء جنسك وهذه نعمة أيضا وقد ترد عليك عقوبة وامتحانا وعلامة ذلك أنك كلما خرجت من معصية وقعت في أخرى وهكذا ولا توفق للتوبة ولا تعتقد التقصير من نفسك (من لم يعرف قدر النعم بوجدانها عرفها بوجود فقدانها) هذا تعليل لما قبله كأنه قال انما كان ورود الظلم معرفا بقدر النعم لأن الأشياء انما تتبين بأضدادها فعند وجود النقص يظهر فضل الناقص فانما يعرف قدر نعمة البصر مثلا من ابتلى بالعمى وقد قيل انما يعرف قدر الماء من ابتلى بعطش البادية لا من كان على شاطئ الأنهار والأودية الجارية

(لاتدهشك واردات النعم) أي النعم الواردة المترادفة عليك (عن القيام بحقوق شكرك) أي شكر المولى عليها بأن ترى عجز نفسك عن توفية ذلك فتترك الشكر (فان ذلك مما يحط من وجود قدرك) أي ان الله تعالى قد رفع قدرك وجعل القليل منك كثيرا قال تعالى من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها فلا تبخس نفسك حقها وتحطها عن قدرها فتراها عاجزة عن الشكر بسبب كثرة النعم وذلك من الجهل كما لو تركت الشكر عليها لاستقلالها في نظرك فالحامل على ترك الشكر على النعمة أحد أمرين وكل منهما مذموم ومن شكر اللسان ذكر الله ومنه الباقيات الصالحات التي تذكر عقب الصلوات (تمكن حلاوة الهوى) الهوى ميل النفس والمراد به المهوي وهو الشهوات أي تمكن حب شهوات الدنيا (من القلب هو الداء العضال) أي الذي لا تنفع فيه الحيل والأسباب والأدوية كالايمان والمعرفة واليقين فان الداء اذا تمكن من القلب لم يبق للدواء محل فلذا أعضل أمره وتعذر برؤه فلا يفيد فيه الاوراد الهي كما أشار اليه بقوله (لا يخرج الشهوة من القلب الا خوف مزعج) يرد على القلب من شهود صفات الجلال ومنشؤه النظر في الآيات المحتوية على ما أعد للعصاة وتذكر نزول الموت به ودخوله القبر وحيدا وسؤال الملكين مع أهوال الحشر والمعاد الذي تذهل فيه كل مرضعة عما أرضعت ويجعل الولدان شيبا الى غير ذلك (أو شوق مقلق) يرد على القلب من شهود صفات الجمال ومنشؤه النظر في الآيات المحتوية على ما أعد لأهل الطاعات وتذكر ما أعد لأوليائه من النعيم مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر الى غير ذلك والمواظبة على حضور مجالس الذكر والتذكير علاج كبير ونفع كثير في حصول ذلك اذ لا يزال ذلك يعمل في القلب شيئا فشيئا الى أن يسكنه الخوف أو الشوق وأما اذا لم يكن الأول مزعجا والثاني مقلقا فلا يفيدان تركا ولا توجها (كما لا يجب العمل المشترك) وهو المشوب بالرياء والتصنع

(٣٥)

الشيخ أبو حامد رضي الله عنه وكان بعض الصوفية وظف على نفسه كل يوم أن يحضر دار المرضى فيشاهدهم ويشاهد عللهم ومحنهم ويحضر حبس السلطان ويشاهد أرباب الجنايات ومحنهم في التعرض لاقامة العقوبات ويحضر المقابر فيشاهد أصحاب العزاء وتأسفهم على ما لا ينفع مع اشتغال الموتى بما هم فيه وكان يعود الى بيته ويشتغل بالشكر طول النهار على نعم الله عليه في تخليصه من تلك البلايا اه وكان الربيع بن خثيم رضي الله عنه حفر في داره قبرا وكان يضع في عنقه غلا وينام في لحده ثم يقول رب ارجعون لعلي أعمل صالحا فيما تركت ثم يقوم ويقول يا ربيع قد أعطيت ما سألت فاعمل قبل أن تسأل الرجوع فلا ترد وهذا كله موافق لأمر رسول الله ﷺ في الحديثين المذكورين ولا طريق للعبد الغافل الى تعرف النعم الموجودة لديه أبلغ منه فاذا عرف نعم الله تعالى عليه اشتغل بالشكر عليها من قبل أن تزال عنه فلا يكون له سبيل اليها وقد تقدم من كلام المؤلف رحمه الله من لم يشكر النعم فقد تعرض لزوالها ومن شكرها فقد قيدها بعقالها ۞ (لا تدهشك واردات النعم عن القيام بحقوق شكرك فان ذلك مما يحط من وجود قدرك) اذا ترادفت نعم الله تعالى عليك فلا ينبغي أن تدهشك عن القيام بشكرها من حيث ترى عجز نفسك عن توفية ذلك وأن لا قبل لك به فتتركه فان الله تعالى رفع قدرك وأعلى أمرك وجعل القليل منك كثيرا وأشهدك من حسن توليه لك ونسبة أفعالك اليك ما يؤذن بعظم سيادتك ورفعة قدرك فلا تبخس نفسك حقها وتحطها عن قدرها فتراها عاجزة عن الشكر والقيام بمقتضى الأمر لا على وجه الأدب والاتيان من الشكر بما وجب كأن الأمر في ذلك اليها ۞ قال سهل بن عبد الله رضي الله عنه ما من نعمة الا والحمد لله أفضل منها والنعمة التي ألهم بها الحمد أفضل من الأولى لأن بالشكر يستوجب المزيد وفي أخبار داود عليه السلام الهي ابن آدم ليس فيه شعرة الا وتحتها نعمة وفوقها نعمة فمن أين يكافئك فأوحى الله تعالى اليه يا داود اني أعطي الكثير وأرضى باليسير وان شكر ذلك أن تعلم أن ما بك من نعمة فمني وكتب بعض عمال عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه اليه اني بأرض قد كثرت فيها النعم حتى لقد أشفقت على من قبلي من ضعف الشكر فكتب اليه عمر اني كنت أراك أنك أعلم بالله مما أنت ان الله تعالى لم ينعم على عبد نعمة فحمد الله عليها الا كان حمده أفضل من نعمته لو كنت لا تعرف ذلك الا في كتاب الله المنزل قال الله ولقد آتينا داود وسليمان علما وقالا الحمد لله الذي فضلنا على كثير من عباده المؤمنين وقال تعالى وسيق الذين اتقوا ربهم الى الجنة زمرا حتى اذا جاؤها وفتحت أبوابها وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين وقالوا الحمد لله الذي صدقنا وعده الخ وأي نعمة أعظم من دخول الجنة ۞ (تمكن حلاوة الهوى من القلب هو الداء العضال) القلب محل الايمان والمعرفة واليقين وهذه هي الأدوية للأمراض التي أوجبها وجود الهوى والشهوة فاذا تمكن الداء من القلب لم يبق للدواء محل فلذلك أعضل أمره وتعذر برؤه ۞ (لا يخرج الشهوة من القلب الا خوف مزعج أو شوق مقلق) الشهوة المتمكنة من القلب لا يخرجها الا وارد قوي قاهر غالب يرد عليه وذلك اما خوف مزعج أو شوق مقلق وما عدا هذين الأمرين لا استقلال له بذلك ۞ (كما لا يحب العمل المشترك

(كذلك لا يحب القلب المشترك) وهو الذي فيه محبة غير الله والسكون اليه والاعتماد عليه ولما كانت المحبة بمعنى ميل القلب مستحيلة في حقه تعالى أولها على طريقة الخلف بقوله (العمل المشترك لا يقبله) أي لا يثيب عليه لعدم الاخلاص فيه فعدم محبته بمعنى عدم اثابته عليه (والقلب المشترك لا يقبل عليه) أي لا يرضى عن صاحبه ولا يثيبه لعدم وجود الصدق منه فعدم محبته بمعنى عدم الرضا عن صاحبه وعدم اثابته فمن صحح أعماله بالاخلاص وأحواله بالصدق كان محبوبا بالله أي مثابا مرضيا عنه والأفلا أما السلف فيثبتون لله محبة لكن لا نعلم حقيقتها (أنوار أذن لها في الوصول

(٣٦)

وأنوار أذن لها في الدخول) أي الأنوار الواردة على القلوب من خزائن الغيوب وهي معارف وأسرار الهية تنقسم الى قسمين أنوار أذن لها في الوصول الى ظاهر القلب فقط وأنوار أذن لها في الدخول الى صميم القلب وسويدائه فالأنوار الواصلة الى ظاهر القلب يشاهد القلب معها نفسه وربه ودنياه وآخرته فيكون تارة مع نفسه وتارة مع ربه وتارة يحب آخرته وتارة يحب دنياه والأنوار الداخلة الى صميم القلب وسويدائه لا يظهر فيها الا وجود الله عز وجل فلذلك لا يحب سواه ولا يعبد الا اياه قال بعض العارفين اذا كان الايمان في ظاهر القلب كان العبد محبا للآخرة والدنيا وكان مرة مع ربه ومرة مع نفسه فاذا دخل الايمان باطن القلب أبغض العبد دنياه وهجر هواه اهـ ثم فرع على ما تقدم بقوله (ربما وردت عليك الأنوار) أي العلوم والمعارف الالهية (فوجدت القلب محشوا بصور الآثار) أي معلقا بصور المكونات من أموال وأولاد وغيرهما (فارتحلت من حيث نزلت) أي من المكان الذي نزلت فيه وهو القلب لأنها مطهرة مقدسة فلا تحل في القلب المدنس بالأغيار (فرغ قلبك من الأغيار) أي التعلق بغير مولاك وامح عنه صور الآثار بأن لا تتوجه بسرك الى غير ربك فلا يكون لك أنس الا به واعتماد الا عليه (يملؤه بالمعارف والأسرار) قال تعالى والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وتقدم في كلام المصنف كيف يشرق قلب صور الأكوان منطبعة في مرآته واذا كان كذلك (فلا تستبطئ منه النوال) أي اعطاء المعارف والأسرار (ولكن استبطئ من نفسك وجود الاقبال) عليه بمحو صور الأغيار من مرآة قلبك بالمجاهدة والرياضة ثم قال

لا تطالب

كذلك لا يحب القلب المشترك العمل المشترك لا يقبله والقلب المشترك لا يقبل عليه) العمل المشترك هو المشوب بالرياء والتصنع والقلب المشترك هو الذي فيه محبة غير الله تعالى والسكون اليه والاعتماد عليه فالعمل المشترك تعمل بنظر صاحبه الى الناس والقلب المشترك معتل بنظر صاحبه الى نفسه فالعمل المشترك لا يحبه ولا يقبله ولا يثيب عليه لفقد الاخلاص منه والقلب المشترك لا يحبه ولا يقبل عليه ولا يرضى عنه لعدم وجود الصدق فيه فمن صحح أعماله بالاخلاص وأحواله بالصدق كان محبوبا بالله تعالى مثابا مرضيا عنه والافلا وقال رضي الله عنه ۞ (أنوار أذن لها في الوصول وأنوار أذن لها في الدخول) الأنوار الواردة على القلوب من خزائن الغيوب تنقسم الى قسمين أنوار أذن لها في الوصول الى ظاهر القلب فقط وأنوار أذن لها في الدخول الى صميم القلب وسويدائه فالأنوار الواصلة الى ظاهر القلب يشاهد العبد معها نفسه وربه ودنياه وآخرته فيكون تارة مع نفسه وتارة مع ربه وطورا يسعى في العمل لآخرته وطورا يعمل في أمور دنياه والأنوار الداخلة الى صميم القلب وسويدائه لا يظهر فيها الا وجود الله عز وجل فلذلك لا يحب سواه ولا يعبد الا اياه ❊ قال بعض العارفين اذا كان الايمان في ظاهر القلب كان العبد محبا للآخرة والدنيا وكان مرة مع الله تعالى ومرة مع نفسه فاذا دخل الايمان باطن القلب أبغض العبد دنياه وهجر هواه وفي لفظ آخر اذا كان الايمان في ظاهر القلب يعني أعلى الفؤاد كان المؤمن يحب الله حبا متوسطا فاذا دخل الايمان في باطن القلب وكان في سويدائه أحبه الحب البالغ ❊ قال الشيخ أبو طالب المكي رضي الله عنه ومحبة العبد لذلك أن ينظر فان كان يؤثر الله تعالى على جميع هواه ويغلب محبته على هواه حتى تصير محبة الله هي محبة العبد من كل شيء فهو محب لله تعالى حقا كما أنه مؤمن به حقا وان رأيت قلبك دون ذلك فلك من المحبة بقدر ذلك ❊ وقال بعض العلماء ظاهر القلب محل الاسلام وباطنه مكان الايمان فمن ههنا تفاوت المحبون في المحبة لفضل الايمان على الاسلام وفضل الباطن على الظاهر ۞ (ربما وردت عليك الأنوار فوجدت القلب محشوا بصور الآثار فارتحلت من حيث نزلت فرغ قلبك من الأغيار يملأه بالمعارف والأسرار) الأنوار الالهية قد ترد على القلب فلا تجد فيه موضعا لاستقرارها لما غلب عليه من رعونات البشرية واستحكم فيه من صور الآثار الكونية فترتحل من حيث تنزل لأنها مقدسة مطهرة فاذا أردت حلول الأنوار فيه وتجلي المعارف والأسرار له ففرغه من الأغيار وامح عنه صور الآثار قال الله تعالى والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وان الله لمع المحسنين وقد تقدم من كلام المؤلف رحمه الله تعالى كيف يشرق قلب صور الأكوان منطبعة في مرآته ۞ (لا تستبطئ منه النوال ولكن استبطئ من نفسك وجود الاقبال) تقدم التنبيه على هذا المعنى عند قوله

(حقوق) كائنة (فى الأوقات) أى الأزمنة وتلك الحقوق هى وظائف العبادات الظاهرة من صلاة وصيام وغيرهما (يمكن قضاؤها) أى ان من فاته شئ من ذلك فى وقته المعين له أمكنه قضاؤه فى وقت آخر (وحقوق الأوقات) هى ما يرد على العبد من قبل الرب من الأحوال فوقت كل عبد ما هو عليه من تلك الأحوال وأوقاته أربعة لا خامس لها النعمة والبلية والطاعة والمعصية وسمى ما ذكر وقتا لأنه يرد فى وقت مخصوص تسمية للشئ باسم زمنه وحقوقها الواجبة عليك فيها هى المعاملات الباطنية التى تقتضيها تلك الأحوال فحقه عليك فى النعمة الحمد والشكر وفى البلية الصبر والرضا وفى الطاعة شهود المنة وفى المعصية الاستغفار والتوبة ولذا يقولون الفقير ابن وقته أى يتأدب معه ويعطيه حقه كما يتأدب الولد مع أبيه وتلك الحقوق (لا يمكن قضاؤها) اذا فاتت (آدما من وقت) أى حال (يرد الا ولله عليك فيه حق جديد وأمر أكيد) هو بمعنى ما قبله أى فلا يسعك الآن توفية حقه فيمنعك اشتغالك بحقه عن اشتغالك بحق ما فاتك ولذا قال (فكيف تقضى فيه حق غيره) مما فاتك (وأنت لم تقض حق الله فيه) وهو الحق المتعلق بذلك الوقت ولو قال وأنت لم تقض حق ذلك الوقت لكان أوضح وحينئذ فيجب عليك أن تكون مراقبا لقلبك حتى تقوم بمراعاة تلك الحقوق التى لا يمكنك قضاؤها أن فاتت ولا تشغل أوقاتك بشهوات نفسك ورعونات بشريتك حتى تضيع حقوق الله تعالى الواجبة عليك التى ليس لها خلف يقوم مقامها واذا فاتت لا يمكن قضاؤها ولذا قال (ما فات من عمرك لا عوض له) أى لا عودة ولا رجوع له فاذا خليته من العمل الصالح الذى هو وظيفة ذلك الوقت فاتك من السعادة بقدره ولا يمكنك تداركه (وما حصل لك منه لا قيمة له) أى لا يمكن أن يقاوم بشئ لعظم قدره لأنك تتوصل به اذا اشتغلت بحق الله تعالى فيه الى ملك كبير فى الآخرة وشرف عظيم كثير لا يفنى ولذا عظمت مراعاة السلف الصالح رضى الله عنهم لأنفاسهم ولحظاتهم وبادروا الى اغتنام ساعاتهم وأوقاتهم ولم يضيعوا أعمارهم فى البطالة والتقصير ولم يقنعوا من أنفسهم لمولاهم الا بالجد والتشمير ❁ وفى الحديث ما من ساعة تأتى على العبد لا يذكر الله تعالى فيها الا كانت عليه حسرة وندامة ويقال ان العبد يوم القيامة تعرض عليه ساعات عمره فى اليوم والليلة فيراها خزائن مصفوفة أربعا وعشرين خزانة فيرى فى كل خزانة نعيما ولذة جزاء لما كان أودعه فى تلك الخزانة من الأعمال الصالحة والتى لم يعمل فيها شيئا يراها فارغة فيتحسر ويندم حيث لا ينفعه الندم ثم يلقى عليه الرضا والسكون

لا تطالب ربك بتأخير مطلبك ولكن طالب نفسك بتأخير أدبك والعبارتان متفقتان معنى وان اختلفا لفظا ❁ (حقوق فى الأوقات يمكن قضاؤها وحقوق الأوقات لا يمكن قضاؤها اذ ما من وقت يرد الا ولله عليك فيه حق جديد وأمر أكيد فكيف تقضى فيه حق غيره وأنت لم تقض حق الله فيه) الحقوق الكائنة فى الأوقات هى وظائف العبادات الظاهرة من صلاة وصيام وغيرهما فمن فاته شئ منها فى وقته المعين أمكنه قضاؤه فى وقت آخر اذ قد جعل له فى ذلك مجال رحب فيستدرك فيه ما يفوته من تلك الحقوق والحقوق المضافة الى الأوقات هى المعاملات الباطنة التى تقتضيها أحوال العبد ولواردات قلبه المتلونة عليه ووقت كل عبد ما هو غالب عليه من ذلك والعبد مطالب بحقوق جميع ذلك عند وروده عليه اذ لله تعالى على كل عبد عند كل حال تحل به وكل وارد يرد عليه حق جديد وأمر أكيد ولا يسعه الآن يوفيه اذ ذاك فان فاته لم يجد محالا لقضائه ولا يمكنه ذلك فعلى العبد أن يكون مراقبا لقلبه حتى يقوم بمراعاة تلك الحقوق التى لا يمكنه قضاؤها ان فاتت ❁ قال سيدى أبو العباس المرسى رضى الله عنه أوقات العبد أربعة لا خامس لها النعمة والبلية والطاعة والمعصية ولله تعالى عليك فى كل وقت منها سهم من العبودية يقتضيه الحق منك بحكم الربوبية فمن كان وقته الطاعة فسبيله شهود المنة من الله عليه أن هداه لها ووفقه للقيام بها ومن كان وقته المعصية فمقتضى الحق منه وجود الاستغفار والندم ومن كان وقته النعمة فسبيله الشكر وهو فرح القلب بالله ومن كان وقته البلية فسبيله الرضا بالقضاء والصبر والرضا رضا النفس عن الله والصبر مشتق من الاصبار وهو نصب الغرض للسهام وكذلك الصابر ينصب نفسه غرضا لسهام القضاء فان ثبت لها فهو صابر والصبر ثبات القلب بين يدى الرب وفى الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من أعطى فشكر وابتلى فصبر وظلم فغفر وظلم فاستغفر ثم سكت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا ما ذا له يا رسول الله فقال أولئك لهم الأمن وهم مهتدون أى لهم الأمن فى الآخرة وهم المهتدون فى الدنيا ❁ (ما فات من عمرك لا عوض له وما حصل لك منه لا قيمة له) عمر العبد مدة أن لأعماله الصالحة المقربة له من الله تعالى والموجبة له جزيل الثواب فى الدار الآخرة وهى السعادة التى لها يكدح العبد ويسعى من أجلها وليس له منها الا ما سعى كما قال تعالى وأن ليس للانسان الا ما سعى فكل جزء يفوته من العمر خاليا من عمل صالح يفوته من السعادة بقدره ولا عوض له منه قال الجنيد رضى الله عنه الوقت اذا فات لا يستدرك وليس شئ أعز من الوقت وكل جزء يحصل له من العمر غير خال من ذلك يتوصل به الى ملك كبير لا يفنى ولا قيمة لما يوصله الى ذلك لأنه فى غاية الشرف والنفاسة

ولأجل هذا عظمت مراعاة السلف الصالح رضي الله عنهم لأنفاسهم ولحظاتهم وبادروا إلى اغتنام ساعاتهم وأوقاتهم ولم يضيعوا أعمارهم في البطالة والتقصير ولم يقنعوا من أنفسهم لمولاهم إلا بالجد والتشمير وقد قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه بقية عمر المرء ما لها ثمن يدرك فيها ما فات ويحيي ما أمات وقد نظم بعض الشعراء هذا المعنى رحمه الله وأرضاه فقال

بقية العمر عندي ما لها ثمن ● وإن غدا غير محسوب من الزمن

يستدرك المرء فيها كل فائتة ● من الزمان ويمحو السوء بالحسن

وقال رجل لعامر بن عبد الله بن قيس رضي الله عنه وهو يريد الجمعة قف حتى أكلمك فقال له لولا أني أبادر لوقفت لك قال له وما تبادر قال أبادر خروج روحي وقال الحسن البصري رضي الله عنه أدركت أقواماً كانوا على ساعاتهم أشفق منكم على دنانيركم ودراهمكم يقول كما لا يخرج ديناراً ولا درهماً إلا فيما يعود عليه نفعه فكذلك لا يحبون أن يخرج ساعة من أعمارهم إلا فيما يعود عليهم نفعه ● وقال السري السقطي رضي الله عنه جزت من بغداد أريد الرباط إلى عبادان لأصوم بها رجب وشعبان فاتفق لي في طريقي على الجرجاني وكان من الزهاد الكبار فدنا وقت افطاري وكان معي ملح مدقوق وأقراص فقال بملحك مدقوق ومعك ألوان من الطعام لن تفلح ولن تدخل في ضمن المحبين فنظرت إلى مزود كان معه فيه سويق الشعير فتعجبت منه وقلت ما دعاك إلى هذا قال إني حسبت ما بين المضغ والسف سبعين تسبيحة فاستخففت الخبز منذ أربعين سنة وفي الخبر ما من ساعة تأتي على العبد لا يذكر الله تعالى فيها إلا كانت عليه حسرة ويقال إن العبد تعرض عليه ساعات يومه والليلة فيراها خزائن مصفوفة أربعاً وعشرين خزانة فيرى في كل خزانة نعيماً ولذة وعطاء وجزاء لما كان أودعه خزائنه من ساعاته في الدنيا من الحسنات فيسره ذلك ويغبطه فإذا مرت به في الدنيا ساعاته التي لم يذكر الله فيها رآها في الآخرة خزائن فارغة لا عطاء فيها ولا جزاء عليها فيسوؤه ذلك ويتحسر عليه كيف فاته حتى لم يدخر فيها شيئاً فيرى جزاء مقتدر أثم يلقى في تمنيه الرضا والسكون وجاء في الخبر أن أهل الجنة بينما هم في نعيمهم انسطع لهم نور من فوق فإذا منتخاز لهم كما يضيء الشمس والقمر لأهل الدنيا فينظرون إلى رجال من فوقهم أهل عليين يرونهم كما يرون الكوكب الدري في أفق السماء وقد فضلوا عليهم في الأنوار والجمال والنعيم المقيم كما فضل القمر على سائر النجوم فينظرون إليهم يطيرون على نجب تسرح بهم في الهواء يزورون ذا الجلال والإكرام فينادونهم هؤلاء يا إخواننا ما أنصفتمونا كنا نصلي كما تصلون ونصوم كما تصومون فما هذه التي فضلتم بها علينا فإذا النداء من قبل الله تعالى أنهم كانوا يجوعون حين تشبعون ويعطشون حين تروون ويعرون حين تكتسون ويذكرون حين تسكتون ويبكون حين تضحكون ويقومون حين تنامون ويخافون حين تأمنون فلذلك فضلوا عليكم اليوم فذلك قوله تعالى فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون وقال أبو علي الدقاق رضي الله عنه رؤي بعضهم مجتهداً فقيل له في ذلك فقال ومن أولى مني بالجهد وأنا أطمع أن ألحق الأبرار والكبار من السلف قال الله تعالى وفي ذلك فليتنافس المتنافسون وفي معناه أنشدوا

السابق السابق قولاً وفعلاً ● حذر النفس حسرة المسبوق

(ما أحببت شيئاً إلا كنت له عبداً وهو لا يحب أن تكون لغيره عبداً) الحب للشيء يقتضي الانقياد له وشدة العلاقة وأن لا يبقى به بدلاً كما قيل حبك للشيء يعمي ويصم وذلك معنى استعباده للمحب له فمن أحب غير الله عز وجل فقد استعبده ذلك الغير كائناً ما كان والله لا يحب أن تكون لغيره عبداً ولا يرضى بذلك فيصير عبد الدينار تعس عبد الدرهم والزوجة الجميلة تعس وانتكس وقال محمد بن السماك

(ما أحببت شيئاً) من أمور الدنيا (إلا كنت له عبداً) لأن محبتك للشيء تقتضي انقيادك له وشدة علاقتك به وأن لا تبغي به بدلاً كما قيل حبك للشيء يعمي ويصم وهذا معنى استعباده لك فإن أحببت غير الله فقد استعبدك ذلك الغير كائناً ما كان (وهو لا يحب أن تكون لغيره عبداً) أي لا يرضى بذلك وفي الحديث تعس عبد الدينار تعس عبد الدرهم والزوجة الجميلة تعس وانتكس وقال الجنيد إنك لن تكون على الحقيقة عبده وشيء مما دونه لك مسترق وإنك لن تصل إلى صريح الحرية وعليك من حقوق عبوديته بقية المكاتب عبد ما بقي عليه درهم

(لاتنفعه طاعتك) لأنه غني عن العالمين وأعمالهم (ولاتضره معصيتك) لتنزهه تعالى عن أن يصل اليه تكدر من خلقه (وانما أمرك بهذه) أي الطاعة (ونهاك عن هذه) أي المعصية (لما يعود عليك) من المنافع والمصالح في الدارين وذلك على سبيل التفضل منه لا على وجه الايجاب عليه (لايزيد في عزه اقبال من أقبل عليه ولاينقص من عزه ادبار من أدبر عنه) لأن عزه صفة من صفاته الجامعة كالألوهية والكبرياء والعظمة وصفاته تعالى في غاية الكمال والتمام فهي منزهة عن الزيادة والنقصان وهذا تعليل لما قبله من كونه لايعود عليه نفع من عبيده ولايلحقه ضرر منهم (٣٩) (وصولك الى الله) الذي يشير اليه أهل هذه الطريقة هو (وصولك الى العلم به) أي الى مشاهدته بعين بصيرتك مشاهدة تغنيك عن الدليل والبرهان ويعبر عن ذلك العلم بالمشاهدة وبعلم اليقين وبالتحلي بالفيض الرحماني والتعرف العياني والذوق الوجداني وأهل الشهود متفاوتون فمنهم من يحصل له تجلي الأفعال وهو أول التجليات عندهم فيفنى فعله وفعل غيره في فعل الله تعالى فلا يرى فاعلا الا هو ويخرج في هذه الحالة عن التدبير والاختيار وهذه أول مراتب الوصول ومنهم من يحصل له تجلي الصفات فيقف في مقام الهيبة والانس بما يشاهده قلبه من الجلال والجمال وهذه رتبة ثانية من رتب الوصول ومنهم من يرقى الى مقام الفناء مشتملا على باطنه أنوار اليقين والمشاهدة فيغيب في شهوده عن وجوده وهذا ضرب من تجلي الذات لخواص المقربين وهو أيضا رتبة في الوصول وفوق هذا رتبة حق اليقين ويكون من ذلك في الدنيا لمح وهو سريان نور المشاهدة في كلية العبد حتى يحظى به روحه وقلبه ونفسه حتى قالبه وهو من أعلى رتب الوصول قال في عوارف المعارف فاذا تحققت الحقائق يعلم العبد مع هذه الأحوال الشريفة انه في أول المنزل فأين الوصول هيهات منازل طريق الوصول لاينقطع أبد الآباد في عمر الآخرة الأبدي فكيف في العمر القصير الدنيوي اه (والا) ترد بالوصول ما ذكر وهو العلم الحقيقي بالله تعالى بطريق الذوق والوجدان بأن أردنا به الوصول المتعارف وهو وصول الذوات والأجسام فلا يصح (فجل) أي لأنه تعالى (ربنا أن يتصل به شيء أو يتصل هو بشيء) لاحسا وهو ظاهر ولا معنى اذ كيف يتصل من لاشبيه له ولانظير له بمن له شبيه ونظير وشرط الاتصال المداناة في الوصف ولانسبة بين كامل على الاطلاق وناقص على الاطلاق

كتب الى أخ ان استطعت أن لاتكون لغير الله عبدا بما وجدت للعبودية بدا فافعل وقال الجنيد رضي الله عنه انك لن تكون على الحقيقة عبدا وشيء مما دونه لك مسترق وانك لن تصل الى صريح الحرية وعليك من حقوق عبوديتك بقية وسئل عمن لم يبق عليه من الدنيا الا مقدار مص نواة فقال المكاتب عبد ما بقي عليه درهم * ومن الحكايات في هذا المعنى ما ذكر عن أبي عبدالله الرازي نزيل نيسابور قال كساني ابن الانباري صوفا ورأيت على رأس الشبلي قلنسوة ظريفة تليق بذلك الصوف فتمنيت في نفسي أن يكونا جميعا لي فلما قام الشبلي من مجلسه التفت الي فتبعته وكان من عادته اذا أراد أن أتبعه أن يلتفت الي فلما دخل داره دخلت فقال انزع الصوف فنزعته فلفه وطرح عليه القلنسوة ودعا بنار فأحرقهما ومثل هذا انما كان ينكره عليه من لم يعرف مقصوده وفي ذلك شيء كثير ورد عنه ❁ (لاتنفعه طاعتك ولاتضره معصيتك وانما أمرك بهذه ونهاك عن هذه لما يعود عليك) الحق تعالى غني عن أعمال العاملين لأنه منزه عن الأعواض والأغراض فلا تنفعه طاعتك ولا تضره معصيتك وانما أمرك ونهاك لما يعود عليك من المصالح والمنافع في الدارين لا لغير وذلك على سبيل التفضل منه من غير ايجاب عليه وقد تقدم التنبيه على هذا المعنى عند قوله عجب ربك من قوم يقادون الى الجنة بالسلاسل قال في لطائف المنن اعلم رحمك الله أن الله لم يأمر العباد بشيء وجوبا أو يقتضيه منهم ندبا الا والمصلحة لهم في فعل ذلك الأمر ولم يقتض منهم ترك شيء تحريما أو كراهة الا والمصلحة لهم في ترك ما أمرهم بتركه وجوبا أو ندبا ولسنا نقول كما قال من عدل بهم عن طريق الهدى انه يجب على الله رعاية مصالح عباده بل انما نقول ذلك عادة الحق شرعه المتقدم فعلها مع عباده على سبيل التفضل فليت شعري اذا قالوا يجب على الله رعاية مصالح عباده فمن هو الموجب عليه ثم انا نظرنا فرأينا كل ما هو واجب أو مندوب اليه يستلزم الجمع على الله وكل منهي عنه أو مكروه يتضمن التفرقة عنه فاذا مطلوب الله من عباده وجود الجمع عليه لكن الطاعات هي أسباب الجمع ووسائله فلذلك أمر بها والمعصية هي أسباب التفرقة ووسائلها فلذلك نهى عنها اه ❁ (لايزيد في عزه اقبال من أقبل عليه ولاينقص من عزه ادبار من أدبر عنه) عزة الله تعالى صفة من صفات ذاته وصفاته في غاية الكمال والتمام فهي منزهة عن الزيادة والنقصان وسمة العلل وقال رضي الله عنه ❁ (وصولك الى الله وصولك الى العلم به والا فجل ربنا أن يتصل به شيء أو يتصل هو بشيء) الوصول الى الله تعالى الذي يشير اليه أهل هذه الطريقة هو الوصول الى العلم الحقيقي بالله تعالى وهذا هو غاية السالكين ومنتهى سير السائرين وأما الوصول المفهوم بين الذوات فهو مستحيل عنه وقال الجنيد رضي الله عنه متى يتصل من لاشبيه له ولا نظير له بمن له شبيه ونظير هيهات هذا ظن عجيب الا بما لطف

(قربك منه) الذي تشير اليه أهل هذه الطريقة هو (أن تكون لمشاهد القرب) منك قربا معنويا فتستفيد بهذه المشاهدة شدة المراقبة في التأدب بآداب الحضرة (والا) تقل ذلك بل أردنا القرب الذي هو من صفات الأجسام (فمن أين أنت ووجود قربه) قربا حسيا فهو لا يصح (الحقائق) أي العلوم اللدنية التي يقذفها الله تعالى في أسرار العارفين عند براءتهم من الدعوى وتحررهم من رق الأغيار وتعرضهم بسرهم الى نفحات الحق (ترد في حال التجلي) أي تجلي الله على قلوبهم (مجملة) لا تتبين لهم معانيها ولا يدركون جهات حقيقتها لعظم التجلي على قلوبهم (و بعد الوعي) أي زوال ذلك التجلي (يكون البيان) أي تتصرف فيها أذهانهم بالاعتبار والتأمل فيتبين لهم معناها و يظهر لهم موافقتها لما بأيديهم من العلوم العقلية والنقلية حتى انه ربما يجري على لسان بعضهم كلام كثير لا يلقي له بالا فاذا فرغ من ذكره وتأمله وجده صحيحا مثال ذلك ما وقع من الحلاج من قوله ما في الجبة الا الله فان هذا قاله لعظم التجلي عليه فاذا زال وتأمل فيه وجد معناه صحيحا لأن معناه أنه لا قائم بالأشياء الا هو سبحانه وهذا معنى صحيح يوافق الشريعة وكذا قول بعضهم أنا اللوح أنا القلم فان ذلك لعظم التجلي عليه وغيبته عن حسه يرى أن نفسه عين تلك الأشياء فاذا زال وتأمل فيه وجد معناه صحيحا أي أن المتجلي علي وهو الله شارك في اللوح والقلم وغيرهما وأشار بذلك الى المسئلة المتعارفة بينهم من موافقة الحقيقة

الحقيقة للشريعة حيث قالوا حقيقة بلا شريعة باطلة وشريعة بلا حقيقة عاطلة ثم استدل على ذلك بقوله تعالى (فاذا قرأناه) أي أقرأناه لك على لسان جبريل (فاتبع قرآنه) أي فاستمع لقراءته ثم اقرأه بعد ذلك (ثم ان علينا بيانه) أي بيان معانيه لك فقد جعل بيان المعنى بعد قراءته المقارنة للتجلي الالهي

اللطيف من حيث لا ادراك ولا وهم ولا احاطة الا اشارة اليقين وتحقيق الايمان قال الشيخ أبو حفص عمر بن محمد بن عبدالله السهروردي صاحب كتاب عوارف المعارف رحمه الله واعلم أن الاتصال والمواصلة أشار اليهما الشيوخ وكل من وصل الى صفو اليقين بطريق الذوق والوجدان فهو رتبة في الوصول ثم يتفاوتون فمنهم من يجد الله بطريق الأفعال وهو رتبة في التجلي فيفنيه فعله وفعل غيره لوقوفه مع فعل الله تعالى ويخرج في هذه الحالة عن التدبير والاختيار وهذه رتبة في الوصول ومنهم من يوقف في مقام الهيبة والانس بما يكاشفه قلبه من مطالعة الجلال والجمال وهذا تجل بطريق الصفات وهو رتبة في الوصول ومنهم من يرقى الى مقام الفناء مشتملا على باطنه أنوار اليقين والمشاهدة مغيبا في شهوده عن وجوده وهذا ضرب من تجلي الذات لخواص المقربين وهذه رتبة في الوصول وفوق هذا رتبة حق اليقين ويكون من ذلك في الدنيا لمح وهو سريان نور المشاهدة في كلية العبد حتى يحظى به روحه وقلبه ونفسه حتى قالبه وهذا من أعلى مراتب الوصول فاذا تحققت الحقائق يعلم العبد مع هذه الأحوال الشريفة أنه في أول المنزل فأين الوصول هيهات منازل طريق الوصول لا تنقطع أبد الآباد في عمر الآخرة الأبدي فكيف بالعمر القصير الدنيوي ﴿قربك منه أن تكون مشاهدا لقربه والا فمن أين أنت ووجود قربه﴾ القرب الحقيقي قرب الله منك قال الله تعالى واذا سألك عبادي عني فاني قريب وقال تعالى ونحن أقرب اليه منكم ولكن لا تبصرون وقال عز من قائل ونحن أقرب اليه من حبل الوريد وحظك من ذلك انما هو مشاهدتك لقربه فقط فتستفيد بهذه المشاهدة شدة المراقبة وغلبة الهيبة والتأدب بآداب الحضرة وأما أنت فلا يليق بك الا وصف العبد وشهوده من نفسك كما قال المؤلف رحمه الله تعالى بعد هذا الهي ما أقربك مني وما أبعدني عنك ﴿الحقائق ترد في حال التجلي مجملة وبعد الوعي يكون البيان فاذا قرأناه فاتبع قرآنه ثم ان علينا بيانه﴾ حقائق العلوم اللدنية التي يقذفها الحق تعالى في أسرار العارفين عند براءتهم من الدعوى وتحررهم من رق الأشياء وتعرضهم بالاضطرار والافتقار لما يفتح عليهم المولى يكرمهم الحق تعالى بها تحقيقا للوعد لهم من غير تعلم ولا دراسة وعند ورودها عليهم وتجليها لهم تكون مجملة لا تتبين لهم معانيها ولا يدركون جهات حقيقتها فاذا وعوها وتصرفت فيها أذهانهم بالاعتبار والتأمل تبين لهم معناها وظهر لهم موافقتها لما بأيديهم من العلوم العقلية والنقلية من غير مخالفة حتى ان بعضهم ربما يجري على لسانه وبنانه كلام كثير من غير أن يلقي له بالا فاذا فرغ من ذكره أو رسمه تصفحه وتأمله فيجده صحيحا مستقيما وقد أخبرني بنحو ذلك من له قدم صدق في هذا الطريق عن نفسه قال الامام أبو القاسم القشيري رضي الله عنه وأصحاب الحقائق يجري بحكم التصرف عليهم شيء لا علم لهم به على التفصيل وبعد ذلك يكشف لهم وجهه فربما يجري على لسانهم شيء لا يدرون وجهه ثم بعد فراغهم عن النطق به يظهر لقلوبهم برهان ما قالوه من شواهد العلم ما يحقق ذلك يجريان الحال في ثاني الوقت انتهى كلام الامام أبي القاسم وهو موافق لما ذكره المؤلف رحمه الله تعالى والله تعالى أعلم وكأنهما أشارا بذلك الى المسئلة المتعارفة بينهم من موافقة

(متى وردت الواردات) وهي التجليات (الالهية) ويعبر عنها بالأحوال أيضا وقوله (عليك) متعلق بوردت أي وردت على قلبك من قبل الحق فأحدثت فيه أحوالا سنية (هدمت) أي أزالت (العوائد عليك) أي الأمور التي كانت معتادا لها وهي رعونات نفسك لأن لها سلطنة عظيمة فاذا وردت على قلب مشحون بأنواع الخبائث والرذائل أزالت ذلك وأثبتت عوضا منه أحوالا علية وأوصافا مرضية (انّ) أي لأن (الملوك) أي جنودهم (اذا دخلوا قرية أفسدوها) أي أزالوا ما تلبس به أهلها من النعيم وكذلك الواردات الالهية شبيهة بجنود الملك اذا حلت قلبا قهرت ما فيه وأزالته وهذا جواب عما يقال ان العوائد مما جبلت عليه الطبائع فكيف تزيلها الواردات وحاصل الجواب أن الوارد له القهر كجند الملك ووضح ذلك بقوله (الوارد يأتي من حضرة

(٤١)

قهار) أي أن له القهر والغلبة لوروده من حضرة اسمه القهار والقهار هو الغالب الذي لا يغلب (لأجل ذلك لا يصادمه شيء) من رعونات البشرية (الا دمغه) أي أزاله ومعناه في الأصل أصاب دماغه بالضرب ويلزم منه اتلافه واذهابه وهو أيضا حق ورد على باطل والباطل لا ثبات له مع الحق قال تعالى (بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فاذا هو زاهق كيف يحتجب الحق) أي الله (بشيء) من الموجودات العلوية والسفلية (والذي) أي والحال أن الذي (يحتجب) الله تعالى (به هو) أي الله (فيه ظاهر) أي ظاهر فيه تشاهده أرباب البصائر (وموجود حاضر) مدرك لهم فكيف يكون ما هو ظاهر فيه حجابا له حتى يستدل عليه به هل ذلك الا من عمى البصائر وعدم رؤيته في كل شيء كما تقدم (لا تيأس من قبول عمل لم تجد فيه وجود الحضور) بقلبك مع الله حال فعله بأن تكون ملاحظا انك حاضر بين يديه غير غائب عنه كأنك تراه كما في الحديث فان ذلك دليل على قبوله ولا يلزم من فقد الدليل فقد المدلول ولذلك قال (فربما قبل من العمل مالم تدرك ثمرته) أي ثمرة قبوله أي علاماته (عاجلا) أي حال فعله ومن علامة قبوله أيضا وجدان حلاوته واستلذاذ قلبه به حال فعله كما مرّ وقوله كيف يحتجب الحق الى هنا معترض بين الكلام على الوارد ثم تممه بقوله (لا تزكين واردا) أي لا تفرح به وتمدحه في سرك (لا تعلم ثمرته) فاذا ورد عليك وارد الهي أي تجل الهي ملك قلبك ويعبر عنه بالحال لكن لم يتأثر قلبك بحيث تحب الاقبال على المولى وتنهض لطاعته وتقوم بحقوق ربوبيته فلا تفرح بذلك الوارد لأن ثمرته ما هي تأثر القلب به وتبدل صفاته المذمومة بصفات محمودة كما مر فان لم توجد هذا عندك فلا تفرح به فان في ذلك نوعا من الاغترار

الحقيقة للشريعة وقد عبروا عن ذلك بعبارات فقد سئل عبد الله بن طاهر الأبهري رضي الله عنه عن الحقيقة فقال الحقيقة كلها علم فسئل عن العلم فقال العلم كله حقيقة وقال الشبلي رضي الله عنه الألسنة ثلاثة لسان علم ولسان حقيقة ولسان حق فلسان العلم ما تأدى الينا بالوسائط ولسان الحقيقة ما أوصله الله الى الأسرار بلا واسطة ولسان الحق ليس اليه طريق وقال رويم رضي الله عنه أصح الحقائق ما قارن العلم وقال أبو بكر الوراق رضي الله عنه كنت في تيه بني اسرائيل فوقع في قلبي أن علم الحقيقة خلاف علم الشريعة فاذا شخص تحت شجرة أم غيلان صاح بي وقال يا أبا بكر كل حقيقة تخالف الشريعة فهي كفر والاشارة المؤلف رحمه الله بالآية التي ذكرها الى هذا المعنى بينة ۞ (متى وردت الواردات الالهية عليك هدمت العوائد عليك ان الملوك اذا دخلوا قرية أفسدوها) الواردات الالهية على العبد تمحو عنه جميع رعوناته وتهدم عليه مستمر عاداته ولها سلطنة عظيمة على ذلك فاذا وردت على قلب مشحون بأنواع الخبائث والرذائل أزالتها عنه ثم قوّت وأثبتت عوضا عن ذلك أحوالا علية وأوصافا مرضية أنشدني سيدي أبو العباس المرسي رضي الله عنه في هذا المعنى

لو عاينت عيناك يوم تزلزلت ۞ أرض النفوس ودكت الأجبال
لرأيت شمس الحق يسطع نورها ۞ حين التزلزل والرجال رجال

الأرض أرض النفوس والجبال جبال العقل والشمس شمس المعرفة والاشارة بالآية الى هذا المعنى بينة ۞ (الوارد يأتي من حضرة قهار لأجل ذلك لا يصادمه شيء الا دمغه بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فاذا هو زاهق) الوارد موسوم بسمة القهر والغلبة لوروده من حضرة القهار الغالب على أمره لأجل ذلك لا يصادمه شيء من رعونات البشرية الا دمغه وأزاله وهو أيضا حق ورد على باطل والباطل لا ثبات له مع الحق والاشارة بالآية الى هذا المعنى بينة ۞ (كيف يحتجب الحق بشيء والذي يحتجب به هو فيه ظاهر وموجود حاضر) قد أشبع المؤلف رحمه الله تعالى الكلام على هذا المعنى في أول الكتاب وأتى فيه بالعجب العجاب وقد نبهنا عليه هناك ۞ (لا تيأس من قبول عمل لم تجد فيه وجود الحضور فربما قبل من العمل ما لم تدرك ثمرته عاجلا) والعمل الذي لا تجد صاحبه حضورا فيه ينبغي له أن لا ييأس من قبوله فان ذلك الى الله تعالى فقد يقبل من العمل ما لم يدرك ثمرته عاجلا من وجدان حضور أو حلاوة أو غير ذلك ولو لم يكن الا قصد التقرب به وسقوطه عن نظره وقد تقدم التنبيه على هذا المعنى عند قوله لا عمل أرجى للقلوب ۞ (لا تزكين واردا لا تعلم ثمرته

(فليس المراد من السحابة الأمطار وانما المراد منها وجود الأثمار) أى انها مرادة لوجود الأثمار الذى اقتضاه وجود امطارها الأمجرد وجود أمطارها وكذلك الوارد مراد لثمرته لا لوجود حظ نفسك فيه فان كثيراً ممن يحصل عندهم تلك الأحوال القلبية يغترون بها ويتركوا الأعمال الظاهرة مع وجود عقلهم (لا تطلبن بقاء الواردات) أى التجليات والأحوال القلبية (بعد أن بسطت أنوارها عليك) وأنوارها هى تكيف ظاهرك وباطنك بكيفيات العبودية (وأودعت) فيك (أسرارها) وهى ما لاح

(٤٢)

قلبك من عظمة الربوبية فاذا أفادك الوارد هذه الفوائد فلا تطلبن بقاءه حال وجودها ولا تحزن على فقده اذا فقدته (فلك فى الله غنى عن كل شئ وليس يغنيك عنه شئ) كما قيل

لكل شئ اذا فارقته عوض (بسيط)
وليس لله ان فارقت من عوض

فالله تعالى انما أدخلك فى الحال لتأخذ منها لا لتأخذ منك لأنها جاءت حاملة هدية التعريف من الله اليك فاذا أوصلت اليك ما كان فيها فلا تطلب بقاءها اذ لا يطلب بقاء رسول بعد أن بلغ رسالته ولا أمين بعد أن أدى أمانته فان طلبت بقاءها كنت عبد الحال لا عبد المحول ثم أقام دليلا على ذلك بقوله (تطلعك الى بقاء غيره) من الواردات المذكورة وغيرها كالأنوار والمقامات والنعم الباطنة والظاهرة (دليل على عدم وجدانك له) اذ لو وجدته فى قلبك والجمع عليه سرك لم تطلب بقاء غيره (واستيحاشك لفقدان ما سواه) كالواردات المذكورة وجدان (دليل على عدم وصلتك به) أى وصولك اليه اذ لو وصلت اليه لنسيت كل محبوب ولم تستوحش عند فقد شئ سواه فالسالك اذا وردت على قلبه واردات الهية وبسطت فيه أنوارها وأودعت فيه أسرارها وحدثته نفسه بأنه من الواصلين فان كان يتطلع ويتشوف الى شئ من الاغيار المحبوبة أو يستوحش لفقدانه فذلك دليل على عدم تحققه بهذا المقام الشريف قال الجنيد قدس سره انك لن تكون له على

فليس المراد من السحابة الأمطار وانما المراد منها وجود الأثمار) الوارد مراد لثمرته لا لوجدان حظ نفسك منه كما أن السحابة مرادة لوجدان الأثمار الذى اقتضاه وجود أمطارها لا لمجرد وجود أمطارها وثمرة الوارد انما هى تأثر القلب به وتبدل صفاته المذمومة بصفات محمودة كما تقدم فان لم تعلم وجود هذا فيك فلا تركن الى الوارد ولا تفرح به فان فى ذلك نوعاً من الاغترار وانخداعاً بلبسة الاظهار فكن على حذر منه ۞ (لا تطلبن بقاء الواردات بعد أن بسطت أنوارها وأودعت أسرارها فلك فى الله غنى عن كل شئ وليس يغنيك عنه شئ) أنوار الواردات المنبسطة على العبد هى تكيف ظاهره وباطنه بكيفيات العبودية وأسرارها المودعة فيه ما لاح له من عظمة الربوبية فاذا أفادك الوارد هذه الفوائد فلا تطلبن بقاءه فى حال كونه ولا تأس على فقده اذا فقدته فان لك فى الله غنى عنه وعن غيره وليس لك غنى عن الله تعالى بشئ من الأشياء كما قال الشاعر

(بسيط)
لكل شئ اذا فارقته عوض * وليس لله ان فارقت من عوض

قال أبو عبد الله بن عطاء الله رضى الله عنه اياك أن تلاحظ مخلوقاً وأنت تجد الى ملاحظة الحق سبيلا ويدخل فى هذا المعنى الذى ذكره ابن عطاء الله رضى الله عنه جميع الأغيار والأنوار والمقامات والأحوال والدنيا والآخرة والنعم الباطنة والظاهرة فلا تلاحظ شيئاً من ذلك ولا تركن اليه ولا تعتمد عليه حتى أو ذهب فان ذلك قادح فى اخلاص التوحيد قال فى التنوير واعلم أن البارى سبحانه انما يدخلك فى الحال لتأخذ منها لا لتأخذ منك وانما جاءت تحمل هدية التعريف من الله اليك فيها فتوجه اليها باسمه المبدى فأبداها وأبقاها حتى اذا أوصلت اليك ما كان لك فيها فلما أدت الأمانة توجه اليها باسمه المعيد فأرجعها وتوفاها فلا تطلبن بقاء رسول بعد أن بلغ رسالته ولا أمين بعد أن بلغ أمانته وانما يفتضح المدعون بزوال الأحوال وبنزولهم عن مراتب الأنزال فهناك يبدو العوار وتنهتك الأستار فكم من مدعى الغنى بالله وانما غناه بطاعته أو بنوره أو فتحه وكم ممن مدعى العز بالله وانما اعتزازه بمنزلته وصولته على الخلق معتمداً على ما ثبت عندهم من معرفته فكن عبد الله لا عبد العلل وكما كان الله لك ربا بلا علة فكن عبد اله بلا علة لتكون له كما كان لك اه وقال سيدى أبو العباس المرسى رضى الله عنه عبد هو فى الحال بالحال وعبد هو فى الحال بالمحول فالذى هو فى الحال بالحال عبد الحال والذى هو فى الحال بالمحول عبد المحول وأمارة من هو فى الحال بالحال أن يأسى عليها اذا فقدها ويفرح بها اذا وجدها والذى هو فى الحال بالمحول لا يفرح بها اذا وجدت ولا يحزن عليها اذا فقدت وفى الاشارات عن الله سبحانه لا تركن الى شئ دوننا فانه وبال عليك وقاتل لك فان ركنت الى العلم تتبعناه عليك وان أويت الى العمل رددناه عليك وان وثقت بالحال وقفناك معه وان أنست بالوجد استدرجناك فيه وان لحظت الى الخلق وكلناك اليه وان اغتررت بالمعرفة نكرناها عليك فأى حيلة لك وأى قوة معك فارضنا لك رباً حتى نرضاك لنا عبداً ۞ (تطلعك الى بقاء غيره دليل على عدم وجدانك له واستيحاشك لفقدان ما سواه دليل على عدم وصلتك به)

الحقيقة عبداو شيء مما سواه الك مسترق وانك ان تصل الى صريح الحرية وعليك من حقوق عبوديته بقية (النعيم) اى نعيم الدنيا والآخرة اى التنعم والتلذذ بما فيهما من الملابس والمطاعم والحور والولدان والقصور (وان تنوعت مظاهره) اى مواضع ظهوره وهى الامور المذكورة التى يتنعم بها ظاهرا (فانما هو) اى النعيم بمعنى التنعم والتلذذ (بشهوده) تعالى (واقترابه) اى انما يكون نعيما حقيقيا اذا كنت حال ملابستك لتلك الاشياء مشاهدا له وحاضرا معه فان لم تكن بتلك الحالة فليس ذلك بنعيم حقيقة بل هو عذاب (العذاب) اى التألم (وان تنوعت مظاهره) من الضرب والجحيم والسلاسل وغيرها (انما هو) اى العذاب بمعنى التألم (بوجود حجابه) تعالى اى انما يكون تألما حقيقة اذا كنت حال ملابستك لتلك الاشياء محجوبا عنه وكان غائبا عنك فان كنت مشاهدا له فليس ما انت فيه عذابا حقيقة بل هو نعيم (فسبب العذاب) اى التألم (وجود الحجاب واتمام النعيم) اى النعيم التام اى التلذذ والتنعم (بالنظر الى وجهه الكريم) اى مشاهدته بعين البصيرة فى الدنيا وبالبصر فى الآخرة وحاصله ان النعيم محصور فى شهود الرب والتألم فى الحجاب

وجدان العبد لربه ووصوله اليه هو غاية مطالبه ومنتهى آماله ومآربه وبه يفوز بالنعيم ويحظى بالملك العظيم وعند ذلك ينسى كل محبوب ويلهى عن كل مفروح به ومرغوب وهذه هى صفة أهل التفريد الذين استهتروا فى ذكر الله المجيد كما روى عن أبى عبد الله البسرى رضى الله عنه قال سألت رجلا بالشام ما الذى أجلسك فى هذا الموضع فقال لى وما سؤالك عن شىء ان طلبته لم تدركه وان لحقته لم تقع عليه قلت تخبرنى ما هو قال تعلمنى بأن محالسة الله تستغرق نعيم الجنان ثم قال آواه قد كنت أظن أن نفسى ظفرت ومن الخلق هربت فاذا أنا كذاب فى مقالتى لو كنت محبا لله صادقا لما اطلع على أحد فقلت أما علمت أن المحبين خلفاء الله فى أرضه مستأنسين بخلقه يبعثونهم على طاعته فصاح صيحة وقال لى يا مخدوع لو شممت رائحة الحب وعاين قلبك ما وراء ذلك من القرب ما احتجت أن ترى فوق ما رأيت ثم قال يا سماء ويا أرض اشهدا أنى ما خطر على قلبى ذكر الجنة والنار قط ان كنت صادقا فأمتنى فوالله ما سمعت له كلاما بعدها وخفت أن يساء الظن من الناس من قتله فتركته ومضيت فبينما أنا على ذلك واذا أنا بجماعة فقالوا اما فعل الفتى فكنيت عن ذلك فقالوا ارجع فان الله قد قبضه فصليت معهم عليه فقلت لهم من هذا الرجل ومن أنتم قالوا ويحك هذا رجل به كان قد يمطر المطر قلبه على قلب ابراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام أما رأيته يخبر عن نفسه أن ذكر الجنة والنار ما خطر على قلبه فهل كان أحد كذا الا ابراهيم الخليل عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام فقلت من أنتم قالوا نحن السبعة المخصوصون من الابدال قلت علمونى شيئا قالوا لا تحب أن تعرف ولا تحب أن يعرف أنك ممن يحب أن لا يعرف ذى مثل هذا الحال أنشدوا

كانت لقلبى أهواء مفرقة • فاستجمعت اذ رأتك العين أهوائى

فصار يحسدنى من كنت أحسده • وصرت مولى الورى مذ صرت مولائى

تركت للناس دنياهم ودينهم • شغلا بذكرك يا دينى ودنيائى

وقد سئل العبد أبو سليمان الدارانى رضى الله عنه عن أقرب ما يتقرب به العبد الى الله تبارك وتعالى فقال أقرب ما يتقرب به اليه أن يطلع الله على قلبه وهو لا يريد من الدنيا والآخرة غيره فهذه هى العلامة الصادقة والدلالة القاطعة على التحقق بهذا المقام العظيم فان كان له شعور بشىء من الاغيار المحبوبة فتطلع الى بقائها أو استوحش لفقدانها فذلك دليل على عدم تحققه بذلك فليعرف منزلته وحده وليعمل فى تصحيح هذا المقام جهده • وقال رضى الله عنه ۞ (النعيم وان تنوعت مظاهره انما هو لشهوده واقترابه والعذاب وان تنوعت مظاهره انما هو لوجود حجابه فسبب العذاب وجود الحجاب واتمام النعيم بالنظر الى وجهه الكريم) مظاهر النعيم المتنوعة هى ما ورد من أنواع الثواب فى الدار الآخرة من الحور والقصور والولدان والغلمان والمآكل والمشارب والملابس الى غير ذلك من أنواع المسرات واللذات ومظاهر العذاب المتنوعة هى ما ورد من أنواع العقاب فيها من الجحيم والحميم والزقوم والحيات والعقارب والسلاسل والاغلال والانكال وغير ذلك من أنواع الآلام والعقوبات وليس وجود النعيم والعذاب بسبب وجود هذه الاشياء ومباشرتها للمنعم والمعذب وانما ذلك لما تضمنته وظهر فيها من وجود قرب الله تعالى وشهوده للمنعم أو وجود حجابه واعراضه عن المعذب فهذان الامران بهما يقع النعيم والعذاب على التحقيق ۞ (ما تجده القلوب من الهموم والاحزان فلاجل ما منعت من وجود العيان) وجود الهموم والاحزان الدنيوية والاخروية من نتائج رؤية النفس واعتبارها وبقاء حظها

عنه وأما ما يتنعم به ظاهرا أو يعذب به ظاهرا فليس بنعيم ولا عذاب بالنظر الى ذاته (ما تجده القلوب من الهموم والاحزان) الدنيوية (فلاجل ما منعت من وجود العيان) اى معاينة الرب ومشاهدته بعين البصيرة والا لم يحصل عندها هم ولا حزن على فوات شىء من أنيابه

واعتبارها وبقاء حظها فلو غاب الشخص عن رؤية نفسه بمعاينة سيده لكان وهو الذي منع العبد من وجود العيان فلو فني عن رؤية نفسه وذهب عن مراعاة حظه لظفر بوجود العيان ولم يكن له غم ولا حزن البتة ويكون متصل الحبور دائم الفرح والسرور كما قال تعالى لا تحزن ان الله معنا في المعية المذكورة لا يجتمع معها حزن وهم وهي ما قلناه من وجود العيان والعيان والله أعلم درجة فوق درجة اليقين كما قال الشاعر

كر العيان علي حتى انه * صار اليقين من العيان توهما

(قال) الشبلي رضي الله عنه من عرف الله لا يكون له غم أبدا وقيل أوحى الله تعالى الى داود عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام يا داود ان محبتي في خلقي أن يكونوا روحانيين وللروحانيين علامة أن لا يغتموا وأنا مصباح قلوبهم يا داود لا تمزج الهم بقلبك فينقص ميراث حلاوة الروحانيين وسيأتي في كلام المؤلف رحمه الله أوحى الله الى داود عليه السلام بي فافرح وبذكري فتنعم فباستنارة القلب بنور المعرفة واحتظائه بوجود العيان والرؤية يخرج منه الهم ويحل محله الروحانية على أن في وجود الهموم والأحزان لمن لم يبلغ هذا المقام اذا لم يقدر على دفعها عن نفسه فوائد جزيلة لا ينبغي أن تستحقر من قبل أنها موجبة لخمود النفس وصفاء القلب وزوال الأشر والبطر والفرح بالدنيا ثم هي كفارات ان كانت في الأمور الدنيوية ودرجات ان كانت في الأمور الأخروية والهم متعلق بما يكون في المستقبل والحزن متعلق بما يكون في الماضي ۞ (من تمام النعمة عليك أن يرزقك ما يكفيك ويمنعك ما يطغيك) وجدان الكفاية من الرزق وعدم الزيادة عليها والنقصان منها من نعم الله تعالى التامة الكاملة على العبد لما له في ذلك من حصول جميع المصالح الدينية والدنيوية أما مصالح الدين في عدم الزيادة على الكفاية فظاهر اذ لو وجدها ربما أوجب له ذلك طغيانا كما قال الله تعالى كلا أن الانسان ليطغى أن رآه استغنى فالاستغناء هو وجود الزيادة على الكفاية وهو سبب الطغيان والطغيان أصل كل معصية لله عز وجل وقصة ثعلبة بن حاطب حين طلب الدعاء من النبي صلى الله عليه وسلم أن يرزقه الله مالا وما آل اليه أمره أمر مشهور * وقال ابن أبي وقاص رضي الله عنه سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول خير الرزق ما يكفي وخير الذكر الخفي وفي حديث أبي الدرداء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال ما طلعت شمس ولا غربت الا بجنبتيها ملكان يناديان يسمعان الخلائق غير الثقلين يا أيها الناس هلموا الى ربكم فان ما قل وكفى خير مما كثر وألهى أو كما قال صلى الله عليه وسلم وأما مصالح الدنيا في ذلك فسيأتي التنبيه عليها في قول المؤلف رحمه الله تعالى ليقل ما تفرح به يقل ما تحزن عليه وأما مصالح الدين عند وجود الكفاية وعدم النقصان منها فمن أجل توصله بذلك الى الاستعانة بها على طاعة الله تعالى ولأجل ذلك عظمت النعمة بها على العبد قال الله تعالى وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا أي لا تنس نصيبك في الآخرة أن تتوصل اليه بما آتاك الله من الدنيا وأما مصالح الدنيا في ذلك فظاهر لا يحتاج الى التنبيه عليه اذ بذلك يحصل له طيب العيش وراحة القلب والبدن وصيانة الوجه عن ذل المسئلة عند وجود الحاجة والفاقة فعلى العبد أن يشكر الله تعالى على هذه النعمة العظيمة ويقنع بما أباح له من هذه المنة الجسيمة فيستعمل بذلك راحة نفسه والاستغناء عن بني جنسه ويحصل له بذلك حلاوة الزهد في الأمور العاجلة وتجافي القلب عن زهراتها فان طلب الزيادة من الدنيا ولم يقنع بما قسم له منها خيف عليه من اقتحام المهالك اذ يجره الحرص والطمع الى ذلك (قال) بعض العارفين كل من لا يعرف قدر ما زوى عنه من الدنيا ابتلي بأحد وجهين اما بحرص مع فقر ينقطع به حسرات أو رغبة تنسيه شكر ما أنعم به عليه وقد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ليس الغنى عن

كثرة

فوجدانهما من نتائج رؤية النفس دائم الفرح والسرور كما قال تعالى لا تحزن أن الله معنا فمن استنار قلبه بنور المعرفة لا يكون عنده غم أبدا لكن في وجود الهموم والاحزان لمن لم يبلغ هذا المقام اذا لم يقدر على دفعها عنه فوائد جليلة لأنها توجب خمود النفس وصفاء القلب وزوال الأشر والبطر والفرح بالدنيا والهم ما يتعلق بما يكون في المستقبل والحزن ما يتعلق بما يكون في الماضي ويصح أن يكون هذا شاملا للأمور الأخروية أيضا فأهل النار لا يحصل للواحد منهم هم ولا حزن الا اذا لم يشاهد مولاه فان شاهده لم يحصل عنده ذلك بل يكون العذاب في حقه عذوبة (من تمام النعمة عليك أن يرزقك ما يكفيك) من غير زيادة ولا نقصان (ويمنعك ما يطغيك) أي يوقعك في الطغيان وهو كثرة المال قال تعالى كلا ان الانسان ليطغى أن رآه استغنى وفي الحديث ما قل وكفى خير مما كثر وألهى وأما ما نقص عن الكفاية فقد يكون معه اشتغال عن طاعة الرب فليس ذلك من تمام النعمة ولما كان ذلك هو المناسب لحال المريد الصادق لم يقل ويمنعك ما يطغيك أو يقلل رزقك عن كفايتك

كثرة العرض وانما الغنى غنى النفس وغنى النفس عن الدنيا أشرف الأولياء المختارين وعز أهل التقوى من المؤمنين المحسنين ولقد صدق الشاعر في قوله

غنى النفس ما يكفيك من سد خلة ● فان زدت شيئا عاد ذاك الغنى فقرا

(يحكى) عن بنان الحمال رضي الله عنه أنه قال كنت مطروحا طاويا على باب بني شيبة سبعة أيام لم أذق شيئا فنوديت في سري ان من أخذ من الدنيا فوق ما يكفيه أعمى الله عيني قلبه وقال عبد الواحد بن زيد رضي الله عنه ذكر لي أن في خرائب الاٮجار بها مجنونة تنطق بالحكمة فلم أزل أطلبها حتى وجدتها في خربة جالسة على حجر وعليها جبة صوف وهي محلوقة الرأس فلما نظرت الي قالت لي من غير أن أكلمها مرحبا بك يا عبد الواحد قال فقلت رحب الله بك وعجبت من معرفتها لي ولم ترني قبل ذلك فقالت ما الذي جاء بك ههنا قلت جئت لتعظيني قالت واعجبا لواعظ يوعظ ثم قالت يا عبد الواحد اعلم أن العبد اذا كان في كفاية ثم مال الى الدنيا سلبه الله سبحانه وتعالى حلاوة الزهد فيظل حيران والها فان كان له عند الله نصيب عاتبه في سره فقال عبدي أردت أن أرفع قدرك عند ملائكتي وحملة عرشي وأجعلك دليلا لأوليائي وأهل طاعتي في أرضي فملت الى عرض من أعراض الدنيا وتركتني فورثتك بذلك الوحشة بعد الانس والذل بعد العز والفقر بعد الغنى عبدي ارجع الى ما كنت عليه ارجع اليك ما كنت تعرفه من نفسك قال ثم تركتني وولت عني فانصرفت وبقلبي حسرة منها ● وفي بعض الكتب ان أهون ما أصنع بالعالم اذا مال الى الدنيا أن أسلبه حلاوة مناجاتي ● وذكر أبو ابراهيم اسحق بن ابراهيم التجيبي القرطبي المالكي رحمه الله في كتاب النصائح له عن أبي عبد ربه الشامي ثم الدمشقي أنه كان من أكثر أهل دمشق مالا فخرج مسافرا فأمسى الى جانب نهر ومرعى فنزل به قال فسمعت صوتا يكثر حمد الله تعالى في ناحية المرج فاتبعته فوافيت رجلا ملفوفا في حصير فسلمت عليه فقلت من أنت يا عبد الله فقال رجل من المسلمين فقلت ما حالك قال حال نعمة يجب على حمد الله عليها قال فقلت وكيف وانما أنت في حصير قال ومالي لا أحمد الله تعالى وقد خلقني فأحسن خلقي وجعل منشئي ومولدي في الاسلام وألبسني العافية في أركاني وستر علي ما أكره ذكره ونشره فمن أعظم نعمة ممن أمسى في مثل ما أنا فيه فقلت له ان رأيت رحمك الله أن تقوم معي الى المنزل فانا نزول على النهر ههناك قال ولم قلت لتصيب من الطعام ونعطيك ما يغنيك عن لبس الحصير قال ما لي فيه من حاجة فراودته على أن يتبعني فأبى فانصرفت وقد تقاصرت في نفسي ومقتها اذا لم أخلف بدمشق رجلا يكاثرني في غنى وأنا التمس الزيادة فقلت اللهم اني أتوب اليك من سوء ما أنا فيه فبت لا يعلم اخواني ما أجمعت عليه فلما كان من السحر رحلوا كنحو رحلتهم فيما مضى وقدموا الى دابتي فصرفتها الى دمشق فقلت ما أنا بصادق في التوبة ان مضيت الى متجري فسألني القوم فأخبرتهم وعاتبوني على المضي فأبيت فلما قدم دمشق وضع يده يتصدق بماله فما زال يفرقه في سبيل الخيرات حتى احتضر فما وجدوا عنده الا قدر ثمن الكفن زاد غير أبي ابراهيم وكان يقول يعني أبا عبد ربه المذكور والله لو أن نهركم يعني نهر دمشق سال ذهبا ما خرجت اليه ولا أخذت شيئا منه ولو قيل لي من مس هذا العمود مات لقمت اليه وعانقته شوقا الى الله ورسوله ● (ليقل ما تفرح به يقل ما تحزن عليه) ودرء المفاسد عند العقلاء أهم من جلب المصالح فمن زوى الله تعالى عنه فضول الدنيا فرضي بذلك وقنع منها باليسير ولم يتطلع الى الزيادة من مال أو جاه فهو كامل العقل حسن النظر لنفسه لأنه دفع عن نفسه مفسدة وجود الحزن بتركه لما يفيده حصول مصلحة الفرح الذي يزول عن قرب واعتاض من ذلك الراحة الدائمة كما قيل

ومن سره أن لا يرى ما يسوءه ● فلا يتخذ شيئا يخاف له فقدا

(ليقل ما تفرح به) من المال ونحوه (يقل ما تحزن عليه) فمن زوى الله عنه فضول الدنيا فرضي بذلك وقنع منها باليسير ولم يتطلع الى الزيادة من مال أو جاه فهو كامل العقل حسن النظر لنفسه لأنه تدفع عنها مفسدة وجود الحزن بتركه ولم ينظر الى حصول مصلحة الفرح بوجود الذي يزول عن قريب ودرء المفاسد مقدم عند العقلاء على جلب المصالح والمفروح به هو المحزون عليه ان قليلا فقليل وان كثيرا فكثير

فإنّ صلاح المرء يرجع كلّه ✱ فساداً إذا الانسان جاز به الحدّا

وقيل لبعضهم لم لا تغتم فقال لأني لا أقتني ما يغمني فقده فالمفروح به هو المحزون عليه ان قليلا فقليل وان كثيرا فكثير كما قيل

على قدر ما أولعت بالشيء حزنه ✱ ويصعب نزع السهم مهما تمكنا

يحكى أن رجلا حمل الى بعض الملوك قدحا من فيروزج مرصعا بالجواهر لم ير له نظير ففرح الملك به فرحا شديدا فقال لبعض الحكماء عنده كيف ترى هذا قال أراه مصيبة وفقرا قال وكيف ذلك قال ان انكسر كانت مصيبة لا جبر لها وان سرق صرت فقيرا اليه ولم تجد مثله وقد كنت قبل أن يحمل اليك في أمن من المصيبة والفقر فاتفق أنه انكسر القدح يوما فعظمت مصيبة الملك فيه وقال صدق الحكيم ليته لم يحمل الينا وأمثال هذه المصيبة وأعظم منها نازلة بكل من له علاقة بشيء من أسباب الدنيا فانها ان لم تؤخذ منه بغصب أو سرقة أو جائحة نازلة فلابد أن يؤخذ هو عنها بالموت الهازم للذات المنغص للشهوات فان كان له ألف محبوب مثلا نزل به عند الموت ألف مصيبة في وقت واحد لأنه كان يحبها كلها وقد سلبت منه في كرة واحدة لذلك كان الزهد في الدنيا من قضايا العقل ✱ قال سهل بن عبد الله رضي الله عنه للعقل ألف اسم ولكل اسم منها ألف اسم وأول كل اسم منها ترك الدنيا ✱ وقال الحسن رضي الله عنه كيف يسمى عاقلا من هو يمسي ويصبح في الدنيا ومباهاة أهلها في المطاعم والمشارب والملابس والمراكب أولئك هم الخاسرون وأولئك هم الغافلون وأولئك هم الجاهلون وأنشدوا

أيها المرء ان دنياك بحر ✱ طافح موجه فلا تأمنها

وسبيل النجاة فيها بين ✱ وهو أخذ الكفاف والقوت منها

وقال أبو علي الثقفي رضي الله عنه أف من أشغال الدنيا اذا أقبلت وأف من حسراتها اذا أدبرت والعاقل من لا يركن الى شيء اذا أقبل كان شغلا واذا أدبر كان حسرة وقد قيل في معناه

ومن يحمد الدنيا لشيء يسره ✱ فسوف لعمري عن قليل يلومها

اذا أدبرت كانت على المرء حسرة ✱ وان أقبلت كانت كثيرا همومها

وقيل لأبي القاسم الجنيد رضي الله عنه متى يكون الرجل موصوفا بالعقل فقال اذا كان للأمور مميزا ولها متصفحا وعما يوجبه عليه العقل باحثا يلتمس بذلك طلب الذي هو أولى ليعمل به ويؤثره على ما سواه فاذا كان كذلك فمن صفته ركوب الفضل في كل أحواله بعد أحكام العمل بما فرض الله عليه وليس من صفة العقلاء اغفال النظر لما هو أحق وأولى ولا من صفتهم الرضا بالنقص والتقصير فمن كانت هذه صفته بعد احكامه لما يجب عليه من عمله ترك التشاغل بما يزول وترك العمل بما يفنى وينقضي وذلك صفة لكل ما احتوت عليه الدنيا وكذلك لا يرضى أن يشغل نفسه بقليل زائل ويسير حائل يصده التشاغل به والعمل له عن أمور الآخرة التي يدوم نعيمها ونفعها ويتأبد سرورها ويتصل بقاؤها وذلك أن الذي يدوم نفعه ويبقى على العامل له حظه وما سوى ذلك زائل متروك ومفارق موروث يخاف معره كسوء العاقبة فيه ومحاسبة الله عليه كذلك صفة العاقل لتصفحه الأمور بعقله والأخذ منها بأوفرها قال الله تعالى الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب بذلك وصفهم الله تعالى وذوو الألباب هم ذوو العقول وانما وقع الثناء عليهم بما وصفهم الله للأخذ بأحسن الأمور عند استماعها وأحسن الأمور هو أفضلها وأبقاها على أهلها نفعا في العاجل والآجل والى ذلك ندب الله عز وجل من عقل في كتابه اه كلام الجنيد رضي الله عنه وهو في غاية الحسن ونهاية التحقيق وفيه مناسبة لما كنا بصدده

من

(ان أردت أن لا تعزل فلا تتول ولاية لا تدوم لك) هذه من أفراد ما قبلها لأن الولاية مآلها الى الحزن بسبب وقوع العزل عنها بموت أو غيره ومقتضى نظر العقل ترك الولاية المفروح بها لئلا تفجع في العزل عنها فيحصل عندك غاية الهم والحزن (ان رغبتك في الولاية (البدايات) أي بداياتها من كونها رائقة الحسن مليحة الظاهر وأن كل من تلبس بها حسن حاله ومنظره بين الناس وتيسر معاشه (زهدتك فيها (النهايات) فان نهاياتها مفارقتها بعزل أو موت فيحصل لك مزيد الضرر دنيا وأخرى لأن الولايات قل من يسلم فيها بدينه وذلك مما يحمل العاقل على الزهد فيها والهرب منها (ان دعاك اليها ظاهر) أي ظاهر حالها من تيسر الملابس والمأكل عند التلبس بها (نهاك عنها باطن) أي باطن حالها من كونها شاغلة عن الله ومن حصول الضرر لكل من تلبس بها وهذا في المعنى يرجع لما قبله فالظاهر يرجع للبدايات والباطن للنهايات (انما جعلها) أي الدنيا (محلا للأغيار) كالأمراض والمحن والبلايا وقوله (ومعدنا للأكدار) بمعنى ما قبله (ليزهدك فيها) لأن الموجب لرغبتك فيها انما هو ما تتوهم من حصول أغراضك ومطلوباتك فيها من غير تكدير ولا تنغيص وهو لا يكون أبدا حتى لو فرض ذلك لكان اللائق بك الزهد فيها والرغبة عنها لأن مآل أمرها الى الفناء والزوال ولشغلها اياك غالبا عن الله تعالى لا يقال الزهد فيها يحصل بنصح الواعظ وتذكيره لأنا نقول

من التنبيه على كلام المؤلف رحمه الله تعالى فرأيت ذكره ههنا لائقا والله تعالى الموفق للعمل عنه وكرمه

(ان أردت أن لا تعزل فلا تتول ولاية لا تدوم لك) هذه من أمثلة ما تقدم لأن الولاية مآلها الى الحزن بسبب وقوع العزل عنها ومقتضى نظر العقل ترك الولاية المفروح بها لئلا يفجع بالعزل المحزون به

(ان رغبتك البدايات زهدتك النهايات ان دعاك اليها ظاهر نهاك عنها باطن) بدايات الأمور وظواهرها يرغب الجاهل فيها وتدعوه اليها لأنها رائقة الحسن مليحة الظاهر فيغتر الجاهل بذلك فتقوده الى ما فيه ضرره وهلاكه ونهايات الأمور وبواطنها تزهد العاقل وتنهاه عنها لما أشهدته من سماجتها وقبح باطنها فيعتبر العاقل بذلك فيهرب منها ويسلم من شرها وقد تقدم هذا المعنى عند قوله الأكوان ظاهرها غرة وباطنها عبرة قال وهب بن منبه رضي الله عنه صحب رجل بعض الرهبان سبعة أيام ليستفيد منه شيئا فوجده مشغولا عنه بذكر الله تعالى والفكر لا يفتر ثم التفت في اليوم السابع فقال يا هذا قد علمت ما تريد حب الدنيا رأس كل خطيئة والزهد فيها رأس كل خير والتوفيق نجاح كل بر فاحذر رأس كل خطيئة وارغب في رأس كل خير وتضرع الى ربك أن يهب لك نجاح كل بر قال وكيف أعرف ذلك قال كان جدي رجلا من الحكماء قد شبه الدنيا بسبعة أشياء شبهها بالماء المالح يغر ولا يروي ويضر ولا ينفع وبظل الغمام يغر ويخذل وبالبرق الخلب يضر ولا ينفع وبسحاب الصيف يضر ولا ينفع وبزهر الربيع يغر بنضرته ثم يصفر فتراه هشيما وبأحلام النائم يرى السرور في منامه فاذا استيقظ لم يجد في يده شيئا الا الحسرة وبالعسل المشوب بالسم الزعاف يغر ويقتل فتدبرت هذه الأحرف السبعة سبعين سنة ثم زدت فيها حرفا واحدا فشبهتها بالغول التي تهلك من أجابها وتترك من أعرض عنها فرأيت جدي في المنام فقال لي يا بني أنت مني وأنا منك قال فبأي شيء يكون الزهد في الدنيا قال باليقين واليقين بالصبر والصبر بالعبر والعبر بالفكر ثم وقف الراهب وقال خذها ولا أراك تخلو الا متجردا بفعل دون قول فكان ذلك آخر العهد به . وقال محمد بن علي الترمذي رضي الله عنه لم تزل الدنيا مذمومة في الأمم السالفة عند العقلاء منهم وطالبوها مهانين عند الحكماء الماضين وما قام داع في أمة الا وقد حذر من متابعة الدنيا وجمعها والحب لها ألا ترى مؤمن آل فرعون كيف قال اتبعوني أهدكم سبيل الرشاد وقال انما هذه الحيوة الدنيا متاع أي لن تصل الى سبيل الرشاد وفي قلبك محبة الدنيا وطلب لها والحكايات والآثار في أحوال الدنيا وغرورها وشرورها أكثر من أن تحصى ولا شيء أبين في ذلك من قول الله تعالى في صفتها اعلموا انما الحيوة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الأموال والأولاد كمثل غيث أعجب الكفار نباته ثم يهيج فتراه مصفرا ثم يكون حطاما وفي الآخرة عذاب شديد ومغفرة من الله ورضوان وما الحيوة الدنيا الا متاع الغرور

(انما جعلها محلا للأغيار ومعدنا للأكدار تزهيدا لك فيها) ورود الأغيار والأكدار الدنيوية على العبد نعم من الله تعالى عليه لأن ذلك لا محالة يدعوه الى الزهادة في الدنيا والتجافي عنها ويصرف عنه وجود الغباوة والجهالة لأجل تمسكه بالخيال وما يستبصر به في الحال والمآل لأن الموجب لرغبته فيها وحرصه على نيلها انما هو ما يتوهمه فيها من الحصول على منيته وبغيته وقضاء غرضه من شهوته ونهمته من غير مكدر ولا منغص ولو تصور له حصوله على هذه الأشياء على حسب ما يحبه ويهواه كان ينبغي له أن يرغب عنها عوضا عن الرغبة فيها ان كان عاقلا لأن مآل أمرها الى الفناء والزوال والافتقار والانقضاء والارتحال وقد قالوا شر لا يدوم خير من خير لا يدوم

أنشد الغم عندي في سروري * تيقن عنه صاحبه ارتحالا
أرى الدنيا على من كان فيها * عذور فلا ندم عليه حالا

ثم هي مانعة له من سعادة الآخرة والقرب من الله عز وجل الذي هو غاية طلب الطالبين ونهاية رغبة الراغبين فكيف وهو متعرض فيها لأنواع المصائب والفجائع ووقوع الأغيار والأكدار فما من أحد فيها إلا وهو في كل حال ووقت غرض لأسهم ثلاثة سهم بلية وسهم رزية وسهم منية فإذا نزل به ذلك عادت النقمة نعمة وانقلبت الحبرة عبرة وصارت الفرحة ترحة وهكذا شأن الدنيا أبدا فلا يفي مرجوها بمخوفها ولا يقوم خيرها بشرها ولقد صدق الشاعر في قوله

ان الليالي لم تحسن الى أحد * الا أساءت اليه بعد احسان

وصدق أيضا من قال

ما قام خيرك يا زمان بشرة * أولى بنا ما قل منك وما كفى
من اذا أعطى استرد عطاءه * واذا استقام بدا له متحرفا

وقد كتب علي بن أبي طالب الى سلمان رضي الله عنهما انما مثل الدنيا كمثل الحية لين مسها قاتل سمها فأعرض عنها وعما يعجبك منها لقلة ما يصحبك منها ودع عنك همومها لما تيقنت من فراقها وكن أسر ما تكون فيها أحذر ما تكون فيها فان صاحبها كلما اطمأن فيها الى سرور أشخص منها الى مكروه * وقال بعض البلغاء دار الدنيا كأحلام المنام وسرورها كظل الغمام وأحداثها كصوائب السهام وشهواتها كسموم السمام وفتنتها كالأمواج الطوام وقال أبو العتاهية

هي الدار دار الأذى والقذى * ودار الفناء ودار الغير
ولو نلتها بحذافيرها * لمت ولم تقض منها الوطر
أيا من يؤمل طول البقا * وطول الخلود عليه ضرر
اذا ما كبرت وفات الشباب * فلا خير في العيش بعد الكبر

وأنشد أبو منصور الثعالبي رحمه الله في ذم الدنيا

تنح عن الدنيا فلا تخطبنها * ولا تخطبن قتالة من تناكح
فليس يفي مرجوها بمخوفها * ومكروهها ان ما تأملت راجح
لقد قال فيها الواصفون فأكثروا * وعندي لها وصف لعمري صالح
سلاف قصارها زعاف ومركب * شهي اذا استلذذته فهو جامح
وشخص جميل يؤنس الناس حسنه * ولكن له أسرار سوء قبائح

فاذا علم العبد هذا كله علم اليقين وتمكن من قلبه غاية التمكن لم يتصور منه مع ذلك وجود رغبة البتة لأنه اذ ذاك يجمع بين خيبتين وخسارتين ويأتيه الموت وهو صفر اليدين من منافع الدارين وذلك هو الخسران المبين * قال أبو هاشم الزاهد رضي الله عنه ان الله وسم الدنيا بالوحشية ليكون أنس المريدين بدونها وليقبل المطيعون اليه بالاعراض عنها وأهل المعرفة بالله من الدنيا مستوحشون والى الآخرة مشتاقون وقيل أوحى الله تعالى الى الدنيا تضيقي وتشددي على أوليائي وترفهي وتوسعي على أعدائي تضيقي على أوليائي حتى لا يغتروا بك عني وتوسعي على أعدائي حتى يشتغلوا بك عني فلا يتفرغوا لذكري ﴿ (علم أنك لا تقبل النصح المجرد فذوقك من ذواقها ما يسهل عليك فراقها) ﴾ النصح المجرد لا يقبله الا من لم يستحكم فيه حب العاجلة والأنس بلذاتها الفانية وكان كريم الطبع سهل القياد وأما من رسخت فيه تلك الخبائث وتمكنت من باطنه وكان لئيم السجية صعب

المقادة

(علم الله) (أنك لا تقبل النصح المجرد) عن الأمراض والبلايا والمحن لأن النصح المجرد لا يقبله الا من لم يستحكم فيه حب العاجلة والأنس بلذاتها أما من كان كذلك فلا بد في قصد هدايته من زيادة على النصح والوعظ (فذوقك من ذواقها) أي مما شأنه أن يذاق فيها وهو تلك الامراض والبلايا والمحن (ما يسهل عليك فراقها) فان العبد اذا نزل به شيء من ذلك يتمنى الموت ومفارقة الدنيا فهو نعمة من الله عليه وان لم يعرف ذلك لغلبة طبعه عليه وقد تقدم مثل هذا عند قوله من لم يقبل على الله بملاطفات الاحسان قيد اليه بسلاسل الامتحان

(العلم النافع) وهو العلم بالله تعالى وصفاته وأسمائه والعلم بكيفية التعبد له والتأدب بين يديه فهذا هو العلم (الذى ينبسط فى الصدر شعاعه) فيتسع و ينشرح للاسلام (و ينكشف به عن القلب قناعه) أى غطاؤه وغشاوته فتزول عنه الشكوك والأوهام قال مالك بن أنس رضى الله عنه ليس العلم بكثرة الرواية إنما العلم نور يقذفه الله تعالى فى القلوب وانما منفعة العلم أن يقرب العبد من ربه و يبعده عن رؤية نفسه وذلك غاية سعادته ومنتهى طلبه وارادته وقال المهدوى قدس سره العلم النافع هو علم الوقت وصفاء القلب والزهد فى الدنيا ومايقرب الى الجنة و يبعد عن النار والخوف من الله والرجاء فيه وآفات النفوس وطهارتها وهو النور المشار اليه أنه نور يقذفه الله فى قلب من يشاء دون علم اللسان والمعقول والمنقول اه وجمع ذلك الجنيد قدس سره فى قوله العلم أن تعرف ربك ولاتعدو قدرك أى هو تعرفة الله وحسن الادب بين يديه ثم ذكر المصنف عبارة أخرى فى بيان العلم النافع وتعريفه بلازمه فقال (خير العلم ما كانت الخشية معه) والخشية الخوف مع الاجلال وقيل هى الاجلال مع التعظيم وقيل هى الخوف مع العمل أى خير العلوم ما تلزمه خشية الله تعالى وتصاحبه وهو العلم المتقدم لأن الله تعالى أثنى على العلماء بذلك فقال تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء فكل علم لاخشية معه لاخير فيه ولايسمى صاحبه عالما على الحقيقة و يلزم من مصاحبة الخشية له الوقوف على حدود الله وملازمة طاعته والوثوق به والاعراض عن الدنيا وعن طالبيها والتقليل منها ومجانبة أبواب أربابها والنصيحة للخلق وحسن الخلق معهم والتواضع ومجالسة الفقراء وتعظيم أولياء الله تعالى بخلاف العلم الذى لاتصاحبه الخشية فانه يكون معه الرغبة فى الدنيا والتملق لأربابها وصرف الهمة لاكتسابها والجمع والادخار والمباهاة والاستكبار وطول الأمل ونسيان الآخرة فان العالم اذا أحب الدنيا وأهلها وجمع منها فوق الكفاية يغفل عن الآخرة وعن طاعة الله بقدر ذلك ثم ذكر عبارة أخرى من معنى ما تقدم فقال

المقادة فلابد فى قصد هدايته وارشاده من زيادة على النصح والوعظ وهو وجود مايقهره و يجبره وليس ذلك الا ماذكرناه فاعرف قدر النعمة عليك بذلك واعمل بمقتضاها وسلم لربك فى حكمته وقدرته وحسن ظنك به وقد تقدم هذا المعنى عند قوله من لم يقبل على الله بملاطفة الاحسان قيد اليه بسلاسل الامتحان ❁ (العلم النافع هو الذى ينبسط فى الصدر شعاعه و ينكشف به عن القلب قناعه) العلم النافع هو العلم بالله تعالى وصفاته وأسمائه والعلم بكيفية التعبد له والتأدب بين يديه فهذا هو العلم الذى ينبسط فى الصدر شعاعه فيتسع و ينشرح للاسلام و ينكشف عن القلب قناعه فتزول عنه الشكوك والأوهام وفى حكمة داود عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام العلم فى الصدر كالمصباح فى البيت وقال محمد بن على الترمذى رضى الله عنه العلم النافع هو الذى قد تمكن فى الصدور وتصور وذلك أن النور اذا أشرق فى الصدور تصورت الأمور حسنها وسيئها و وقع بذلك ظل فى الصدور فهو صورة الأمور فيأتى حسنها و يجتنب سيئها فذلك العلم النافع من نور القلب خرجت منه العلائم الى الصدور وهى علامات الهدى والعلم الذى قد تعلمه فذلك علم اللسان انما هو شئ قد استودع الحفظ والشهوة مائلة عليه قد أحاطت به وأذهبت بظلمتها ضوءه وقال أبو محمد عبد العزيز المهدوى رضى الله عنه والعلم النافع هو علم الوقت وصفاء القلب والزهد فى الدنيا ومايقرب من الجنة وما يبعد عن النار والخوف من الله والرجاء فيه وآفات النفوس وطهارتها وهو النور المشار اليه أنه نور يقذفه الله فى قلب من يشاء دون علم اللسان المنقول والمعقول وقال مالك بن أنس رضى الله عنه ليس العلم بكثرة الرواية وانما هو نور يقذفه الله تعالى فى القلوب اه وانما منفعة العلم أن يقرب العبد من ربه و يبعده عن رؤية نفسه وذلك غاية سعادته ومنتهى طلبه وارادته قال الجنيد رضى الله عنه العلم أن تعرف ربك ولا تعدو قدرك وهذه عبارة مختصرة وجيزة جمع فيها رحمه الله مقصود علم الصوفية وهى معرفة الله تعالى وحسن الأدب بين يديه وهذه هى العلوم التى ينبغى للانسان أن يستغرق فيها عمره الطويل ولايقنع منها بكثير ولاقليل وقد قال سيدى أبو الحسن الشاذلى رضى الله عنه من لم يتغلغل فى هذه العلوم يعنى علوم الصوفية مات مصرا على الكبائر وهو لايعلم وماسوى هذه العلوم فقد لا يحتاج اليها ور بما أضر بصاحبها مداومته عليها وقد استعاذ رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الخبر المشهور من علم لاينفع ثم ذكر المؤلف رحمه الله تعالى عبارة أخرى فى بيان العلم النافع وتعريفه بلازمه فقال ❁ (خير العلم ما كانت الخشية معه) خير العلوم مايلزم وجود الخشية لله تعالى لأن الله تعالى أثنى على العلماء بذلك فقال عز من قائل انما يخشى الله من عباده العلماء فكل علم لاخشية معه فلاخير فيه بل لايسمى صاحبه عالما على الحقيقة قال الربيع بن أنس رحمه الله فى قوله تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء من لم يخش الله فليس بعالم الا ترى أن داود عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام قال ذلك بأنك جعلت العلم خشيتك والحكمة الايمان بك فما علم من لم يخشك وما حكمة من لم يؤمن بك قال فى لطائف المنن فشاهد العلم الذى هو مطلوب الله الخشية لله تعالى وشاهد الخشية موافقة الأمر أما علم تكون معه الرغبة فى الدنيا والتملق

لأربابها وصرف الهمة لاكتسابها والجمع والادخار والمباهاة والاستكبار وطول الأمل ونسيان الآخرة خفانا بعد من هذا العلم علمه من أن يكون من ورثة الانبياء وهل ينتقل الشيء الموروث الى الوارث الا بالصفة التي كان بها عند الموروث عنه ومثل من هذه الأوصاف أوصافه من العلماء مثل الشمعة تضيء على غيرها وهي تحرق نفسها جعل الله العلم الذي علمه من هذا وصفه حجة عليه وسببا في تكثير العقوبة لديه اهـ وكان سهل بن عبد الله رضي الله عنه يقول لا تقطعوا أمرا من أمور الدنيا والدين الا بمشورة العلماء تحمدوا العاقبة عند الله تعالى قيل يا أبا محمد من العلماء قال الذين يؤثرون الآخرة على الدنيا ويؤثرون الله تعالى على نفوسهم وقد قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه في وصيته وشاور في أمرك الذين يخشون الله تعالى وقال الواسطي رضي الله عنه أرحم الناس العلماء لخشيتهم من الله تعالى واشفاقهم مما علمهم الله عز وجل وقال في التنوير في قوله صلى الله عليه وسلم طالب العلم تكفل الله له برزقه اعلم أن العلم حيثما تكرر في الكتاب العزيز أو في السنة انما المراد به العلم النافع الذي تقارنه الخشية وتكتنفه المخافة قال الله سبحانه انما يخشى الله من عباده العلماء فبين أن الخشية تلازم العلم وفهم من هذا أن العلماء انما هم أهل الخشية وكذلك قوله تعالى وقال الذين أوتوا العلم والراسخون في العلم وقل رب زدني علما وقوله صلى الله عليه وسلم ان الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم وقوله العلماء ورثة الأنبياء وقوله هنا طالب العلم تكفل الله برزقه انما المراد بالعلم في هذه المواطن العلم النافع القاهر للهوى القامع للنفس وذلك يتعين بالضرورة لأن كلام الله وكلام رسوله صلى الله عليه وسلم أجل من أن يحمل على غير هذا وقد بينا ذلك في غير هذا الكتاب والعلم النافع هو الذي يستعان به على طاعة الله تعالى ويلزمك المخافة من الله تعالى والوقوف على حدود الله وهو علم المعرفة بالله ويشمل العلم النافع العلم بالله والعلم بما أمر الله به اذا كان تعلمه لله تعالى * وقد تقدم المعيار الصادق على صحة دعوى التعلم والتعلم لله عند قوله اذا التبس عليك أمران وقال الشيخ أبو عبد الرحمن السلمي رضي الله عنه كل علم لا يورث صاحبه الخشية والتواضع والنصيحة للخلق والشفقة عليهم ولا يحمله على حسن معاملة الله تعالى ودوام مراقبته وطلب الحلال وحفظ الجوارح وأداء الامانة ومخالفة النفس ومباينة الشهوات فذلك العلم الذي لا ينفع وهو الذي استعاذ منه النبي صلى الله عليه وسلم فقال أعوذ بك من علم لا ينفع ووصف الله تعالى العلماء بالخشية فقال انما يخشى الله من عباده العلماء وقال رجل للشعبي أيها العالم فقال اسكت العالم من يخشى الله تعالى وقال بعض السلف من ازداد علما فليزدد خشوعا وقال رجل للجنيد أي العلم أنفع قال ما دلك على الله تعالى وأبعدك عن نفسك قال والعلم النافع ما يدل صاحبه على التواضع ودوام المجاهدة ورعاية السر ومراقبة الظاهر والخوف من الله والاعراض عن الدنيا وعن طالبيها والتقلل منها ومجانبة أبواب أربابها وترك ما فيها على من فيها من أهلها والنصيحة للخلق وحسن الخلق معهم ومجالسة الفقراء وتعظيم أولياء الله تعالى والاقبال على ما يعنيه فان العالم اذا أحب الدنيا وأهلها وجمع منها فوق الكفاية يغفل عن الآخرة وعن طاعة الله تعالى بقدر ذلك وقال الله عز وجل يعلمون ظاهرا من الحيوة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون وقال النبي صلى الله عليه وسلم من أحب دنياه أضر بآخرته ومن أحب آخرته أضر بدنياه ألا فآثروا ما يبقى على ما يفنى وقال فضيل بن عياض العالم طبيب الدين والدنيا داء الدين فاذا كان الطبيب يجر الداء الى نفسه فمتى يبرئ غيره فاذا وفق الله العالم من العلماء للاقبال على الله وعلى أوامره والاعراض عن الدنيا وما فيها ومن فيها فأول ما يلزمه أن يعرف نعم الله عليه في ذلك ويقوم بواجب الشكر ويزيد تواضعا واجتهادا ويعلم أنه محمول على ذلك وأن ذلك بتوفيق من الله تعالى لا بمجاهدة

منه فان مجاهدته أيضا ومعرفته لنعم الله عليه بزيادة توفيق الله فاذا كان العالم بهذا المحل من الدين كان اماما يقتدى به فى أحكام الظاهر وأحوال الباطن يهتدى بنوره كل من صحبه ويستضئ بعلمه كل من اتبعه ويكون حجة الله على عباده وبركة فى بلاده ومن قاده علمه الى طلب الدنيا وطلب العلو فيها وطلب اتباع الرئاسة واستتباع الخلق فهو العلم الذى هو غير نافع وهو العلم المغتر به ولا حسرة أعظم من أن يهلك العالم بما يرجو به نجاته ونحن نعوذ بالله من الخذلان اهـ ثم عبّر المؤلف رحمه الله تعالى بعبارة أخرى من معنى ما تقدم فقال ﴿العلم ان قارنته الخشية فلك والا فعليك﴾ العلم الذى تلازمه الخشية لك لأنك تنتفع به فى دنياك وآخرتك فليس ذلك الا ما ذكرناه والعلم الذى لا خشية فيه عليك لانك تستضر به فيهما وهذا هو الفرق بين علماء الآخرة وعلماء الدنيا من حيث ان علماء الآخرة موصوفون بالخشية والرهبة وعلماء الدنيا موسومون بالأمن والعزة وقد بين علماؤنا رضى الله عنهم حال الفريقين وأوضحوا أمرهم بالنعوت والعلامات وأطالوا فى ذلك النفس لما شهدوا من انتشار الفساد فى الأرض بسبب جهل الناس بالعلم النافع أى شئ هو فمن أراد الشفاء فى ذلك واستيفاء الكلام عليه وما فى ذلك من الأخبار والآثار فعليه بالنظر فى كتاب العلم من كتاب احياء علوم الدين لأبى حامد الغزالى رضى الله عنه وكتاب ذلك مما ذكره المؤلف رحمه الله تعالى ههنا وقد قال الفضيل بن عياض رضى الله عنه كان العلماء ربيع الناس اذا نظر اليهم المريض لم يسره أن يكون صحيحا واذا نظر اليهم الفقير لم يود أن يكون غنيا وقد صار واليوم فتنة على الناس قال هذا فى زمانه الصالح فكيف لو أدرك زماننا هذا فانا لله وانا اليه راجعون واعلم أنه قد ورد فى الكتاب والسنة من فضل العلم والعلماء ما لا يحصى كثرة ولا يرجى حصول ذلك الا لمن صحت فيه نيته وصحة نيته فى ذلك أن يكون غرضه فيه طلب مرضاة الله تعالى واستعماله فيما ينفع عنده وايثاره الخروج عن ظلمة الجهل الى نور العلم فهذه هى النية الصحيحة التى تحمد عاقبتها آجلا ويجتنى ثمرتها فى طاعة الله عاجلا وقد روى عن رسول الله ﷺ أنه قال كل يوم لا أزداد فيه علما يقربنى من الله عز وجل فلا بورك لى فى طلوع شمس ذلك اليوم وقال الحسن رضى الله عنه كان الرجل اذا طلب العلم لم يلبث أن يرى ذلك فى تخشعه ولسانه وبصره ولسانه وصلاته وهديه وزهده وان كان الرجل ليصيب الباب من أبواب العلم فيعمل به فيكون خيرا له من الدنيا بما فيها لو كانت له ليضعها فى الآخرة ولياتين على الناس زمان يشتبه فيه الحق والباطل فاذا كان ذلك لم ينفع فيه الا دعاء كدعاء الغريق ❁ وقال سفيان الثورى رضى الله عنه انما تعلم العلم ليتقى به الله وانما فضل العلم على غيره لأنه يتقى الله به فان اختل هذا القصد فسدت نية طالبه بأن يستشعر به التوصل الى منال دنيوى من مال أو جاه فقد بطل أجره وحبط عمله وخسر خسرانا مبينا قال الله عز وجل من كان يريد حرث الآخرة نزد له فى حرثه ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وماله فى الآخرة من نصيب وقال رسول الله ﷺ فيما روى عنه أبو هريرة رضى الله عنه من تعلم علما لا يبتغى به وجه الله تعالى لا يتعلمه الا ليصيب به عرضا من الدنيا لم يجد عرف الجنة يوم القيامة يعنى ريحها وكان الحسن رضى الله عنه يقول والله ما طلب هذا العلم أحد الا كان عظمة ما أراد به وقال الحسن عقوبة العالم موت القلب فقيل له وما موت القلب قال طلب الدنيا بعمل الآخرة فاذا انضاف الى هذا الغرض أن يتصدى به الى تولى الأعمال السلطانية كائنة ما كانت أو يتوصل به الى اكتساب مال من حرام أو شبهة فقد تعرض لغضب الله تعالى وسخطه وباء بأعظم آثام المقتدين به وكان الجهل اذ ذاك خيرا له من العلم وأحمد عاقبة وقال أبو عمر بن عبد البر رحمه الله تعالى وروينا عن الأوزاعى رضى الله عنه قال شكت النواويس الى الله عز وجل ما تجد من نتن جيف الكفار

(العلم ان قارنته الخشية فلك) منفعته فى الدنيا والآخرة (والا فعليك) مضرته فيهما قال سفيان الثورى انما يتعلم العلم ليتقى به الله وانما فضل العلم على غيره لأنه يتقى الله به فان اختل هذا القصد فسدت نية طالبه بأن استشعر به التوصل الى منال دنيوى من مال أو جاه فقد بطل أجره وحبط عمله وخسر خسرانا مبينا قال تعالى من كان يريد حرث الآخرة نزد له فى حرثه الآية انتهى

فأوحى الله تعالى اليها بطون علماء السوء أنتن مما أنتم فيه قال وروينا عن الفضيل بن عياض وأسد بن الفرات قال بلغني أن الفسقة من العلماء ومن حملة القرآن يبدأ بهم يوم القيامة قبل عبدة الأوثان قال فضيل بن عياض رضى الله عنه لأن من علم ليس كمن لم يعلم قلت والغالب على طلبة العلم في هذه الأعصار هذا الوصف المذموم لأن حب الدنيا قد استولى عليهم واستهواهم والحرص على التقدم والترؤس قد تملكهم فأصمهم وأعماهم ولذلك أمارات وعلامات لا تحصى ولا تخفى وفي الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال يخرج في آخر الزمان رجال يختلسون الدنيا بالدين يلبسون للناس جلود الضأن من اللين ألسنتهم أحلى من العسل وقلوبهم قلوب الذئاب يقول الله تبارك وتعالى أبي تغترون أم علي تجترئون فبي حلفت لأبعثن على أولئك فتنة تدع الحليم منهم حيران رواه عنه أبو هريرة رضى الله عنه وروى أبو الدرداء رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال أنزل الله تعالى في بعض الكتب أو أوحى الله تعالى الى بعض الأنبياء عليهم الصلاة والسلام قل للذين يتفقهون لغير الدين ويتعلمون لغير العمل ويطلبون الدنيا بعمل الآخرة يلبسون للناس مسوك الكبوش وقلوبهم كقلوب الذئاب ألسنتهم أحلى من العسل وقلوبهم أمر من الصبر اياي يخادعون وبي يستهزءون لأتيحن لهم فتنة تدع الحليم فيهم حيران وفي بعض الأخبار المروية عن رسول الله صلى الله عليه سلم يأتي على الناس زمان لا يبقى من القرآن الا رسمه ولا من الاسلام الا اسمه قلوبهم خربة من الهدى ومساجدهم عامرة من أبدانهم شر من تظل السماء يومئذ علماؤهم منهم تخرج الفتنة واليهم تعود

واعلم أن العلم النافع المتفق عليه فيما سلف وخلف انما هو العلم الذي يؤدي صاحبه الى الخوف والخشية وملازمة التواضع والذلة والتخلق بأخلاق الايمان ويوافق الاسرار والاعلان الى ما يتبع ذلك من بغض الدنيا والزهادة فيها وايثار الآخرة عليها والموالاة في الله والمعاداة فيه والحرص على التفطن للأسباب الباعثة له على الاستقامة ولزوم الأدب بين يدي الله تعالى فيراعيها حفظا وطلبا ومعرفة الأسباب المضادة له من ذلك فيرفضها رفضا وهربا الى غير ذلك من الصفات العلية والمناحي السنية فبهذا كله يحصل له فوائد العلم وثمراته الدنيوية والأخروية فاذا خلا طالب العلم عنها أو عن بعضها فان كان ما يطلبه علما حقيقيا كان حجة عليه وان كان رسميا كان وبالا واصلا اليه والعياذ بالله من ذلك ❊ قال في لطائف المنن ربما غر الغافل من طلبة العلم من قال طلبنا العلم لغير الله فأبى أن يكون الا لله وليس في قول هذا القائل ما يستروح اليه من طلب العلم للرئاسة والمنافسة وانما أخبر هذا القائل عن أمر من عليه وفتنة سلمه الله منها لا يلزم أن يقاس عليه فيها غيره وذلك بمثابة من به مرض مزمن في المعى أعيا علاجه الأطباء وضاق عليه خلقه فأخذ خنجرا وضرب به مراق بطنه ليقتل نفسه فصادف ذلك المعى فقطعه فخرج الداء منه فهذا لا يستصوب العقلاء فعله وان صحت عافيته وليست سلامة العواقب رافعة للعتب عن الملقين أنفسهم الى التهلكة ❊ ليس المخاطر محمودا وان سلما ❊ وقال في مواضع أخر ولا يغرنك أن يكون به انتفاع للبادي والحاضر فقد قال صلى الله عليه وسلم ان الله ليؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر ومثل من تعلم العلم لاكتساب الدنيا وتحصيل الرفعة فيها كمثل من رفع العذرة بملعقة من الياقوت فما أشرف الوسيلة وما أخس المتوسل اليه ومثل من قطع الأوقات في طلب العلم يمكث أربعين سنة أو خمسين سنة يتعلم العلم ولا يعمل به كمثل من قعد هذه المدة يتطهر ويجدد الطهارة فلم يصل صلاة واحدة اذ مقصود العلم العمل كما أن المقصود بالطهارة وجود الصلاة ولقد سأل رجل الحسن البصري رضى الله عنه عن مسألة فأفتاه فيها فقال الرجل للحسن قد خالفك الفقهاء فزجره الحسن وقال ويحك وهل رأيت فقيها انما الفقيه الذي فقه عن الله أمره ونهيه قال وسمعت

شيخنا أبا العباس يقول الفقيه من انفتق الحجاب عن عين قلبه والرجل الذى سأل الحسن البصرى هو فرقد السبخى والله أعلم وقد روي عنه في صفة الفقهاء كلام أتم مما ذكره صاحب كتاب لطائف المنن * قال فرقد السبخى سألت الحسن عن مسئلة فأجابني عنها فقلت له ان الفقهاء يخالفونك فقال لي ثكلتك أمك فريقد وهل رأيت فقيها بعينك انما الفقيه الزاهد في الدنيا الراغب في الآخرة البصير بدينه المداوم على عبادة ربه الورع الكاف نفسه عن أعراض المسلمين العفيف عن أموالهم الناصح لجماعتهم المجتهد في العبادة المقيم على سنة المصطفى رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي لا يهمز من هو فوقه ولا يسخر ممن هو دونه ولا يأخذ على علم علمه الله حطاما قلت وعلى المعلم أن يتفقد أحوال من يتعلم منه فلا يبذل علمه الا لمن يتوسم فيه الخير والصلاح اذ بذلك تستقيم له النيات والمقاصد التي ذكرناها ولا يبذله لمن سوى هذا ممن علم حاله أو جهله قال رجل لسفيان الثوري رضي الله عنه انك ان نشرت ما معك من العلم رجوت أن ينفع الله به بعض عباده وتؤجر على ذلك فقال سفيان الثوري والله لو أعلم بالذي يطلب هذا العلم لا يريد به الا ما عند الله لكنت أنا الذي آتيه في منزله فأحدثه بما عندي ممن أرجو أن ينفعه الله به وقد سئل بعض العلماء عن شيء فلم يجب فقال له السائل أما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من كتم علما نافعا جاء يوم القيامة ملجما بلجام من النار فقال له اترك اللجام واذهب فان جاء من يستحقه وكتمته فليلجمني به وفي قوله عز من قائل ولا تؤتوا السفهاء أموالكم تنبيه على أن حفظ العلم ممن يفسده ويستضر به أولى كما قيل

ومن منح الجهال علما أضاعه * ومن منع المستوجبين فقد ظلم

وقد حكي عن بعض الأمم السالفة أنهم كانوا يختبرون المتعلم مدة في أخلاقه فان وجدوا فيه خلقا رديئا منعوه من العلم أشد المنع وقالوا انه يستعين بالعلم على مقتضى الخلق الرديء فيصير العلم آلة الشر في حقه وقد قالت الحكماء زيادة العلم في الرجل السوء كزيادة الماء في أصول الحنظل كلما ازداد ريا ازداد مرارة وهذا كله صحيح مجرب فينبغي اذا للعالم أن لا يهمله بل يراعيه ويمتثله ولا اعتبار بما يتوهمه في تعليمهم من وجود المصالح على تقدير حصول توفيق الله تعالى لهم لأن يعملوا ببعض ما يتعلمونه من العلم الصحيح ان كانت لهم ولاية حكم أو غير ذلك فان المفاسد التي تقع بسبب ذلك لهم في خاصة أنفسهم والمفاسد التي تتعدى منهم الى غيرهم أكثر ودرء المفاسد أهم عند العقلاء من جلب المصالح أما المفاسد التي تختص بهم فهي تقوية صفاتهم الذميمة وأخلاقهم اللئيمة بما يطلبونه من العلم لأنهم يستشعرون بذلك التوصل الى جميع مطالبهم الدنيوية على غاية الكمال والتمام فاذا استشعروا بذلك توجهوا بهممهم اليه وعكفوا بالجد والاجتهاد عليه ولولا هذا الاستشعار لم يتصور منهم ذلك فاذا حصلوا على شيء من ذلك وظهرت لهم مخايل وصولهم الى أغراضهم المذكورة فرحوا بذلك واغتبطوا به وكلما ازدادوا تحصيلا ازدادوا فرحا واغتباطا بما هم فيه وهذا الفرح والاغتباط في غاية الذم منهم لأن ذلك متعلق بأسباب الدنيا وهي بمنزلة السم القاتل الذي يوجب موت قلوبهم وقسوتها وبعدها عن التأثر بالمواعظ والحكم كما قيل

اذا قسا القلب لم تنفعه موعظة * كالأرض ان سبخت لم ينفع المطر

وعند ذلك تنتعش نفوسهم وتتقوى صفاتها وتظهر آثار ذلك على ظواهرهم من التكالب على الدنيا والركون الى من هي عنده من أبنائها المترفين وليس لهم ما يتوسلون به اليهم سوى علمهم فيحتالون على تحصيل أغراضهم عندهم وصرف وجوههم اليهم بالتفنن عندهم بأنواع من الحيل ولا يسلمون في ذلك من الرياء والتصنع والنفاق والادهان ويجرهم ذلك الى أنواع من المحظورات وضروب من العصيان مع

ما يحل بهم في ذلك من الذل والهوان فاذا نالوا ذلك أو بعضه حصل لهم مقصود نفوسهم وتمكنوا من جميع
حظوظهم فخرجوا من الحرية الى استعباد الأغيار واستبدلوا بالجهل النافع العلم الضار وقد قال الفضيل
ابن عياض رضي الله عنه لو أن أهل العلم أكرموا أنفسهم وشحوا على دينهم وأعزوا العلم وصانوه وأنزلوه
حيث أنزله الله لخضعت لهم رقاب الجبابرة وانقاد لهم الناس وكانوا لهم تبعا وعز الاسلام وأهله ولكنهم
أذلوا أنفسهم ولم يبالوا بما نقص من دينهم اذا سلمت لهم دنياهم فبذلوا علمهم لأبناء الدنيا ليصيبوا بذلك
ما في أيدي الناس فذلوا وهانوا على الناس اه ولله در الشاعر رحمه الله حيث يقول

يقولون لي فيك انقباض وانما * رأوا رجلا عن موقف الذل أحجما
اذا قيل هذا مورد قلت قد أرى * ولكن نفس الحر تحتمل الظما
ولم أبتذل في خدمة العلم مهجتي * لأخدم من لاقيت الا لأخدما
أأغرسه عزا وأجنيه ذلة * اذا فاتباع الجهل قد كان أحزما
ولو أن أهل العلم صانوه صانهم * ولو عظموه في النفوس لعظما
ولكن أهانوه فهانوا ودنسوا * محياه بالأطماع حتى تجهما

وقال وهب بن منبه رضي الله عنه لعطاء الخراساني كان العلماء قبلنا قد استغنوا بعلمهم عن دنيا غيرهم
وكانوا لا يلتفتون الى دنيا غيرهم وكان أهل الدنيا يبذلون لهم دنياهم رغبة في علمهم فأصبح أهل العلم
فينا اليوم يبذلون لأهل الدنيا علمهم رغبة في دنياهم فأصبح أهل الدنيا قد زهدوا في علمهم لما رأوا
من سوء موضعه عندهم وقال ذو النون المصري رضي الله عنه كان الرجل من أهل العلم يزداد بعلمه بغضا
للدنيا وتركا لها فاليوم يزداد الرجل بعلمه للدنيا حبا ولها طلبا وكان الرجل ينفق ماله على علمه ويكسب
الرجل اليوم بعلمه مالا وكان يرى على طالب العلم زيادة في باطنه وظاهره فاليوم يرى على كثير من أهل
العلم فساد في الباطن والظاهر فانظر رحمك الله الى ما ذكره هؤلاء الفضلاء تجده لازما لطلبة هذا الزمان
وليس الخبر كالعيان ثم يتعلق وقوع هذه المفاسد بهم وتوغلهم في سوء أدبهم يتعذر عليهم بعد ذلك سلوك
طريق الحق لما استحكم في قلوبهم من علامات سوء الخلق فقد قيل التعمق في الباطل يقطع لا محالة
الرجوع عنه فكلما كان بعد المسافة من الحق أتم كان اليأس من الرجعة أوجب وأعظم الوبال عليهم
اغترارهم بجهالهم واستحسانهم لسيء أعمالهم واعتقادهم أنهم سالكون سبيل النجاة في الدار الآخرة
ونيل الثواب فيها وأنهم هم الذين حازوا الرتب الشريفة والمناقب المنيفة التي اختص بنيلها العلماء الذين
هم ورثة الأنبياء وليس عندهم من المعرفة وعلوم التحقيق ما يخرجون به من هذا الغرور لأنهم لم
يسلكوا طريق ذلك ولم يهتدوا الى ما هنالك فهذا هو الفساد الذي يختص بهم ولا يشاركون غيرهم فيه
وأما الفساد الذي يتعدى الى غيرهم فأظهر من كل ظاهر وناهيك لمن ملكته نفسه أشد ملك واستعبدته
أشد استعباد هل يبقى عليه شيء من الشر أو نوع من أنواع الفساد الا ويقع فيه اذا تمكن منه ومن دقيق
ما يسري عنهم من الفساد من غير قصد منهم لذلك وقوع الاغترار للجهلة والأغمار بمشاهدة حالهم
فانهم يشاهدونهم قد حازوا من رتب الدنيا ما أرادوه ويتوهمونهم نالوا شرف الآخرة بما أفادوه
واستفادوه فيحملهم ذلك على الاقتداء بهم في طلب العلم ان كانوا ممن فيه قابلية لذلك فيقعوا فيما وقعوا
فيه من المهالك أو يؤديهم ذلك الى محبتهم وموالاتهم واتخاذهم أربابا يسمعون منهم ويطيعونهم في
أوامرهم ونواهيهم ثم يخرج بهم استحسان حالهم الى الداء الدفين وهو مفارقة طباعهم الدنية
وأخلاقهم الرديئة فان نفوس العامة قابلة لذلك ومهيئة له بمنزلة الصبي الذي رسخ فيه أخلاق آبائه
ومنازعهم ومذاهبهم وعند ذلك يبطل في حقهم ما هو مقصود من بعثة الرسل من الزهد في الدنيا

والترغيب في الآخرة وحب الفقر والمسكنة وايثار التواضع والذلة والتخلق بأخلاق الايمان والاسلام
وشدة الحذر من ارتكاب المناهي والآثام ثم يؤول ذلك بهم الى الشرك الخفي والجلي ثم يحيق بهم المكر
السيئ والعياذ بالله تعالى ويكون وبال جميع ذلك راجعا الى العالم لتيسير أسباب ذلك على يديه ولقد
صدق ابن المبارك رحمه الله حيث يقول

وهل أفسد الدين الا الملوك * وأحبار سوء ورهبانها
فباعوا النفوس ولم يربحوا * ولم تغل في البيع أثمانها
لقد رتع القوم في جيفة * تبين لذي العقل انتانها

وروي عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه أنه أخذ حصاة بيضاء فوضعها في كفه ثم قال ان هذا الدين قد
استضاء اضاءة هذه ثم أخذ كفا من تراب فجعل يذره على الحصاة حتى واراها ثم قال والذي نفسي بيده
ليجيئن أقوام يدفنون العلم هكذا كما دفنت هذه الحصاة ولتسلكن سبيل الذين كانوا من قبلكم حذو
القدم بالقدم والنعل بالنعل قلت ومنشأ وجود هذه المفاسد خراب بواطنهم وظلمة قلوبهم بسبب فقد
اليقين منها وانكساف أنوار الايمان فيها وافلاسهم من حقائق ذلك وعدم اختصاصهم بشيء منه فصاروا
بذلك مأسورين لأهوائهم منقادين لأغراضهم وآرائهم ففسدت بذلك نياتهم ومقاصدهم والأعمال
بالنيات فاذا كانت النيات صالحة كانت الأعمال صالحة وترتب عليها آثار الصلاح وانعطف من ذلك
على القلوب مزيد اشراق وحميد أخلاق يؤذن ذلك بوجود القرب من الله ونيل درجة الحب منه فاذا
كانت النيات فاسدة كانت الأعمال أيضا فاسدة وترتب عليها آثار فاسدة وانعطف من ذلك على
القلوب زيادة ظلمة ورداءة همة تقتضي البعد من الله تعالى وحصول المقت منه وطلب العلم عمل من
الأعمال معرض للصحة والاعتلال وليت شعري هؤلاء الذين استغرقوا أعمارهم في طلب العلم والاثر
وأتعبوا أنفسهم بالدراسة والنظر وقطعوا أيامهم ولياليهم بالجوع والسهر وسمحت نفوسهم بفراق
ملذوذاتها والبعد عن جميع مألوفاتها هل بعثهم على ذلك باعث الدين أو باعث الهوى ولا شك أن باعث
الدين غير متصور منهم بل هو محال في حقهم لما قدمناه من خراب البواطن وظلمة القلوب وكيف يتصور
ذلك منهم وهم لم يعملوا على تخلصهم من التكاليف الواجبة عليهم في ظواهرهم وبواطنهم بل لم يعرفوا
ذلك البتة وان ادعوا أنهم على أحوال لا يجب عليهم فيها حكم يحتاجون الى تعرفه والقيام بعرفهم
مخدوعون ومن أين لهم ترك العلم به لا يحصل ضرورة فلا بد لهم من استفادته ولا عناية لهم بهذا أيضا
وانما كان يتصور منهم باعث الدين لو توفرت أغراضهم كلها عليه ووصلوا الى ما يمكنهم الوصول اليه من
شهواتهم ولذاتهم بسبب ما من أسباب الدنيا ثم يصرفون ما فضل من أوقاتهم عن محاولة هذه المطالب ونيلها
الى طلب العلم عوضا عن البطالة التي يتبرم بها ما حبها بدعوة فراغه من أشغال دنياه الى قطع ذلك الوقت
بلهو ولعب أو ارتكاب معصية وذنب لا البطالة التي يكون فيها استراحة لنفسه واستجمام لعقله وحسه
ففي هذه الحال قد يصح باعث الدين من أمثال هؤلاء وأما الحال التي وصفناها فلا يتصور عليها باعث الا
الدنيا المجردة المجاوزة للحد في الذم والمقت بمنزلة من هو حريص على الاتساع في الدنيا والحصول على غاية
ملاذها فانه يعمل عملا يوصله الى ذلك وان كان فيه مهالكه يغتر به ويرتكب الأخطار ويخوض لجج
البحار ويجوب البراري والقفار ويهون عليه في جنب ما يأمله كل مشقة تصيبه وهلكة تنزل به ولو لم
يفعل هذا لم يحصل الا على سد الرمق والاقتصار على التبليغ بالعلق فكذلك هؤلاء الذين كلامنا فيهم
لو لم يتصوروا في خواطرهم الحصول على كمال أغراضهم من اتساع مالهم وجاههم في دنياهم ووصولهم
مع ذلك الى رفيع الدرجات في عقباهم لم يبلغوا ذلك المبلغ في الاجتهاد ولا اقتصروا على بعضه وهذه

كلها أمور بينة لا اشكال فيها عند من له أدنى تمييز وفهم وليس المانع لاكثر من ينتسب الى العلم من العمل بمقتضى ما ذكرناه خفاؤه عليهم كيف وهم يعتقدون صحته ويعلمون حاصله وحقيقته في الاحايين عندما ينجلي عن قلوبهم بعض ظلماتها وتتزحزح عن عظيم غمراتها اما بتذكير مذكر من الخلق أو وعظ واعظ في قلوبهم من قبل الحق ثم يرجعون في سائر أوقاتهم الى مألوفاتهم ومعتاداتهم وأعظم المانع لهم من ذلك انفراد الله تعالى بالمشيئة والقدرة واستئثاره بالخذلان والنصرة فاذا أراد الله تعالى أن يضل عبدا من عباده لم ينصره عقل ولم ينفعه علم قال الله عز وجل ومن يرد الله فتنته فلن تملك له من الله شيئا وفي مثل هذا الموطن تبطل أحكام الاسباب ويتحقق أرباب الحقائق العظمة والجلال والعزة والكمال لرب الارباب فليعتبر بما ذكرناه أرباب الابصار وليسلموا أحكام الواحد القهار لعلهم بذلك يهتدون الى منهج التحقيق حين يضل غيرهم عن سواء الطريق * مصائب قوم عند قوم فوائد *

وليقل العبد المؤمن اذا نظر اليهم واعتبر بما جرى من سوء القضاء عليهم الحمد لله الذي عافاني مما ابتلاهم به وفضلني عليهم تفضيلا فقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال من رأى مبتلى فقال الحمد لله الذي عافاني مما ابتلي به هذا وفضلني عليه وعلى كثير ممن خلق تفضيلا عافاه الله من ذلك البلاء كائنا ما كان فعلى المعلم الناصح لنفسه المسالم في عقله وخدمة العامل على تصحيح أعماله وهمه المشفق على دينه الذي هو مسوط بلحمه ودمه أن يتأمل هذه المفاسد ويقيس بها ما يتوهمه من المصالح الناشئة عن تعليمه بزعمه ويدقق النظر في ذلك كما يدققه في أكثر المسائل التي لا يحتاج اليها ولا يقدم على التعليم في هذه الازمنة ذوات العلل المزمنة حتى يقطع بوجوب ذلك عليه من غير تردد ولا تجويز وقوع خطأ في نظر ولا سبيل له الى هذا ولا يسعه خلاف ذلك اذا كان منصفا قال بعضهم رأيت سفيان الثوري حزينا فسألته عن ذلك فقال ثم هو ندم ما صرنا الا متجرا لابناء الدنيا قلت وكيف ذلك قال يلزمنا أحدهم حتى اذا عرف بنا رحل عنا وجعل عاملا أو حاجبا أو قهرمانا أو حاجبا يقول حدثنا سفيان الثوري وعليه أيضا أن يحرص على مخالفة نفسه فيما تدعوه اليه من التعليم لان كل ما تستحليه النفس ويوافق غرضها محجوب بالآفات والعلل التي تقدح في اخلاص الاعمال واخلاص الاعمال شرط في وجوب القبول وعند ذلك تذهب عملا باطلا ولا ينال بسعيه طائلا وقد تقدم من كلام علي بن أبي طالب رضي الله عنه كونوا لقبول العمل أشد اهتماما منكم بالعمل عند قوله ما قل عمل برز من قلب زاهد وتقدم أيضا الكلام على اتهام النفس في دعائها الى ما ظاهره خير عند قوله اذا التبس عليك أمران وليتعلم الحزم في ذلك من بشر بن الحرث الحافي رضي الله عنه كان يقول أنا أشتهي أن أحدث ولو ذهب عني شهوة الحديث لحدثت وكان سبب تركه طلب الحديث أنه سمع أبا داود الطيالسي يحدث عن شعبة أنه كان يقول الاكثار من هذا الحديث يصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون فلما سمعه منه قال انتهينا انتهينا ثم ترك الرحلة في طلب الحديث وأقبل على العبادة وروي أيضا مثل هذا الكلام عن مسعر بن كدام فاذا كان الاكثار من طلب الحديث بهذه المثابة عند امامي المحدثين في زمنيهما مع ما فيه من الفوائد الاخروية فما ظنك بغيره من محدثات العلوم ومبتدعاتها ولقد ذكر الشيخ الحافظ أبو عمر بن عبد البر رحمه الله باسناده الى عبد الله بن مسلمة القعنبي رحمه الله قال دخلت على مالك بن أنس رضي الله عنه فوجدته باكيا فسلمت عليه فرد علي السلام ثم سكت عني يبكي فقلت له يا أبا عبد الله ما الذي أبكاك فقال لي يا ابن قعنب أبكي لله على ما فرط مني ليتني جلدت بكل كلمة تكلمت بها في هذا الامر بسوط ولم يكن فرط مني ما فرط من هذا الرأي وهذه المسائل ولقد كان لي سعة فيما سبقت اليه قال هذا فيما كان آخذا فيه من المسائل المحققة المبنية على أصول صحيحة غير ملفقة

(متى آلمك) أي أوجد عندك الألم والغم (عدم اقبال الناس عليك أو توجههم بالذم اليك فارجع الى علم الله) أي اقنع بعلمه (فيك) واكتف به عن علمهم بحالك المقتضى لاقبالهم عليك وعدم ذمهم لك فان كنت عند الله مخلصه في أعمالك مقبولا فأي شئ يضرك من كونك عند الخلق ليس على ذلك الوصف حتى يتوجهوا اليك بالذم والأذى وان كنت حقيرا ممقوتا العلم اخلاصك فأي شئ ينفعك من اقبالهم عليك ورضاهم عنك وثنائهم عليك (فان كان لا يقنعك علمه) بأن أحببت أن تدخل مع علمه علم غيره حتى يطلع على اخلاصك وأعمالك فيعظمك ويقبل عليك (فمصيبتك) الحاصلة لك (بعدم قناعتك بعلمه أشد من مصيبتك) الحاصلة (بوجود الأذى منهم) بذمك والاعراض عنك لأن عدم القناعة بعلمه تعالى يردك اليهم فهو مصيبة **(٥٧)** ولا بد وأذاهم يردك اليه فهو فائدة في الواقع ونعمة وان كان مصيبة في الظاهر فلا ينبغي للمريد أن يكون مطمح نظره الا الى مولاه فلا يفرح الا باقباله عليه ولا يحزن الا باعراضه عنه ولا ينظر الى المخلوقين في اقبال ولا اعراض ولا مدح ولا ذم فانهم لا يغنون عنه من الله شيئا فمن آلمه عدم اقبالهم عليه أو توجههم بالذم اليه فليرجع الى ما بينه وبين ربه وليكتف بعلمه بحاله ولا يحب أن يدخل مع علمه علم المخلوقين حتى يعظموه قال ابراهيم التيمي لبعض أصحابه ما يقول الناس في قال يقولون انك مراء فقال الآن طاب العمل قال بشر اكتفي والله بعلم الله فلم يحب أن يدخل مع علم الله علم غيره وقال بشر الحافي سكون القلب الى قبول المدح أشد عليه من المعاصي (انما أجرى الأذى على أيديهم) اليك أيها المريد (كي لا تكون ساكنا اليهم) أي معتمدا عليهم في تحصيل نفع أو دفع ضر تاركا لجناب مولاك وقوله (أراد أن يزعجك عن كل شئ) بتوجه الخلق اليك بالأذى (حتى لا يشغلك عنه شئ) هو بمعنى ما قبله قال في لطائف المنن اعلم أن أولياء الله حكمهم في بداياتهم أن تسلط الخلق عليهم ليطهروا من البقايا وتتكمل فيهم المزايا ولئلا يساكنوا هذا الخلق باعتماد أو يميلوا اليهم باستناد ومن آذاك فقد أعتقك من رق احسانه ومن أحسن اليك فقد استرقك بوجود امتنانه ثم قال وتسليط الخلق على أولياء الله في مبدأ ظهورهم سنة الله في أحبابه وأصفيائه اهـ وقال الاستاذ أبو الحسن الشاذلي قدس الله سره آذاني انسان مرة فضقت ذرعا بذلك فنمت فرأيت يقال لي من علامة الصديقية كثرة أعدائها ثم لا يبالي بهم اهـ

الظن بما انتشر بعده من الهذيان الذي صار بحكم العادة واقتضاء العصبية وتمالؤ الناس على الضلال وتقليد الرؤساء الجهال كدينا فو بما وصر الما مستقيما وعلى كل واحد من العالم والمتعلم أن يشتغل بما هو أهم عليه بما هو مأمور به ومسؤل عنه من مراقبة ربه واصلاح نفسه وقلبه فله في ذلك شغل شاغل عما يفرق همه ويقسي قلبه وينسيه ذكر ربه عز وجل قال وهب بن منبه ذكر طلب العلم عند مالك بن أنس فقال ان طلبه لحسن اذا صحت فيه النية ولكن انظر ماذا يلزمك من حين تصبح الى حين تمسي ومن حين تمسي الى حين تصبح فلا تؤثرن عليه شيئا وكان سفيان الثوري يقول لأهل العلم الظاهر طلب هذا ليس من زاد الآخرة وكان يقول ليس طلب الحديث من عدة الموت لكنه علة يتشاغل به الرجل وكان يقول لولا أن للشيطان فيه حظا ما ازدحم عليه يعني العلم فهذه نبذة قصدت الى بثها في الموضع اللائق بها من هذا التنبيه لتنبيه بها من سبق له من الله زوال العمى عن بصره ومراجعة خوفه وحذره من المعلمين والمتعلمين وليتبين بها كلام المؤلف رحمه الله غاية التبيين وبالله الذي لا اله سواه نستعين ۞ (متى آلمك اقبال الناس عليك أو توجههم بالذم اليك فارجع الى علم الله فيك فان كان لا يقنعك علمه فمصيبتك بعدم قناعتك بعلمه أشد من مصيبتك بوجود الأذى منهم) العبد لا ينبغي أن يكون مطمح نظره الا الى مولاه فلا يفرح الا باقباله عليه ولا يحزن الا لاعراضه عنه ولا ينظر الى المخلوقين في اقبال ولا اعراض ولا مدح ولا ذم فانهم لا يغنون عنه من الله شيئا وقد تقدم هذا المعنى في قوله رحمه الله غيب نظر الخلق اليك بنظر الله اليك وغب عن اقبالهم عليك بشهود اقباله عليك فمتى آلمه عدم اقبالهم عليه أو توجههم بالذم اليه فليرجع الى ما بينه وبين ربه فان كان قانعا بعلمه راضيا بقسمته كان له في ذلك أعظم سلوان عما يفوته من جهة المخلوقين بل لا يجد وقع ذلك على قلبه لما عسى أن يكون منهم من اقبال أو اعراض وان لم يكن راضيا ولا قانعا فمصيبته بذلك أعظم من مصيبته بأذى الناس له بل لا مصيبة في أذى الناس البتة عند من عرف سر ذلك على ما يذكره المؤلف الآن رحمه الله تعالى قال ابراهيم التيمي رضي الله عنه لبعض أصحابه ما يقول الناس في فقال يقولون انك مراء فقال الآن طاب العمل فقال بشر رضي الله عنه اكتفي والله بعلم الله فلم يحب أن يدخل مع الله علم غيره وقال بشر الحافي سكون النفس الى قبول المدح لها أشد عليها من المعاصي ۞ (انما أجري الأذى على أيديهم كيلا تكون ساكنا اليهم أراد أن يزعجك عن كل شئ حتى لا يشغلك عنه شئ) وجود أذى الناس للعبد نعمة عظيمة عليه لا سيما من اعتاد منهم الملاطفة والاكرام والمبرة والاحترام لأن ذلك يفقده عدم السكون اليهم وترك الاعتماد عليهم وفقد الانس بهم فيستحق بذلك

عبوديته كُرُبه عز وجل قال سيدي أبو الحسن الشاذلي رضي الله عنه آذاني انسان مرة فضقت ذرعا بذلك فنمت فرأيت يقال لي من علامة الصديقية كثرة أعدائها ثم لا يبالي بهم وقال بعض العارفين الفضيحة من العدو سوط الله يضرب به القلوب اذا ساكنت غيره ولولا ذلك لرقد العبد في ظل العز والجاه وهو حجاب عن الله عظيم وقال سيدي أبو محمد عبد السلام شيخ سيدي أبي الحسن الشاذلي رضي الله عنهما في دعائه اللهم ان قوما سألوك أن تسخر لهم خلقك فسخرت لهم خلقك فرضوا منك بذلك اللهم اني أسألك اعوجاج الخلق علي حتى لا يكون لي ملجأ الا اليك وقال أبو الحسن الوراق النيسابوري رضي الله عنه الأنس بالخلق وحشة والطمأنينة اليهم حمق والسكون اليهم عجز والاعتماد عليهم وهن والثقة بهم ضياع واذا أراد الله بعبد خيرا جعل أنسه به وتوكله عليه وصان سره عن النظر اليهم وظاهره عن الاعتماد عليهم وقد قالوا الزهاد يخرجون المال عن الكيس تقربا الى الله تعالى وأهل الصفاء يخرجون الخلق والمعارف من القلب تحققا بالله عز وجل قال في لطائف المنن اعلم أن أولياء الله تعالى حكمهم في بداياتهم أن يسلط الخلق عليهم ليطهروا من البقايا وتكمل فيهم المزايا وكيلا يساكنوا هذا الخلق باعتماد أو يميلوا اليهم باستناد ومن أحسن اليك فقد استرقك بوجود امتنانه ولذلك قال صلى الله عليه وسلم من أسدى اليكم معروفا فكافئوه فان لم تقدر وافادعوا له كل ذلك ليتخلص القلب من رق احسان الخلق وليتعلق بالملك الحق قال وقد قال الشيخ أبو الحسن رضي الله عنه اهرب من خير الناس أكثر مما تهرب من شرهم فان خيرهم يصيبك في قلبك وشرهم يصيبك في بدنك ولأن تصاب في بدنك خير من أن تصاب في قلبك ولعدو تصل به الى الله خير لك من حبيب يقطعك عن الله ومن اقبالهم عليك ليلا واعراضهم عنك نهارا الا تراهم اذا أقبلوا افتتنوا قال وتسليط الخلق على أولياء الله في مبدأ ظهورهم سنة الله في أحبابه وأصفيائه قال الشيخ أبو الحسن رضي الله عنه اللهم ان القوم قد حكمت عليهم بالذل حتى عزوا وحكمت عليهم بالفقد حتى وجدوا فكل عز يمنع دونك فنسألك بدله ذلا تصحبه لطائف رحمتك وكل وجد يحجب عنك فنسألك عوضه فقدا تصحبه أنوار محبتك قال ومما يدلك على أن ذلك سنة الله في أحبابه وأصفيائه قوله تعالى وزلزلوا الآية وقوله تعالى حتى اذا استيأس الرسل الآية وقوله تعالى ونريد أن نمن على الذين استضعفوا الآيتين وقوله أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا الى غير ذلك من الآيات الدالة على هذا المعنى اه وكذلك من استحلى حالا أو ساكن مقاما فمن سنة الله تعالى مع أوليائه تشويش ذلك عليهم وهو من غيرته على قلوبهم لئلا تستأنس بغيره ولئلا تتقيد بسواه قال الامام أبو القاسم القشيري رضي الله عنه ومن المقاطع المشكلة السكون الى استحلاء ما يلاقيك به من فنون تقريبك وكأنه في خلال ما يناجيك يناغيك فانه بكل لطيفة يصفيك ويطريك فرعتها خديعة خافية ومن أدركته السعادة كاشفه بشهود جلاله لا بأنه في لطيف أحواله وما غصة به من افضاله وأقبالهم أداء الطاعات على وجه الاستحلاء معدود عندهم من الشهوة الخفية ومن هذا المعنى ما ذكر عن سيدي أبي الحسن الشاذلي رضي الله عنه لما دخل على شيخه أبي محمد عبد السلام في أول ما لقيه وسأله عن حاله قال له أشكو الى الله من برد الرضا والتسليم كما تشكو أنت من حر التدبير والاختيار فقال له الشيخ أبو الحسن أما شكواي من حر التدبير والاختيار فقد ذقته وأنا الآن فيه وأما شكواك من برد الرضا والتسليم فلم أفهمه فقال أخاف أن تشغلني حلاوتهما عن الله سبحانه (وقال) سيدي أبو العباس المرسي رضي الله عنه اللطف حجاب عن اللطيف يعني السكون اليه والوقوف عنده وشدة الفرح به ولذلك قال سري السقطي رضي الله عنه لو أن رجلا دخل الى بستان فيه من جميع ما خلق الله تعالى من الأشجار عليها من جميع ما خلق الله من الأطيار فخاطبه كل طائر منها

بلغته

(اذا علمت) أيها المريد (أن الشيطان لا يغفل عنك) أي عن اضلالك واغوائك ومحاربتك لقوله تعالى لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم الآية وقد ورد أن لكل أحد من الناس شيطانا واضعا خرطومه على قلبه فاذا غفل عن ذكر الله تعالى وسوس له واذا ذكر خنس أي تأخر واستتر (فلا تغفل أنت عمن ناصيتك بيده) وهو الله تعالى عن الاعتصام والالتجاء به سبحانه وتعالى فانه يكفيك همه لقوله تعالى ان عبادي ليس لك عليهم سلطان وقوله تعالى انه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون فمن تحقق بهذه الصفات العلية من الايمان بالله تعالى والعبودية له والتوكل عليه والالتجاء والافتقار اليه والاستعاذة به كيف لا ينصره على عدوه قال ذو النون المصري ان كان هو يراك من حيث لا تراه فان الله يراه من حيث لا يرى الله فاستعن بالله عليه وعن أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قال ابليس لربه عز وجل بعزتك وجلالك لا أبرح أغوي بني آدم ما دامت الارواح فيهم فقال له الله عز وجل وعزتي وجلالي لا أبرح أغفر لهم ما استغفروني

بلغني وقال السلام عليك يا ولي الله فبكيت نفسه الى ذلك كان في أبديهما أسيرا وقال بعضهم لا يكون الصوفي صوفيا حتى لا تقله أرض ولا تظله سماء ولا يكون له قبول عند الخلق ويكون مرجعه في جميع أموره الى الحق وقيل الفقير من لا دنيا له ولا آخرة فان عرض على مالك قال ليس من رجالي وان سلم الى رضوان قال لا أهتدي اليه ليس من رجالي وان قلت من هو وما الذي يدعي به قال ليس ممن يدعي بشيء وقال محمد بن الحسن رضي الله تعالى عنه بينا أنا أدور في جبل لبنان اذ خرج شاب قد أحرقه السموم والرياح فلما نظر الي ولى هاربا فتبعته وقلت له عظني بكلمة فقال احذره فانه غيور لا يحب أن يرى في قلب عبده سواه وكتب الجنيد رضي الله عنه الى بعض اخوانه من أشار الى الله وسكن الى غيره ابتلاه الله وحجب ذكره عن قلبه وأجراه على لسانه فان انتبه وانقطع عمن سكن اليه ورجع الى ما أشار اليه كشف الله ما به من المحن والبلوى وان دام على سكونه نزع الله من قلوب الخلق الرحمة عليه وألبسه لباس الطمع فتزداد رغبته فيهم مع فقد الرحمة من قلوبهم فتصير معيشته عجزا ومونته كمدا ومعاده أسفا ونحن نعوذ بالله من السكون لغيره (اذا علمت أن الشيطان لا يغفل عنك فلا تغفل أنت عمن ناصيتك بيده) الشيطان عدو مسلط على الانسان ومقتضى ذلك أن لا يوجد منه غفلة ولا فترة عن التزيين والاغواء والاضلال قيل لبعضهم أينام ابليس فقال لو نام لوجدنا راحة فاذا علمت أنه لا يغفل عنك فلا تغفل أنت عمن ناصيتك بيده وهو الله عز وجل وذلك بتحقيق عبوديتك له وتوكلك عليه وافتقارك في كل أحوالك اليه واستعاذتك به من شر عدوك وعدوه فبذلك تخرج من سلطنته وتنجو من غائلته قال الله تعالى ان عبادي ليس لك عليهم سلطان وكفى بربك وكيلا وقال عز وجل انه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون فمن تحقق هذه الصفات العلية من الايمان بالله تعالى والعبودية له والتوكل عليه والالتجاء اليه والافتقار اليه والاستعاذة والاستجارة به كيف يكون للعدو الله عليه سلطان ثم ان الله يحبه ويتولى حفظه ونصره ولاجل هذا أمرهم الله تعالى بالاستعاذة منه ما استعاذوا منه ومن هو حتى يستعاذ بالله منه قال سيدي أبو العباس المرسي رضي الله عنه في قوله تعالى ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا فقوم فهموا من هذا الخطاب أنهم أمروا بعداوة الشيطان فشغلهم ذلك عن محبة الحبيب وقوم فهموا من ذلك أن الشيطان لكم عدو أي وأنا لكم حبيب فاشتغلوا بمحبته فكفاهم من دونه وقال أبو حازم رضي الله عنه ما الشيطان حتى يهاب والله لقد أطيع فما نفع ولقد عصي فما ضر وقال بعضهم الشيطان منديل هذه الدار يعني يمسح به أقذار النسب وهي نفثة الشرور وأنواع المعاصي والفساد اليه أدبا مع الله عز وجل وهذا كما قال الله تعالى وما أنسانيه الا الشيطان أن أذكره وقوله تعالى هذا من عمل الشيطان وأما أن تكون له قوة يضر بها أو ينفع فلا * قال أبو سليمان الداراني رضي الله عنه ما خلق الله عز وجل خلقا أهون علي من ابليس ولولا أن الله أمرني أن أتعوذ منه ما تعوذت منه أبدا وقيل لبعض العارفين كيف مجاهدتك الشيطان فقال وما الشيطان نحن قوم صرفنا همنا الى الله فكفانا من دونه وسئل بعضهم كيف تدفع ابليس فقال لا أدفع من لا أعرف فأما ان أهملت ذلك وغفلت عنه ولم تعبأ به غلبك لا محالة لثبوت سلطنته عليك ووصوله بالوسوسة اليك قال أهل العلم ان لكل أحد من الناس شيطانا موكلا به مستبطنا قلبه واضعا رأسه أو قال خرطومه عليه فاذا غفل العبد وسوس واذا ذكر الله خنس أي تأخر واستتر وقال يحيى بن معاذ رضي الله عنه الشيطان قديم وأنت حديث والشيطان كبير وأنت سليم الناحية والشيطان لا ينساك وأنت لا تزال تنساه وله من نفسك عليك عون وقيل صدر ابن آدم مسكن له ومجراه من ابن آدم مجرى الدم وأنت لا تقاومه الا بعون الله تعالى وقال مالك بن دينار رضي الله عنه

(جعله الله) (لك عدوا) قال تعالى ان الشيطان لكم عدو الآية (ليحوشك به اليه) لأنك اذا عرفت انه لا طاقة لك على مقابلته بنفسك لما أنت عليه من غاية الضعف والعجز اضطررت لا محالة الى الاستعانة عليه بمولاك القوى المتين و وجد منك الالتجاء اليه والانتصار به والتوكل عليه فى دفعه عنك فعداوة الشيطان هى التى ردك الله بها اليه وجمعك بها عليه وهذا هو غاية المقصود (٦٠)

وهذا فى حق غير المجذوبين الذين صرفوا هممهم الى جناب الحق أما هم فلا يحتاجون الى عداوة تحوشهم لأن تعلقهم به كالطبيعى فيهم فلا يلتفتون الى ابليس ولولا أمر الله تعالى لهم بالاستعاذة منه ما استعاذوا منه ومن هو حتى يستعاذ بالله منه (وحرك عليك النفس) بطلب متابعة الهوى والشهوة (ليدوم اقبالك عليه) لأنك لا تقدر على مجاهدتها ودفع هواها الممتزج بلحمك ودمك الا بمن هو أقوى منك وليس ذلك الا مولاك فقد دعاك بهذا الى دوام الاقبال عليه والعكوف بالهم عليه لا سيما وهى أعدى أعدائك اذ بواسطتها يتوصل اليك ولأنها عدو من داخل البيت وعداوة العدو الذى من داخل البيت أشد ولذا سمى صلى الله عليه وسلم جهادها بالجهاد الأكبر (من أثبت لنفسه تواضعا) بأن خطر بباله أنه متواضع (فهو المتكبر حقا اذ ليس التواضع) أى ليس اثباته ناشئا (الا عن) شهود (رفعة) كان يستحقها وانه متنازل عنها الى ما دونها (فمتى أثبت لنفسك رفعة) فى ضمن اثبات التواضع (فأنت المتكبر حقا) ولا ينتفى عنك التكبر الا بوجود الضعة حقيقة بأن لا ترى لنفسك مرتبة ولا قيمة ثم قال (ليس التواضع الذى اذا تواضع) أى فعل أفعال المتواضعين بأن جلس فى أسفل المجلس مثلا (رأى أنه فوق ما صنع) أى أنه يستحق الجلوس فى صدر المجلس مثلا (ولكن المتواضع) الذى

ان عدوا يراك ولا تراه لشديد المؤنة الا من عصمه الله وفيه يقول القائل

أشكو عدوا كيده يرانى ❊ ولا أراه فحبنا برانى
وعند ما أنساه لا ينسانى ❊ ياسيدى ان لم تغث سبانى

وقال ذو النون المصرى رضى الله عنه ان كان هو يراك من حيث لا تراه فان الله يراه من حيث لا يرى الله فاستعن بالله عليه وعن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قال ابليس لربه عز وجل بعزتك وجلالك لا أبرح أغوى بنى آدم ما دامت الارواح فيهم قال له ربه وعزتى وجلالى لا أبرح أغفر لهم ما استغفرونى ❊ (جعله لك عدوا ليحوشك به اليه وحرك عليك النفس ليدوم اقبالك عليه) عداوة الشيطان لك نعمة عظيمة من الله عليك اذ من مقتضاها كما قلناه أن لا يغفل عنك وأن يبذل جهده فى محاربتك ومقاتلتك بنفسه و بجنده وخيله ورجله ولا طاقة لك على مقاتلته بنفسك لأنك فى غاية الضعف والعجز فيضطرك الحال لا محالة الى الاستعانة عليه بمولاك القوى المتين فيوجد منك حينئذ الالتجاء اليه والانتصار به والتوكل عليه فى دفعه عنك فعداوة الشيطان هى التى ردك الحق تعالى بها اليه وجمعك بها عليه وهذا هو غاية المقصود وكذلك محركة النفس بالحمل على متابعة الهوى والشهوة بما جعل فيها من الطبع والجبلة نعمة عظيمة أيضا فان كانت أعدى الاعداء لك اذ بواسطتها يتوصلون اليك و يأمرها يعملون فيما يعود بالضرر عليك من قبل أنك لا تقدر على مجاهدتها ودفع هواها الممتزج بلحمك ودمك الا بمن هو أقوى منك وليس ذلك الا مولاك فقد دعاك بهذا الى دوام الاقبال عليه والعكوف بالهم عليه وكان المؤلف رحمه الله تعالى قصد فى هذه الكلمات الى ذكر الاعداء الاربعة المذكورين فى قول الشاعر

انى بليت بأربع يرميننى ❊ بالنبل عن قوس لها توتير
ابليس والدنيا ونفسى والهوى ❊ يارب أنت على الخلاص قدير

وبين فى كلامه وجود عداوتهم ووجوه الاحتراز منها وضم الى ذلك بيان أن تلك العداوة من أعظم الوسائل الى أسنى المطالب لمن أريد بذلك ووفق له وأتى بجميع ذلك فى ألفاظ بديعة مختصرة وجيزة محررة فاعرف قدر هذا الفصل واعترف لواضعه بكمال النبل والفضل وقال رضى الله عنه ❊ (من أثبت لنفسه تواضعا فهو المتكبر حقا اذ ليس التواضع الا عن رفعة فمتى أثبت لنفسك تواضعا فأنت المتكبر) اثبات التواضع يقتضى وجود الرفعة لا محالة اذ لو كانت معدومة لكان ضدها وهو الضعة ثابتا موجودا ولا ينتفى عن العبد التكبر الا بوجود الضعة ووجود الضعة لا يحتاج الى الاثبات من العبد لأنه ثابت فى نفسه والتواضع الذى أثبته العبد لنفسه لا ينفى عنه وجود التكبر بالضرورة وأيضا فان لفظة التواضع تؤذن بذلك فان التواضع تفاعل من الضعة وأكثر باب التفاعل موضوع لاظهار الصفة وليست كذلك كالتناوم والتناكر والتفارح والتماوت وغير ذلك فصيغة التواضع لا تقتضى حقيقة الضعة وعدم الرفعة ولا يلزم من وجودها ذلك والمطلوب من العبد انما هو أن يتصف بذلك حقيقة لا اظهارا فقط بأن ينتفى عنه وجود الرفعة بالكلية وحينئذ يبرأ العبد من التكبر ولا يكون له وجود البتة ❊ (ليس المتواضع الذى اذا تواضع رأى أنه فوق ما صنع ولكن المتواضع

الذي اذا تواضع رأى أنه دون ماصنع) هذا بيان آخر لما ذكره من أن العبد المتواضع حقيقة لا يثبت التواضع لنفسه لأنه يشاهد من ضعة قدره وخمول ذكره وذلته ومهانته ما يمنعه من ذلك وهذا هو التواضع الحقيقي وهو شهوده لذلك ووجده به وظهور آثاره على ظاهره بل شهوده لذلك ووجده به مما يقدح في حقيقة تواضعه كما قال الشيخ أبو عبد الله القرشي رضي الله عنه من وجد ذوق ذلة في ذله فهو متعزز وفيه بقية فهذا العبد المتصف بهذه الصفة لو فعل من أفعال المتواضعين ما شاء لم يثبت بذلك لنفسه تواضعا لأنه يرى نفسه دون ما صنع من ذلك لغلبة ذلك الشهود والوجد عليه فان أثبته لنفسه ورأى أن نفسه فوق ما صنع مما يقتضي وجود صفة التواضع له بزعمه فهو متكبر حقيقة ولذلك قال الشبلي رضي الله عنه يوما في بعض كلامه ذلي عطل ذل اليهود وقال من رأى لنفسه قيمة فليس له من التواضع نصيب وقال أبو سليمان الداراني رضي الله عنه لا يتواضع العبد لله حتى يعرف نفسه وقال أبو يزيد رضي الله عنه مادام العبد يظن أن في الخلق من هو شر منه فهو متكبر قيل له فمتى يكون متواضعا قال اذا لم ير لنفسه مقاما ولا حالا وتواضع كل أحد على قدر معرفته بربه وبنفسه * وقال أبو سليمان الداراني رضي الله عنه لو اجتمع الخلق على أن يضعوني كاتضاعي عند نفسي ما قدروا عليه وقال أبو يونس بن عبيد الله رضي الله عنه وقد انصرف من عرفات لم أشك في الرحمة لولا أني كنت فيهم وقيل لمحمد بن مقاتل ادع الله لنا فبكى وقال ياليتني لم أكن أنا سبب هلاككم ومن علامات التحقق بهذا الخلق أن لا يغضب اذا عيب أو تنقص ولا يكره أن يذم ويقذف بالكبائر ومن علامات تحققه به أيضا أن يستحرص على أن لا يكون له جاه وقدر عند الناس ويلزم الصدق في حاله بأن لا يرى لنفسه موضعا في قلوبهم وقد تقدم هذا المعنى عند قوله ادفن وجودك في أرض الخمول فما نبت مما لم يدفن لا يتم نتاجه * ويحكى عن أبي الحسين ابن الكرنبي أستاذ الجنيد رضي الله عنهما أن رجلا دعاه ثلاث مرات الى طعامه ثم يرده فيرجع اليه بعد ذلك حتى أدخله داره في المرة الرابعة فسأله عن ذلك فقال قد رضت نفسي على الذل عشرين سنة حتى صارت بمنزلة الكلب يطرد فينطرد ثم يدعى فيعود ويرمى له عظم فيجيب ولو رددتني خمسين مرة ثم دعوتني بعد ذلك لأجبتك * قال أبو طالب المكي رضي الله عنه وحدثت عن بعض الصوفية أنه وقف على رجل وهو يأكل فمد يده وقال ان كان ثم شئ لله تعالى فقال اجلس فكل فقال أعطني في كفي فأعطاه في كفه فقعد في مكانه يأكل فسأله عن امتناعه من الجلوس معه فقال ان حالي مع الله تعالى الذل فكرهت أن أفارق حالي قال وكان هذا ربما مد يده الى الهراس فيجعل فيها هريسة * ومن أغرب ما رأيت في التواضع ما ذكره صاحب كتاب عوارف المعارف قال رأيت شيخنا ضياء الدين أبا النجيب وكنت معه في سفره الى الشام وقد بعث بعض أبناء الدنيا له طعاما على رؤس الأسارى من الافرنج وهم في قيودهم فلما مدت السفرة والأسارى ينتظرون الأواني حتى تفرغ قال للخادم أحضر الأسارى حتى يقعدوا على السفرة مع الفقراء فجاء بهم وأقعدهم على السفرة صفا واحدا وقام الشيخ من سجادته ومشى اليهم وقعد بينهم كالواحد منهم وأكل وأكلوا وظهر لنا على وجهه ما نازل باطنه من التواضع لله تعالى والانكسار في نفسه وانسلاخه من التكبر عليهم بإيمانه وعلمه وعمله * وأغرب من هذا ما ذكره صاحب كتاب بغية الطالب ومنية الراغب أبو الحسن علي بن عتيق بن يوسف القرطبي رحمه الله عن أبيه أنه رأى الشيخ الفقيه أبا محمد بن عبد الله عبد الرحمن بن مفيد وكان من الفقهاء العلماء وهو يمشي في يوم شتات كثير الطين فاستقبله كلب يمشي على الطريق التي كان يمشي عليها قال فرأيته قد لصق بالحائط وعمل للكلب طريقا ووقف ينتظره ليجوز وحينئذ يمشي هو فلما قرب منه الكلب قال فرأيته قد ترك مكانه الذي كان فيه ونزل أسفل وترك الكلب يمشي فوقه قال فلما جاوزه الكلب وصلت اليه فوجدته وعليه

هو (الذي اذا تواضع) أي فعل أفعال المتواضعين بأن جلس قريبا من صدر المجلس مثلا (رأى أنه دون ماصنع) وأنه يستحق أن يجلس في أسفل المجلس مثلا، والحاصل أن المتواضع حقيقة هو الذي لا يثبت التواضع لنفسه لأنه يشاهد من ضعة قدره وخمول ذكره وذلته ومهانته ما يمنعه من ذلك ومن كان متصفا بهذه الصفة لو فعل من أفعال المتواضعين ما شاء لم يثبت بذلك لنفسه تواضعا لأنه يرى نفسه دون ماصنع من ذلك لغلبة ذلك الشهود عليه فان أثبته لنفسه ورأى نفسه فوق ماصنع مما يقتضي وجود صفة التواضع له بزعمه فهو متكبر حقيقة ولذا قال الشبلي من رأى لنفسه قيمة فليس له من التواضع نصيب وقال ذلي عطل ذل اليهود * ومن علامة التحقق بهذا الخلق أن لا يغضب اذا عوتب أو انتقص ولا يكره أن يذم أو يقذف بالكبائر ولا يحرص على أن يكون له عندهم قدر وجاه ولا يرى لنفسه موضعا في قلوب الناس

(التواضع الحقيقي هو ما) أي انكسار وانهضام (كان ناشئا عن شهود عظمته) تعالى (وتجلي صفته) يعني أن شهود عظمة الله تعالى وتجلي صفاته على العبد هو الذي يوجب له وجود التواضع الحقيقي لأن ذلك هو الذي يخمد النفس ويذهبها ويبطل أمانيها فما تجلى الله تعالى لشئ الا خضع له فلا ينقطع من القلب شجرة الكبر وحب الرياسة الا به وخرج بالحقيقي فالتواضع المتقدم وهو الذي ينشأ من النظر لنقص النفوس وعيوبها فانه ليس حقيقيا لأنه قد يكون مشوبا بشئ من الكبر والعجب ولذا قال الجنيد قدس الله سره التواضع عند أهل التوحيد تكبر قال الغزالي ولعل مراده أن المتواضع يثبت نفسه ثم يضعها والموحد لا يثبت نفسه ولا يراها شيئا حتى يضعها انتهى فهو غائب عن نفسه وحسه بما يشاهده من عظمته به قال في عوارف المعارف لا يبلغ العبد حقيقة التواضع الا عند لمعان نور المشاهدة في قلبه فعند ذلك تذوب النفس وعند ذوبانها صفاؤها عن غش الكبر والعجب انتهى * ثم عال ما تقدم بقوله (لا يخرجك (٦٢)

عن الوصف) أي عن أوصاف نفسك كالكبر والعجب (الا شهود الوصف) أي شهود صفات ربك كعظمته فالوصف المذكور أولا هو وصف العبد والمذكور ثانيا هو وصف الرب وهذه قاعدة كلية شاملة لما تقدم ولغيره فلا خروج للعبد عن صفات نفسه الا بشهوده لصفات ربه فمن شهد كبرياء الحق لم يبق به تكبر ومن شهد غناه لم يبق له غنى ومن شهد قدرته لم تبق له قدرة فيبقى بربه لا بنفسه فان من شهد أوصاف ربه لم يبق له خبر عن نفسه (المؤمن) الكامل (يشغله الثناء على الله) أي وصفه بالأوصاف الجميلة ونسبه الأوصاف الحميدة اليه (عن أن يكون لنفسه شاكرا) أي معظما لها بنسبة الأفعال الجميلة والأحوال الحميدة اليها فاذا قال انا صليت أو صمت ونسب الأفعال الجميلة اليه لم يكن مؤمنا في لأن ذلك فعل الله تعالى والعبد مظهر لذلك فقط ظهر فيه الفعل فلا معنى للاشتغال بالثناء على المظهر عن الثناء على الفاعل المعطي المنان فالمؤمن الكامل لا ينسب الأفعال الحسنة والأحوال السنية الى نفسه ولا يلتفت اليها فيكون لها شاكرا أي معظما بل يغيب عن ذلك بنسبتها الى موجدها ومنشئها وهو الله تعالى (ويشغله بحقوق الله) أي الحرص على توفية حقوقه تعالى (عن أن يكون لحظوظه ذاكرا) أي ملتفتا لها بأن يعبد الله تعالى لذاته لا لطمع في جنته أو هرب من ناره فانه (ليس المحب) الحقيقي (الذي يرجو من محبوبه عوضا) على عمله بعمله فلا يقصد بأعماله الصالحة جنة ولا نجاة من نار (أو يطلب منه غرضا) من الأغراض الدنيوية والأخروية (فان المحب) أي الحقيقي (من يبذل لك) أي يعطيك (ليس المحب) الحقيقي (من تبذل له) لأن المحبة الحقيقية أخذ خصال المحبوب لمحبة

بركاته فقلت له ياسيدي اني رأيتك صنعت الآن شيئا استغربته كيف رميت بنفسك في الطين وتركت الكلب يمشي في الموضع النقي فقال لي بعد أن عملت طريقي تخطي تفكرت فقلت رفعت على الكلب وجعلت نفسي أرفع منه بل هو والله أرفع مني وأولى بالكرامة لأني عصيت الله تعالى وأنا كثير الذنوب والكلب لا ذنب له فنزلت عن موضعي وتركته يمشي عليه وأنا الآن أخاف المقت من الله الا أن يعفو عني لأني رفعت نفسي على من هو خير مني (التواضع الحقيقي هو ما كان ناشئا عن شهود عظمته وتجلي صفته) شهود عظمة الله تعالى وتجلي صفته هو الذي يوجب للعبد وجود التواضع الذي ذكرناه لأن ذلك هو الذي يخمد النفس ويذيبها ويبطل أمنيتها فما تجلى الله تعالى لشئ الا خضع له فلا ينقلع من القلب شجرة الرياسة والكبر الا به لا بما يتكلفه العبد ويتعاطاه بنفسه من أعمال وأحوال قال الجنيد رضي الله عنه التواضع عند أهل التوحيد تكبر وقال الشيخ أبو حامد رضي الله عنه ولعل مراده أن المتواضع يثبت نفسه ثم يضعها والموحد لا يثبت نفسه ولا يراها شيئا حتى يضعها أو يرفعها وقال ذو النون المصري رضي الله عنه من أراد التواضع فليوجه نفسه الى عظمة الله فانها تذوب وتصغر ومن نظر الى سلطان الله تعالى ذهب سلطان نفسه لأن النفوس كلها حقيرة عند هيبته ومن أشرف التواضع أن لا ينظر الى نفسه دون الله تعالى * وفي كتاب عوارف المعارف واعلم أن العبد لا يبلغ حقيقة التواضع الا عند لمعان نور المشاهدة في قلبه فعند ذلك تذوب النفس وفي ذوبانها صفاؤها من غش الكبر والعجب فتلين وتنطبع للحق وللخلق بمحو آثارها وسكون وهجها وغليانها (لا يخرجك عن الوصف الا شهود الوصف) هذه عبارة مليحة موافقة لمعنى ما تقدم الآن والوصف المذكور أولا وصف العبد والوصف المذكور ثانيا وصف الرب تبارك وتعالى (المؤمن يشغله الثناء على الله تعالى عن أن يكون لنفسه شاكرا وتشغله حقوق الله عن أن يكون لحظوظه ذاكرا) شكر النفس رؤية نسبة الأفعال الجميلة والأحوال الحميدة اليها وذلك ثناء عليها وهو مضاد للثناء على الله تعالى وذكر حظوظها من اعتقاد أن لها حقا على ما يفعله من الطاعات وهو مضاد للقيام بحقوق الله تعالى فالمؤمن الحقيقي لا يلتفت الى نفسه في نسبة شئ من المحاسن اليها وفي طلب حظ عليه لها بل يشغله الثناء على الله تعالى والحرص على توفية جميع حقوقه عن جميع ذلك (ليس المحب الذي يرجو من محبوبه عوضا أو يطلب منه غرضا فان المحب من يبذل لك ليس المحب من تبذل له) المحبة تقتضي من المحب بذل كليته وجزئيته

في مرضاة محبوبه من غير طلب حظ يناله منه فهذا مما يلزم وجود المحبة كما قيل

(رجز)

فان المحب اذا أحب حبيبه * يلقاه يبذل فيه ما لا يبذل

بل يرى بما فعل من ذلك غاية الحظ وموافقة رضا محبوبه نهاية السعادة والبخت كما قال أبو حفص عمر ابن الفارض رحمه الله تعالى

طويل

مالي سوى روحي وباذل روحه * في حب من يهواه ليس بمسرف

فلئن رضيت بها فقد أسعفتني * ياخيبة المسعى اذا لم تسعف

ولذلك قيل المحبة الايثار وهو أن لا يدع لمحبوبه ميسورا الا بذله ولا ممكنا الا استعمله ولا يبقي لنفسه ولا لحظه نفسا ولا سكنة ولا يستثني من كل ما لا بد منه سمسمة وأنشدوا

لئن بقيت في العين مني قطرة * فاني اذن في العاشقين ذليل

وقال أبو عبد الله القرشي رضي الله عنه حقيقة المحبة أن تهب كلك لمن أحببته حتى لا يبقى لك منك شيء وقال أبو يعقوب السوسي رضي الله عنه حقيقة المحبة أن ينسى العبد حظه من الله تعالى و ينسى حوائجه اليه وقيل لبعض المحبين وكان قد بلغ المجهود في بذل ماله ونفسه حتى لم يبق منه شيء ما كان سبب حالك هذه في المحبة فقال كلمة سمعتها من خلق لخلق عملت في هذا البلاء قيل وما هي قال سمعت محبا خلا بمحبوبه وهو يقول أنا والله أحبك بقلبي كله وأنت تعرض عني بوجهك كله فقال له المحبوب ان كنت تحبني فايش تنفق علي فقال يا سيدي أملكك ما أملك ثم أنفق عليك روحي حتى أهلك فقلت هذا خلق لخلق وعبد لعبد فكيف بخالق وعبد لمعبود فكان هذا سببه فهذا الذي ذكرناه من لوازم المحبة الحقيقية * وأما رجاء العوض وطلب الغرض فهذا حال من مقامه الرجاء وليس من مقام المحبة المخصوصة في شيء قال الشاعر

من لم يكن بك فانيا عن حظه * وعن الهوى والانس بالاحباب

فلانه بين المراتب واقف * لمنال حظ أو لحسن ماب

* وقال آخر

وما أنا بالباغي عن الحب رشوة * ضعيف هوى يرجو عليه ثوابا

* وقال أبو محمد رويم من أحب العوض بغض العوض اليه محبوبه وقيل أوحى الله عز وجل الى عيسى على نبينا وعليه الصلاة والسلام اني اذا اطلعت على قلب عبد فلم أجد فيه حب الدنيا والآخرة ملأته من حبي وقال بعض المحبين كوشفت بأربعين حوراء رأيتهن يتساعين في الهواء عليهن ثياب من ذهب وفضة وجوهر يتخشخش ويتثنين فنظرت اليهن نظرة فعوقبت أربعين يوما قال ثم كوشفت بعد ذلك بثمانين حوراء فوقهن في الحسن والجمال وقيل لي انظر اليهن قال فسجدت وغمضت عيني في سجودي لئلا أنظر اليهن وقلت أعوذ بك مما سواك لا حاجة لي بهن فلم أزل أتضرع الى الله تعالى حتى صرفهن عني * وذكر الشيخ الحافظ أبو نعيم رضي الله عنه قال ميسرة الخادم غزونا في بعض الغزوات فاذا فتى الى جانبي واذا هو مقنع بالحديد فحمل على الميمنة حتى ثناها وعلى الميسرة حتى ثناها وحمل على القلب حتى ثناه ثم أنشد يقول

أحسن بمولاك سعد ظنا * هذا الذي كنت له تمنى

تنحي يا حور الجنان عنا * مالك قاتلنا ولا قتلنا

لكن الى سيدكن اشتقنا * قد علم السر وما أعلنا

قال فحمل فقاتل حتى قتل منهم عددا كثيرا ثم رجع الى مصافه فتكالب عليه العدو فاذا هو قد حمل على الناس وأنشأ يقول

(ولا ميادين النفوس) أي شهواتها وعاداتها ومألوفاتها الشبيهة بالميادين أي مواضع مركض الخيل بجامع الجولان في كلٍّ فكما أن الخيول تجول في الميادين كذلك (٦٤) النفوس تجول في مشتهياتها والمعنى لولا هذه الشهوات التي تخوض فيها النفوس وتعشقها (ما تحقق سير السائرين) أي ما تصور سير ولا سلوك الى حضرة ملك الملوك لأنه تعالى أقرب لكل أحد من نفسه قال تعالى ونحن أقرب اليه من حبل الوريد فالبعد الذي يوجب السير الى المحبوب وسلوك الطريق للوصول اليه قائم بك أيها العبد وهو شهواتك ولو عدمت منك لم تحتج الى سير ولا سلوك لأن البعد الذي يحتاج الى ذلك منفي عنه سبحانه وتعالى حسيا كان أو معنويا كما أشار الى ذلك بقوله (اذ لا مسافة) حسية (بينك وبينه حتى تطويها رحلتك) أي ارتحالك لأن المسافة الحسية لا تكون الا بين متباعدين يصل أحدهما الى صاحبه (ولا قطعة) بضم القاف أي انقطاعا وعداوة (بينك وبينه حتى تمحوها وصلتك) لأن الانقطاع والعداوة لا يكونان الا بين متضادين متعاديين فيحتاج أحدهما الى الوصلة والمودة وأين أنت من الله حتى تعاديه والحاصل أنك عند انتفاء الشهوات منك لا تحتاج الى سير لأن السير الى الله تعالى هو قطع عقبات النفس ومحو آثار دواعيها وغلبة أحكام طبيعتها وجبلتها حتى تطهر من الى ذلك وتحصل لها أهلية القرب من الله تعالى وتصل الى سعادة اللقاء ولولا معاناة هذه الأشياء لم يتحقق السير والسلوك كيف والحق أقرب اليك من نفسك فالبعد الحسي وهو المسافة التي تطويها رحلتك والبعد المعنوي وهي القطعة التي تمحوها وصلتك محالان في حقه تعالى لتنز

قد كنت أرجو ورجائي لم يخب * أن لا يضيع اليوم كدي والطلب

يا من ملا تلك القصور باللعب * لولاك ما طابت ولا طاب الطرب

ثم حمل وقاتل فقتل منهم عددا كثيرا ثم رجع الى مصافه فتكالب عليه العدو فحمل الثالثة على الناس ثم أنشأ يقول

يا لعبة الخلد قفي ثم اسمعي * ما لك قاتلنا فكفي وارجعي

ثم ارجعي الى الجنان واسرعي * لا تطمعي لا تطمعي لا تطمعي

فقاتل حتى قتل رحمه الله تعالى ولأجل ما ذكرناه من اقتضاء مقام المحبة بذل كلية البذل من المحب لزم وقوع الابتلاءات والمطالبات به حتى يحصل له توفية حقوق هذا المقام على التمام ولهذا قال بعضهم أول ما يقول الله عز وجل للعبد اطلب العافية والجنة والأعمال وغير ذلك فان قال لا ما أريد الا أنت قال له من دخل معي في هذا انما يدخل باسقاط الحظوظ ورفع الحدوث وثبوت القدم وذلك يوجب له العدم وقال بعض العلماء اذا رأيته يحبك ورأيته يبتليك فاعلم أنه يريد أن يصافيك وقال بعض المريدين لأستاذه طولعت بشيء من المحبة فقال له يا بني هل ابتلاك بمحبوب سواه فآثرته عليه فقال لا قال لا تطمع نفسك في المحبة فانه لا يعطيها أحدا حتى يبلوه وقال بعض علمائنا رضي الله عنهم كل أهل المقامات يرجون أن يعفو عنهم ويسمح لهم الا من ادعى المعرفة والمحبة فانهم يطالبون بكل شعرة ومطالبة وفي كل حركة وسكون ونظرة وخطرة لله ومع الله وقال ابراهيم بن أدهم رضي الله عنه وكان من المقامات في المحبة رفيعة قلت ذات يوم يا رب ان كنت أعطيت أحدا من المحبين لك ما تسكن به قلوبهم قبل لقائك فأعطني ذلك فقد أضر بي القلق قال فرأيت في النوم أنه أوقفني بين يديه فقال يا ابراهيم أما استحييت مني أن تسألني ما يسكن به قلبك قبل لقائي وهل يسكن المشتاق دون لقاء حبيبه أم هل يستريح المحب الى غير معشوقه فقلت يا رب تهت في حبك فلم أدر ما أقول فاغفر لي وعلمني كيف أقول فقال قل اللهم رضني بقضائك وصبرني على بلائك وأوزعني شكر نعمائك اهـ وللمحبين دقائق خطرات ولطائف ملاحظات يظهر لهم بذلك الشوق في صفاء حبهم والبعد في مواطن قربهم فهم يفرون منها ويخرجون عنها مخافة أن تسترق بشيء من ذلك فتغلو بهم بأدنى ميل أو مساكنة فيوجب لهم ذلك السقوط من مقامهم الرفيع الذي أهلهم وأهلوا له ولذلك قال محمد بن سهل بن عبد الله رضي الله عنه جناية المحب عند الله تعالى أشد من معصية العامة وهو أن يسكن الى غير الله أو يستأنس بسواه وقيل أوحى الله تعالى الى داود على نبينا وعليه الصلاة والسلام يا داود اني حرمت على القلوب أن يدخلها حبي مع حب غيري * ويحكى أن الله تعالى قال لموسى على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام نعم العبد برخ هو الا أن فيه عيبا قال يا رب وما عيبه قال يعجبه نسيم الأسحار فيسكن اليه ومن أحبني لم يسكن الى شيء * ويروى أن عابدا عبد الله في غيضة دهرا طويلا فنظر الى طائر قد عشش في شجرة يأوي اليها ويصفر عندها فقال لو حولت مسجدي الى تلك الشجرة فكنت آنس بصوت ذلك الطائر قال ففعل فأوحى الله الى نبي ذلك الزمان قل لفلان العابد استأنست بمخلوق لأحطنك درجة لا تنالها بشيء من عملك أبدا (ولولا ميادين النفوس ما تحقق سير السائرين اذ لا مسافة بينك وبينه حتى تطويها رحلتك ولا قطعة بينك وبينه حتى تمحوها وصلتك) الستر

الى الله تعالى هو قطع عقبات النفس ومحو آثارها ودواعيها وغلبة أحكام طبيعتها وجبلتها حتى تطهر
من ذلك وتحصل لها أهلية القرب من الله تعالى وتصل الى سعادة لقائه ولولا معاناة هذه الأشياء
لم يتحقق السير والسلوك كيف والحق تعالى أقرب الى العبد من نفسه فالبعد الحسي وهو المسافة التي
تطوى بمراحلها والبعد المعنوي وهي القطعة التي تمحوها وصلتها محالان في حقه تعالى لنفي المثلية في الأول
وعدم الضدية في الثاني وهذه الألفاظ التي عبر عنها المؤلف رحمه الله تعالى من السير والميادين والرحلة
والوصلة وفي معناها السير والسلوك والذهاب والرجوع هي عبارات استعملتها الصوفية في أمور
معنوية تجوزوا بها عن أمور حسية ومرجع جميع ذلك كله الى علوم ومعاملات تتصف بها العبد لا غير
وهذا الكلام الذي ذكره المؤلف ههنا وما تقدم له ولنا غير مامرة من أن النفس هي الحجاب الأعظم
للعبد عن الله تعالى وأن بمجاهدتها وقمعها وموتها تنال سعادة لقاء الله تعالى صحيح المعنى * قال
بعضهم ما الحياة الا في الموت أي ما حياة القلب الا في اماتة النفس وقيل النعمة العظمى الخروج عن
النفس لأن النفس أعظم حجاب بينك وبين الله تعالى * وقال سيدي أبو مدين رضي الله عنه من لم يمت
لم ير الحق وقال سيدي أبو العباس رضي الله عنه لا يدخل على الله الا من بابين من باب الفناء الأكبر
وهو الموت الطبيعي ومن باب الفناء الذي تعنيه هذه الطائفة * وعن حاتم الأصم رضي الله عنه أنه قال
من دخل في مذهبنا هذا فليجعل في نفسه أربع خصال من الموت موت أحمر وموت أسود وموت أبيض
وموت أخضر فالموت الأبيض الجوع والموت الأسود احتمال أذى الناس والموت الأحمر مخالفة النفس
والموت الأخضر طرح الرقاع بعضها على بعض * وقال سهل بن عبد الله رضي الله عنه للنفس سر ما ظهر
ذلك السر على أحد من خلقه الا على فرعون فقال أنا ربكم الأعلى ولها سبعة حجب سماوية وسبعة حجب
أرضية فكلما يدفن العبد نفسه أرضا أرضا سما قلبه سماء سماء فاذا دفنت النفس تحت الثرى وصل
القلب الى العرش يعني اذا خالفتها وفارقتها وتسبيل المريد الى الوصول الى موت النفس انما يكون
بتقديم الافتقار والالتجاء والرغبة الى مولاه في أن يعينه ويقويه على أمر نفسه ويسهل عليه طريق
سلوكه ويستعمل هذا في كل حال ووقت وليجعله عمدته ومعتمده هو سبيله وقد تقدم من كلام المؤلف رحمه
الله ما توقف مطلب أنت طالبه بربك وقال بعض العارفين لا يمكن الخروج من النفس بالنفس وانما
يكون الخروج من النفس بالله ثم يشتغل بمراعاة حدود الشريعة والطريقة في ظاهره وباطنه والتزام
آدابهما ولكل عبد عمل مخصوص يقتضي لا محالة حكما مخصوصا يقوم عنه وذلك يختلف باختلاف
أحوال الناس فحركات العبد وسكناته هي أعماله الظاهرة ومقصوده وهمه وارادته هي أعماله الباطنة
وكل واحد من القسمين ينبغي أن يأخذ فيه بعزائم الأمور ويجتنب الرخص التي هي من شأن العامة
والجمهور حسبما تقدم عند قوله من جهل المريد أن يسيء الأدب فتؤخر العقوبة عنه فعمل الظاهر
ان كان واجبا فليبادر الى فعله ولا يتوانى عنه وليقم بجميع آدابه اللازمة له ويلتحق بذلك ما كان
مندوبا اليه اذا علم في أي مرتبة هو وانما اشترطنا هذا الشرط لأن المندوبات التي تعترضه يحتاج فيها
الى تقديم الأولى فالأولى والأهم فالأهم منها فان لم يعمل على هذا وقدم ما ليس بأهم كان متبعا للهوى
لا طالب العلم وليأخذ في ذلك بالقصد من غير افراط ولا تفريط ولا غلو ولا تقصير وفي حديث عائشة رضي
الله عنها أنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اكلفوا من العمل ما تطيقون فان الله تعالى لا يمل
حتى تملوا وان أفضل العمل أدومه وان قل وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان الدين يسر ولن يشاد الدين أحد الا غلبه فسددوا وقاربوا وأبشروا وان كان حراما فليبادر الى
تركه واجتنابه وليقطع عن نفسه جميع أسبابه ويلتحق بذلك ما يكون مكروها وان كان مباحا فهذا

المثلية في الأول وعدم
الضدية في الثاني فنفسك
هي الحجاب الأعظم عن الله
وبمجاهدتها وقمعها وموتها
تصل الى الله * وقال
أبو مدين من لم يمت نفسه
لم ير الحق وقال الأستاذ أبو
العباس لا يدخل على الله
الا من بابين باب الفناء
الأكبر وهو الموت الطبيعي
وباب الفناء الذي تعنيه
هذه الطائفة * وعن حاتم
الأصم من دخل في مذهبنا
هذا فليجعل في نفسه
أربع خصال من الموت
موت أحمر وهو مخالفة
النفس وموت أسود وهو
احتمال أذى الناس وموت
أبيض وهو الجوع وموت
أخضر وهو طرح الرقاع
بعضها على بعض ولابد
للمريد في هذه الطريق
من صحبة شيخ محقق
مرشد قد فرغ من تأديب
نفسه وتخلص من هواه
فيسلم نفسه اليه ويلزم
طاعته والانقياد اليه في كل
ما يشير به عليه من غير
ارتياب ولا تأويل ولا تردد
فقد قالوا من لم يكن له شيخ
فالشيطان شيخه وقد
استوفينا آداب المريد مع
الشيخ وبينا من يصلح
للمشيخة في غير هذا
الكتاب

قال بعضهم: لا ينال هذا العلم إلا من عطّل دكانه، وخرّب بستانه، وهجر إخوانه، ومات أقرب أهله فلم يشهد جنازته

هو محل نظر المريد فعليه أن يأخذ بالعزيمة فيه وأن يقف على حدود الضرورة منه وليكن اجتنابه كما يشتد ميل النفس إليه ويعظم حرصها عليه أكثر من اجتنابه لما فقد منع ذلك ويختلف ذلك باختلاف الأشخاص فرب شخص تميل نفسه إلى ما لا تميل إليه نفس شخص آخر فليشتغل المريد بقطع ذلك وزوال علاقته من قلبه بالرياضة والمجاهدة وليستمر على ذلك حتى يكون وقوفه على ما لا بد له منه على وجه الطاعة والقربة لا على سبيل الهوى والشهوة ومما يشتد ميل نفوس أكثر الناس إليه ما يكون بسبب تناوله واستعماله مراعاة نظر الخلق والجري على عوائدهم السيئة ومراسيمهم المذمومة ومجاهدة النفس في مثل هذا عسيرة جدا لا سيما على من ابتلي بحب الجاه والرياسة وقبول الخلق في ولاية أو حكم أو نشر علم أو غير ذلك فإنها أشد الشهوات علاقة بالقلب وأضرها بالمريد فيجب عليه أن يعتني بذلك ويبالغ في تطهير ظاهره وباطنه مما يتعاطاه من أعمال وأحوال وقد نبهنا على هذا المعنى في أول الكتاب عند قول المؤلف رحمه الله تعالى ادفن وجودك في أرض الخمول فما نبت مما لم يدفن لا يتم نتاجه * ويتعين على المريد في رياضته ومجاهدته أن يمنع حواسه ويكف جوارحه عن التطلع والجولان في مظان وجدان شهواته ومسيء عاداته وأن لا يجامعها ولا يتفق معها فإن ذلك منشأ كل شر ومنبع كل فساد وضر كما قيل

أن السلامة من سلمى وجارتها * أن لا تمر على حال بواديها

فليراقب سره وليحفظ جوارحه وقلبه فإن الإنسان قد يتحرك مثلا في طلب الخير والعمل من أعمال البر فيتفق أن يقع بصره على شيء له فيه هوى وشهوة فتميل نفسه إليه بالشره والمحبة فيتكدر عليه وقته ويظلم قلبه ويحل عليه في لحظة ما كان دأم مرة في سنة مثلا وكذلك سائر حواسه وقد شبه العلماء رضي الله عنهم النفس في مثل هذا بدابة استعارها رجل من ربها ومالكها ليتصرف بها في حاجته وكانت دابة جموحة صعبة المراس فجاز بها المستعير في بعض تصرفاته على دار مولاها فنزعت إلى دار سيدها فإنه لا محالة يحتاج إلى صرف عنانها فإن تقاعست ضربها بالسوط والعصا حتى يصرفها بذلك عما نزعت إليه وقد يكون عليه في ذلك تعب ومؤنة * وسبب ذلك إنما هو خطورها على دار مولاها الذي ألفته واعتادته ولو لم يمر بها عليه لسلم ولم يحتج إلى معاناة ولا مكابدة فإن تغافل عنها حتى أدخلت يدها في عتبة الباب واستمكنت منها ثم أراد منعها من الدخول لم تطعه بوجه بل اقتحمت به باب الدار كرها وربما جرحت رأسه وآلمته * وسبب ذلك إنما هو تمكينها من العمل بمقتضى طبيعتها وموافقة جبلتها فكذلك حال النفس قال

والنفس إن أعطيتها هواها * فاغرة نحو هواها فاها

فلذلك كانت الخلوة والعزلة من أوجب الواجبات على المريد فإن نفسه إذ ذاك تكون ساكنة هادئة قد نسيت عوائدها وفترت دواعيها وبمداومته على ذلك يحصل له من التزكية والتحلية والاستقامة والطمأنينة ما هو المقصود بالرياضة والمجاهدة فإن اعتراه شيء مما ذكرناه اختل عليه حاله واحتاج من أجل ذلك إلى المجاهدة الشاقة والرياضة الصعبة وأنى له مع ذلك تلافي ما فاته وقد قالوا وقفة المريد شر من فترته * قال الإمام أبو القاسم القشيري رضي الله عنه والفرق بين الوقفة والفترة أن الفترة رجوع عن الإرادة وخروج منها والوقفة خروج عن السير باستيلاء حالات الكسل وكل مريد وقف في ابتداء إرادته لا يجيء منه شيء اهـ كلامه رحمه الله فبدايات الأمور هي التي يجب أن يراعيها المريد والله ولي التوفيق والتسديد ولا غنى للمريد في هذا القسم عن تحصيل ما يحتاج إليه من العلوم الشرعية على ما ينبغي وعمل الباطن يرجع حاصله إلى أمر واحد وهو إخلاص التوحيد لله عز وجل باعتقاد العبودية

(١) ابو كاسفين
(٢) ى پجاه له
(٣) ى يجل مرتها ها له
(٤) اع مرتزب ما
(٥) كم بيلمه اع داد
(٦) ى عادتاكه ٧ اع عـ
(٧) لا يمون داري لالب
(٨) اع لا دامي اوماه
(٩) كم موت طابع له

له
المريد

وكذلك بأن يحمل نفسه على الاستسلام لأحكام الله تعالى وترك المنازعة والتدبير والاختيار بين يديه وهذا المعنى هو الذي ضمنه المؤلف رحمه الله كتابه التنوير في إسقاط التدبير فليستعن المريد على ذلك به ولا يقصد برياضته ومجاهدته التوصل الى شيء من الكرامات وخرق العوائد وأنواع الاجابات فإن ذلك فتنة وبلية قاطعة عليه طريق العبودية ❁ قال أبو عثمان المغربي رضي الله عنه من اختار الخلوة على الصحبة ينبغي أن يكون خاليا من جميع الأذكار الا ذكر ربه وخاليا من جميع الارادات الا رضا ربه وخاليا من مطالبة النفس من جميع الأسباب وان لم يكن بهذه الصفة فان خلوته توقعه في فتنة أو بلية ❁ وقال الشيخ أبو عبد الله القرشي رضي الله عنه من عمل ليجد أو يرى لم يفتح له بشيء حتى يكون مقصده تحقيق العبودية والقيام بما يجب عليه من حقوق الربوبية ❁ قال صاحب كتاب عوارف المعارف من دخل الخلوة معتلا في دخوله دخل عليه الشيطان وسوّل له أنواع الطغيان وامتلأ من الغرور والمحال وظن أنه يحصّل على حسن الحال قال وقد دخلت الفتنة على قوم دخلوا الخلوة بغير شروطها وأقبلوا على ذكر من الأذكار واستجمعوا نفوسهم بالعزلة عن الخلق ومنعوا الشواغل من الحواس كفعل الرهابين والبراهمة والفلاسفة والوحدة في جمع الهم لها تأثير في صفاء الباطن مطلقا فكل ما كان من ذلك بحسن سياسة الشرع وصدق المتابعة لرسول الله ﷺ أنتج تنوير القلب والزهد في الدنيا وحلاوة الذكر والمعاملة لله بالاخلاص من الصلاة والتلاوة وغير ذلك وما كان من ذلك من غير سياسة الشرع ومتابعة رسول الله ﷺ ينتج صفاء في النفس يستعان به على اكتساب علوم رياضية مما يعتني به الفلاسفة والدهريون وكلما أكثر من ذلك أكثر البعد من الله تعالى ولا يزال المقبل على ذلك يستغوي به الشيطان بما يكتسب من العلوم الرياضية أو بما قد يتراءى له من صدق الخاطر وغير ذلك حتى يركن اليه كل الركون ويظن أنه قد فاز بالمقصود من الخلوة ولا يعلم أن هذا الفن من الفائدة غير ممنوع من النصارى والبراهمة وليست هي المقصودة من الخلوة فقول بعضهم الحق يطلب منك الاستقامة وأنت تطالبه بالكرامة وقد يفتح على الصادقين بشيء من خرق العادات وصدق الفراسة وتبين ما يستحدث في المستقبل وقد لا يفتح عليهم ذلك ولا يقدح في حالهم عدم ذلك وانما يقدح في حالهم الانحراف عن حد الاستقامة وما يفتح من ذلك على الصادقين يصير سبب مزيد انتفاعهم والداعي لهم الى صدق المجاهدة والمعاملة والزهد في الدنيا والتخلق بالأخلاق الحميدة وما يفتح من ذلك على من ليس تحت سياسة الشرع يصير سببا لمزيد تعده وغروره وحماقته واستطالته على الناس وازدرائه بالخلق ولا يزال به حتى يخلع ربقة الاسلام من عنقه وينكر الحدود والأحكام والحلال والحرام ويظن أن المقصود من العبادات ذكر الله تعالى وترك متابعة الرسول ثم يتدرج من ذلك الى تلحد وتزندق نعوذ بالله من الضلال وقد يلوح لأقوام خيالات يظنونها وقائع ويسمونها بوقائع المشايخ من غير علم بحقيقة ذلك اهـ كلامه رحمه الله وهو في غاية الحسن ونهاية التحقيق فمهما داوم العبد على مثل هذه الأساليب التي ذكرناها مشاهدا التوفيق ربه عز وجل وتأييده له حصل له من الله مزيد كثير وعند ذلك يتطهر باطنه من جميع الآفات وخبائث الصفات وتستنير سريرته بأنوار المكاشفات والملاطفات ❁ وقد عبر الامام أبو القاسم القشيري رضي الله عنه عن طريق موت النفس بعبارات صحيحة مليحة فقال قتل النفس في الحقيقة التبري من حولها وقوتها أو شهود شيء منها ورد دواعيها اليها وتشويش تدبيرها عليها وتسليم الأمور الى الحق سبحانه بجملتها وانسلاخها من اختيارها وارادتها وامحاء آثار بشريتها عنها فأما بقاء الرسوم والهياكل فلا خطر لها ولا عبرة اهـ فهذه هي السبيل الى موت النفس المفضي الى حضرة القدس لكونه جاريا على مقتضى الشريعة

والحقيقة اللتين بأنوارهما يهتدي كل سالك ومريد ولابد للمريد في هذه الطريقة من صحبة شيخ محقق مرشد قد فرغ من تهذيب نفسه وتخلصه من هواه فليسلم نفسه إليه وليلزم طاعته والانقياد إليه في كل ما يشير به عليه من غير ارتياب ولا تأويل ولا تردد فقد قالوا من لم يكن له شيخ فالشيطان شيخه وقد قال أبو علي الثقفي رضي الله عنه لو أن رجلا جمع العلوم كلها وصحب طوائف الناس لا يبلغ مبلغ الرجال إلا بالرياضة من شيخ أو إمام أو مؤدب ناصح ومن لم يأخذ أدبه من آمر له وناه يريه عيوب نفسه ورعونات أعماله لا يجوز الاقتداء به في تصحيح المعاملات * وقال سيدي أبو مدين رضي الله عنه من لم يأخذ الأدب من المتأدبين أفسد من يتبعه وقال المؤلف رحمه الله في لطائف المنن إنما يكون الاقتداء بولي دلك الله عليه وأطلعك على ما أودعه من الخصوصية لديه فطوى عنك شهود بشريته في وجود خصوصيته فألقيت إليه القياد فسلك بك سبيل الرشاد يعرفك برعونات نفسك في كائنها ودقائقها ويدلك على الجمع على الله ويعلمك الفرار عما سوى الله ويسايرك في طريقك حتى تصل إلى الله يوقفك على إساءة نفسك ويعرفك بإحسان الله إليك فيفيدك معرفة إساءة نفسك الهرب عنها وعدم الركون إليها ويفيدك العلم بإحسان الله إليك الإقبال عليه والقيام بالشكر إليه والدوام على ممر الساعات بين يديه قال فإن قلت فأين من هذا وصفه لقد دللتني على أغرب من عنقاء مغرب فاعلم أنه لا يعوزك وجدان الدالين وإنما يعوزك وجدان الصدق في طلبهم جد صدقا تجد مرشدا وتجد ذلك في آيتين من كتاب الله تعالى قال الله سبحانه ـ أمن يجيب المضطر إذا دعاه ـ وقال سبحانه ـ فلو صدقوا الله لكان خيرا لهم ـ فلو اضطررت إلى من يوصلك إلى الله اضطرار الظمآن إلى الماء والخائف إلى الأمن لوجدت ذلك أقرب إليك من وجود طلبك ولو اضطررت إلى الله اضطرار الأم لولدها إذا فقدته لوجدت الحق منك قريبا ولك مجيبا ولوجدت الوصول غير متعذر عليك ولتوجه الحق بتيسير ذلك عليك اهـ وفي كلامه رحمه الله تنبيه على أن الشيخ من منح الله وهداياه للعبد المريد الصادق إذا صدق في إرادته وبذل في مناصحة مولاه بجهد استطاعته لا على ما قد يتوهمه من لا علم عنده وعند ذلك يوفقه الله تعالى لاستعمال الآداب معه لما أشهده من عالي مرتبته ورفيع درجته * قال سيدي أبو مدين الشيخ من شهدت له ذاتك بالتقدم وسرك بالتعظيم الشيخ من هذبك بأخلاقه وأدبك بإطراقه وأنار باطنك بإشراقه الشيخ من جمعك في حضوره وحفظك في مغيبه * وقال المؤلف رحمه الله في لطائف المنن وليس شيخك من سمعت منه إنما شيخك من أخذت عنه وليس شيخك من واجهتك عبارته إنما شيخك الذي سرت فيك إشارته وليس شيخك من دعاك إلى الباب إنما شيخك من رفع بينك وبينه الحجاب وليس شيخك من واجهك مقاله إنما شيخك الذي نهض بك حاله شيخك هو الذي أخرجك من سجن الهوى ودخل بك على المولى شيخك هو الذي ما زال يجلو مرآة قلبك حتى تجلت فيه أنوار ربك نهض بك إلى الله فنهضت إليه وسار بك حتى وصلت إليه ولا زال محاذيا لك حتى ألقاك بين يديه فزج بك في أنوار الحضرة وقال ها أنت وربك اهـ وآداب المريد مع الشيخ والشيخ مع المريد كثيرة مذكورة في كتب الأئمة الصوفية رضي الله عنهم ومن أبلغ ذلك وأوجزه ما ذكره الإمام أبو القاسم القشيري رضي الله عنه قال فشرط المريد أن لا يتنفس نفسا إلا بإذن شيخه ومن خالف شيخه في نفسه سرا أو جهرا فسوف يرى غبه من غير ما يحبه شرعا ومخالفة الشيوخ فيما يسترونه منهم أشد مما يكابدونه بالجهر وأكثر لأن هذا يلتحق بالخيانة ومن خالف شيخه لم يتنسم رائحة الصدق فإن برز منه شيء من ذلك فعليه بسرعة الاعتذار والإفصاح عما حصل منه من المخالفة والخيانة ليهديه شيخه إلى ما فيه كفارة جرمه ويلتزم في الغرامة ما يحكم به عليه فإذا رجع المريد إلى شيخه بالصدق

يوجب على شيخه جبران تقصيره بهمته فإن المريدين عيال على شيوخهم فرض عليهم أن ينفقوا من قوت أحوالهم بما يكون جبراناً لتقصيرهم اهـ. وقال الشيخ العارف محيي الدين أبو العباس البوني رحمه الله إياك أن تحقر فضلاً خطر لك أن لا تلقيه إلى الشيخ طاعة كان أو معصية على أي نوع بُرِّزَ لك ولو اختلف عليك ألف مرة في ساعة واختلفت إليه ألف ساعة في الخاطر ليعلمك الدواء الذي تُعَجِّبُه به أو يحمل عنك بهمته قال ولقد رأيت تلميذاً من أصحاب شيخنا الإمام تاج العارفين أبي محمد عبد العزيز ابن أبي بكر القرشي المهدوي رحمه الله تعالى وكنت جالساً عنده فدخل عليه الفقير وفي يده باقلاء فقال له يا سيدي إني وجدت هذه الباقلاء فما أصنع بها فقال له اتركها حتى تفطر عليها فقلت يا سيدي حتى الباقلاء يعلم بها قال يا ولدي لو خالفني في لحظة من خطر أنه لم يفلح أبداً فإذا أخذت النفس بهذه المجاهدات وقوبلت بهذه المقابلات رجعت عن جميع مألوفاتها الدنية وعادتها الردية وزال عنها النفور والاستكبار ودانت لمولاها بالعبودية والافتقار وتركت أعمالها وصفت أحوالها وحصلت حاجتها التي خلقت لأجلها ومزيتها التي شرفت من قبلها وإنما ألفت سوى هذه لمرض أصابها من الركون إلى هذا العالم الأدنى والأنس بالشهوات التي تزول وتفنى حتى امتنع عليها ما خلقت لأجله من موجب سعادتها وغاية شرفها ولذاتها فلما تعالجت بما ذكرناه عادت إلى الصحة وإلى طبعها الأصلي فألفت العبودية والتزمتها وصارت بذلك مطمئنة صالحة لأن يقال لها يا أيتها النفس المطمئنة ارجعي إلى ربك راضية مرضية فادخلي في عبادي وادخلي جنتي. قال الشيخ العارف أبو محمد عبد العزيز المهدوي رضي الله عنه النفس المطمئنة هي التي تخلصت من السوء ولم يبق بينها وبين السوء نسبة وكانت مبادئها في الاكتساب الإيمان والرضا للمكتسب فلما صفت وتطهرت من جميع المخلوقات وزال عنها الحجاب الذي هو صفة الخلق سمعت النداء من مكان قريب فأجابت لعدم الحجاب فخرجت المواهب والرضى الوضي الوهبي الذي قال الله فيه رضي الله عنهم ورضوا عنه فدخلت في رضا الله المطلوب الموهوب وفي عباد وجنته لأن جنتها بوصف كسبها وأعمالها اهـ. وعلامة وصول المريد إلى هذا المقام أن تستوي عنده الأحوال ولا يتأثر باطنه بما يواجهه به من قبيح الأفعال والأقوال لاستغراق قلبه في مطالعة حضرة الكمال. قال أبو عثمان الحيري رضي الله عنه لا يكمل الرجل حتى يستوي قلبه في أربعة أشياء في المنع والعطاء والعز والذل. وقال محمد بن خفيف رضي الله عنه قدم علينا بعض أصحابنا فاعتل وكان به علة البطن فكنت أخدمه وآخذ منه الطشت طول مرضه فنفرت مرة فقال لي مه لعنك الله فقيل له كيف وجدت نفسك عند قوله لعنك الله فقال كقوله رحمك الله. وحكي عن إبراهيم بن أدهم رضي الله عنه أنه قال ما سررت في الإسلام إلا مرات معدودات كنت في مركب يوماً وكان بها رجل يحكي الحكايات المضحكة فيضحك منه الناس وكان يقول رأيت رجلاً في معركة الترك علجاً فعلت هكذا وكان يأخذ بلحيتي ويمر يده على حلقي هكذا والناس يضحكون منه ولم يكن في ذلك المركب عنده أحد أصغر مني ولا أحقر فسررت بذلك وكان يوم آخر كنت جالساً فجاء إنسان وصفعني من غير سبب ويوم آخر كنت جالساً فجاء إنسان وبال علي وكان في وقت ما الأصم رضي الله عنه رجل يسيء القول فيه وفي أصحابه ويواجههم كل يوم بالقبيح فوقع عليه جذع من السقف في بعض الأيام في حال مواجهة القوم بالسب والشتم فمات فقال الحمد لله فقيل له هذا التلاف ما تأمر نابه فقال ما حببت الله شماتة بموته بل حمدت الله إذ لم أسر بتسكيته. هذا وأشباهه من أحوالهم معلوم ضرورة. وأبلغ من هذا كله محبة الموت وكراهة البقاء في الدنيا شوقاً إلى لقاء المولى قال بعضهم حقيقة زوال الهوى من القلب حب لقاء الله تعالى في كل نفس من غير اختيار حالة يكون المرء عليها فإذا وجد المريد

(جعلك) أيها الانسان (فى) زائدة (العالم المتوسط بين ملكه وملكوته) أى جعلك العالم المتوسط بين عالم الملك وهو عالم الشهادة وعالم الملكوت وهو عالم الغيب فالانسان ليس من عالم الملك محضا ولا من عالم الملكوت محضا بل هو متوسط بينهما جثمانا ومعنى أما حسا فلأن الله تعالى خلقه بين السماء والأرض وغيره من الحيوانات وغيرها مخلوق لأجل انتفاعه به وأما معنى فلأن الله تعالى خلقه فى أحسن تقويم وجعله متضمنا لأسرار جميع الموجودات علويها وسفليها لطيفها وكثيفها فصار بذلك روحانيا جسمانيا سماويا أرضيا ولذا يقال له العالم الأصغر ويقال انه نسخة من العوالم ففيه من صفات الملائكة العقل والمعرفة والعبادة ومن صفات الشياطين الاغواء والتمرد والطغيان ومن صفات الحيوانات أنه فى حالة الغضب يكون

أسدًا وفى حالة غلبة الشهوة يكون خنزيرا لا يبالى أين يلقى نفسه وفى حالة

(٧٠)

الحرص على الدنيا والشره يكون كلبا وفى حالة الاحتيال والخداع يكون ذئبا ومن صفات النبات والأشجار أنه يكون فى مبدئه غصنا طريا مترعرعا وفى آخره يابسا أسود ومن صفات السماء أنه محل الأسرار والأنوار ومجمع للملائكة ومن صفات الأرض أنه محل لنبات الأخلاق والطباع ومنه اللين والخشن ومن صفات العرش أن قلبه محل التجلى واللوح أنه خزانة العلوم والقلم أنه ضابط لها والجنة أنه اذا حسنت أخلاقه تنعم به جليسه والنار أنه اذا قبحت أخلاقه احترق به جليسه وانما جعلك كذلك (ليعلمك جلالة قدرك بين مخلوقاته) وأنها كلها مسخرة اليك ومخلوقة لأجل انتفاعك بها فينبغى لك أن ترفع همتك عنها وتشتغل بمولاك قال أبو العباس المرسى الأكوان كلها عبيد مسخرة لك وأنت عبد الحضرة فهذا يتعلق بالتوسط الحسى على ما مر

وأشار الى ما يتعلق بالتوسط المعنوى بقوله (وأنك جوهرة تنطوى عليك أصداف مكوناته) أى أصداف هى مكوناته أو مكوناته الشبيهة بالأصداف جمع صدفة وهى ما فيه الجوهرة وانطواؤها عليه من حيث ان صفات جميعها فيه على ما مر ولم يخلق على هذه الصفة الا الانسان فلذا خلقه الله على صفاته وجعله خليفة فى تنفيذ أمره ونهيه وجعل له وجهتين وجهة الى الحق ووجهة الى الخلق وأما الملائكة ومن فى معناهم من الروحانيين فليس لهم الا الوجهة الأولى وهذا فى جملة كل انسان لكن لا يظهر له الا بعد الرياضة والمجاهدة ويسمى حينئذ الانسان الكامل وهذه أسرار لا تدرك الا بالذوق ولا تفشى لغير أربابها ثم أشار الى خاصة أخرى لذلك الانسان بقوله

هذه العلامات فى نفسه فقد خرج من عالم جنسه ووصل الى حضرة قدسه وكان كما قال الشاعر

> لك الدهر طوع والأنام عبيد • فعش كل يوم من زمانك عيد

وكما قال سيدى أبو العباس العريف رضى الله عنه فى هذا المعنى

> هناك سر طال عنك اكتتامه • ولاح صباح كنت أنت ظلامه
>
> فأنت حجاب القلب عن سر غيبه • ولولاك لم يطبع عليه ختامه
>
> فان غبت عنه حل فيه وطنبت • على مركب الكشف المصون خيامه
>
> وجاء حديث لا يمل سماعه • شهى الينا نثره ونظامه
>
> اذا سمعته النفس طاب نعيمها • وزال عن القلب المعنى غرامه

وأنشدوا فى معناه أيضا رضى الله عنهم أجمعين

> تقول لى الآمال ان تبعدى • قد أنجز الأحباب لى موعدى
>
> فقد كنت قبل اليوم مستأنسا • منك بمحل مشفق مسعد
>
> اذا نسيم الوصل من نحوهم • هب فلى عندك ظل ندى
>
> وحيث لا حاجة لى أعلامهم • فليس لى فقر الى مرشدى

وان لم يجدها فى نفسه فليستمر على سلوكه ومجاهداته ولا يغتر بما قد يتراءى له من سنى حالاته فانه لم يصل بعد ولم يحصل له من هوى نفسه فقد وليس طريق موت النفس بقطع جميع الأرفاق عنها وردها الى الاحتزاء بالخشن والنخالة والمبالغة فى التقشف والتقلل مع قطع النظر عن أحوال القلب وهمومه وقصوره لرداءته وترك الالتفات الى ما يحمد منها وما يذم فذلك كله غلو وبدعة وقد غلط فى ذلك طوائف من الناس حملوا عليه فى رياضاتهم ومجاهداتهم ولم يقصدوا بذلك اخلاص العبودية لربهم فأداهم ذلك الى اختلال عقولهم واعتلال قوى أبدانهم ولم يحصلوا من أمرهم على فائدة وذلك لجهلهم بالسنة وما كان عليه سلف هذه الأمة ❁ (جعلك فى العالم المتوسط بين ملكه وملكوته ليعلمك جلالة قدرك بين مخلوقاته وأنك جوهرة تنطوى عليك أصداف مكوناته) خلق الله تعالى الانسان فى أحسن تقويم وأتم تسوية وتعديل وجعل بنيته متضمنة أسرار جميع الموجودات علويها وسفليها لطيفها وكثيفها فصار بذلك روحانيا جسمانيا أرضيا سماويا ولذلك يقال له العالم الأصغر وهذا هو الذى يظهر لى فى معنى جعله فى العالم المتوسط بين عالم الملك وعالم الملكوت وعالم الملك هو عالم الشهادة وعالم الملكوت هو عالم الغيب فلاجرم لما كان الانسان بهذه المثابة من كونه نسخة جميع الموجودات الجسمانيات والروحانيات كانت

(انما وسعك الكون) أي العالم السفلي وهو الأرض (من حيث جسمانيتك) بضم الجيم أي جسمك لأن جسمك بعض الكون ومحصور فيه ومصالحه غير خارجة عنه (ولم يسعك من حيث ثبوت روحانيتك) أي روحك لأنها ليست من هذا العالم ولا مناسبة بينها وبينه فلا تصلح أن تتعلق بشيء منه بل لا تصلح أن تتعلق إلا بالمولى سبحانه والحاصل أن الانسان مجموع شيئين جسم وروح وبين الجسم والكون مناسبة ومجانسة فهو متوقف على الكون فان تعاطى منه ما تقوم به بنيته في هذا العالم والاهلك حسبما جرت بالعادة الالهية وليس بين الروح والكون مجانسة ولا مناسبة فلا تصلح أن تكون متعلقة به بل بالكون وهو للولى جل قدره وهي تستغني الى في تكميلها بالأذكار والرياضات حتى تزول عنها الكدورات البشرية وتصلح لتعلقها بحضرة الرب الذي هو شأنها الأعظم وأما الجسم فلا ينبغي الاهتمام بما يصلحه فان الله تكفل به ولا بد وقد قيل

يا خادم الجسم كم تشقى بخدمته • وتطلب الربح مما فيه خسران

عليك بالنفس فاستكمل فضائلها • فأنت بالنفس لا بالجسم انسان

(الكائن في الكون) أي الموجود في الدنيا (ولم تفتح له ميادين الغيوب) أي لم يفتح عليه بالعلوم والمعارف الشبيهة بالميادين (مسجون بمحيطاته) أي بشهواته ولذاته وعاداته المحيطة به من المآكل والملابس والمشارب (ومحصور في هيكل ذاته) أي هيكل هو ذاته النفسانية والمراد شهواته ولذاته فهو مرادف لما قبله (أنت مع الأكوان) أي افتقرتها ومستند اليها وهي مستعبدة لك (ما لم تشهد المكون) فيها (فاذا شهدته) فيها (كانت الأكوان معك) أي كنت مستغنيا عنها وما لكا لها وهي محتاجة اليك وخادمة لك فاذا طلبت منها شيئا حصل واذا قلت للشيء كن كان باذن الله تعالى ولذا كان بعض الأولياء يقول للسماء أمطري فتمطر وللريح هبي فتهب وسبب ذلك غيبته عنها بشهود مكونها ومعلوم أن حالة الشهود يغيب فيها الولي من حسه وعن بشريته ولا يلزم من ذلك فناؤها ولذا قال

الأكوان كلها آلة باعتبار باطنها وحفظها له بمنزلة القشر والصوان الذي يحفظ الشيء ويصونه وكان هو بمنزلة الجوهرة النفيسة التي تحويها الصدفة والمقصود من هذا أن يعرف الانسان جلالة قدره وفخامة أمره فيتعلق بهمته الى المراتب السامية اللائقة به وذلك باخلاص العبودية لله عز وجل وقطع النظر عن كل ما سواه وينظر في هذا المعنى الى ما قاله الشاعر

اذا كنت كرسيا وعرشا وجنة • ونارا وأفلاكا تدور وأملاكا

وكنت من السر المصون سريرة • وأدركت هذا بالحقيقة ادراكا

ففيم التأني في الحضيض تبسطا • بمقام الأسرى أما آن أسراكا

كان الشيخ أبو العباس المرسي رضي الله عنه يقول الأكوان كلها عبيد مسخرة لك وأنت عبد الحضرة ❁ وقد ورد في بعض الكتب المنزلة يا ابن آدم أنا بدك اللازم فالزم بدك ❁ وفي بعض الآثار المروية عن الله عز وجل يا ابن آدم خلقت الأشياء كلها من أجلك وخلقتك من أجلي فلا تشتغل بما هو لك عمن أنت له وقال الواسطي رضي الله عنه في معنى قوله تعالى ولقد كرمنا بني آدم قال بأن سخر لهم الكون وما فيه لئلا يكونوا في تحير شيء ويتفرغوا الى عبادة ربهم ۞ (انما وسعك الكون من حيث جسمانيتك ولم يسعك من حيث ثبوت روحانيتك) انما وسعك الكون من حيث جسمانيتك لوجود المناسبة والمجانسة ووسعه لك باعتبار ما ذكرناه انما هو باكتفائك به وقضاء أوطارك منه ووقوف أملك في نيل حاجاتك عليه ولا ما صيرك في هذا أيها الانسان لأن مرتبتك أجل من ذلك وانما لم يسعك من حيث ثبوت روحانيتك لعدم المناسبة فلا يسعك حينئذ ولا يناسبك الا التعلق بالمكون وهذه هي خاصيتك التي فيها عموك وعلوك ورفعة قدرك فلا تهملها وتنحط منها الى أسفل سافلين قال أبو عبد الله بن الجلاب رضي الله عنه من علت همته عن الأكوان وصل الى مكونها ومن وقف بهمته على شيء من الخلق فاته الحق لأنه أعز من أن يرضى معه بشريك وسئل أحمد بن خضرويه رضي الله عنه أي الأعمال أفضل فقال رعاية السر عن الالتفات الى شيء سوى الله ۞ (الكائن في الكون ولم تفتح له ميادين الغيوب مسجون بمحيطاته ومحصور في هيكل ذاته) من لازم الكون وبقي معه وقصر همته عليه ولم تفتح له ميادين الغيوب الملكوتية ولا خلص سره الى فضاء مشاهدة الوحدانية فهو مسجون بمحيطاته ومحصور في هيكل ذاته وهذه هي صفات أصحاب النار كما قال الله تعالى أحاط بهم سرادقها وليس في جهنم عذاب أعظم من السجن والحصر والضيق والقهر كما قال الله تعالى واذا ألقوا منها مكانا ضيقا مقرنين دعوا هنالك ثبورا وما ذكرناه هو حال من بقي مع نفسه وعمل على نيل حظه كائنا ما كان وفي بعض الآثار المروية عن الله عز وجل عبدي اجعلني مكان همك أكفك كل هم ما كنت بك فأنت في محل البعد وما كنت بي فأنت في محل القرب فاختر لنفسك ۞ (أنت مع الأكوان ما لم تشهد المكون فاذا شهدته كانت الأكوان معك) فرق بين كونك مع الأكوان وكون الأكوان

معك فانّ كونك مع الأكوان يقتضي تقيّدك بها وحاجتك اليها فانت بذلك عبدلها ثم هي خاذلتك
ومسلمتك أحوج ما تكون اليها وهذه حالة خسيسة يقتضيها عدم شهودك للمكون وكون الأكوان
معك يقتضي ملكك لها واستغناءك عنها فانت حينئذ حرّ عنها وهي محتاجة اليك وخادمة لك ومتبركة
بك حتى الجمادات والحيوانات ٭ وقال الشبلي رضي الله عنه ليس عطر الكون ثبال من عرف المكون
انتهى وهذه حالة نفيسة يقتضيها شهودك للمكون قال بعض المشايخ رضي الله عنهم انا ادخل السوق
والأشياء تشتاق اليّ وأنا عن جميعها حرّ وعن المزيّن الكبير رضي الله عنه قال كنت مع ابراهيم
الخواص في بعض أسفاره فاذا عقرب تسعى على فخذه فقمت لأقتلها فمنعني وقال دعها كل شيء مفتقر
الينا ولسنا مفتقرين الى شيء وقال محمد بن المبارك الصوفي رحمه الله كنت مع ابراهيم بن ادهم في طريق
بيت المقدس فنزلنا في وقت القائلة تحت شجرة رمّان فصلينا ركعتين فسمعنا صوتا من أصل الرمان يا ابا
اسحق أكرمنا بأن تأكل منا شيئا فطأطأ ابراهيم رأسه فقال ذلك ثلاث مرات ثم قال يا محمد كن شفيعا
اليه ليتناول منا شيئا فقلت يا أبا اسحق لقد سمعت فقام فأخذ منها رمانتين فأكل واحدة وناولني الأخرى
فأكلتها وفي غير هذه الحكاية أن الشجرة كانت قصيرة ورمانها حامض وأنها تطعم في كل عام مرة فطلت
وارتفعت وحلا رمانها وصارت تطعم في كل عام مرتين وكانت السباع تجيء الى سهل بن عبد الله رضي الله
عنه فيدخلهم بيتا عنده ويضيفهم ويطعمهم اللحم وقال ابراهيم الخواص رضي الله عنه كنت في البادية
مرة فسرت الى وسط النهار فوصلت الى شجرة وبالقرب منها ماء فنزلت فاذا أنا بسبع عظيم قد أقبل فلما
قرب مني اذا هو يعرج فحمحم وبرك بين يدي ووضع يده في حجري فنظرت فاذا يده منتفخة فيها قيح
ودم فأخذت خشبة وشققت الموضع الذي فيه القيح ومسحته وشددت على يده خرقة فمضى فاذا أنا به
بعد ساعة جاء ومعه شبلان يبصبصان لي وحمل اليّ رغيفا ٭ وقال بعضهم أشرفت على ابراهيم بن ادهم
وهو في بستان يحفظه وقد أخذه النوم واذا حية في فيها طاقة نرجس تروحه بها وحكي عن أبي اسحق
الصعلوكي رحمه الله تعالى قال خرجت مرة الى الحج فبينما أنا في البادية اذ ذهبت فلما جن علي الليل وكانت
ليلة قمراء فسمعت صوت شخص ضعيف يقول يا أبا اسحق قد انتظرتك من الغداة قال فدنوت منه فاذا
هو شاب نحيف قد أشرف على الموت وحوله رياحين كثيرة منها ما عرفته ومنها ما لم أعرفه فقلت من
اين أنت فقال من مدينة شمشاط كنت من عز وثروة فطالبتني نفسي بالعزلة فخرجت وقد أشرفت
على الموت فسألت الله تعالى أن يقيض لي وليا من أوليائه فأرجو أنك هو قال فقلت له ألك والدان قال نعم
وأخوة وأخوات قلت هل اشتقت اليهم والى ذكرهم فقال لا الا اليوم أردت أن أشم ريحهم فاحتوشتني
السباع والبهائم يبكين معي وحملن الى هذه الرياحين قال فبينا أنا في تلك الحالة اذ برقت لدغتني اذا حية أقبلت
في فيها طاقة نرجس فقالت دع شركك عنه فان الله تعالى يغار على أوليائه قال فغشي علي فما أفقت حتى
خرجت نفسه رحمة الله تعالى عليه ورضوانه ثم وقع على ثيابات فانتبهت وأنا على الجادة قال فدخلت مدينة
شمشاط بعدما حججت فاستقبلتني امرأة فما رأيت أشبه بالشاب منها فلما رأتني قالت يا أبا اسحق كيف
رأيت الشاب فاني أنتظرك منذ ثلاث فذكرت لها القصة الى أن قلت قال أردت أن أشم ريحهم
فصاحت وقالت آه بلغ الشم الشم وخرجت نفسها فخرجت أترابها عليهن المرقعات والفوط فتكفلن
أمرها وتولين شأنها رضي الله عنهم أجمعين فهكذا حال من يكون عظيم الهمة شريف الارادة والنية
لا يساكن أحدا من المخلوقات ولا يوطن نفسه على شيء من المصنوعات فيتكفل الله تعالى بأمره
ويجعل الكون خادما له بأسره رزقنا الله تعالى واياكم ما رزقهم ووفقنا كما وفقهم بجوده وكرمه

(لا يلزم من ثبوت الخصوصية) أي ما خصك الله به من القوة والقدرة على التصرف في المكونات والكشف عن أحوالها وغير ذلك (عدم وصف البشرية) كفقر وضعف وعجز وذل وجهل لأن الوصف البشري أمر ذاتي لازم للعبد والأمور الذاتية اللازمة يستحيل عدمها ثم ضرب لذلك مثالا من المحسوسات بقوله (انما مثل الخصوصية كاشراق شمس النهار) أي كشمس النهار المشرقة (ظهرت في الافق) أي نواحي السماء (وليست منه) أي ليست من ذاتياته وكما أن شمس النهار اذا ظهرت على الآفاق المظلمة استنارت واذا غربت رجعت الى حالها من الظلمة لأن النور ليس ذاتيا لها بل هو عرض والأمور العرضية لا تزيل الذاتيات كما مر كذا الأوصاف البشرية القائمة بذاتك كالفقر والعجز والضعف شبيهة بالليل فاذا ظهر عليها شمس التجلي بأن تجلى الله عليك بصفة الغنى والقدرة استنارت فانك أي حصل لها نور بالغنى والقدرة واذا قبض عنها ذلك رجعت الى حالها والى هذا أشار بقوله (تارة تشرق شموس أوصافه) تعالى أي أوصافه الشبيهة بالشموس (على ليل وجودك) أي على أوصافك الذاتية الشبيهة بالليل فتظهر خصوصيتك فتكون قادرا بالله قويا به

(٧٣)

عالما به وهكذا فاذا تجلى عليك بصفة القدرة تحدث فيك قوة تغطي عجزك أو بصفة العلم تحدث فيك علم يغطي جهلك وهكذا (وتارة يقبض ذلك عنك فيردك الى حدودك) من العجز والضعف والجهل وغير ذلك فلا تظهر خصوصيتك ولذا كان عليه الصلاة والسلام تارة يظهر عليه وصف القوة والقدرة فيطعم الألف من صاع وتارة يظهر عليه وصف العجز فيشد الحجر على بطنه من الجوع وكذا ورثته من الأولياء (فالنهار) وهو تلك الخصوصيات التي ظهرت عليك (ليس منك واليك) أي ليس من أوصافك الذاتية (ولكنه وارد عليك) من حضرة الحق سبحانه فان شاء الله أبقاه وان شاء أزاله ولذا ترى بعض الأولياء في بعض الأحيان عندهم قوة بطش وفي بعضها يكونون عاجزين ومع هذا فشموس أنوار قلوبهم وهي المعارف والأسرار لا تغيب ولا تغرب كما مر وأما الذي يغيب هو الخصوصيات التي تظهر على ظواهرهم وهي الشموس المرادة هنا فلا تعارض ثم قال (دل بوجود آثاره) أي مكوناته ومصنوعاته المتقنة المحكمة (على وجود أسمائه) اذ لا يصدر ذلك الا من قادر مريد عالم (وبوجود أسمائه على ثبوت أوصافه) من القدرة والارادة والعلم (وبثبوت أوصافه على وجود ذاته اذ محال أن يقوم الوصف بنفسه) وهذا حال السالكين فان أول ما يظهر لهم الآثار وهي الافعال فيستدلون بها على الأسماء وبالأسماء على الصفات وبالصفات على وجود الذات وهم الذين يقولون ما رأينا شيئا الا رأينا الله بعده وأما المجذوبون فحالهم بالعكس كما أشار الى ذلك بقوله (فأرباب الجذب يكشف لهم) أولا (عن كمال ذاته) أي عن ذاته الكاملة فيغيبون عما ادراك ذوق (ثم يردهم الى شهود صفاته) بأن يشاهدوا ارتباطها بالذات (ثم يرجعهم الى التعلق بأسمائه) بأن يشاهدوا تعلقها بالآثار (ثم يردهم الى شهود آثاره) أي صدورها عن الأسماء فأول ما ظهر لهم حقيقة الذات المقدسة ثم ردوا منها الى مشاهدة الصفات ثم رجعوا

(لا يلزم من ثبوت الخصوصية عدم وصف البشرية انما مثل الخصوصية كاشراق شمس النهار ظهرت في الأفق وليست منه تارة تشرق شموس أوصافه على ليل وجودك وتارة يقبض ذلك عنك فيردك الى حدودك فالنهار ليس منك واليك ولكنه وارد عليك) ثبوت الخصوصية للعبد لا يلزم منه عدم وصف البشرية لأن الوصف البشري أمر ذاتي لازم للعبد والأمور الذاتية اللازمة يستحيل عدمها وانقلابها وانما اللازم من ذلك عدم غلبة أحكام ذلك الوصف على العبد فقط لأجل الوارد الغالب فان قدر ذهاب هذا الوارد الغالب بقي وصف البشرية بحاله ظاهرا وكان العبد في يديه أسيرا ومثال ذلك من المحسوسات اشراق شمس النهار على الآفاق المظلمة لتزيل آثار ظلمانيتها فتستنير بذلك وتشرق فاذا غابت الشمس رجعت الى حالها من الظلمة لأن النور ليس بذاتي لها وهو معنى قوله وليست منه ومعنى الخصوصية المذكورة هو ما يخص الحق تعالى به أولياءه من ظهور أوصافه العلية ونعوته القدسية عليهم ليغطي بذلك أوصاف نفوسهم الدنيئة الردية عنهم لئلا تظهر آثار كدوراتها في صفاء أوقاتهم كما تقدم من قوله اذا أراد أن يوصلك اليه ستر وصفك بوصفه وغطى نعتك بنعته فاذا أشرقت أنوار ذلك الوارد على ليل وجودهم ذهبت بظلمات نفوسهم وبقوا في نهار الوصلة والقربة من غير حول منهم ولا قوة وهو معنى قوله فالنهار ليس منك واليك وان غابت عنهم تلك الأنوار المشرقة رجعوا الى أصلهم ولزموا الوقوف على حدهم وكانوا في ليل القطيعة والحجبة كما كانوا قبل ذلك ثم الغرض من هذا الرد على طوائف غلطت في هذا الأمر وتغالت وزعمت أن القرب من الله تعالى والوصول اليه انما يكون بعدم أوصافه البشرية وزوالها بالكلية واتصافه بصفات الربوبية بدلا منها وفسرت بهذا ما تعبر به المشايخ من الفناء والبقاء فوقعوا من ذلك في ضلال وزندقة نعوذ بالله من ذلك والمعنى الصحيح من ذلك انما هو ما ذكره المؤلف رحمه الله تعالى ورضي عنه ههنا (دل بوجود آثاره على وجود أسمائه وبوجود أسمائه على ثبوت أوصافه وبثبوت أوصافه على وجود ذاته اذ محال أن يقوم الوصف بنفسه فأرباب الجذب يكشف لهم عن كمال ذاته ثم يردهم الى شهود صفاته ثم يرجعهم الى التعلق بأسمائه ثم يردهم الى شهود آثاره

الى التعلق بالاسماء ثم أنزلوا الى شهود الآثار وهم الذين يقولون ما رأينا شيئا الا رأينا الله قبله (والسالكون على عكس هذا) كما مر (فنهاية السالكين) وهي شهود الذات المقدسة والكشف عن كمالها (بداية المجذوبين ونهاية السالكين) وهي التعلق بالآثار وشهود استنادها الى الله (نهاية المجذوبين لكن لا بمعنى واحد) أي ليسا متحدين من كل وجه فان نهاية السالكين وان كان فيها جذب لكنه مصحوب بالتمكن وعلم أحوال الطريق ومعرفة عقبات النفوس فانهم لم يصلوا الى ذلك الا بعد معاناة وتعب ومشقة بخلاف بداية المجذوبين فانها ليس معها تمكن فلذا يحصل لهم الغيبة وتصدر منهم أفعال لا يدرون ما هي ويتركون الفرائض ويفعلون أفعالا منكرة في الشرع ولا يعاقبون على ذلك لتغطية عقولهم التي عليها مدار التكليف بالأنوار وبداية السالكين ليس معها شهود لكمال الذات ولا الأسماء والصفات بخلاف نهاية المجذوبين فانهم لم يحصل لهم حالة الصحو الا بعد مشاهدة ذلك فالسالكون عاملون في ترقيهم على طريق الفناء والمحو والمجذوبون سلوكهم في تدليهم طريق البقاء والصحو واذا كان كذلك (فربما التقيا في طريق هذا) أي السالك (في ترقيه) من الخلق الى الحق (وهذا) أي المجذوب (في تدليه) من الحق الى الخلق فربما اجتمعا في تجلي الاسماء أو الصفات بأن يكون كل منهما مشاهدا لأسمائه تعالى مثلا لكن المجذوب اذا انتقل من ذلك ينتقل الى الآثار والسالك الى الصفات ثم السالك أفضل من المجذوب للانتفاع به بخلاف المجذوب فاذا أراد الله تكميل حاله أصحاه وكل من علم السالك والمجذوب وهبي ذوقي وان كان مبدأ علم الاول استدلاليا كما يؤخذ من قوله بوجود آثاره الخ فالمجذوب ما دام في جذبه لا يصلح للمشيخة لعدم مروره على المقامات ومعرفته بغوائل النفوس ولاشتغاله بحاله عن حال غيره كما أن السالك اذا لم يصل الى درجة المشاهدة والتجلي لا يصلح للمشيخة لنقصه وانما يصلح لها من جمع بينهما سواء تقدم سلوكه على جذبه أو بالعكس وقديم المجذوب على المقامات بسرعة ويعرف غوائل النفوس كذلك فيصلح للمشيخة مع جذبه لكن هذا في بعض

القرب

المجاذيب كالسيد أحمد البدوي نفعنا الله به لا في كل مجذوب (لا يعلم قدر أنوار القلوب والأسرار) أي السرائر أي الأنوار المشرقة عليها وهي العلوم والمعارف اللدنية وما هو مودع فيها من أنوار الحق (الا في غيب الملكوت) أي الملكوت الغائب عنا وهو عالم الآخرة فمن آمن بالغيب وسعى في تهذيب نفسه حتى حصلت عنده تلك الأنوار شاهد الحظ الأوفر هناك وان كان مهانا في الدنيا غير معتنى به فيها (كما لا تظهر أنوار السماء) وهي أنوار الكواكب (الا في شهادة الملك) أي الملك المشاهد وهو عالم الدنيا لحصول المناسبة بين هذه الأشياء (وجدان ثمرات الطاعات) وهي الأنوار التي تحصل في قلوبهم وتشرق على ظواهرهم والتلذذ بها في حال فعلها (عاجلا) أي في الدنيا (بشائر العاملين بوجود الجزاء عليها آجلا) أي بشائر من الله تعالى عاجلة بوجود الجزاء عليها في الدار الآخرة

(٧٤)

والسالكون على عكس هذا فنهاية السالكين بداية المجذوبين ونهاية السالكين نهاية المجذوبين لكن لا بمعنى واحد فربما التقيا في الطريق هذا في ترقيه وهذا في تدليه) عباد الله المخصوصون بالقرب منه والوصول اليه ينقسمون الى قسمين سالكين ومجذوبين فشأن السالكين الاستدلال بالأشياء عليه وهم الذين يقولون ما رأينا شيئا الا ورأينا الله بعده وشأن المجذوبين الاستدلال به على الأشياء وهم الذين يقولون ما رأينا شيئا الا رأينا الله قبله ولا شك أن الدليل أبدا أظهر من المدلول فأول ما ظهر للسالكين الآثار وهي الأفعال فاستدلوا بها على الأسماء وبالأسماء على الصفات وبالصفات على وجود الذات فكان حالهم الترقي والصعود من أسفل الى أعلى وأول ما ظهر للمجذوبين حقيقة كمال الذات المقدسة ثم ردوا منها الى مشاهدة الصفات ثم رجعوا الى التعلق بالأسماء ثم أنزلوا الى شهود الآثار فكان حالهم التدلي والتنزل من أعلى الى أسفل فما ابتدأ به السالكون من شهود الآثار اليه انتهاء المجذوبين وما ابتدأ به المجذوبون من كشف حقيقة الذات اليه انتهاء السالكين لكن لا بمعنى واحد فان مراد السالكين شهود الأشياء لله ومراد المجذوبين شهود الأشياء بالله فالسالكون عاملون على تحقيق الفناء والمحو والمجذوبون مسلوك بهم طريق البقاء والصحو ولما كان شأن الفريقين النزول في تلك المنازل المذكورة لزم التقاؤهما في طريق سفرهما السالك مترق والمجذوب متدل

❁ (لا يعلم قدر أنوار القلوب والأسرار الا في غيب الملكوت كما لا تظهر أنوار السماء الا في شهادة الملك) أنوار القلوب والأسرار المشرقة عليها من سماء التوحيد والمعرفة لا يعرف قدرها الا في غيب الملكوت وهو عالم الآخرة وهنا يحصل تمام هذه الأنوار فمن آمن بالغيب كان له من ذلك الحظ الأوفر كما أن أنوار السماء المشرقة على ظواهر الاجرام لا تظهر الا في شهادة الملك وهو عالم الدنيا وذلك لحصول المناسبة بين هذه الأشياء ❁ (وجدان ثمرات الطاعات عاجلا بشائر العاملين بوجود الجزاء عليها آجلا) ما يجده العاملون بطاعة الله تعالى في أعمالهم عاجلا من مزيد الايمان واليقين وتنسم روح الأنس ولذيذ

وانها مقبولة عند الله وقد تقدم هذا المعنى عند قوله من وجد ثمرة عمله عاجلا فهو دليل على وجود القبول ولما كان يفهم من هذا أن العمل قد يكون لقصد الجزاء وأنه ممدوح دفع ذلك بقوله (كيف تطلب العوض) أي الجزاء (على عمل هو متصدق به عليك) أي أن هذا غير لائق منك لأن الانسان لا يطلب الجزاء من الغير الا اذا فعل به فعلا يعود نفعه على ذلك الغير وذلك مفقود هنا لأن نفع تلك الأعمال عائد عليك لا على الرب سبحانه لأنه غني عنك وعن أعمالك وكما أن الجزاء يكون على العمل يكون أيضا على الصدق أي الاخلاص فيه وهو غير لائق أيضا ولذا قال (أم كيف تطلب الجزاء على صدق) أي اخلاص في العمل (هو مهديه اليك) وعبر بالتصدق والاهداء تنبيها على ما ذكر وهو أن ذلك العمل والاخلاص فيه لم يكن الا لمنفعتك فطلب العوض

(٧٥)

والجزاء اذن على ذلك في غاية القبح ولذا صير الكلام بكيف المفيدة للاستفهام التعجبي تقبيحا لذلك الوصف واستعمل لفظ الصدقة في الأعمال الظاهرة والهدية في الصدق الذي هو من الأعمال الباطنة وعليه مدار قبول الأعمال الظاهرة اشعارا بتباينهما في الشرف كتباين الصدقة والهدية فان الأولى يقصد بها الفقراء والثانية الأغنياء فتدل على شرف المهدى اليه (قوم تسبق أنوارهم أذكارهم) وهم المجذوبون المرادون فلما واجهتهم الأنوار حصلت منهم الأذكار بلا تكلف ولا تعمل بل بسهولة وخفة (وقوم تسبق أذكارهم أنوارهم) وهم المريدون السالكون وذلك لأن شأنهم المجاهدة والمكابدة فيأتون بالأذكار في حال تكلف منهم وتعمل ليحصل بها الأنوار فالأولون وصلوا بكرامة الله تعالى الى طاعة الله ويصدق عليهم قوله تعالى يختص برحمته من يشاء والآخرون وصلوا بطاعة الله الى كرامة الله ويصدق عليهم قوله تعالى والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا الآية ثم ذكر عبارة أخرى لبيان حال الفريقين بقوله (ذاكر ذكر ليستنير قلبه) وهو السالك (وذاكر استنار قلبه فكان ذاكرا) وهو المجذوب فالذكر له كالنفس الطبيعي بل أسهل بخلاف الأول وتقدم أن السالك أتم من المجذوب لأن الأول عرف طريقا توصل بها الى الله ونال فيها غاية التعب والمشقة والمجذوب ليس كذلك وهذا بناء على أن المجذوب لا طريق له وهو كذلك بالنسبة لأغلب المجاذيب والا فبعضهم له طريق طوتها عناية الله تعالى له فسلكها مسرعا الى الله عاجلا كما مر فلم تفته الطريق وانما فاته متاعبها وطول أمدها ثم أشار الى ما يتعلق بالمجذوب والسالك جميعا بقوله

القرب ولطيف الوصل لبشائر من الله تعالى عاجلة بوجود الجزاء عليها في الدار الآخرة بأنها مقبولة عند الله تعالى وقد تقدم هذا المعنى عند قوله من وجد ثمرة عمله عاجلا فهو دليل على وجود القبول ۞ (كيف تطلب العوض على عمل هو متصدق به عليك أم كيف تطلب الجزاء على صدق هو مهديه اليك) العمل الذي يصح طلب العوض والجزاء عليه هو ما عملته لينتفع به غيرك ولم يعد لك بذلك منفعة ولم يندفع عنك بسببه مضرة والأعمال الدينية المطلوبة منك ظاهرا وباطنا بخلاف هذا كله اذ هي مساوية عنك منسوبة اليك بل خلقها واختراعها عائد ثمرة ذلك ومنفعته عليك في ظاهرك وباطنك وهو غني عنك وعنها ولذلك عبر عنها بالتصدق والاهداء تنبيها على أن ذلك لم يكن الا لمنفعتك فطلب العوض والجزاء اذا على عمل هذه صفته في غاية القبح ولذلك صير المؤلف رضي الله تعالى عنه كلامه بكيف ليعجبك من ذلك الوصف قال الواسطي رضي الله تعالى عنه مطالبة الأعواض على الطاعات من نسيان الفضل وسئل أبو العباس بن عطاء الله رضي الله عنه عن أقرب شيء الى مقت الله تعالى فقال رؤية النفس وأفعالها وأشد من ذلك مطالبة الأعواض على أفعالها واستعمال المؤلف رحمه الله تعالى لفظ الصدقة في الأعمال الظاهرة ولفظ الهدية في الصدق وعليه مدار الأعمال الباطنة اشعار بتباينهما في الشرف كتباين الصدقة والهدية ۞ (قوم تسبق أنوارهم أذكارهم وقوم تسبق أذكارهم أنوارهم وقوم تتساوى أذكارهم وأنوارهم وقوم لا أذكار ولا أنوار نعوذ بالله من ذلك ذاكر ذكر ليستنير به قلبه فكان ذاكرا وذاكر استنار قلبه فكان ذاكرا والذي استوت أذكاره وأنواره فبذكره يهتدي وبنوره يقتدي) مسبقة الأذكار للأنوار هو حال المريدين السالكين وذلك لأن شأنهم المجاهدة والمكابدة فهم يأتون بالأذكار في حال تكلف منهم وتعمل ليحصل لهم بذلك زوائد الأنوار والى هذا المعنى الاشارة بقوله تعالى والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا ومسبقة الأنوار للأذكار هو حال المريدين المجذوبين لأنهم مقامون في السهولة والخفة فلما واجهوا بالأنوار حصلت منهم الأذكار بلا تكلف ولا تعمل قال في لطائف المنن حاكيا عن شيخه أبي العباس المرسي وقال رضي الله تعالى عنه الناس على قسمين قوم وصلوا بكرامة الله تعالى الى طاعة الله وقوم وصلوا بطاعة الله الى كرامة الله قال الله سبحانه وتعالى الله يجتبي اليه من يشاء ويهدي اليه من ينيب قال ومعنى كلام الشيخ هذا أن من الناس من حرك الله همته لطلب الوصول اليه فسار يطوي مهامه نفسه وبيداء طبعه الى أن وصل الى حضرة ربه يصدق على هذا قوله سبحانه والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا ومن الناس من فاجأته عناية الله تعالى من غير طلب ولا استعداد ويشهد لذلك قوله تعالى يختص برحمته من

(ما كان ظاهر ذكر) أي ذكر ظاهر (إلا عن باطن شهود وفكر) أي إلا عن شهود للمولى باطنا وفكر فيه فكل من المجذوب والسالك لم يذكر ظاهرا إلا بعد مشاهدة الرب باطنا وفكر فيه وإن كان المجذوب يدرك ذلك والسالك قد لا يدركه لغلبة بشريته فلم يفقد النور السابق بالكلية وإلا لما أمكن منه الذكر وقد تقدم قوله لولا واردات ما كانت أوراد ولولا التجلي لم يمكن التجلي والمراد بالذكر هنا سائر الأعمال الظاهرة وعبر به عنها لأنه روحها ولأنه بها عليه فكل من الشهود والفكر يرجع للمجذوب والسالك ويحتمل رجوع الأول للأول والثاني للثاني ثم بين ذلك المعنى بقوله (أشهدك) أي تجلى لقلبك فشهدته على حسب قدرك (من قبل أن يستشهدك) أي يطلب منك أن تشهد بعظمته وجلاله بذكرك وعبادتك فإن الذكر والعبادة شهادة منك بعظمة المعبود والمذكور واعتراف بوحدانيته (فنطقت بإلهيته) أي بما يدل على ألوهيته (الظواهر) أي الجوارح الظاهرة وهذا راجع للثاني وهو الاستشهاد وقوله (وتحققت بأحديته القلوب والسرائر) راجع للأول وهو الإشهاد ويحتمل أن معنى ذلك أن الله تعالى كشف للأرواح في عالم الغيب (٧٦)

عن ألوهيته وأحدية ذاته وإحاطة قيوميته ثم لما أظهرها في عالم الشهادة بأن ركبها في الأجسام طلب منها على لسان الأنبياء الشهادة له بالألوهية فشهدت بلسان حالها ومقالها فكانت الشهادة منها لما استشهدت تبعا لشهودها لما أشهدت فقوله أشهدك أي في عالم الأرواح وقوله من قبل أن يستشهدك أي يطلب منك الشهادة بعد أن ركبها في الأجسام فنطقت بألوهيته الظواهر أي الجوارح الظاهرة نطقا حقيقيا في اللسان وحاليا في غيره وقوله فنطقت تفريع على محذوف أي فلما طلب منها الشهادة على لسان الأنبياء نطقت وتحققت بأحديته أي جزمت بكونه واحدا لا شريك له القلوب والسرائر بجمع سريرة كما مر (أكرمك) أيها العبد الذي أشهدك مولاك ثم استشهدك وجعلك تذكره بلسانك وعبادتك ووجدته بقلبك وسرك (بكرامات ثلاث) جمع لك بها كل المفاخر والمحامد الأولى أنه (جعلك ذاكرا له) بلسانك وعباداتك الظاهرية والباطنية (ولولا فضله لم تكن أهلا لجريان ذكره عليك) لأنك مجبول على النقص والكسل والفتور فحصول ذلك منة وفضل عليك ومن أين أنت حتى تكون محلا لذكره وموضعا لطاعته والتعلق به (و) الثانية أنه (جعلك مذكورا به) بأن يقول هذا ولي الله وصفيه ومختاره وذاكره (إذ حقق) أي أثبت (نسبته) أي خصوصيته (لديك) وهي ما أظهره عليك من أنوار الذكر التي استنارت بها ظاهرك وباطنك فتحقق الخصوصية لديك مسبب في ذكرك به أي انتسابك له ومن كانت له أدنى نسبة عند ملك من ملوك الدنيا تراه يوما ونهارا يحفظها ويفرح بها ويجد في نفسه انبساطا عند ذكرها فكيف بهذه النسبة العظيمة التي صرت مذكورا بها في الملأ الأعلى وعند المؤمنين إلى آخر الدهر فإن من مات من العلماء والصالحين الذين كثر ذكرهم لله تعالى يبقى الثناء عليهم ولا ينقطع

يشاء فالأول حال السالكين والثاني حال المجذوبين فمن كان مبدؤه المعاملة فنهايته المواصلة ومن كان مبدؤه المواصلة رد إلى وجود المعاملة ولا تظن أن المجذوب لا طريق له بل له طريق طوتها عناية الله تعالى له فسلكها مسرعا إلى الله تعالى عاجلا وكثيرا ما نسمع عند مراجعة المنتسبين للطريق تفاوت أن السالك أتم من المجذوب لأن السالك عرف طريقا أوصله والمجذوب ليس كذلك وهذا بناء على أن المجذوب لا طريق له وليس الأمر كما زعموا فإن المجذوب طويت له الطريق ولم تطو عنه ومن طويت له الطريق لم تفته ولم تغب عنه وإنما فاته متاعبها وطول أمدها والمجذوب كمن طويت له الطريق إلى مكة والسالك كالسائر إليها على أكوار المطايا اهـ ما ذكره في حال الجذب والسلوك وهو حسن قل أن يوجد لغيره فلذلك أوردته ههنا بكماله ❁ (ما كان ظاهر ذكر إلا عن باطن شهود وفكر) أعمال الظاهر تكون تبعا لما يكون في الباطن وقد تقدم هذا المعنى عند قوله ما استودع في غيب السرائر ظهر في شهادة الظواهر فالذكر الظاهر لا محالة ثمرة باطن الشهود والفكر ثم بين هذا المعنى بقوله ❁ (أشهدك من قبل أن يستشهدك فنطقت بإلهيته الظواهر وتحققت بأحديته القلوب والسرائر) كاشف الله تعالى القلوب والأسرار في غيب الغيب بحقائق وحدانيته وإحاطة قيوميته فلما أشهدها ذلك اضمحلت وتدكدكت وتلاشت فتحققت بذلك بالأحدية فلما أظهرها في عالم الشهادة ملتبسة بالأجسام وأهلها كل طلب منها الشهادة له بالإلهية فشهدت بلسان حالها ومقالها فكانت الشهادة منها لما استشهدت تبعا لشهودها لما أشهدت فالعبد من حيث سره وقلبه موصوف بالجمع ومن حيث ظاهره وجسمه بنعت الفرق ولا بد في هذا الطريق من وجود الجمع والفرق وقد قالوا كل جمع بلا تفرقة زندقة وكل تفرقة بلا جمع تعطيل وقال الجنيد رضي الله عنه في معنى الجمع والتفرقة

فتحققتك في سري ❁ فناجاك لساني
فاجتمعنا لمعان ❁ وافترقنا لمعاني
إن يكن غيبك التعظيم عن لحظ عياني ❁ فلقد صيرك الوجد من الأحشاء داني

ذهب الجنيد رضي الله عنه إلى أن قربه بالوجد جمع وغيبته في البشرية تفرقة ❁ (أكرمك بكرامات ثلاث جعلك ذاكرا له ولولا فضله لم تكن أهلا لجريان ذكره عليك وجعلك مذكورا به إذ حقق نسبته لديك

ذكره والدعاء له ومن مات من غيرهم ما ذكر معه ويحتمل أن قوله إذ حقق في قوة التفريع على ما قبله والمعنى جعلك مذكورا به لتحقق نسبته لديك أي انتسابك له فيكون ذكرك به تحقيقا لانتسابك له (و) الثالثة أنه (جعلك مذكورا عنده) لحديث من ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي ومن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير من ملئه (فتمم نعمته عليك) بذكرك عنده قال تعالى ولذكر الله أكبر قيل معناه ذكر الله عبده أكبر من ذكر العبد لله (رب عمر اتسعت آماده) أي غاياته وأزمنته (وقلت أمداده) بفتح الهمزة أي فوائده وذلك كأعمار الغافلين عن الله المشتغلين بشهوات نفوسهم فإنها وإن كانت طويلة في الحس فهي قصيرة في المعنى لقلة أمدادها (ورب عمر قليلة آماده كثيرة أمداده) وذلك كأعمار الذاكرين فإنها وإن كانت قصيرة حسا فهي طويلة معنى لكثرة أمدادها وذلك هو معنى البركة في العمر كما يأتي للمصنف ففوائد العمر لا يلزم أن تكون على قدر آماده أي أزمنته وبحسبها بل قد يحصل لصاحب العمر القصير من الفوائد ما لا يحصل لمن عمره أطول منه بأضعاف مضاعفة (من بورك له) أي من أراد الله أن ينزل البركة (في عمره) رزقه الإقبال على مولاه فـ(أدرك في يسير من الزمن من منن الله ما لا يدخل تحت دوائر العبارة) أي تحت العبارة الشبيهة بالدوائر بجامع الإحاطة بما عبر به (ولا تلحقه الإشارة) أي لا تصل إليه والمعنى إذا أراد الله تعالى أن يبارك في عمر ولي من أوليائه رزقه من الفطنة واليقظة ما يحمله على اغتنام أوقاته فيبادر إلى الأعمال الصالحة في جميع ساعاته فيدرك في يسير من الزمان مما يمتن به المولى ما لا يدخل تحت دوائر العبارة أي ما لا تحيط به العبارة لكثرته وشرفه فتعجز عنه العبارة ولا تلحقه الإشارة أي لا تصل إليه لدقته وغاية صفائه فإن نفعه له في شهر مثلا ما لا يرتفع لغيره في ألف شهر بمنزلة ليلة القدر العمل فيها لمن صادفها خير من العمل في ألف شهر قال بعضهم كل ليلة للعارف بمنزلة ليلة القدر وكان أبو العباس المرسي قدس الله سره يقول أوقاتنا كلها ليلة قدر قيل وهذا معنى ما روي أن البر يزيد في العمر

وجعلك مذكورا عنده فتمم نعمته عليك) أكرم الله تعالى عبده المؤمن بثلاث كرامات جمع له فيها كل المفاخر والمحامد أولها كونه ذاكرا له بأن أجرى ذكره على قلبه ولسانه ومن أين له ذلك وبأي وسيلة ناله لولا فضل الله تعالى وكرمه وثانيها كونه مذكورا له فيقال هذا عبد الله ووليه وصفيه ومختاره وذلك بما أكرمه الله به من تحقيق النسبة إليه وهي إثبات الخصوصية له وقد تقدم معنى الخصوصية وثالثها كونه مذكورا عنده وهذه هي غاية الإكرام ومنتهى الفضل والإنعام قال الله تعالى ولذكر الله أكبر قيل معناه ذكر الله عبده أكبر من ذكر العبد له وفي حديث أبي بن كعب رضي الله عنه قال قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرت أن أقرأ عليك القرآن قال قلت يا رسول الله سماني لك ربك قال نعم فقرأ علي قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون وفي حديث أبي حبة البدري رضي الله عنه قال لما نزلت لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب إلى آخرها قال جبريل عليه السلام إن ربك يأمرك أن تقرئها أبيا فقال النبي صلى الله عليه وسلم لأبي إن جبريل عليه السلام أمرني أن أقرئك هذه السورة فقال أبي أوذكرت ثم يا رسول الله قال نعم فبكى أبي وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى أنا عند ظن عبدي بي وأنا معه حين يذكرني إن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منه وإن تقرب مني شبرا تقربت منه ذراعا وإن تقرب مني ذراعا تقربت منه باعا وإن أتاني يمشي أتيته هرولة وعن أبي هريرة وأبي سعيد يشهدان به على النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ما جلس قوم مسلمون مجلسا يذكرون الله فيه إلا حفتهم الملائكة وغشيتهم الرحمة ونزلت عليهم السكينة وذكرهم الله فيمن عنده قال يحيى بن معاذ رضي الله عنه يا غفول يا جهول لو سمعت صرير القلم حين يجري في اللوح المحفوظ بذكرك لمت طربا ۞ (رب عمر اتسعت آماده وقلت أمداده ورب عمر قليلة آماده كثيرة أمداده) الأمداد الإلهية التي يمد الحق تعالى بها عباده المؤمنين زيادة في إيمانهم وتقوية لإيقانهم لا أثر فيها لطول العمر ولا قصره فلا تنقص بذلك ولا تزيد به ولا تقل ولا تكثر وإنما ترد عليهم من خزائن الفضل والكرم بحسب قوة استعدادهم وكمال قابليتهم وتختلف هذا باختلاف تراكيب خلقهم وجبول فطرهم ولا مدخل للزمان في هذا إلا بالعرض وبهذا فضلت هذه الأمة على سائر الأمم على قصر أعمارهم وطول أعمار غيرهم ۞ قال أحمد ابن أبي الحواري رضي الله عنه قلت لأبي سليمان الداراني رضي الله عنه قد غبطت بني إسرائيل قال بأي شيء قلت بثمانمائة سنة حتى يصيروا كالشنان البالية وكالحنايا وكالأوتار قال ما ظننت إلا وقد جئت بشيء لا والله ما يريد الله لنا أن تيبس جلودنا على عظامنا ولا يريد منا إلا صدق النية فيما عنده هذا إذا صدق في عشرة أيام نال ما نال ذلك في عمره ۞ (من بورك له في عمره أدرك في يسير من الزمن من منن الله تعالى ما لا يدخل تحت دوائر العبارة ولا تلحقه الإشارة) البركة في العمر أن يرزق العبد

(الخذلان) هو عدم التوفيق والمعونة (كل الخذلان) أى الخذلان التام (أن تتفرغ من الشواغل) الدنيوية بأن يكون عندك ما يكفيك من الدنيا ثم لا تتوجه اليه بالاشتغال بما يقربك من حضرته العلية (وتقل عوائقك) التى تمنعك من الاشتغال بما يقربك من مولاك بأن يكون عندك ما يكفيك من القوت ولو مع الضيق (ثم لا ترحل اليه) بالاشتغال بما يقربك منه فهو بمعنى ماقبله ومقتضاه أن من لم يكن عنده مايكفيه من الدنيا وكان يحتاج الى التكسب فاشتغل به ولم يتوجه الى الله ولم يرحل اليه فليس عنده كل الخذلان بل بعضه وهو كذلك لأن التوجه الى الله

والرحلة اليه مطلوب من كافة الخلق وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون فالواجب على كل أحد أن يرمى بالعوائق والشواغل خلف ظهره ويقبل على مولاه وقد قيل سيروا الى الله عرجا ومكاسير ولا تنتظروا الصحة فان انتظار الصحة بطالة وقال تعالى انفروا خفافا وثقالا (الفكرة سير القلب فى ميادين الأغيار) أى فى الأغيار وهى مخلوقات الله تعالى ومصنوعاته من السماء والأرض وغيرهما الشبيهة بالميادين وفى نسخة ميادين الاعتبار أى جولان القلب فى صنوف المخلوقات وأنواع المكونات لاستخراج مافيها من العلوم وما انطوت عليه من العبر والآيات الموصلة الى العلم بالله تعالى وماله من صفات الكمال ونعوت الجلال وغير ذلك فاذا تفكر فى وجود المخلوقات هداه ذلك التفكر الى وجود موجدهم وهذا تفكر العامة واذا تفكر فى الحسنات وما يترتب عليها من الثواب والقرب من المولى فعلها وازداد رغبة فيها أو فى السيئات فاذا

ومايترتب عليها من أنواع العذاب تركها ولم يقربها وهذا تفكر العابدين واذا تفكر فى فناء الدنيا وقلة وفائها لطلابها ازداد زهدا فيها وهذا تفكر الزاهدين واذا تفكر فى الآلاء والنعماء ازداد محبة فى المنعم بها جل جلاله وهذا تفكر العارفين وخرج بالتفكر فى مصنوعات الله التفكر فى ذاته فانه منهى عنه قال صلى الله عليه وسلم تفكروا فى خلقه ولا تفكروا فى الخالق فانكم لا تقدرون قدره (الفكرة سراج القلب) أى كالسراج الحسى أى المصباح الذى يضئ فيه فيستنير به بالنور فتنجلى حقائق الأمور فيظهر به الحق حقا والباطل باطلا فيعرف به عظمته تعالى وجلاله و يطلع على خفايا آفات النفس ومكايد العدو وغرور الدنيا و يعرف وجوه الحيل فى التحرز عنها الى

من الفطنة واليقظة ما يحمله على اغتنام أوقاته وانتهاز فرصة امكانه خشية فواته فيبادر الى الأعمال القلبية والبدنية ويستفرغ فى ذلك مجهوده بالكلية وفى أثناء ذلك يصل اليه من المنح الالهية ويشرق عليه من الأنوار الربانية ما تعجز العبارة عنه ولا تنتهى الاشارة اليه وكل ذلك فى زمن يسير وعمر قصير فيرتفع لمرء فى شهر مثلا ما لا يرتفع لغيره فى ألف شهر بمنزلة ليلة القدر العمل فيها لمن صادفها خير من العمل فى ألف شهر قال بعض العلماء كل ليلة للعارف بمنزلة ليلة القدر كان سيدى أبو العباس المرسى رضى الله عنه يقول أوقاتنا والحمد لله كلها ليلة القدر فهذا هو البركة فى العمر لا تطويله وزيادة مدته وقيل هذا المعنى فى تأويل ما روى فى الخبر البر يزيد فى العمر ۞ (الخذلان كل الخذلان أن تتفرغ من الشواغل ثم لا تتوجه اليه وتقل عوائقك ثم لا ترحل اليه) من الخذلان أن تصدك العوائق والشواغل عن التوجه الى الله تعالى والرحيل اليه بل الواجب عليك أن تبادر الى ذلك وترمى بالعوائق والشواغل خلف ظهرك كما قيل سيروا الى الله عز وجل عرجا ومكاسير ولا تنتظروا الصحة فان انتظار الصحة بطالة قال الله تعالى انفروا خفافا وثقالا وقد تقدم هذا المعنى عند قوله احالتك الأعمال على وجود الفراغ من رعونات النفس فان زالت شواغلك وقلت عوائقك ثم قعدت عن التوجه والرحيل فهذا هو الخذلان كل الخذلان أعاذنا الله منه ۞ قال الامام أبو القاسم القشيرى رضى الله عنه فراغ القلب من الأشغال نعمة عظيمة فاذا كفر عبد هذه النعمة بأن فتح على نفسه باب الهوى وانجر فى قياد الشهوات شوش الله عليه نعمة قلبه وسلبه ما كان يجد من صفاء قلبه ۞ (الفكرة سير القلب فى ميادين الأغيار) الفكرة التى ألزمها العبد وحض عليها هى سير القلب فى ميادين الأغيار فقط وهى مخلوقات الله تعالى ومصنوعاته وأما الفكرة فى ذات الله تعالى فلا سبيل اليها يعتبر المتفكرون فى آياته ولا يتفكرون فى ماهية ذاته روى عن ابن عباس رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أبصر قوما فقال ما لكم فقالوا نتفكر فى الخالق قال تفكروا فى خلقه ولا تفكروا فى الخالق فانكم لا تقدرون قدره ۞ قال الامام أبو القاسم القشيرى رضى الله عنه التفكر نعت كل طالب وثمرته الوصول بشرط العلم فاذا سلم الفكر من الشوائب ورد صاحبه على مناهل التحقيق ثم فكر الزاهدين فى فناء الدنيا وقلة وفائها لطلابها فيزدادون بالفكر زهدا فيها وفكر العابدين فى جميل الثواب فيزدادون نشاطا عليه ورغبة فيه وفكر العارفين فى الآلاء والنعماء فيزدادون محبة للخالق سبحانه ۞ وقال الجنيد رضى الله عنه أشرف المجالس وأعلاها الجلوس مع الفكرة فى ميدان التوحيد وفى بعض النسخ الفكرة سير القلب فى ميادين الاعتبار ومعناه ظاهر ۞ (الفكرة سراج القلب

غير ذلك (فاذا ذهبت فلا اضاءة له) فالقلب الخالي عن الفكرة خالٍ من النور كالبيت المظلم ولا يكون في القلب المظلم الا الجهل والغرور (الفكرة) وهي السير في ميادين الأغيار (فكرتان فكرة تصديق وايمان) أي فكرة ناشئة عن أصل التصديق الذي هو الايمان بأن يكون المتفكر عنده ذلك وفائدته بالفكرة الترقي وزيادة اليقين ولذا تسمى فكرة الترقي وتكون للسالكين (وفكرة شهود وعيان) أي فكرة ناشئة عن ذلك وتسمى فكرة التدلي وتكون للمجذوبين (فالأولى لأرباب الاعتبار) المستدلين بالآثار على المؤثر وهم السالكون في حال ترقيهم فان فكرتهم ناشئة عن التصديق والايمان (والثانية لأرباب الشهود والاستبصار) أي المستدلين بالمؤثر على الآثار وهم المجذوبون في حال تدليهم فان فكرتهم ناشئة عن الشهود والعيان وهذا لمن أراد الله تكميل حاله منهم كاملا والا فعموم بدوم جذبه وعدم صحوه بل هو الأغلب فيهم وقد تقدم هذا عند ذكر المجذوب والسالك والنوعان المذكوران بالنسبة للمشتغلين بالله أما غيرهم وهم العامة ففكرتهم لتحصيل التصديق كالايمان لا لزيادته (وقال رضي الله عنه مما كتبه لبعض اخوانه)

(79)

وحاصل هذا الكتاب انه يتضمن حال السالك في أول ابتداء سفره الى انتهائه وحصوله في مستقره وذكر آداب السلوك والوصول (أما بعد فان البدايات) أي بدايات الأمور (مجلات النهايات) أي يظهر فيها حال النهايات والمجلات بفتح الميم والجيم وتشديد اللام جمع مجلة كذلك أي محل التجلي والظهور كالمرآة والمجالي المظاهر التي تتجلى فيها الأمور والمراد أن بداية المريد تعرف منها نهايته فاذا كان عنده في بدايته قوة توجه واجتهاد في العبادات والرياضات كان دليلا على أنه ينتهي الى فتح عظيم وأنه يصل الى مقصوده في أقرب مدة ومن كان عنده ضعف في ذلك كان فتحه ووصوله على حسب حاله (وأن من كانت بالله بدايته) بأن تكون مجاهداته ومكابداته وأنواع رياضته مصحوبة بالاستعانة بالله تعالى والاعتماد عليه (كانت اليه نهايته) أي كانت نهايته الوصول الى الله تعالى بأن ينكشف له انفراد الله بالقيومية وتوحده بالديمومية وأنه هو الأول والآخر والظاهر والباطن انكشافا يظهر له به عدمية ذاته وتلاشيه وتدككه واضمحلاله وقد تقدم هذا المعنى في قوله من علامات النجح في النهايات الرجوع الى الله في البدايات (والمشتغل به هو الذي أحببته) أيها المريد الصادق (وسارعت اليه) وهو الأعمال الصالحة التي تقربك من مولاك وتوصلك الى معرفته أي فلا تحتقر ذلك الشغل بل كن قرير العين به فانه لا ينبغي الاشتغال الا به (والمشتغل عنه) أي الذي ينبغي الاشتغال عنه وعدم التوجه اليه (هو المؤثر عليه) أي هو حظوظك العاجلة ومرادات تلك الزائلة التي تركتها وآثرت عليها غيرها وهو اقبالك على مولاك واشتغالك بخدمته فينبغي لك أن تطيب نفسك به ولا تندم على مفارقته لأنه لا ينبغي الاشتغال به فهذا الكلام القصد منه تهييج السالك وانهاض همته بمدح ما أقبل عليه وذم ما أعرض عنه

فاذا ذهبت فلا اضاءة له) القلب الخالي من الفكرة خالٍ من النور مظلم بوجود الجهل والغرور وقد تقدم هذا المعنى عند قوله ما نفع القلب شيء مثل عزلة يدخل بها في ميادين فكرة ۞ (الفكرة فكرتان فكرة تصديق وايمان وفكرة شهود وعيان فالأولى لأرباب الاعتبار والثانية لأرباب الشهود والاستبصار) تقدم الآن أن الفكرة سير القلب في ميادين الأغيار وسيره على وجهين صعود ونزول فالصعود لأرباب الاعتبار وهي فكرة ناشئة عن التصديق والايمان وهذا للسالكين وهو حال ترقيهم وهو نعت المستدلين بالآثار على المؤثر والنزول لأرباب الشهود والاستبصار وفكرتهم فكرة ناشئة عن الشهود والعيان وهذا للمجذوبين وهو حال تدليهم وهو وصف المستدلين بالمؤثر على الآثار وقد تقدم هذا المعنى عند ذكر المجذوب والسالك ۞ (وقال رضي الله عنه مما كتب به لبعض اخوانه) هذا كتاب يتضمن ذكر حال السالك من أول ابتداء سيره الى انتهائه وحصوله في مستقره وذكر آداب السلوك والوصول وقد أتى رحمه الله تعالى في ذلك بعبارات صحيحة فصيحة واستعارات حسنة مليحة على طريقة وعظية اذا سمعها السامع طرب لها قلبه وهام فيها عقله ولبه وما ذاك الا لما علق بها من أنوار قلب المتكلم وقد قال فيما تقدم كل كلام يبرز وعليه كسوة القلب الذي منه برز (أما بعد فان البدايات مجلات النهايات) المجلات محل التجلي والظهور والسالك في ابتداء سلوكه يتجلى له أمر نهايته (وأن من كانت بالله بدايته كانت اليه نهايته) هذا بيان ما ذكره ومعنى كون بدايته بالله أن تكون مجاهداته ومكابداته وأنواع رياضته مصحوبة بالاستعانة بالله تعالى والانقطاع اليه والاعتماد عليه فبذلك يصح له وينفذ توجهه وسلوكه كما تقدم عند قوله ما توقف مطلب أنت طالبه بربك ومعنى كون انتهائه الى الله أن يكشف له انفراد الله تعالى بالقيومية وتوحده بالديمومية وأنه هو الأول والآخر والظاهر والباطن انكشافا يظهر له به عدمية ذاته وتلاشيه وتدككه واضمحلاله قال الله تعالى بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فاذا هو زاهق فاذا صحت للمريد تلك البداية بما ذكرناه وصل الى هذه النهاية وقد تقدم هذا المعنى في قوله من علامات النجح في النهايات الرجوع الى الله تعالى في البدايات (والمشتغل به هو الذي أحببته وسارعت اليه والمشتغل عنه هو المؤثر عليه) المشتغل به أيها المريد السالك انما هو عملك على التقرب من ربك عز وجل والتوسل

(وأن من أيقن أن الله يطلبه) للقيام بخدمته والاقبال على وظائف عبوديته (صدق الطلب) أي صدق في الطلب (اليه) أي توجه اليه بصدق واجتهد في الاقبال على ما يرضيه أتم اجتهاد لأن ثمرة ذلك الطلب عائدة عليه لا على المولى سبحانه فلم لا يصدق في طلبه واجتهاده ويترك حظوظ نفسه ومراداته ان كان من أهل العقل والمعرفة (ومن علم أن الأمور بيد الله) ومنها ما يحاوله من القيام بخدمة المولى (انجمع) قلبه عليه (بالتوكل عليه) أي توكل عليه في تيسير أمره وتسهيل ما يقربه الى حضرته فان ذلك لا يكون الا منه سبحانه لأن الأمور كلها بيده وليس للعبد مدخل فيها فالقسم الأول وهو قوله صدق الطلب اليه قيام بمقتضى الشريعة والثاني وهو كون الأمور بيد الله وأنه ينبغي التوكل عليه قيام بحق (٨٠) الحقيقة فقوله عليه تنازع فيه كل من الفعل والمصدر (وانه) بكسر الهمزة عطفا على أن البدايات وفتحها عطفا على أن الأمور الخ (لابد لبناء هذا الوجود) أي لمبنى هو هذا الوجود (أن تنهدم دعائمه) أي أركانه فشبه الوجود بقصر له أركان وهي تخييل (وأن تسلب كرائمه) أي نفائسه وما يعز منه والقصد بهذا تسليته عما يفوته في حال سلوكه من حظوظه وشهواته لأنه اذا علم أن الدنيا لا تدوم لأحد بل لابد أن تزال عنه أو يزال عنها ولو بعد حين وكل ما هو آت قريب لم يغتبط بما يكون مآل أمره الى ذلك ويكون طيب النفس بتركه (فالعاقل من كان بما هو أبقى) وهو الدار الآخرة (أفرح منه) أي أشد فرحا من نفسه (بما هو يفنى) وهو الدنيا فاذا كانت الدنيا فانية والآخرة هي الدائمة الباقية فلا ينبغي الفرح بالأولى لفنائها ومن فرح بالفاني فني فرحه ولا عبرة بفرح يفنى ويزول ومن فرح بالباقي دام فرحه وذلك هو الفرح المعتبر وحاصله أن العاقل هو الزاهد وأما الراغب في الدنيا فليس بعاقل بل هو جاهل وفي قوله أفرح اشعار بأن المطلوب كون الفرح بهذا أشد لا أن الفرح بالآخر ينتفي بالكلية لأنه أمر طبيعي ثم أشار الى ثمرة التحقق في مقام الزهد بقوله (قد أشرق نوره) أي أشرق نور زهد ذلك العاقل في قلبه (وظهرت تباشيره) على وجهه فان النور اذا أشرق في القلب ظهر على الجوارح وكان ذلك مبشرا له بالقبول (فصرف) أي فبسبب ذلك النور الذي أشرق في قلبه وتبين له به ما هو حق صرف أي أعرض (عن هذه الدار مغضيا) أي غير ملتفت اليها بقلبه وأتى بذلك لأن الاعراض قد يكون مع الالتفات وقوله (وأعرض عنها موليا) تفسير لما قبله (فلم يتخذها وطنا) أي لم يستوطنها بظاهره على جهة التمتع والتلذذ (ولا جعلها سكنا) أي لم يساكنها بباطنه على جهة المحبة لها ويحتمل أن يجعل الوطن والسكن بمعنى واحد

اليه بالطاعة والعبودية له وهو الذي أحببته وسارعت الى اجابة دعوته فيحق عليك أن لا تستقل ذلك الشغل بل تكون به في رغبة عن المشتغل عنه أي ما هو متابعة حظوظك العاجلة ومراداتك الزائلة وهو الذي يستحق الايثار عليه اذ هو فان مضمحل لا حقيقة له فلتطب عنه نفسا ولا تعمل فيه عقلا ولا حسا وهذا الكلام تهييج للسالك وانعاش لقوته وانهاض لهمته قال الشيخ أبو القاسم عبد الرحمن الصقلي رضي الله عنه سمعت عبد الله بن اسحق الفاقي يقول ما انتفعت الا بدعاء رجل بمكة مررت الى المسجد الحرام بالسحر فاذا رجل يسف التراب فقلت مجهود أو مجنون ثم قلت يا هذا أتسف التراب قال فقال لي أو تراب هو ثم ناولني قال فشككت أنه سويق أو فستق لنا أشك أيهما قال فقلت ولي الله وجثوت على ركبتي وقلت ادع الله لي فقال لي عرفك الله قدر ما تطلب حتى يهون عليك ما تترك (وأن من أيقن أن الله يطلبه صدق الطلب اليه ومن علم أن الأمور بيد الله انجمع بالتوكل عليه) العبد مطلوب به عز وجل باقامة وظائف العبودية له وذلك بما اختصه به عز وجل من العقل والفهم وما رزقه من المعرفة والعلم وثمرة ذلك الطلب عائدة الى العبد فلا يصدق العبد في طلبه واجتهاده اذا لم يتيقن بذلك والأمور كلها بيد الله تعالى ومن ذلك مصالحه كلها فلا يتوكل عليه في ذلك فيجتمع همه وتيسير أمره اذا علم بذلك فالقسم الأول قيام بمقتضى الشريعة والقسم الثاني وفاء بحق الحقيقة (وأنه لابد لبناء هذا الوجود أن تنهدم دعائمه وأن تسلب كرائمه) ذكر هذا المعنى تسلية للعبد عما يفوته في حال سلوكه من حظوظه وشهواته لأنه اذا علم أن هذه الأشياء لابد أن تزال عنه أو يزال عنها ولو بعد حين وكل ما هو آت قريب لم يغتبط بما يكون مآل أمره الى ذلك ويكون طيب النفس بتركه وتهديم الدعائم وسلب الكرائم من الاستعارات البديعة (فالعاقل من كان بما هو أبقى أفرح منه بما هو يفنى قد أشرق نوره وظهرت تباشيره) فرح العبد بالأشياء الفانية هو موجب للزيادة في همه وغمه اذا فقدها قال سيدي سهل بن عبد الله رضي الله عنه من فرح بغير مفرح استجلب حزنا لا انقضاء له وقد تقدم هذا المعنى عند قوله ليقل ما تفرح به يقل ما تحزن عليه فالعاقل لا يفرح بذلك ولا يحبه بل يكرهه ويبغضه وانما يكون فرحه بالأمور الباقية التي لا تفنى قد أشرق نور ذلك في قلبه وظهرت تباشيره على وجهه واشراق النور وظهور التباشير نتائج تحققه في مقام الزهد ۞ (فصرف عن هذه الدار مغضيا وأعرض عنها موليا فلم يتخذها وطنا ولا جعلها سكنا) فلما كان العبد على هذا الوصف

(بل أنهض الهمة فيها الى الله) أى أسرع وحرك الهمة الى الوصول اليه (وسار فيها) أى فى الدنيا (مستعينا به) أى بالله لا بأعماله المدخولة (فى القدوم عليه) أى الاقبال عليه والوصول الى حضرته قال بعضهم من توهم أن عملاً من أعماله يوصله الى مأموله من الأعلى أو الأدنى فقد ضل عن طريقه لأن النبى صلى الله عليه وسلم قال لن ينجى أحدا منكم عمله فما لا ينجى من المخوف كيف يوصل الى المأمول ومن صح اعتماده على فضل الله فذلك الذى يرجى له الوصول اه (فمازالت مطية عزمه) أى عزمة الشبيه بالمطية (لا يقر قرارها) لعدم ما يعوقها وهو التعلق بغير الله سبحانه من الدنيا وكل ما يعوق السالك عن الوصول من الكرامات والمكاشفات والأحوال والمقامات فان ذلك توقف مطيته عن السلوك والقرار موضع الاستقرار ومعنى كون قرارها لا يقر أنها اذا نزلت فى موضع ترتحل عنه ولا تجعله وطنا فلا يسكن قلبه الى شىء من ذلك كما هو مقتضى التحقق فى مقام الزهد وقوله (دائما تسيارها) أى سيرها كالتفسير لما قبله (الى أن أناخت) أى حملت واستقرت (بحضرة القدس) أى التنزيه وهى حضرة الرب سبحانه (وبساط الأنس) أى البساط الذى كل من جلس عليه حصل له الأنس ثم هو تلك الحضرة فشبهها بحضرة ملك

عظيم يستريح الوفود اذا وصلوا اليه وجلسوا على بساطه ثم بين صفات تلك الحضرة بقوله (محل المفاتحة) أى الفتح عن القلوب (والمواجهة) أى الاقبال من الله سبحانه (والمجالسة) بأن يصير الله سبحانه حاضرا معه (والمحادثة) بأن يكلمه فى سره بالمعارف والأسرار (والمشاهدة) بأن يشاهده بباطنه بعد غيبته عن حسه (والمطالعة) أى بأن يتمكن من المشاهدة ويطلع على علوم الغيب فان الشخص اذا دخل الى حضرة ملك عظيم من ملوك الدنيا يحصل له أولاً المفاتحة بأن يفاتح ذلك الملك بالسلام ويفاتحه بالرد ثم المواجهة بأن يقبل عليه بوجهه فقد يكون حال السلام معرضا عنه ثم المجالسة بأن يجلسه بين يديه ثم المحادثة أى التكلم معه لأن ذلك ثمرة المجالسة ثم المشاهدة وذلك أن الملك قد يكون صاحب جلال فلا يلزم من الجلوس بين يديه والمحادثة معه مشاهدته بل بطرق تجليته ثم أستمن هيبته ثم المطالعة التى هى تمكن المشاهدة أو يراد بالمشاهدة مشاهدة الأحوال الظاهرة وبالمطالعة مشاهدة الأحوال الباطنة فانه لا يعرف حال الملك باطنا الا بعد شدة التأمل فهذا حال من وصل الى حضرة ملك من ملوك الدنيا وكذلك السالك اذا وصل الى حضرة المولى سبحانه فانه يقابله بأنواع من الفتوحات والكرامات والتحف السنية والعلوم والمعارف الربانية التى لا يعرف تفاصيلها الا من وصل هناك وذاق مذاق أهل القرب والتمكين جعلنا الله وإياكم منهم بمنه وكرمه آمين (فصارت الحضرة) أى حضرة الرب سبحانه (معشش قلوبهم) أى الموضع الذى تسكن فيه قلوبهم كعش الطير (اليها يأوون) وقوله (وفيها يسكنون) كالتفسير لما قبله أى فصارت حضرة محبوبهم معشش قلوبهم ومستوطنهم فى ذهابهم وإيابهم وههنا حصل لهم التحقق بمقام الفناء والمحو وهذا مقام الجمع هذا هو انتهاء سفرهم وصعودهم ثم بعد يتحققون بمقام ذلك الفرق ويؤمرون بمخاطبة الخلق وهو المراد بقولهم البقاء وهو مقام

صرف عن هذه الدار الدنيوية أى مال عنها مغضيا جفنه عن أقذائها من غير مبالاة بذلك معرضا عنها بوجه قلبه قدولا هادرة من غير التفات اليها وهذا مبالغة فى نبذها واطراحها فلم يتوطنها بظاهره على سبيل التمتع بها والاستبشار ولم يساكنها بباطنه على جهة المحبة لها والايثار بل نزلها منزلة السجن والمضيق ووطن نفسه فيها على تحمل ما يطيق وما لا يطيق وهذه علامات على تحققه بالزهد فى الأمور الفانية التى هى بغيضته فلما وصل الى ذلك حصل له من طهارة قلبه وصفاء لبه ما حمله على التعلق بمولاه الباقى الدائم فجعل دنياه معبرا يعبره اليه كما سيقوله المؤلف الآن (بل أنهض الهمة فيها الى الله تعالى وسار فيها مستعينا به فى القدوم عليه) هذا ابتداء سفره بقلبه الى الحضرة العلية وبدأ بانهاض الهمة المعبر به والاستعانة به فى القدوم عليه وهو أساس أمره كما تقدم قال الشاعر

اذا لم يعنك الله فيما تريده • فليس لمخلوق اليه سبيل

وان هو لم يرشدك فى كل مسلك • ضللت ولو أن السماك دليل

قال أبو محمد الجريرى رضى الله عنه من توهم أن عملاً من أعماله يوصله الى مأموله الأعلى أو الأدنى فقد ضل عن طريقه لأن النبى صلى الله عليه وسلم قال لن ينجى أحدا منكم عمله فما لا ينجى من المخوف كيف يوصل الى المأمول ومن صح اعتماده على فضل الله فذلك الذى يرجى له الوصول (فمازالت مطية عزمه لا يقر قرارها دائما تسيارها الى أن أناخت بحضرة القدس وبساط الأنس محل المفاتحة والمواجهة والمجالسة والمحادثة والمشاهدة والمطالعة فصارت الحضرة معشش قلوبهم اليها يأوون وفيها يسكنون) هذه استعارات ملحية استعملها فى سفر القلب الى حضرة الرب وقد تقدم معنى ذلك عند قوله لولا ميادين النفوس ما تحقق سير السائرين وحضرة القدس وبساط الأنس هما موضع حط الرحال وبلوغ الأوطار والآمال من قبل أن السالك يمحى عنه رسوم بشريته وتبطل أحكام آنيته وتنكشف له الذات والأوصاف معروفة كرأى العين ويكون حضوره مع الله تعالى بلا أين فلما وصل الى هذه

(فاذا نزلوا الى سماء الحقوق) أى الحقوق الواجبة عليهم عند مخالطة الخلق الشبيهة بالسماء بجامع صعوبة الارتقاء الى كل (أو أرض الحظوظ) أى حظوظ أنفسهم التى تلابسهم وتحصل لهم الارتفاق بها الشبيهة بالأرض بجامع سهولة الاستقرار على كل (فبالاذن والتمكين) أى لا بشهواتهم ومرادهم والافلو خير وابين مقامهم فى تلك الحضرة والخروج منها الى مخالطة الخلق لم يختاروا الا بقاءهم فيها ولذا لما أمر الله أبا يزيد بالخروج الى ارشاد الناس صاح صيحة عظيمة فقال الله تعالى للملائكته ردوا على عبدى فانه لا طاقة له على مفارقتي قال بعضهم وكان فى ذلك الوقت لم يحصل له قوة ورسوخ فى مقام الفرق ثم بعد ذلك قواه وأخرجه ولذا قال المصنف فبالاذن والتمكين اذ لا يلزم من مجرد الاذن التمكين أى التمكن فى مقام البقاء بأن يحصل لهم القوة على مخالطة الخلق وتحمل أذاهم (والرسوخ فى اليقين) أى وبعد رسوخهم فى اليقين بالله ومعرفتهم به معرفة ذوقية (فلم ينزلوا الى الحقوق بسوء الأدب والغفلة) أى فلم يخالطوا الخلق الا مع التأدب التام لأنهم يرون الله فيهم مع التيقظ وعدم الغفلة عن موجدهم فاذا أذاهم شخص علموا ان الله الذي أوجده ورأوا أن الذى سلطه عليهم هو مولاهم لذنب فعلوه لا يليق بمقامهم واذا أكرمهم شخص شكروه مع رؤيتهم أن الذى حرك قلبه للاكرام هو مولاهم فهذه وشبهها هى الحقوق الواجبة عليهم عند النزول ومخالطة الخلق (ولا الى) أى ولم ينزلوا الى (الحظوظ) ويتعاطوها (بالشهوة والمتعة) بضم الميم أى على سبيل شهوة نفوسهم لها وتمتعهم بها (بل دخلوا فى ذلك كله) من الحقوق والحظوظ (بالله) أى مستعينين به (ولله) أى لا لحظ أنفسهم (ومن الله) أى من عنده لا من عند أنفسهم (والى الله) أى متوسلين اليه فى نيل مرادهم ثم السفر الأول وهو السير الى حضرة المولى يقال له سفر الترقى والثانى وهو النزول منها الى مخالطة الخلق يقال له سفر التدلى والى ذلك أشار المصنف بقوله

الحضرة العلية ونالوا هذه المنقبة السنية فوبل بأنواع من الكرامات والألطاف وفنون من تحف السادات والأشراف وهى معانى هذه الألطاف السنية التى ذكرها المؤلف رحمه الله تعالى ولا تعرف الا بالذوق وكذلك التفرقة بين معانيها فحينئذ الق السائرون عصا سيرهم وحمدوا عاقبة أمرهم وصارت حضرتهم محبوبهم معشش قلوبهم ومستوطنهم فى ذهابهم وايابهم الى ظلها يأوون اذا اصطلى غيرهم بنيران هواه وفى دار المقامة يسكنون حين يزعج سواهم عن متعة دنياه وههنا حصل لهم التحقق بمقام الفناء والمحو وهذا هو انتهاء سفرهم بمعنى الصعود والترقى (فاذا نزلوا الى سماء الحقوق أو أرض الحظوظ فبالإذن والتمكين والرسوخ فى اليقين فلم ينزلوا الى الحقوق بسوء الأدب والغفلة ولا الى الحظوظ بالشهوات والمتعة بل دخلوا فى ذلك بالله ولله ومن الله والى الله) وهذا هو سفر التدلى والنزول وبه يتحققون بمقام البقاء والصحو فاذا نزلوا من سترة منتهاهم الى سماء الحقوق وهى حقوق الله عليهم مما أمرهم به أو نهاهم عنه ليقوموا بذلك فعلا وتركا أو الى أرض الحظوظ وهى حظوظ نفوسهم التى تلابسهم وتحصل لهم الارتفاق بها فانما يكون نزولهم الى ذلك بالإذن والتمكين والرسوخ فى اليقين ومعنى ذلك أن يدخلوا فى الأشياء بمراد الله تعالى لا بمراد أنفسهم ويجدون الاذن من الله تعالى لهم بما يشرق فى قلوبهم من النور الذى يجعله الله علما على ذلك وقد ذكر سيدى أبو الحسن فى بعض كلامه قال رضى الله عنه ومعنى الاذن للولى نور ينبسط على القلب يخلقه الله فيه وعليه فيمتد ذلك النور على الشئ الذى يريده فيدركه نور مع نور أو ظلمة تحت ذلك النور ينبئك أن تأخذ ان شئت أو تترك أو تختار أو تدبر أو تعطى أو تمنع أو تقوم أو تجلس أو تسافر أو تقيم وهذا فى المباح المأذون فيه بالتخير فاذا قرنه القول تأكد الفعل المباح بمراد الله تعالى فان قارنته نية صحيحة للفعل زال عنه حكم المباح وصار مندوبا وان ظهرت الظلمة تحت النور الممتد من القلب فلا تخلو أن يلوح عليه الغضب بانقباض القلب فاحذر ذلك وتجنبه فانه المحظور أو يكاد ولا تقطع بذلك الا ببينة من كتاب الله تعالى أو سنة أو اجماع أو خلاف المقلد تقلده كمالك والشافعى أو غيرهما من العلماء الراسخين فاحكم اذا على أصل صحيح وان تكن الظلمة نشبة غيم لا يتصدع معه القلب ولا يتفزع به الذهن فتباعد عنه فانه يكاد أن يكون مكروها ولا تحكم بعقلك ورأيك فقد ضل من ههنا خلق كثير ولا تفت أحدا وان استفتاك وأعط الورع حقه ولا تقف ما ليس لك به علم فان تأدبت ههنا فعن قريب تأتيك البينة من ربك والشاهد يتلوها منه اه كلام سيدى أبى الحسن وهو مناسب لما ذكره المؤلف رحمه الله تعالى الا أن ما فيه من التفصيل لم يتعرض له المؤلف بل بقى الأمر فى ذلك مجملا كما تراه وتقدير فاذا نزلوا الى الحقوق واستعملوا فيها لم ينزلوا اليها بسوء أدب ولا غفلة وهو أن لا يشهدوا قيامهم بها من أنفسهم أو يطلبوا ثوابا عليها من ربهم وان نزلوا الى الحظوظ لم ينزلوا اليها بشهوة غالبة قاهرة لهم ولا منفعة يقصدون الى نيلها فى دنياهم بل دخلوا فى ذلك بالله مستعينين ولله عابدين ومن الله آخذين والى الله متوسلين فقد تولى الله تعالى ادخالهم فى الأشياء واخراجهم منها وأوجدهم ذلك وعزل عنهم ملكة

(وقل رب أدخلني مدخل صدق وأخرجني مخرج صدق) المدخل والمخرج في الأصل بمعنى الادخال والاخراج وقد عبر بهما هنا عن السفرين المذكورين فالمدخل هو سفر الترقي لأنه دخول على الله عز وجل في حالة فنائه عن رؤية غيره والمخرج هو سفر التدلي لأنه خروج الى الخليقة لفائدتي الأرشاد والهداية في حال بقائه بربه وتحققه في هذين المقامين أعني مقام الفناء والبقاء هو معنى صدقية مدخله ومخرجه فالمدخل الصدق أن يشاهد حول الله وقوته في سفر الترقي فتنتفي عنه بذلك نسبة الأعمال الى نفسه والمخرج الصدق أن يستسلم به وينقاد اليه في سفر التدلي فيرضى بما نقله اليه ولا تتشوف نفسه الى البقاء مع ما نقله عنه ولذا قال ﴿ ليكون نظري الى حولك وقوتك اذا أدخلتني واستسلامي وانقيادي اليك اذا أخرجتني ﴾ أي ليحصل ذهابي عن رؤية نفسي في النسبة والوقوف مع الحظ ففي المدخل أشاهد حولك وقوتك فتنتفي عني بذلك النسبة الى نفسي وفي المخرج أستسلم اليك فينتفي عني بذلك مراعاة

حظي (واجعل لي من لدنك) أي من عندك بلا واسطة ولا علة من نفسي (سلطانا) أي حجة قاهرة (نصيرا) أي مقويا ومعينا وهو تلك المعاني من حضرة الحق سبحانه فلا يصادمه شيء الا دمغه وذهب به (ينصرني) على نفسي (و ينصرني) أحبائي ومن تعلق بأذيالي من الاخوان والرفقاء (ولا ينصر علي) نفسي ولا أحداً من أعدائي الباطنة والظاهرة ثم فسر النصرة المطلوبة في حق نفسه بقوله (ينصرني على شهود نفسي) بأن لا أشهد لها فعلا ولا حركة ولا سكونا بل أشاهد أن المحرك المسكن هو أنت (و يفنيني عن دائرة حسي) أي عما يدور به حسي و يدركه وهو المكونات فلا أتعلق بها ولا أشاهد منها نفعا ولا ضرا بل أشاهد أن النافع الضار هو أنت وهؤلاء الذين نصرهم الله تعالى ونصر بهم ولم ينصر عليهم هم الصديقون الذين اذا ظهر واحد منهم في عصر حصل به النفع التام لأهله وأمدهم الله بسببه وهم لا يشعرون ومما كتب به الى بعض الاخوان أيضا (ان كانت عين القلب) وهي البصيرة المشابهة للعين الباصرة (تنظر الى أن الله واحد في منته) أي نعمته أي هو المعطي لها وحده (فالشريعة تقتضي أنه لابد من شكر خليقته) فاذا أوصل الحق اليك نعمة على يد انسان سواء كانت دينية كالعلوم والمعارف أو دنيوية فعليك في ذلك مراعاة الحقيقة بأن ترى أن تلك النعمة من الله وحده وأن من أجراها على يديه مقهور مجبور على ايصالها اليك فتحمد الله سبحانه على ذلك ومراعاة الشريعة بأن تشكر من وصلت اليك على يده فتدعو له وتثني عليه امتثالا لأمر الله وعملا بما جاءت به الشريعة ففي الحديث من لم يشكر الناس لم يشكر الله ولأن الله اختصه بأن أقامه في ذلك وأهله له

نفوسهم لهم وصاروا أحرارا كراما (وقل رب أدخلني مدخل صدق وأخرجني مخرج صدق ليكون نظري الى حولك وقوتك اذا أدخلتني واستسلامي وانقيادي اليك اذا أخرجتني) المدخل والمخرج الادخال والاخراج وقد عبر بهاتين العبارتين عن السفرين المذكورين فالمدخل هو سفر الترقي لأنه دخول على الله عز وجل في حالة فنائه عن رؤية غيره والمخرج هو سفر التدلي لأنه خروج الى الخليقة لفائدتي الارشاد والهداية في حال بقائه بربه وتحققه في هذين المقامين أعني مقام الفناء والبقاء هو معنى صدقية مدخله ومخرجه وانما طلب هذا ليحصل له بذهابه عن رؤية نفسه في النسبة والوقوف مع الحظ ففي المدخل يشاهد حول الله تعالى وقوته فينتفي عنه بذلك النسبة الى نفسه وفي المخرج يستسلم له و ينقاد اليه فينتفي عنه بذلك مراعاة حظه (واجعل لي من لدنك سلطانا نصيرا ينصرني وينصر بي ولا ينصر علي ينصرني على شهود نفسي ويفنيني عن دائرة حسي) طلب من الله تعالى النصرة ليستقيم أمره وطلب منه النصرة به ليكمل حاله ثم النصرة له هي ملاك أرباب البدايات من السالكين اذ بذلك يتيسر عليهم قطع عقبات النفس ومحو دواعي الهوى والحس والنصرة به هي مقتضى حال أرباب النهايات من المجتهدين لأن بذلك يحصل لهم مرتبة الامامة ومقام الارشاد والهداية ثم كل واحد من القسمين نصرة على شهود النفس وفناء عن دائرة الحس وأخرج النصرة عليه من السؤال والطلب لأن ذلك من الخذلان وعدم التوفيق وهو غلبة أحكام نفسه وبقاؤه مع دائرة حسه ❁ وقال رضي الله تعالى عنه مما كتب به لبعض اخوانه ❁ (ان كانت عين القلب تنظر أن الله واحد في منته فالشريعة تقتضي أنه لابد من شكر خليقته) اذا أوصل الحق تعالى اليك نعمة على يد انسان سواء كانت دينية أو دنيوية فعليك في ذلك وظيفتان احداهما أن تشهد انفراد الله تعالى بذلك فلا ترى النعمة الا منه وحده وترى من سواه ممن أجراها على يديه مقهورا مجبورا على ذلك مسلطا عليه الدواعي والبواعث حتى لم يجد انفكاكا عنه وهذا هو حق التوحيد والثانية أن تشكر من وصلت اليك على يده بأن تدعو له وتثني عليه امتثالا لأمر الله تعالى وعملا بما جاءت به الشريعة قال الله تعالى أن اشكر لي ولوالديك وفي حديث النعمان ابن بشير رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من لم يشكر القليل لم يشكر الكثير ومن لم يشكر الناس لم يشكر الله وفي حديث أسامة بن زيد رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أشكر الناس لله أشكرهم للناس ولأن الله تعالى اختصه بأن أقامه في ذلك وأهله له ومن أسمائه تعالى

(وأن) أي وأخبرك أن (الناس في ذلك) أي في حال ورود النعمة عليهم على يد أحد (على ثلاثة أقسام غافل) من الله (منهمك في غفلته) أي متناه فيها (قويت دائرة حسه) يعني أن ملاحظته ومنظرة المكونات فقط مع الغفلة عن الرب (وانطمست حضرة قدسه) أي حضرة التنزيه والمراد بها بصيرته التي هي منبع تنزيه الله تعالى عن كل ما لا يليق به (فنظر الاحسان) صادرا (من المخلوقين ولم يشهده من رب العالمين اما اعتقادا) بأن يعتقد أن المؤثر والمعطي هو العبد حقيقة (فشركه جلي) يخرجه عن دائرة الايمان الى دائرة الكفر (واما استنادا) بأن يعتقد أن المعطي هو الله تعالى ولكن أسند ذلك الى المخلوقات على جهة كونها أسبابا غير مؤثرة ولولاهم لم يحصل الاعطاء فاذا قيل له من الذي أعطاك مثلا قال الله ولكن لولا فلان الذي جاء من قبله لم يحصل اعطاءه اذ لولا الأسباب

ما كانت المسببات (فشركه خفي) لأنه أشرك مع الله غيره وهو المخلوق ولم ينف عن الله تعالى فهو مؤمن لكن يخشى عليه الكفر والعياذ بالله تعالى (وصاحب حقيقة غاب) عن الخلق بشهود الملك الحق) فلم يشعر بهم ولم يلتفت اليهم (وفنى عن الأسباب) وهم المخلوقات فلم ير لهم فعلا (بشهود مسبب الأسباب) وهو الله تعالى (فهو عبد مواجه بالحقيقة) هي حضرة الرب سبحانه لشهوده لها (ظاهر عليه سناها) أي نورها وضياؤها (سالك الطريقة) أي طريقة القوم بسلوكه لها باعتبار الأصل والا فمواجهة بالحقيقة لا تكون الا بعد سلوكه لها ولذا قال (قد استولى على مداها) أي غايتها ونهايتها ثم هذا المستغرق في الحقيقة على الوجه المذكور وان كان كاملا بالنسبة لأهل الغفلة فهو ناقص بالنسبة لأكمل منه من أهل المعرفة ولذا قال (غير أنه غريق الأنوار) أي غريق في بحار التوحيد (مطموس الآثار) أي مطموسة بصيرته عن رؤية الآثار والوسائط والعبيد أي غائب عن رؤيته ذلك والشعور به (قد غلب سكره) وهو عدم احساسه بالآثار (على صحوه) وهو وجود احساسه بها (وجمعه) وهو رؤية الحق وحده (على فرقه) وهو رؤية الخلق مع الحق فهو في مقام الجمع لا في مقام الفرق (وفناؤه) وهو استهلاكه في وجود الحق (على بقائه) وهو شعوره بالخلق فهو في مقام الفناء الذي هو مقام الجمع لا البقاء الذي هو مقام الفرق وقوله (وغيبته على حضوره) كالتفسير لما قبله (وأكمل منه عبد) جمع بين الأمرين كالنبي صلى الله عليه وسلم وكامل ورثته وسبب ذلك أنه (شرب) من المدد الالهي ومن كؤوس التوحيد (فازداد صحوا) بعد سكره (وغاب) عن رؤية الأغيار

فازداد

الشكور فليتخلق العبد بذلك وهذا هو حق الشرع (وأن الناس في ذلك على ثلاثة أقسام غافل منهمك في غفلته قويت دائرة حسه وانطمست حضرة قدسه فنظر الاحسان من المخلوقين ولم يشهده من رب العالمين اما اعتقادا فشركه جلي واما استنادا فشركه خفي) هذا هو بيان أحوال الناس بالنسبة الى مشاهدة التوحيد ورؤية الوسائط والعبيد فبدأ بذكر عامة الناس وهم الغافلون المنهمكون في غفلتهم أصحاب الظواهر والرسوم الذين قويت دائرة حسهم فقيدتهم وقفوا معها وانطمست حضرة قدسهم فأبعدتهم لم يعلموا بها فنظروا الاحسان من المخلوقين فتعبدوا لهم وطمعوا فيهم ولم يشهدوه من رب العالمين فكفروا نعمته واستوجبوا سخطه ونقمته ثم هم في ذلك على قسمين أحدهما أن يعتقدوا ذلك بقلوبهم أنه منهم ومن قبلهم وهذا هو الشرك الجلي الذي يخرج صاحبه عن دائرة الاسلام ويوقعه في الكفر والعياذ بالله والثاني أن يحصل ذلك منهم استنادا أي اعتمادا على غير الله وسكونا الى سواه مع سلامة عقدهم وصدورهم وهذا هو الشرك الخفي الذي يخرج صاحبه من حقائق الايمان ويدخله في أبواب النفاق ونعوذ بالله من الشرك جليه وخفيه (وصاحب حقيقة غاب عن الخلق بشهود الملك الحق وفني عن الأسباب بشهود مسبب الأسباب فهو عبد مواجه بالحقيقة ظاهر عليه سناها سالك للطريقة قد استولى على مداها غير أنه غريق الأنوار مطموس الآثار قد غلب سكره على صحوه وجمعه على فرقه وفناؤه على بقائه وغيبته على حضوره) هذا هو حال الخاصة من أرباب الحقائق وهم الذين غابوا عن الخلق بشهود الملك الحق فلم يقع لهم شعور بهم ولا التفات اليهم وفنوا عن الأسباب برؤية مسبب الأسباب فلم يروا لها فعلا ولا جعلوا لهم فهم مواجهون بحقيقة الحق ظاهر عليهم سناها أي نورها وضياؤها سالكون طريقة الحق قد استولوا على مداها أي وصلوا الى غايتها ومنتهاها الا أنهم غرقوا في بحار أنوار التوحيد مطموس عليهم آثار الوسائط والعبيد أي مغلق عليهم رؤية ذلك والشعور به قد غلب سكرهم وهو عدم احساسهم بالأغيار على صحوهم وهو وجود احساسهم بها وجمعهم وهو ثبوت وجود الحق فرداً على فرقهم وهو ثبوت وجود الخلق وفناؤهم وهو استهلاكهم في شهود الحق على بقائهم وهو شعورهم بالخلق وغيبتهم وهو ذهاب أحوال الخلق عن نظرهم على حضورهم مع الخلق ومعاني هذه الألفاظ كما تراه متقاربة وهي ألفاظ تداولها الصوفية المحققون بينهم وعبروا بها في كتبهم ووضعوها على معان اختصوا بفهمها ليتعرف بعضهم من بعض ما يتخاطبون به ولهم ألفاظ كثيرة غيرها وكأن المؤلف رحمه الله تعالى أراد أن لا يخلو كتابه عن ذكر شيء منها (وأكمل منه عبد شرب فازداد صحوا وغاب

(فازداد حضورا فلا جمعه) وهو رؤية الحق (يحجبه عن فرقه) وهو رؤية الخلق (ولا فرقه يحجبه عن جمعه ولا فناؤه يصده عن بقائه ولا بقاؤه يصده عن فنائه يعطي كل ذي قسط قسطه) فيشكر الحق والخلق ولا يغيب عن الرب في حال مخالطة الخلق وقوله (ويوفي كل ذي حق حقه) بمعنى ما قبله وهؤلاء هم خاصة الخلق الذين حازوا رتب الأكملية وتمكنوا في المقامات وملكوا أحوالهم ومنهم أبو بكر رضي الله عنه ولذا قال المصنف (وقد قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه لعائشة رضي الله عنها لما نزلت براءتها من الإفك) أي الكذب (على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم) أي في القرآن العظيم (يا عائشة اشكري رسول الله صلى الله عليه وسلم) لأن براءتك تسببها رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم تحصل الا ببركته فيستحق الشكر منك (فقالت والله لا أشكر الا الله) لأنها في ذلك الوقت غائبة عن احساسها منغمسة في الأنوار لم تر غير الله (دلها أبو بكر رضي الله عنه على المقام الأكمل مقام البقاء المقتضي لاثبات الآثار) أي النظر للخلق ومن جلتهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ومقتضى النظر اليهم

شكرهم ثم استدل على أنه ينبغي شكرهم بقوله (وقد قال تعالى أن اشكر لي ولوالديك وقال صلى الله عليه وسلم لا يشكر الله) بالنصب وفاعل الشكر هو العبد والرفع أي لا يثيب الله (من لا يشكر الناس) ولا يرضى له ذلك فتنبغي شكر الله لأنه الذي حرك قلب العبد وشكر العبد لأنه واسطة والضار هو الوقوف معه والغيبة عن الرب (وكانت هي) أي عائشة (في ذلك الوقت مصطلمة عن شاهدها) أي مأخوذة عن احساسها غائبة عن حكم بشريتها والاصطلام حالة تعتري العبد من تجلي الله عليه بصفة القهر فتغيبه عن احساسه (غائبة عن الآثار) وهم المخلوقات (فلم تشهد الا الواحد القهار) وفي قوله وكانت في ذلك الوقت اشارة الى أن ذلك ليس حالا لازما لها في جميع أوقاتها بل ترقت عنه الى مقام الفرق وهو رؤية الحق مع الخلق وقال رضي الله عنه لما سئل عن قوله صلى الله عليه وسلم وجعلت قرة عيني في الصلاة قرة العين كناية عن غاية الفرح والسرور واللذة فكأنه يقول وجعلت غاية فرحي وسروري ولذتي في الصلاة لمشاهدة الرب فيها هل ذلك خاص به أم لغيره من أمته منه شرب بكسر الشين وقوله ونصيب تفسير له فأجاب (أن) بكسر الهمزة ان كانت من كلام المصنف وفتحها ان كانت من كلام غيره (قرة العين) أي غاية الفرح والسرور (بالشهود) أي شهود جلال الحق سبحانه وجماله (على قدر المعرفة بالمشهود) وهو الحق سبحانه (فالرسول صلى الله عليه وسلم ليس معرفة أحد) هناك (كمعرفته فليس قرة عين كقرته) وحاصل الجواب أن قرة العين ليست خاصة به صلى الله عليه وسلم بل كما تكون لغيره لكن قرة عينه أعظم من قرة عين غيره ومعلوم أن قرة العين لا تحصل الا لمن ذهبت عنه الوساوس النفسانية والشيطانية أما من كان مغمورا فيها فقليل أن تحصل له قرة عين أو حضور قلب بين يدي الحق سبحانه وتعالى (وانما قلنا ان قرة عينه) صلى الله عليه وسلم (في صلاته بشهوده جلال مشهوده) وهو الحق

فازداد حضورا فلا جمعه يحجبه عن فرقه ولا فرقه يحجبه عن جمعه ولا فناؤه يصده عن بقائه ولا بقاؤه يصده عن فنائه يعطي كل ذي قسط قسطه ويوفي كل ذي حق حقه) هذا هو حال خاصة الخاصة الذين حازوا رتب الأكملية وهم قوم شربوا كؤس التوحيد فازداد صحوهم وغابوا عن الأغيار فازداد حضورهم وقد ملكوا الأحوال وتمكنوا في مقامات الرجال فلم يغلبهم محو عن طي ولم يحجبهم شيء عن شيء بل وفوا حقوق جميع المراتب وأعطوها مالها من قسط واجب وذلك لاتساع نظرهم ونفوذ بصرهم وهذه هي صفة الصديق رضي الله تعالى عنه في القصة التي يذكرها الآن ۞ (وقد قال أبو بكر الصديق رضي الله تعالى عنه لعائشة رضي الله عنها لما نزلت براءتها من الافك على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم يا عائشة اشكري رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت والله لا أشكر الا الله دلها أبو بكر رضي الله تعالى عنه على المقام الأكمل مقام البقاء المقتضي لاثبات الآثار وقد قال الله تعالى أن اشكر لي ولوالديك وقال صلى الله عليه وسلم لا يشكر الله من لا يشكر الناس وكانت هي في ذلك الوقت مصطلمة عن شاهدها غائبة عن الآثار فلم تشهد الا الواحد القهار) هذا مثال هذين القسمين وقد أشبع المؤلف رحمه الله تعالى الكلام فيه والمعنى في ذلك بين لا حاجة بنا الى مزيد تنبيه الا قوله وكانت هي في ذلك الوقت مصطلمة أي منقطعة عن شاهدها وهو حكم بشريتها مشتوفاة عن احساسها بالكلية والاصطلام نعت الحيرة ومحل القهر وصفة الدهشة وفي قوله وكانت هي في ذلك الوقت اشعار بأن ذلك لم يكن حالا لازما لها في جميع أوقاتها بل كان ذلك في وقت مخصوص وواقعة مخصوصة وذلك صحيح اذ حالها رضي الله عنها هو حال الكمال في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعد وفاته كنحو حال أبيها رضي الله تعالى عنهما وذلك معلوم من أخبارها وسيرها رضي الله تعالى عنها ۞ وقال رضي الله عنه لما سئل عن قوله صلوات الله عليه وسلامه وجعلت قرة عيني في الصلاة هل ذلك خاص به أم لغيره منه شرب ونصيب فأجاب ۞ (ان قرة العين بالشهود على قدر المعرفة بالمشهود فالرسول صلوات الله عليه وسلامه ليس معرفة غيره كمعرفته فليس قرة عين كقرته وانما قلنا ان قرة عينه في صلاته بشهوده جلال مشهوده

(لأنه قد أشار الى ذلك بقوله في الصلاة ولم يقل بالصلاة اذ هو صلى الله عليه وسلم لا تقر عينه بغير ربه) ومن الغير الصلاة (وكيف) تقر عينه بغير ربه (وهو) أي والحال أنه (يدل على هذا المقام) وهي المرتبة الأولى من مراتب الاحسان (و يأمر من سواه بقوله صلى الله عليه وسلم اعبد الله كأنك تراه ومحال أن يراه (٨٦) ويشهد معه سواه) ومن السوي صلاته فيغيب عن نفسه وحسه وعن أفعاله ولا يراها

لأنه قد أشار الى ذلك بقوله في الصلاة ولم يقل بالصلاة اذ هو صلوات الله عليه وسلامه لا تقر عينه بغير ربه وكيف وهو يدل على هذا المقام ويأمر به من سواه بقوله صلوات الله عليه وسلامه اعبد الله كأنك تراه ومحال أن يراه ويشهد معه سواه فان قال قائل قد تكون قرة العين بالصلاة لأنها فضل من الله وبارزة من عين منة الله فكيف لا يفرح بها وكيف لا تكون قرة العين بها وقد قال سبحانه وتعالى قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا فاعلم أن الآية قد أومأت الى الجواب لمن تدبر سر الخطاب اذ قال فبذلك فليفرحوا وما قال فبذلك فافرح يا محمد قل لهم فليفرحوا بالاحسان والتفضل وليكن فرحك أنت بالمتفضل كما قال في الآية الأخرى قل الله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون) الصلاة هي أجل ما منح الله تعالى به عباده ويهديه اليهم وفي الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال ما أوتي عبد في الدنيا خيرا من أن يؤذن له في ركعتين يصليهما ففيها يحصل لهم الخلوة معه والانفراد بالمجالسة والانقطاع اليه وفيها يرتفع عن قلوبهم الحجب والأستار ويتجلى فيها حقائق الأسرار وتشرق فيها خوارق الأنوار وفيها تكون المناجاة والمصافات كما تقدم وهي صلة بين العبد وبين ربه عز وجل قال محمد بن علي الترمذي رحمه الله الصلاة عماد الدين وأول شيء فرضه الله على المسلمين وفي الصلاة اقبال الله على العبد ليقبلوا اليه في صورة العبيد تذللا وتسليما وتبذلا وتخضعا وتخشعا وترغبا وعلقا فالوقوف تذلل والتكبير تسليم والثناء والتلاوة تبذل والركوع تخضع والسجود تخشع والجلوس ترغب والتشهد تملق فاقبل العبد الى الله بهذه الصورة ليقبل الله عليهم بالترحم والتعطف والتقبل والتكرم والتقرب فليس شيء من أمر الدين أعظم من هذه ولهذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الصلاة عماد الدين وقال في حديث آخر الصلاة نور وقال لا يزال الله مقبلا على العبد بوجهه ما دام في صلاته وان الله لينصب الى أحدكم وجهه ما دام مقبلا عليه اهـ ولأجل هذه الفوائد كانت الصلاة مفزع ذوي الفاقات والضرورات من أرباب القلوب فيغنيهم وجودها عن كل مرغوب ويسلون بها عن كل محبوب قال الله تعالى وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها لا نسألك رزقا الآية فواجب اذا أن تكون قرة أعين عباد الله فيها وبها وقرة العين عبارة عن الروح والراحة وكمال النعيم واللذة التي تحصل من غاية الموافقة والملاءمة الا أنها تختلف باختلاف أحوال الناس في مراتبهم ومقاماتهم فمن عظمت منزلته وعلت مرتبته كانت ملاءمته وموافقته في شهود التوحيد وكمال التجريد المشار اليه في قوله صلى الله عليه وسلم أن تعبد الله كأنك تراه اذ محال أن يراه ويشهد معه سواه كما قال المؤلف رحمه الله تعالى وفيما روي عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما في قوله لعروة بن الزبير رضي الله عنهما انا كنا نتراءى الله بين أعيننا وكان هذا لما خطب اليه عروة بن الزبير ابنته وهو في الطواف فلم يكلمه ابن عمر ولم يرجع اليه بشيء ثم اعتذر له بعد ذلك بهذا الكلام فصاحب هذه الحال تكون قرة عينه في الصلاة لأجل ما تضمنه من التجلي التام والشهود الحقيقي ومن كانت منزلته دون ذلك كانت ملاءمته وموافقته في شهود النعم ووجود الفضل والكرم وكانت قرة عينه بها لا فيها لأنها فضل من الله وبارزة من منة الله كما قال المؤلف رحمه الله تعالى فلا شك أن معنى قرة العين في الوجه الأول أحق وبه أنسب

صادرة منه بل يرى الفاعل لها هو الله تعالى (فان قال قائل قد يكون قرة العين بالصلاة لأنها فضل من الله وبارزة من عين منة الله تعالى) أي لأن العلة وجعلها بارزة من نفس المنة مالعلة والأخرى بارزة من الله بمنته لا لعلة (فكيف لا يفرح بها وكيف لا تكون قرة العين بها وقد قال الله سبحانه وتعالى قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا) ففي ذلك اشارة الى أنه لا مانع أن يفرح الانسان بالصلاة ويكون قرة عينه بها فأفاد للمانع من كون فرحه صلى الله عليه وسلم بها (فاعلم) مرتب على ما تقدم وهو قوله فان قال قائل وفي بعض النسخ حذف قوله فان قال قائل فيحتاج الى تقديرها وترتب الجواب عليها كأنه قال ان قيل كذلك فاعلم (أن الآية قد أومأت) أي أشارت اشارة خفية (الى الجواب لمن تدبر سر الخطاب) وهو المعنى الذي يخفى على كثير من الناس (اذ قال الله تعالى (فبذلك فليفرحوا) أي الأمة (وما قال (فبذلك فافرح يا محمد قل لهم فليفرحوا بالاحسان والتفضل وليكن فرحك (والتق) أنت بالمتفضل) وهو الله تعالى (كما قال الله تعالى في الآية الأخرى قل الله) بمعناه المطابق قل الله أنزله أي القرآن ومعناه الاشاري المرادي هنا قل الله أي أفرح به لا بغيره (ثم ذرهم في خوضهم يلعبون) وهو فرحهم بغير الله سبحانه ويؤخذ من ذلك أن قرة العين قد تكون بنفس الصلاة للعلة السابقة لكن ذلك لغيره صلى الله عليه وسلم لا له فان قرة عينه انما تكون بمشاهدة محبوبه وغيره يشاركه في ذلك على حسب

مقامه كما مر ﴿ وقال رضي الله عنه مما كتب به لبعض اخوانه (الناس في) حال (ورود المنن) أي النعم عليهم من الله تعالى (على ثلاثة أقسام فرح بالمنن لا من حيث مهديها ومنشئها) وهو الله (ولكن) فرحه (بوجود متعته (٨٧)) فيها) أي بسبب تمتعه وقضاء وطره ونيل غرضه بها (فهذا من الغافلين) شبيه بالبهائم الذين يأكلون ويشربون غافلين عن مولاهم (يصدق عليه قوله تعالى حتى اذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة) يعني أنه ربما كان من وارد النعم استدراجا من الله تعالى كلما أعطى نعمة ازداد غفلة ولم يشكر المولى عليها حتى يأخذه أخذ عزيز مقتدر (وفرح بالمنن) أي النعم (من حيث انه شهدها منة ممن أرسلها ونعمة ممن أوصلها) وهو الله تعالى فيشكره سبحانه عليها ولم يغب عنه لكن كماله ناقص من حيث انه ملتفت الى النعمة وعنده فرح بها وان كان ذلك من حيث بروزها عن الحق (يصدق عليه قوله تعالى قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون وفرح بالله) عز وجل (ما شغله) عنه (من المنن ظاهر متعتها) أي التمتع بها (ولا باطن منتها) أي لم يلتفتوا الى ظاهر النعم من أجل أن فيها الفرح لهم ولا الى باطنها من حيث كونها دلائل على عناية الله تعالى بهم بحيث يرون بها عليهم كما هو حال القسمين الأولين فان القسم الأول التفت الى ظاهر النعمة من أجل أن فيها الفرح لهم وغابوا عن المنعم بها والقسم الثاني التفت الى باطنها من حيث بروزها عن الله عز وجل وأن في حصولها لهم امتنانه منه تعالى بهم (بل شغله النظر الى الله تعالى) (عما سواه والجمع عليه) أي جمعه قلبه عليه (فلا يشهد الا اياه يصدق عليه قوله تعالى قل الله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون

والبقاء لأن صاحبه فان عن نفسه باق بربه ومن كان على هذا الوصف فهو من المخلصين الذين لا سلطنة عليهم للعدو واللعين ومن زالت سلطنته عنه في صلاته لم يحتج الى مدافعته ومراجعته وكانت صلاته ملزومة بالحضور والخضوع والدوام والخشوع وعند فقدان العبد لحديث نفسه ووسوسة عدوه يحصل له غاية النعيم واللذة ويتحقق في حقه معنى قرة العين بخلاف الوجه الآخر فان صاحبه لم يفن عن نفسه فضلا عن أن يرتقي الى درجة البقاء بربه فلم ينقطع عنه حديث النفس ولا وسواس العدو فيحتاج لا محالة الى مجاهدة ومدافعة فيتشوش نعيمه وتتكدر لذته فيضعف معنى قرة العين في حقه قال الشيخ العارف أبو محمد عبد العزيز المهدوي رضي الله عنه وقرة العين لا تكون لمجاهد ولا لمن بدفع الشيطان عنه بل هي لمن استراح من المجاهدة والدفع ولما كانت منزلة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم عند ربه عز وجل أشرف المنازل ومرتبته في المعرفة بها أرفع الرتب بحيث لا يتصور أن يشاركه في ذلك غيره أو يحل به سواه كانت قرة عينه في صلاته على حسب ذلك فمن قال ان ذلك خاص به لانفراده بالمرتبة العليا والخاصية الكبرى فقوله صحيح وعليه يدل ظاهر قوله صلى الله عليه وسلم وجعلت قرة عيني في الصلاة بعد قوله انما حبب الي من الدنيا الطيب والنساء ولا شك أن حبه لهذين الأمرين ليس على قياس حب غيره لهما وما ذلك الا لوجود الخاصية التي اقتضت منه ذلك الا ترى أنه أبيح له ما لم يبح لغيره من عدد الحرائر وأمن لأجل ذلك من وقوع مفسدة التباغض والتشاجر بسبب اجتماع الضرائر واستعماله صلى الله عليه وسلم الطيب وحبه له انما هو للقائه الملائكة التي يناجيه والا فهو في ذاته غني عن الطيب واستعماله كما قال أنس بن مالك رضي الله عنه ما مسست حريرا ولا خزا ولا ديباجا ألين من كف رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا شممت رائحة قط مسكا ولا عنبرا أطيب من رائحة رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا كان حاله في هذين الأمرين على ما ذكرناه مع أنه لم يذكر فيهما سوى لفظ الحب وهما من لذات الدنيا فكيف يكون حاله في الأمر الثالث مع أنه عبر فيه بقرة العين وهي غاية المحبة وهو من أعمال الآخرة وقيل معنى قوله من الدنيا أي في الدنيا ومن قال ان غيره منه ترث نصيبا على المعنى الذي يليق بهذا الغير فلقوله وجه وجواب المؤلف رحمه الله تعالى يحتمل لهذين الوجهين والله أعلم بما أراد منهما أو من غيرهما ﴿ وقال المؤلف رضي الله عنه فيما كتب به لبعض اخوانه ﴾ الناس في ورود المنن على ثلاثة أقسام فرح بالمنن لا من حيث مهديها ومنشئها ولكن بوجود متعته فيها فهذا من الغافلين يصدق عليه قوله تعالى حتى اذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة وفرح بالمنن من حيث انه شهدها منة ممن أرسلها ونعمة ممن أوصلها يصدق عليه قوله تعالى قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون وفرح بالله ما شغله من المنن ظاهر متعتها ولا باطن منتها بل شغله النظر الى الله عما سواه والجمع عليه فلا يشهد الا اياه يصدق عليه قوله تعالى قل الله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون) تضمن هذا الفصل بيان ما عهد من أحوال الناس وما يذم عند ورود النعم عليهم وحصول الفرح اذ ذاك لهم وينبني عليه ما يكون من ذلك شكرا لها وما لا يكون وقد قسمهم المؤلف ثلاثة أقسام وجعلهم طرفين وواسطة فقسم في غاية الدناءة والخسة وهم الذين فرحوا بالنعم من حيث ان فيها قضاء أوطار نفوسهم ونيل أغراضهم والتمتع بشهواتهم ولذاتهم فأحوال هؤلاء مذمومة جدا أشبه شيء بهم الأنعام والبهائم وهذه أحوال أهل الطرد والبعد والاستدراج

والسكر حسبما أشار اليه في الآية الكريمة التي ذكرها المؤلف رحمه الله في هذا القسم وهذه الأحوال
بعيدة من الشكر منافية له وقسم في غاية الشرف والجلالة وهم الذين فرحوا بالمنعم فقط ولم يلتفتوا
الى ظواهر النعم لأجل أن فيها متعتهم ولذتهم ولا الى بواطنها من كونها دلائل على عناية الله تعالى بهم
حيث من بها عليهم فأحوال هؤلاء محمودة جدا لأنهم غابوا عن الأغيار العدمية وتحققوا بحقائق
الوحدانية كما أشار اليه في الآية الكريمة التي ذكرها المؤلف رحمه الله في هذا القسم وحال هؤلاء
هي الشكر الحقيقي الخالص الخالي من المزج والشوب لأن المشاهد للمنعم فان عن حظوظ نفسه فهو
يرى الأشياء كلها نعما فلا تفرقة عنده بين وجود ولا عدم ولا عطاء ولا منع ولا يخاف عليه من التغير
والانقلاب لتغير الأفعال والأسباب بما يخاف على غيره لبقاء حظه قال أبو محمد الجريري رضي الله عنه
من رأى النعم ولم ير المنعم فقد عجز عن الشكر ومن رأى المنعم بغيبة النعم فقد شكر وقال الشيخ
أبو محمد عبد العزيز المهدوي رضي الله عنه كل من لم يشاهد المنعم في النعمة كانت النعمة في حقه
استدراجا لأنه تؤديه الى أن يسكن اليها فاذا نزعت منه لزمه أن يتغير عليها ومنهم من حصل له نصيب من
الشرف والجلالة وحظ من الدناءة والرذالة وهم الذين فرحوا بالنعم لكونها منة من الله تعالى عليهم
من حيث شهودهم المنة من ربهم شرفوا وجلت أقدارهم وكانت أحوالهم محمودة وهي شكر منهم
لائق بهم ومن حيث نظرهم لأنفسهم وبقاؤهم مع حظوظهم كان لهم نصيب من الدناءة والخسة فما عطوا
بهذا الوصف عن مراتب الأعلين وارتقوا بالوصف الأول عن أحوال الأدنين فخوطبوا بما خوطب به
عامة المؤمنين وأوساطهم في الآية الكريمة التي ذكرها المؤلف رحمه الله في هذا القسم وقد ضرب الامام
أبو حامد الغزالي رضي الله عنه في كتاب الشكر لهذه الأقسام الثلاثة مثلا فقال الملك الذي يريد
الخروج الى سفر فأنعم بفرس على انسان يتصور أن يفرح المنعم عليه بالفرس من ثلاثة أوجه أحدها
أن يفرح بالفرس من حيث انه فرس وانه مال ينتفع به وانه مركوب يوافق غرضه وانه جواد نفيس
وهذا فرح من لا حظ له في الملك بل غرضه في الفرس فقط ولو وجده في صحراء فأخذه لكان فرحه به
مثل هذا الفرح الوجه الثاني أن يفرح به لا من حيث انه فرس بل من جهة ما يستدل به على عناية
الملك به وشفقته عليه واهتمامه بجانبه حتى لو وجد هذا الفرس في صحراء أو أعطاه له غير الملك
لكان لا يفرح به أصلا لاستغنائه عن الفرس أصلا واستحقاره له بالاضافة الى مطلوبه من نيل
المحل في قلب الملك الوجه الثالث أن يفرح به ليركبه فيخرج به في خدمة الملك ويتحمل مشقة
السفر لينال عنده مرتبة القرب منه ويرتقي الى درجة الوزارة من حيث انه ليس يقنع بأن يكون محله
في قلب الملك محل من يعطيه فرسا ويعتني به هذا القدر من العناية بل هو طالب لأن لا ينعم الملك بشيء من
ماله على أحد الا بواسطته ثم انه ليس يريد من الوزارة الوزارة نفسها بل مشاهدة الملك والقرب منه
حتى لو خير بين القرب دون الوزارة وبين الوزارة دون القرب لاختار القرب فهذه ثلاث درجات
فالأولى لا يدخل فيها معنى الشكر أصلا لأن نظر صاحبها مقصور على الفرس ففرحه بالفرس لا بالمعطي
وهذه حال كل من فرح بنعمة من حيث انها لذيذة وموافقة لغرضه فهو بعيد عن معنى الشكر
والثاني داخل في معنى الشكر من حيث انه فرح بالمنعم ولكن لا من حيث ذاته بل من حيث معرفة
عنايته التي تستحثه على الانعام في المستقبل وهذه حال الصالحين الذين يعبدون الله تعالى ويشكرونه
خوفا من عقابه ورجاء لثوابه وانما الشكر التام في الفرح الثالث وهو أن يكون فرح العبد بنعم الله
عز وجل من حيث انه يقدر بها على التوصل الى القرب منه والنزول في جواره والنظر الى وجهه على
الدوام فهذه هي الرتبة العليا وأمارتها أن لا يفرح من الدنيا الا بما هو مزرعة الآخرة ويعينه عليها

وقد أوحى الله تعالى الى داود عليه الصلاة السلام يا داود قل للصدّيقين) أي كثيري الصدق في أقوالهم وأفعالهم وأحوالهم (بي فليفرحوا) أي فليفرحوا بي لا بغيري حيث كنت ربًّا وكانوا لي عبيدًا خالصين من حكم بشريتهم ولذا قيل ان عتبة الغلام دخل يومًا على رابعة العدوية وعليه قميص جديد وهو يتبختر في مشيته على خلاف عادته فقالت له يا عتبة ما هذا التيه والعجب الذي لم أره في شمائلك قبل هذا اليوم فقال يا رابعة ومن أولى بهذا التيه مني وقد أصبح لي مولى وأصبحت له عبدا (وبذكري (٨٩) فليتنعموا) أي لا يتنعمون الا بذكري

وعزّني بكل نعمة تلهيه عن ذكر الله تعالى وتصده عن سبيله لأنه ليس يريد النعمة لأنها لذيذة كما لم يرد صاحب الفرس لأنه جواد ومهملج بل من حيث انه يحمله في صحبة الملك حتى يدوم مشاهدته له وقربه منه ولذلك قال الشبلي رضي الله عنه الشكر رؤية المنعم لا رؤية النعمة ولذلك قال الخواص رضي الله عنه شكر العامة على المطعم والملبس وشكر الخاصة على واردات القلوب وهذه رتبة لا يدركها كل من انحصرت عنده اللذات في البطن والفرج ومدركات الحواس من الألوان والأصوات وخلا عن لذة القلب فان القلب لا يلتذ في حال الصحة الا بذكر الله تعالى ومعرفته ولقائه وانما يلتذ بغيره اذا مرض بسوء العادات كما يلتذ بعض الناس بأكل الطين وكما يستبشع بعض المرضى الأشياء الحلوة ويستحلي الأشياء المرة كما قيل

ومن يك ذا فم مرّ مريض * يجد مرًّا به الماء الزلالا

فاذن هو شرط الفرح بنعمة الله عز وجل فان لم تكن له أهلًا فعز وان لم يكن فعندنا في الدرجة الثانية أما الأولى فخارجة عن كل حساب فكم فرق بين من يريد الملك للفرس ومن يريد الفرس للملك وكم من فرق بين من يريد الله عز وجل لينعم عليه وبين من يريد نعم الله تعالى ليصل بها اليه اهـ كلام الامام أبي حامد الغزالي وهو في غاية البيان والوضوح وهو كالتفسير لما ذكره المؤلف رحمه الله تعالى ولذلك أورده هنا بكماله ۞ (وقد أوحى الله تعالى الى داود عليه الصلاة والسلام يا داود قل للصدّيقين بي فليفرحوا وبذكري فليتنعموا) بهذا تحققت صديقيتهم وعلا ارتفاع رتبتهم على من دونهم قيل ان عتبة الغلام دخل في بعض الأيام على رابعة العدوية رضي الله عنها وعليه قميص جديد وهو يتبختر في مشيته بخلاف ما سبق من عادته فقالت له يا عتبة ما هذا التيه والعجب الذي لم أره في شمائلك قبل اليوم فقال يا رابعة ومن أولى بهذا التيه مني وقد أصبح لي مولى وأصبحت له عبدا * وقال بعضهم كنت مسافرا الى مكة فبينما أنا أمشي اذ رأيت شيخا بيده مصحف وهو ينظر فيه ويرقص فتقدمت اليه فقلت يا شيخ ما هذا الرقص قال دعني عنك قلت في نفسي عبد من أنا وكلام من أتلو وبيت من أنا قاصد فاستغرقني الوجد فرقصت وأنشد في هذا المعنى

قوم علاهم زهو بسيدهم * والعبد يزهو على مقدار مولاه

تاهوا برؤيته عما سواه له * يا حسن رؤيتهم في حسن ما تاهوا

ويجوز أن يكون المراد بقوله وبذكري فليتنعموا أي بذكري اياهم في الأزل حيث لا وجود لهم والا فان الذكر المنسوب اليهم محل الآفات والعلل وهم أجل رتبة من أن يكون نعيمهم بشيء ملتبس بهم ۞ (والله تعالى يجعل فرحنا واياكم به وبالرضا منه وأن يجعلنا من أهل الفهم عنه وأن لا يجعلنا من الغافلين وأن يسلك بنا مسالك المتقين بمنه وكرمه) هذا دعاء حسن موافق لمعنى ما تقدم وهو بين لا يحتاج الى تبيين ولا تنبيه عليه فالله تعالى يحقق لنا ذلك بفضله واحسانه انه أرحم الراحمين * وقال رضي الله عنه * (الهي أنا الفقير في غناي فكيف لا أكون فقيرًا في فقري

لا بلذات الدنيا وشهواتها فان المشتغل بذكر الله يحصل عنده من اللذة والأنس بالله تعالى الأبرار به لذة من لذات الدنيا (والله تعالى يجعل فرحنا اياكم) أيها الأحباب الناظرون في هذا الكتاب (به) تعالى (وبالرضا منه) أي الانعام بدوام المشاهدة (وأن يجعلنا من أهل الفهم عنه) وهم الذين يفهمون عن الله مراده منهم وهو اقبالهم عليه واشتغالهم بخدمته ويفهمون عنه أنه حاضر معهم فيراقبونه في حركاتهم وسكناتهم ويفهمون عنه أنه قائم بالأشياء وأنها عدم محض فلا يلتفتون اليها في جلب نفع ولا دفع ضر ويفهمون عنه أنه يعلمهم بذاته لا بعلمه كما يفهمه المحجوبون أهل الدليل والبرهان الى غير ذلك مما هو مقرر عند أهل الشهود والعيان (وأن لا يجعلنا من الغافلين) الذين اشتغلوا بالأكوان عن المكون ولم يفهموا مراد الله منهم فلم يقبلوا على طاعته وان أقبلوا عليها فبظاهرهم دون قلوبهم (وأن يسلك بنا مسالك المتقين) الذين يتقون ما سواه سبحانه فلا يلتفتون الى غيره في جلب ولا دفع ولا يحجبون عنه طرفة عين وهذه أعلى مراتب التقوى ودون ذلك اتقاء معاصي الجوارح وشهوات النفوس ودون ذلك اتقاء الشرك (بمنه وكرمه) أي لا بعلو عمله على ذلك كأعمالنا المدخولة * وقال رضي الله عنه وفي بعض النسخ ومن مناجاته (الهي أنا الفقير في حال (غناي فكيف لا أكون فقيرا في) حال (فقري) يعني أن صفتي الذاتية هي الفقر والاحتياج والغنى أمر عارض والعارض بصدد الزوال

(الهي أنا الجاهل في) حال (علمي) لأن ما عندي من العلم قليل فهو في حكم العدم وأيضاً فهو عارض عليّ والعارض بصدد الزوال (فكيف لا أكون جهولا) أي كثير الجهل (في) حال (جهلي) وأتى بصيغة المبالغة لما في ذلك من ضم جهل الى جهل وحاصله أن العبد صفته الذاتية هي النقص والكمال عارض له والعارض نقصان في التحقيق وتقديمه هذا التضرع والافتقار بين يدي دعائه ليكون ذلك أرجى للاجابة قال سهل بن عبد الله ما أظهر عبد فقره الى الله في وقت الدعاء في شيء يحل به الا قال للملائكة لولا أن لا يحتمل كلامي لأجبته لبيك اهـ (الهي ان اختلاف (٩٠) تدبيرك) فقد يكون العبد فقيراً فيدبر الله له الغنى وبالعكس ويكون مريضاً فيدبر الله له الصحة وبالعكس فالمراد بالتدبير المدبر أي المقدر ولذا عطف عليه التفسير قوله (وسرعة حلول مقاديرك) أي المقدرة على العبد (منعا عبادك العارفين بك عن السكون) منك (الى عطاء) أي عن سكونهم الى عطاء يصدر منك فاذا أفيضت عليهم العطايا الدنيوية كالأموال أو الدينية كالمعارف والأسرار والمكاشفات لا يلتفتون اليها لأنها بصدد الزوال يمكن زوالها باتيان ضدها كما وقع لكثير في غابر الزمان بل لا يلتفتون الا الى المولى ولا يغيبون عنه ويكون بقاء ذلك وزواله عندهم على حد سواء (واليأس منك في بلاء) فاذا قام بهم بلية بدنية كمرض أو فقر أو دينية كمعصية لا ييأسون من زوالها باتيان ضدها كما وقع لغيرهم (الهي مني

الهي أنا الجاهل في علمي فكيف لا أكون جهولا في جهلي) العبد موصوف بصفات النقص وهي ذاتية له والكمال العارض له والمنسوب اليه نقصان على التحقيق ومن ثم كان ما ذكره المؤلف رحمه الله تعالى من كونه فقيراً في غناه وجاهلا في علمه صحيحا مستقيما وكأنه قصد رضي الله عنه بهذا الاعتراف بدوام الاضطرار ولزوم الفاقة والافتقار وأنه لا استغناء له عن مولاه عز وجل ولا ينفك من الاحتياج اليه والتعلق به والسؤال والطلب منه في كل حال من أحواله كما قال بعضهم

انى اليك مدى الأنفاس محتاج ٭ لو كان في مفرقي الاكليل والتاج

وهذا منه دليل على تحققه مقام العبودية التي اقتضتها عظمة الربوبية وتقديمه هذه المعاني بين يدي دعائه ومناجاته في غاية الحسن قال سيدي أبو الحسن رضي الله عنه ما طلبت من الله شيئا الا وقدمت اساءتي أمامي يريد رضي الله عنه لا يطلب من الله شيئا بوصف يستحق به العطاء بل لا يكون طلبه وجود فضله الا بفضله وقال أبو عثمان رضي الله عنه في قوله تعالى ادعوا ربكم تضرعا وخفية التضرع في الدعاء أن لا تقدم اليه أفعالك وصلواتك وصيامك وقيامك وقراءتك ثم تدعو على أثره انما التضرع أن تقدم اليه افتقارك وعجزك وضرورتك وفاقتك وقلة حيلتك ثم تدعو بلا علاقة ولا سبب فيرفع دعاءك وقال الواسطي رضي الله عنه التضرع ذل العبودية وخلع الاستطالة وقال سهل ابن عبد الله رضي الله عنه ما أظهر عبد فقره الى الله تعالى في وقت الدعاء في شيء يحل به الا قال للملائكة لولا أنه لا يحتمل كلامي لأجبته لبيك ٥ (الهي ان اختلاف تدبيرك وسرعة حلول مقاديرك منعا عبادك العارفين بك عن السكون الى عطاء واليأس منك في بلاء) تلوين الأحكام على العباد يقتضي أن لا يسكنوا الى حالة يكونون عليها ولا ييأسوا في حالة ضارة تحل بهم من وجود الراحة والفرح وهذا محض تعلق بالله عز وجل وهو نعت العارفين ٥ (الهي مني ما يليق بلؤمي ومنك ما يليق بكرمك) لؤم العبد الذي ركب عليه يقتضي منه مبارزة مولاه بالعظائم والكبائر وكرم المولى الذي هو متصف به يقتضي منه التجاوز والعفو عن عبده وقبول عذره وهذا الكلام من ألطف وجوه السؤال والرغبة وهو من آداب الدعاء ٭ يحكى أن رجلا قال لبعض الأنبياء عليهم الصلاة والسلام قل له كم أخالفه وأعصيه وهو لا يعاقبني فأوحى الله تعالى الى ذلك النبي قل لفلان لتعلم أني أنا وأنت أنت ٥ (الهي وصفت نفسك باللطف والرأفة بي قبل وجود ضعفي أفتمنعني منهما بعد وجود ضعفي) اللطف والرأفة صفتان لله عز وجل اتصف بهما في الأزل قبل وجود ضعف العبد وفاقته وحاجته وهما مقتضيان لوجود آثارهما فيما لا يزال بعد وجود ذات العبد وصفاته وهي اسباغ نعمه عليه وايصال افضاله اليه فكيف يتصور اذ ذاك منعه اياهما

أن يصدر مني (ما يليق بلؤمي) الذي ركبت عليه وهو مبارزتي اياك بالمعاصي التي تليق بي فان شأن الانسان عدم الوفاء بحقوق الرب (ومنك) أي ويصدر منك (ما يليق بكرمك) وهو التجاوز والعفو عني وقبول أعذاري والتفضل والاحسان ودفع الآلام (الهي وصفت نفسك باللطف والرأفة) أي شدة الرحمة (بي قبل وجود ضعفي أفتمنعني منهما) أي من قيام أثرهما بي وحصوله لدي (بعد وجود ضعفي) فاللطف والرأفة صفتان لله عز وجل اتصف بهما في الأزل قبل وجود ضعف العبد وفاقته وحاجته وهما مقتضيان لوجود أثرهما فيما لا يزال بعد وجود ذات العبد وصفاته وهو اسباغ نعمه عليه وايصال افضاله اليه فكيف يتصور اذ ذاك منعه اياهما واللطف يرجع للعلم والرأفة للارادة

(الهي ان ظهرت المحاسن مني) وهي أنواع الطاعات والصفات المحمودة (فبفضلك) لا بحولي ولا قوتي (ولك المنة) أي الامتنان (علي) لعدم استحقاقي لذلك والامتنان مذموم الا من الله أو الرسول أو الوالد أو الشيخ (وان ظهرت المساوي مني) وهي ضروب المعاصي والصفات المذمومة (فبعدلك) لا بطريق الظلم لأن المالك يفعل في ملكه ما يشاء (ولك الحجة علي) بأن تقول لي لم فعلت ذلك يا عبدي وليس لي حجة أقيمها عليك كأن أقول لك ان ذلك بتقديرك وحكمك لأن ذلك شأن الجاهل بك أما العالم فيقول المالك يفعل في ملكه ما يشاء ولا يسئل عما يفعل (الهي كيف تكلني الى نفسي وقد توكلت لي) ومن كنت وكيله لا تحوجه الى غيرك (وكيف أضام) أي يحصل لي ضيم وذل (وأنت الناصر لي أم كيف أخيب) بعدم الظفر بآمالي (وأنت الحفي بي) أي اللطيف ولطفه بعبده علمه بدقائق مصالحه وخفيات مآربه وايصال ذلك اليه برفق فالوكيل والناصر والحفي من أسماء الله تعالى وهي مقتضية لوجود آثارها من الكفاية والمنفعة والظفر بغاية المقصود والبغية فكيف يتصور انفكاك ذلك عن العبد عند وجود حاجته كما تقدم في اللطف والرأفة (ها أنا أتوسل اليك بفقري اليك) أي أجعل فقري اليك وسيلة أتشفع به عندك في القبول لا بأعمالي المدخولة وأحوالي المعلولة ولذا سئل أبو حفص بماذا يقدم الفقير على ربه فقال وما للفقير أن يقدم به على ربه سوى فقره وقال أبو يزيد نوديت في سري خزائننا مملوءة من الخدمة فان أردتنا فعليك بالذلة والافتقار * ثم رجع عن جعل الفقر وسيلة يتشفع بها الى المولى فقال (وكيف أتوسل اليك بما هو محال أن يصل اليك) وهو الفقر المذكور فكأنه يقول ان كان الفقر يتوسل به اليك فأنا أتوسل به لكنه لا يتوسل به اليك لأن المتوسل به يكون بينه وبين المتوسل اليه علقة ومناسبة كالوزير والسلطان ولا مناسبة بين الفقر الذي هو نعت العبد وبين الرب الذي له الغنى الأكبر وأيضا توسل العبد بفقره يقتضي شهوده له واعتماده عليه فيكون حينئذ من الأحوال المعلولة وهي لا تصل الى الله بمعنى أنه لا يرضاها ولا يقبلها ولذا قيل ان أبا الحسن الشاذلي قدس سره لما دخل على شيخه عبد السلام قال له يا أبا الحسن بماذا تلقى الله قال بفقري فقال له والله لئن لقيت الله بفقرك لتلقينه بالصنم الأعظم ولا تصح حقيقة الفقر الا بالغيبة عن الفقر والا كنت متغنيا بفقرك اهـ فاذن لا وسيلة الى الله سواه

(الهي ان ظهرت المحاسن مني فبفضلك ولك المنة علي وان ظهرت المساوي فبعدلك ولك الحجة علي) ظهور المحاسن على العبد وهي أنواع الطاعات والحسنات والصفات المحمودات فضل من الله تعالى والمنة له عليه لعدم استحقاقه لذلك وظهور المساوي منه وهي ضروب المعاصي والسيئات والأوصاف المذمومات عدل من الله تعالى اذ له أن يفعل بعبده ما يشاء والحجة له عليه لأنه رب وهو عبد ومناجاة العبد لمولاه بهذا الكلام من أحسن المناجاة وهي مقتضية لوجود اسعافه وموالاة ألطافه عليه لما فيها من الثناء على الله تعالى على بساط قربه وذكر مكانه العلية والتعلق بها والاعتراف له بالنعم الظاهرة والباطنة ولما فيها من رؤيته ضعف النفس والاقرار عليها بالنقص والقصور وانزالها منزلتها من الذلة والمهانة وقد قال بعضهم تعلق شاب بأستار الكعبة وقال الهي لا لك شريك فيؤتى ولا وزير لك فيرشى ان أطعتك فبفضلك ولك المنة علي وان عصيتك فبعدلك ولك الحجة علي فبإثبات حجتك علي وانقطاع حجتي لديك الا ما غفرت لي فسمع هاتفا يقول الفتى عتيق من النار (الهي كيف تكلني الى نفسي وقد توكلت لي وكيف أضام وأنت الناصر لي أم كيف أخيب وأنت الحفي بي) الوكيل والناصر والحفي أسماء لله عز وجل وهي مقتضية لوجود آثارها من وجود الكفاية والمنفعة والظفر بغاية المقصود والبغية فكيف يتصور انفكاك ذلك عن العبد عند وجود حاجته كما تقدم في اللطف والرأفة والضيم في اللغة معناه انتقاص الحق والحفي هو اللطيف ولطفه بعبده علمه بدقائق مصالحه وخفيات مآربه وايصال ذلك اليه برفق قال الله تعالى الله لطيف بعباده (ها أنا أتوسل اليك بفقري اليك) التوسل التقرب والوسيلة ما يتقرب به وأعظم وسائل العبد الى مولاه هو تحققه بما هو حقيقة عبوديته وهو فقره اليه في كل حال من أحواله فلا يرى لنفسه حسنة يقتضي بها ثوابا ولا يدلي بحجة يستدفع بها عن نفسه عقابا قال أبو يزيد رضي الله عنه نوديت في سري فقيل لي خزائننا مملوءة من الخدمة فان أردتنا فعليك بالذلة والافتقار وسئل أبو حفص رضي الله عنه بماذا يقدم الفقير على ربه فقال وما للفقير أن يقدم به على ربه سوى فقره (وكيف أتوسل اليك بما هو محال أن يصل اليك) لأن بين المتوسل به والمتوسل اليه نسبة تامة ووصلة حقيقية وهي التي اقتضت له وجود التوسل ولا نسبة ولا وصلة بين الفقر الذي هو نعت العبد وبين الرب الذي له الغنى الأكبر وأيضا توسل العبد بفقره يقتضي شهوده له واستناده اليه واعتماده عليه ورؤية العبد لأحواله وسكونه اليها علة فيها والأحوال المعلولة لا تليق بالحضرة الالهية ولا تصل الى الله تعالى بمعنى أنه لا يرضاها ولا يقبلها فالفقر لا يصح التوسل به من هذا الوجه أيضا والى هذا المعنى يشير

(أم كيف أشكو اليك تعالى وهي لا تخفى عليك) وشكوى الحال لا تصح الا لمن لا يعلمها والله تعالى لا يخفى عليه شيء ولذا قال الخليل عليه السلام حسبي من سؤالي علمه بحالي وقولهم لا شكوى الا الله شأن الغافلين المحجوبين (أم كيف أترجم لك بمقالي) أي أعبر عما في ضميري بأن أقول أعطني كذا فالترجمة في الأصل التعبير باللسان عما في الضمير لتفهيم المخاطب (وهو منك برز اليك) أي أنت الذي أنطقت اللسان وأطلقته بذلك فالترجمة برزت منك وترجع اليك لأنك المسؤول والعبد لا مدخل له في ذلك فكيف تنسب اليه الترجمة وأيضا فهو تعالى عالم بأحوال العبد والترجمة لا تكون الا لمن لا يفهم حال المترجم والمراد بالترجمة هنا مطلق السؤال (أم كيف تخيب آمالي) أي ما أؤمله وأرجوه (وهي قد وفدت اليك) أي توجهت بالسير اليك كما يتوجه الوافدون بالسير الى الكرام وفي بعض النسخ (٩٢) عليك ولا شك انه تعالى كريم جواد متفضل لا يخيب من قصده فليكن العبد على يقين بحصول مطلوبه وان لم يسأل ولم يطلب ولما كانت هذه التعجبات تقتضي نسبة النقص الى نفسه وذلك غير لائق بالعارفين المحققين لما فيه من رؤية النفس وملاحظة حالها والبقاء معها والمحقق لا يرى غير الله والأحوال كلها حسنة من حيث نسبتها اليه أتى بقوله (أم كيف لا تحسن أحوالي) الباطنية والظاهرية وهي الأعمال الصالحة (وبك قامت واليك) أي صدرت منك ورجعت اليك لأنك المقصود بها فمن تحقق في مقام المعرفة رأى أحواله كلها حسنة لوجود قيامها بالله ورجوع أمرها اليه (الهي ما ألطفك) أي أكثر لطفك أي رفقك (بي مع عظيم جهلي) بعواقب الأمور فقد يكون في نزول الأمراض والبلايا بي أنواع من اللطف وأنا جاهل أن بعاقبة ذلك فلذا أطلب الصحة والعافية (وما أرحمك بي) أي أكثر احسانك لي (مع قبيح فعلي) أي مع أفعالي القبيحة المقتضية عدم الاحسان فهذا أمر يتعجب منه (الهي ما أقربك مني) بذاتك كما يقوله أهل المعرفة والشهود أو بعلمك كما يقوله غيرهم من أهل الجحود (وما أبعدني عنك) بصفاتي التي اقتضت عدم شهودي اياك وهذا تواضع منه قدس الله سره ثم ترقى فقال (الهي ما أرأفك) أي أشد رأفتك أي رحمتك (بي فما الذي يحجبني عنك) فان من شاهد رأفة ربه غاب بهذا الشهود عن رؤية نفسه وصفاتها فلذلك لم يظهر له سبب لوجود حجابه عنه (الهي قد علمت باختلاف الآثار) وقوله (وتنقلات الأطوار) مرادف لما قبله أي قد علمت باختلاف الآثار علي وهي تنقلات

مما يحكى عن سيدي أبي الحسن الشاذلي حين دخل على شيخه أبي محمد عبد السلام رضي الله عنهما فقال له يا أبا الحسن بماذا تلقى الله تعالى قال له بفقري قال له الشيخ والله لئن لقيت الله بفقرك لتلقينه بالصنم الأعظم ولا تصح حقيقة الفقر الا بالغيبة عن الفقر والا كنت غنيا بفقرك اه فاذن لا وسيلة الى الله بسواه ۞ (أم كيف أشكو اليك تعالى وهي لا تخفى عليك) شكوى الحال لا تصح الا لمن هي غائبة عنه وهو غير عالم بها والله تعالى لا يخفى عليه شيء وقد قال ابراهيم الخليل على نبينا وعليه الصلاة والسلام حسبي من سؤالي علمه بحالي ۞ (أم كيف أترجم لك بمقالي وهو منك برز اليك) الترجمة بالمقال هي التعبير باللسان عما في الضمير ليقع التفهيم بذلك للمترجم له والله تعالى هو الذي أنطق اللسان وأطلقه بذلك فالترجمة من الله تعالى برزت واليه مآل أمرها والعبد لا مدخل له في ذلك فكيف ينسب اليه الترجمة ونسبة ذلك الى الله تعالى دليل على احاطة علمه بأحوال العبد فكيف يصح في حقه معنى الترجمة ۞ (أم كيف تخيب آمالي وهي قد وفدت اليك) الآمال الوافدة الى الله تعالى لا يخيبها من قبل أنها طارئة اليه ومتعلقة به ومنقطعة عما سواه والله تعالى كريم جواد متفضل منعم فليثق العبد بذلك وليكن على يقين منه وان لم يسأل ولم يطلب ۞ (أم كيف لا تحسن أحوالي وبك قامت واليك) من تحقق بالمعرفة رأى أحواله كلها حسنة لوجود قيامها بالله ورجوع أمرها اليه وهذه كلها أنواع من التعجب تعجب بها المؤلف رحمه الله نفسه من نفسه فيما هو بصدده من سؤاله وطلبه بسبب ترقيه في المعرفة التي أوجبت له رؤية نفسه وقصوره في أحواله الأول ۞ (الهي ما ألطفك بي مع عظيم جهلي وما أرحمك بي مع قبيح فعلي) شهود العبد لهذا المعنى مزيد عظيم يوجب له الحياء والانكسار فيستحسن منه حينئذ الاعتراف بالنعم فقط ۞ (الهي ما أقربك مني وما أبعدني عنك) شهود المؤلف رحمه الله تعالى شدة قرب الله تعالى منه للاراي من بعد الأغيار عنه وقصهاله اليه كما سيأتي في قوله قد دفعتني العوالم اليك وشهوده لبعده من الله عز وجل من حيث أقيم في الطلب له والطلب للشيء دليل على فقد الطالب له وبعده عنه فالمشاهدة الأولى أوجبت له ملازمة باب مولاه وانقطاع طمعه عن كل ما سواه والمشاهدة الثانية أوجبت له التلطف في سؤاله التقرب والاستغناء عن طلب القرب ومن دعاء سيدي أبي العباس المرسي رضي الله عنه يا قريب أنت القريب وأنا البعيد قربك آيسني من غيرك وبعدي منك ردني للطلب لك فكن لي بفضلك حتى تمحو طلبي بطلبك يا قوي يا عزيز ۞ (الهي ما أرأفك بي فما الذي يحجبني عنك) الرأفة أشد من الرحمة ولما شاهد رأفة ربه به غاب بهذا الشهود عن رؤية نفسه وصفتها فلذلك لم يظهر له سبب لوجود حجابه عنه ۞ (الهي قد علمت باختلاف الآثار وتنقلات الأطوار

أطوارى من الصحة والمرض والغنى والفقر والعز والذل والبسط والقبض والوجد والفقد وغير ذلك من شؤنك التي تنزلها بى (أن مرادك مني) بذلك (أن تتعرف الى) أى أن أعرفك (فى كل شىء) معرفة خاصة (حتى لا أجهلك فى شىء) ولو كان الأمر على خلاف هذا وألزمتنى حالة واحدة أرتضيها لنفسى وأختارها لكانت معرفتى ناقصة ومشاهدتى قاصرة بيان ذلك أن الله تعالى اذا أنزل بى مرضا أو فاقة عرفت فى ذلك الوقت أنه لا يقدر على دفعه الا هو وأنه الذى أمرضنى وأفقرنى فأصبر على ذلك واذا أنزل بى صحة أو غنى عرفت أنه المنعم على والمعطى لى فأشكره وهكذا ولو فرض أنه أدام لى حالة واحدة كالصحة والغنى لم أعرف المولى فى حالة المرض أو الفقر فكنت جاهلا به من حيث المرض أو الفقر أى لم أعرف بطريق الذوق أنه لا يقدر على كشف الكربة الا هو فتكون معرفتى ناقصة فينبغى للعبد أن لا يغفل عن مولاه فى عطاء ولا منع ولا عز ولا ذل ولا غنى ولا فقر ولا قبض ولا بسط ولا فقد ولا وجد الى غير ذلك (الهى كلما أخرسنى لؤمى) أى مخالفتى وعصيانى فان ذلك يقتضى عدم انطلاق لسانى بالطلب منك لأن الطلب لا يكون الا بعد التودد والتودد الى المولى بطاعته وذلك مفقود عندى لكن كلما خرست (أنطقنى كرمك) فانى اذا لاحظت أنك كريم والكريم

أن مرادك مني أن تتعرف الى فى كل شىء حتى لا أجهلك فى شىء) كان المؤلف رحمه الله يقول اختلاف الآثار على وتنقلات الأطوار بى من الصحة والمرض والغنى والفقر والعز والذل والقبض والبسط والطاعة والعصيان والفقد والوجد وغير ذلك من مختلفات أحوالى التى هى من شؤنك التى تنزلها بى علمت منها أن اردتك بى أن تتعرف الى فى كل شىء تعرفا خاصا فى حالة خاصة حتى أشاهد وحدانيتك وعظمتك وجمالك وكمالك وجلالك بحيث لا يتصور منى جهل بما أنا فيه قابل لمعرفته من جميع ذلك ولو كان الأمر على خلاف هذا وألزمتنى حالة واحدة أرتضيها لنفسى وأختارها لكانت معرفتى ناقصة ومشاهدتى قاصرة فأنا الآن أتقلب فى جنة معجلة أتبوأ منها حيث أشاء فقد استغرقنى ما أنا فيه من عظيم النوال وشغلنى ذلك عن الدعاء والسؤال وطلب السكون على ما أرتضيه من الأحوال فلك الحمد على نعمك الباطنة والظاهرة والخفية والجلية قال بعضهم فى الدنيا جنة معجلة من دخلها لم يشتق الى جنة الآخرة ولا الى شىء ولم يستوحش من شىء قيل وما هى قال معرفة الله تعالى وقال مالك بن دينار رضى الله عنه خرج الناس من الدنيا ولم يذوقوا أطيب الأشياء قيل وما هو قال المعرفة ثم قال

إنّ عرفان ذى الجلال لعزّ * وضياء وبهجة وسرور
وعلى العارفين أيضا بهاء * وعليهم من المحبة نور
فهنيئا لمن عرفك الهى * هو والله دهره مسرور

وقد روى أنه روى صورة حكيمين من الحكماء المتعبدين فى مسجد وبيد أحدهما رقعة فيها مكتوب اذا أحسنت كل شىء فلا تظنن أنك أحسنت شيئا حتى تعرف الله عز وجل وفى يد الآخر كنت قبل أن أعرف الله عز وجل أشرب وأظمأ حتى اذا عرفته رويت بلا شرب قال فى التنوير بعد كلام ذكره وانما قلنا ان الحالة زائلة عنك لا محالة لأن مراده أن ينقلك فى الأطوار ويخالف عليك الآثار ليتعرف اليك فى كل حالة خاصة بتعرف خاص فاذا أردت أن يديمك على حالة واحدة فقد أردت أن يسلك بك غير الكمال فكأنه يقول لك لا تطلب منى أن أقيمك فى حالة واحدة فلأنى لا أفعل ذلك معك أريد أن تربينى معطلة الآثار ولكن سلنى أن أشهدك لطفى حيثما أردتك وحيثما أقمتك حتى تكون بى ولى قال الله سبحانه وتعالى يسأله من فى السموات والأرض كل يوم هو فى شأن أى يمنع ويعطى ويضع ويعلى ويقبض ويبسط ويعز ويذل الى غير ذلك من مختلفات آثاره فكأنه سبحانه وتعالى يقول لك يا عبدى لا تأس على شىء ما دمت لك ولا تفرح بشىء وأنا لست لك فأنا المعوض لك عما سواى وما سواى لا يغنيك عنى ولا تكن ممن يعبدنى بالعلل فتكون من عبيد الحروف بل اعبدنى لى لأنا بكمال الغنى موصوف وبدوام الأفضال معروف قال الله عز وجل ومن الناس من يعبد الله على حرف فان أصابه خير اطمأن به وان أصابته فتنة انقلب على وجهه خسر الدنيا والآخرة لأن الذى طلبه عز لنا عنوك دائما له وهو ما طلبنا حتى تكون له ومن عبده لما سواه فهو عبد لما سواه ومن عبده لأجل جوده ونعمائه فهو عبد جوده ونعمائه لأن من أحب شيئا فهو عبد ما أحبه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تعس عبد الدينار تعس عبد الدرهم تعس عبد الخميصة تعس وانتكس واذا شيك فلا انتقش فكن عبد الله فى كل شىء عطاء ومنعا وعزا وذلا وغنى وفقرا وقبضا وبسطا وفقدا ووجدا وشدة ورخاء وفناء وبقاء الى غير ذلك من مختلفات الآثار وتنقلات الأغيار انتهى كلامه رحمه الله وقد أحسن فيه غاية الإحسان كلوه جزاه الله تعالى خيرا ﴿ الهى كلما أخرسنى لؤمى أنطقنى كرمك

لا يتوقف اعطاؤه على التودد اليه انطلق لساني بالطلب منك (وكلما آيستني) أي أوقعتني في اليأس من الاستقامة (أوصافي) الذميمة التي اقتضتها الطبيعة والجبلة فانها تقتضي اليأس من الاستقامة على طريق الحق ومن القيام بحقوق الربوبية (أطمعتني) أي جعلتني طامعا في ذلك (منتك) أي امتنانك واحسانك الذي شمل البار والفاجر (الهي من كانت محاسنه) أي أعماله الصالحة (مساوي) لعدم خلوها من دقائق العجب والرياء فهي محاسن بحسب الظاهر وعند الناس ومساوي في الواقع وعند الله (فكيف لا تكون مساويه) أي عيوبه وأعماله السيئة (مساوي) أي عيوبا تامة عظيمة فقد اختلف الخبر والمبتدأ بهذا الاعتبار ويحتمل أن المعنى فكيف لا تكون مساويه في الواقع ونفس الأمر مساوي عنده فهو لا يعتقد الكمال من نفسه ولا ينظر الى عيوبه بعين الاحتقار فلا يعدها عيوبا كما هو حال الغافلين (ومن كانت حقائقه) أي علومه ومعارفه التي يعرفها الناس مني (دعاوي) عندي وفي اعتقادي (فكيف لا تكون دعاويه دعاوي) فيه ما تقدم وكأنه يقول أنا في جميع الأحوال معتقد التقصير من نفسي ومترجي العفو من الله وليس لي حالة أعتقد بها الكمال وهذا مثل ما تقدم من أن الكمال المنسوب الى العبد نقصان على التحقيق فاظنك بنقصانه (الهي حكمك) أي قضاؤك (النافذ) وقوله (ومشيئتك القاهرة) تفسير لما قبله ووصف

(٩٤)

المشيئة بذلك لأنها ان تعلقت بحصول نقمة وبلية كانت قاهرة أو بحصول نعمة وعطية كانت غير قاهرة (لم يترك لذي مقال مقالا) فاذا كان ذا قول سديد بأن كان ينطق بالحقائق ويتكلم في العلوم العرفانية لم يغتر بذلك فقد حكم الله ونفذت مشيئته بسلب غيره كبلعام بن باعوراء (ولا لذي حال حالا) فاذا كان ذا حال جيد بأن كان يحصل له كشف عن أمور تحصل في الكون أو تطيعه بعض الجمادات والعناصر لم يغتر بذلك فقد حكم الله ونفذت مشيئته بسلب غيره كما هو مشاهد كثيرا فهذا المعنى يوجب للعبد التحقق في مقام

وكلما آيستني أوصافي أطمعتني منتك) لوم العبد ومخالفته وعصيانه يخرس لسانه عن السؤال والطلب وكرم المولى وفضله واحسانه ينطقه بذلك وأوصاف العبد الذميمة التي اقتضتها طبيعته وجبلته تؤيسه من حصول الاستقامة على طريق الحق ومنن الله تعالى التي شملت البر والفاجر تطمعه في ذلك ۞ (الهي من كانت محاسنه مساوي فكيف لا تكون مساويه مساوي ومن كانت حقائقه دعاوي فكيف لا تكون دعاويه دعاوي) هذا مثال ما تقدم من أن الكمال المنسوب الى العبد نقصان على التحقيق فما ظنك بنقصانه ۞ (الهي حكمك النافذ ومشيئتك القاهرة لم يتركا لذي مقال مقالا ولا لذي حال حالا) شهود هذا المعنى يوجب للعبد مقام الخوف والتحقق فيه فان كان ذا قول سديد وحال جيد لم يقطع ببقاء ذلك ولم يغتر بما هنالك لنفوذ حكم الحق تعالى وقهر مشيئته ۞ (الهي كم من طاعة بنيتها وحالة شيدتها هدم اعتمادي عليها عدلك بل أقالني منها فضلك) الطاعة صفة ظاهر العبد والحالة صفة باطنه وبناؤه للطاعة هو اقامتها على الوجه المأمور به من الوفاء بجميع أركانها وشرائطها وما يتعلق بها من حقوق وآداب وتشييده للحالة هو تزيينها وتطهيرها وصيانتها عما يكدر صفاءها ويكسف ضياءها وكأنه لما فعل هذين الأمرين رأى أنه تحصن بحصن حصين وأوى الى ركن متين لكن لما شاهد عدل الله تعالى هدم عليه ذلك لأن مقتضاه أن يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد ولا يبالي بأعمال العاملين فلما شاهد فضله وكرمه أقاله من ذلك بأن جعل له من التعلق به والاعتماد عليه بدلا منه وعوضا عنه ونعم البدل والعوض فسبحان المتفضل المنان ۞ (الهي أنت تعلم وان لم تدم الطاعة مني فعلا جزما فقد دامت محبة وعزما) جعل عزمه على الطاعة ومحبته لها وان لم يدم عليها فعلا أحدي وسائله وذلك صحيح وكم من شخص قد طرد وأبعد لم يكن عنده عزم ولا فعل جزم

الخوف وعدم الاغترار بشيء من أقواله وأحواله لنفوذ حكم الله تعالى وقهر مشيئته (الهي كم من طاعة) ظاهرية (بنيتها) أي أقمتها على الوجه المأمور به في الظاهر بأن وفيت بجميع شروطها وأركانها وآدابها (وحالة شيدتها) أي زينتها وصنتها عما يكدر صفاءها بأن أخلصت فيها اخلاصا تاما والحالة هي الطاعة فعطفها عليها من عطف المرادف أي ولما فعلت هذين الأمرين من البناء والتشييد رأيت أني تحصنت بحصن حصين وأويت الى ركن متين ولكن (هدم اعتمادي عليها) في النجاة من العذاب ودخول الجنة دار الثواب (عدلك) أي النظر الى عدلك فان مقتضاه أنك تفعل ما تشاء ولا تبالي بأعمال العاملين فمن الجائز أنك تعاقبني على تلك الطاعة (بل أقالني منها) أي من الاعتماد عليها والتعلق بها (فضلك) أي النظر الى فضلك وكرمك واحسانك فصرت معتمدا عليه ومتعلقا به لا بطاعتي فصار التعلق والاعتماد على الاحسان والفضل لا على الطاعة ونعم البدل والعوض (الهي أنت تعلم وان لم تدم الطاعة مني فعلا جزما) أي أن عدم دوامها فعلا مجزوما به لعجزي عن ذلك ومقتضى العبودية أن أداوم عليها فأنا مقصر (فقد دامت محبة وعزما) أي أنا مداوم عليها من حيث محبتي لها وعزمي عليها وأنت تعلم تلك فلا تؤاخذني بتقصيري بل مداومتي على هذا الوجه فضل عظيم والا فكم من شخص محروم ليس عنده فعل ولا محبة ولا عزم ثم الواو الداخلة على أداة الشرط زائدة ومتعلق العلم هو جواب الشرط كما تقرر ثم ردد في وقوع العزم منه

بقوله (الهي كيف أعزم) أي يقع مني عزم على فعل الطاعات وترك المنهيات (وأنت القاهر) فيمكن أن يقع مني عزم على ذلك ثم يصدني عنه قهرك فيكون العزم لا فائدة فيه لا يعتد به (وكيف لا أعزم وأنت الآمر) لي بالعزم على ذلك ومقتضى الأمر المبادرة الى العزم فأنا متحير وعاجز عن تدبير أمري ولا يسعني الا التسليم اليك والاعتماد عليك ولذا كان العارفون لا يعزمون بشيء من الأشياء بل يفوضون الأمر الى الله تعالى فقد قالوا العارف لا قلب له (الهي ترددي في الآثار) أي المكونات على سبيل التعلق بها والاستناد اليها أو على سبيل الاستدلال بها على الله تعالى (يوجب بعد المزار) أي الوصول (٩٥) اليك ومشاهدتك (فاجمعني عليك) أي أوقفني بين يديك (بخدمة) أي طاعة من أذكار ورياضات ومجاهدات (توصلني اليك) وتقطع التعلق بالآثار عن قلبي فلا أتعلق بمكاشفات ولا أحوال ومقامات كما تقدم في قوله لا ترحل من كون الى كون الخ ولا أستدل بها على موجدها كما قال (الهي كيف يستدل عليك بما هو في وجوده) أي ثبوته وتحققه خارجا (مفتقر اليك) وهو المكونات فانها في ذاتها عدم محض كما مر (أيكون لغيرك من الظهور ما ليس لك حتى يكون هو المظهر لك) فان الدليل يكون أظهر من المدلول حتى يستدل به عليه كأصحاب النظر والاستدلال حالهم قبيح بالنسبة الى أصحاب الشهود والعيان ويقال لهم عوام بالنسبة لهم كما تقدم عند قوله شتان بين من يستدل به ومن يستدل عليه * ثم رقي في نفي الاستدلال بقوله (متى غبت حتى تحتاج الى دليل يدل عليك ومتى بعدت حتى تكون الآثار) أي المكونات (هي التي توصل اليك) أي الى معرفتك ولذا قال مريد لشيخه يا أستاذ أين الله فقال ويحك وهل يطلب مع العين أين (الهي عميت عين) المراد بها عين البصيرة وهذا يحتمل أن يكون اخبارا وأن يكون دعاء بدوام العمى لأن أصله حاصل (لا تراك عليها رقيبا) أي حفيظا مراقبا لها لمن رأى الله رقيبا عليه يعلم جميع أحواله لا يخفى عليه منها شيء استحيا منه وهابه أن يراه على ما يكرهه منه ومن لم يكن على هذا الوصف عميت عين بصيرته فبارز مولاه بأنواع القبائح من غير اكتراث ولا مبالاة ولذا ورد في الحديث أفضل ايمان المرء أن يعلم ان الله معه حيث كان

(الهي كيف أعزم وأنت القاهر وكيف لا أعزم وأنت الآمر) استبعد من نفسه وقوع العزم منه وجعل مستند ذلك شهود القهر لأن من شهد قهره بطل عزمه لأنه الغالب واستبعد أيضا عدم العزم وجعل مستند ذلك شهود الأمر لأن من شهد أمره بادر الى امتثاله وعجز من اغفاله واهماله (الهي ترددي في الآثار يوجب بعد المزار فاجمعني عليك بخدمة توصلني اليك) شكا الى مولاه عز وجل طول تردده في الآثار وهي الأكوان وأخبر أنه يوجب له بعد المزار وهو البعد عن شهود التوحيد وكمال المعرفة وقد تقدم هذا المعنى عند قوله لا ترحل من كون الى كون ثم سأله وطلب منه أن يختصر له طريق سلوكه ويقربه عليه ويجمعه من مفترقات الآثار بخدمة تظهر فيها عبوديته ويصل بها الى مولاه من غير تردد ولا طول (الهي كيف يستدل عليك بما هو في وجوده مفتقر اليك أيكون لغيرك من الظهور ما ليس لك حتى يكون هو المظهر لك متى غبت حتى تحتاج الى دليل يدل عليك ومتى بعدت حتى تكون الآثار هي التي توصل اليك) هذا تقبيح لأحوال المستدلين على ربهم وهم أصحاب النظر والاستدلال بالنسبة الى أهل المقام الآخر وهم أرباب الشهود والعيان قال أبو بكر محمد بن علي الكتاني رضي الله عنه وجود العطاء من الحق شهود الحق بالحق لأن الحق دليل على كل شيء ولا يكون شيء دونه دليلا عليه قال في لطائف المنن وأرباب الدليل والبرهان عوام عند أهل الشهود والعيان فقدسوا الحق في ظهوره أن يحتاج الى دليل عليه وكيف يحتاج الى دليل من نصب الدليل وكيف يكون معرفا من هو المعرف له قال الشيخ أبو الحسن رضي الله عنه كيف يعرف بالمعارف من به عرفت المعارف أم كيف يعرف بشيء من سبق وجوده وجود كل شيء وقال مريد لشيخه يا أستاذ أين الله فقال له ويحك أيطلب مع العين أين وقد تقدم هذا المعنى عند قوله شتان بين من يستدل به ومن يستدل عليه (الهي عميت عين لا تراك عليها رقيبا) الرقيب الحفيظ ومن رأى الله تعالى رقيبا عليه يعلم جميع أحواله لا يخفى عليه منها شيء استحيا منه وهابه أن يراه على ما يكرهه منه وقد قيل اذا عصيت مولاك فاعصه في موضع لا يراك ومن لم يكن على هذا الوصف وغفل عن نظر الله تعالى اليه عميت عين بصيرته فبارز الله تعالى بأنواع القبائح والفضائح من غير اكتراث ولا مبالاة وقد سئل بعضهم بم يستعين الرجل على حفظ بصره من المحظورات قال بعلمه بأن رؤية الحق سبحانه تسبق نظره الى تلك المحظورات وقال الله عز وجل وما تكون في شأن وما تتلوا منه من قرآن ولا تعملون من عمل الا كنا عليكم شهودا اذ تفيضون فيه قال الامام أبو القاسم القشيري رضي الله عنه خوفهم بما عرفهم من اطلاعه عليهم في جميع أحوالهم ورؤيته لما يسلفونه من فنون أعمالهم والعلم بأنه يراهم يوجب استحياءهم منه وهذا هو حال المراقبة فالعبد اذا علم بأن مولاه يراه استحيا منه وترك متابعة هواه ولا يحوم حول ما نهاه

(وخسرت صفقة) أي تجارة (عبد لم يجعل له من حبك نصيبا) أي حبك له أو حبه لك والأول هو الأصل في الثاني قال تعالى يحبهم ويحبونه وحب الله لعبده إحسانه إليه وثناؤه عليه وحب العبد لله طاعته وموافقة أمره وتعظيمه وهيبته وانجذابه بقلبه إليه فمن أعطاه الله من ذلك الحب نصيبا فقد فاز ومن حرمه منه وشغله بالدنيا فقد خسر تجارته وهي تلك الأمور الدنيوية التي يتقلب فيها أي خسر في تجارته وكانت تجارته خاسرة لا عبرة بها (إلهي أمرت بالرجوع إلى الآثار) أي المكونات من الأموال والعيال وغيرهم أي ملابستها ومخالطتها بعد غيبتي عنها بالوصول إليك ومشاهدتك فإن المريد إذا وصل إلى المولى غاب عن الأكوان ثم إذا خالطها بمقتضى الأمر ربما شغلته عن مولاه واحتجب بها عنه فلذا قال (فارجعني إليها) شكوا (بكسوة الأنوار) أي بكسوة هي

عنه وفي حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أفضل إيمان المرء أن يعلم أن الله معه حيث كان ۞ (وخسرت صفقة عبد لم يجعل له من حبك نصيبا) محبة الله تعالى لعبده هو رحمته له وثناؤه عليه وإحسانه إليه ومحبة العبد له عز وجل طاعته وموافقة أمره وتعظيمه وهيبته والحب المضاف إلى الكاف في قوله من حبك يحتمل أن يضاف إلى الفاعل وإلى المفعول والظاهر كونه مضافا إلى الفاعل لأنه أبلغ وأمدح ولأن محبة الله تعالى لعبده أصل محبة العبد له قال الله تعالى يحبهم ويحبونه فمن أعطاه الله تعالى من الحب المذكور نصيبا فقد حاز ربح الدارين وفاز بقرة العين ومن حرمه ذلك فقد خسرت صفقته وبان غبنه وخيبته وفي بعض الكتب المنزلة على بعض الأنبياء عليهم الصلاة والسلام يا عبدي أنا لك محب فبحقي عليك كن لي محبا وحكي عن بعضهم أنه قال اشتريت جارية فسمعتها في شطر الليل وهي تقول إلهي بحبك إياي إلا ما غفرت لي فقلت لها لا تقولي هكذا ولكن قولي بحبي إياك فقالت يا سيدي بمحبته إياي من علي بالإسلام وأيقظني للعبادة ونوم كثير من عباده نيام قال زيد بن أسلم إن الله عز وجل ليحب العبد حتى يبلغ من حبه له أن يقول له اصنع ما شئت فقد غفرت لك ۞ (إلهي أمرت بالرجوع إلى الآثار فارجعني إليها بكسوة الأنوار وهداية الاستبصار حتى أرجع إليك منها كما دخلت إليك منها مصون السر عن النظر إليها ومرفوع الهمة عن الاعتماد عليها إنك على كل شيء قدير) الآثار التي أمر العبد بالرجوع إليها بعد وصوله إلى صريح المعرفة وخالص التوحيد هي المكونات التي يلزمه إذا تلبس بها حق أو يكون له فيها منفعة وحظ فسأل الله تعالى أن يرجعه إليها على حالة شريفة مضادة للحالة التي كان عليها قبل السلوك وهو كونه مكسوا بكسوة الأنوار وهي أنوار اليقين ومؤيدا بهداية الاستبصار وهي العلم الراسخ المتين فإذا رجع العبد إلى الآثار على هذا الأسلوب والمعيار لم تؤثر فيه ولم تأخذ منه لكمال حريته عنها وكان رجوعه إلى مولاه في مآل أمره في مثل دخوله فيها عليه في ابتداء أمره سالكا مصون السر عن النظر إليها بعين الاستحسان مرفوع الهمة عن الاعتماد عليها في نوال أو إحسان وقد تقدم هذا المعنى عند قوله فإن نزلوا إلى سماء الحقوق أو أرض الحظوظ إلى آخره ۞ وقال رضي الله عنه ۞ (إلهي هذا ذلي ظاهر بين يديك وهذا حالي لا يخفى عليك) هذا إظهار منه على مولاه ومبالغة في بث شكواه وتلطف في سؤال رحماه وبمثل هذا يرجى إجابة الدعاء واستحقاق جزيل العطاء وقد قالوا أبواب الملوك لا تقرع بالأيدي بل بنفس المحتاج ۞ وقال بعضهم قلت للنهرجوري أجد في قلبي قسوة وقد شاورت فلانا فأشار علي بالصوم فلم تزل وشاورت آخر فأشار علي بالسهر فلم تزل فقال النهرجوري رضي الله عنه خطأ بك احضر الملتزم إذا نام الناس وتضرع وقل تحيرت

الأنوار الإلهية التي تمنع من تعلقي بها واحتجابي بها عنك (وهداية الاستبصار) أي هداية ناشئة عن الاستبصار أي الشهود بعين البصيرة حتى أرجع إليك منها) أي أشاهدك فيها وفي بعض النسخ فيها وهي بمعنى ما قبلها (كما دخلت إليك منها) بالاستدلال بها عليك والاعتبار بها فإن المريد حينئذ محجوب عن مولاه فيتنقل في الآثار حتى يصل إليه والضمير في الموضعين للآثار لا بالمعنى للتقدم بل بمعنى الموجودات من السماء والأرض وما بينهما ولو حذف ذلك هنا لكان أولى (مصون السر عن النظر إليها) أي التعلق بها في اعتقاد نفع أو دفع ضرر وقوله (ومرفوع الهمة عن الاعتماد عليها) بمعنى ما قبله ويحتمل أن مصون السر عن النظر إليها هو عدم استحسان شيء منها في نظره ورفع الهمة في الاعتماد هو عدم التعلق بها فيما ذكر

والحاصل أنه سأل المولى أنه إذا أرجعه إلى الأكوان والتلبس بها يرجعه إليها على حالة شريفة مضادة للحالة التي كان عليها قبل السلوك وهي كونه ممكسوا بكسوة الأنوار وهداية الاستبصار فإنه إذا رجع إليها على هذه الحالة لم تؤثر فيه ولم تحجبه عن مولاه وهذا المعنى غير ما تقدم في قوله فإذا نزل إلى سماء الحقوق الخ كما هو ظاهر مما قررناه سابقا (إنك على كل شيء قدير) ومنه تحصيل تلك المطالب السنية (إلهي هذا ذلي ظاهر بين يديك) وهو في الحقيقة عين العز والفخر قال ذو النون المصري ما أعز الله عبدا بعز هو أعز له من أن يدله على ذل نفسه وما أذل الله عبدا بذل هو أذل له من أن يحجبه عن ذل نفسه اهـ وقوله (وهذا حالي لا يخفى عليك) بمعنى ما قبله والقصد بذلك طلب حصول مطالبه

من مولاه (منك أطلب الوصول اليك) أى أطلب منك لا من غيرك الوصول اليك لا غيره من المطالب الدنيوية والأخروية وهذا مطلب العارفين كما مر (وبك أستدل عليك) اى بك من أستدل عليك وأعرفك بك لا بغيرك من الدليل والبرهان قيل لبعض العارفين بم عرفت ربك قال عرفت ربى بربى ولولا ربى ما عرفت ربى وقال بعضهم لا دليل على الله سواه وانما العلم يطلب لآداب الخدمة (فاهدنى بنورك) أى بنور تقذفه فى قلبى اهتدى به (اليك) أى الى معرفتك معرفة خاصة (٩٧) (وأقمنى بصدق العبودية بين يديك) أى أقمنى بين يديك بأن تجعلنى حاضر القلب معك حال كونى مصاحبا الصدق العبودية أى للعبودية الصادقة بأن لا يظهر على شئ من أوصاف الربوبية بل أكون متصفا بغاية العجز والذل والضعف والقهر ولا يظهر على شئ من قوة أو عز أو قدرة أو غنى (الهى علمنى من علمك المخزون) اضافة ذلك العلم اليه اضافة تشريف والعلم المخزون هو العلم اللدنى الذى اختزنه عنده فلم يؤته الا المخصوصين من أوليائه قال تعالى فى شأن الخضر عليه السلام وعلمناه من لدنا علما وفى حديث أبى هريرة رضى الله عنه أنه صلى الله عليه وسلم قال ان من العلم كهيئة المكنون لا يعلمه الا العلماء بالله فاذا نطقوا به لا ينكره الا أهل الغرة بالله وقال بعضهم هو أسرار الله يبديها الى أنبيائه وأوليائه وسادات النبلاء من غير سماع ولا دراسة اه (وصنى) أى احفظنى عن رؤية الأغيار أو عن الباحثين بتلك العلوم والاسرار (بسر اسمك المصون) أى أسمائك المصونة أى المحفوظة عن الابتذال والاهانة فانه لا يجوز أن يدخل بها فى بيت الخلاء مثلا أو عن أن يسمى بها غيره سبحانه وسرها أنوار وتجليات تحصل لمن يذكرها (الهى حققنى بحقائق أهل القرب) أى أعطنى مقامات أهل القرب منك الذين تحققوا فى مقام الفناء فبطل فى حقهم رؤية الأسباب وزال عنهم كل حجاب فلم يروا غيرك واكتفوا بتدبيرك عن تدبير أنفسهم بعلمك عن الشكوى لغيرك (واسلك بى مسالك أهل الجذب) وهم المحبوبون المرادون فكأنه

فى أمرى نخذ بيدى ففعل فزالت القسوة وقال الشاعر

ورامت الدخول عليه حتى ❊ حلت محلة العبد الذليل
وأغضيت الجفون على قذاها ❊ وصنت النفس عن قال وقيل

وذل العبد للمولى غناه ❊ وغايته الى العز الطويل

فذل العبد لمولاه غاية العز والفخر وقال ذو النون المصرى رضى الله عنه ما أعز الله عبدا بعز هو أعزله من أن يدله على ذل نفسه وما أذل الله عبدا بذل هو أذل له من أن يحجبه عن ذل نفسه ۞ (منك أطلب الوصول اليك) هذه صفة العارفين المحققين لا يسبق نظرهم الا الى الله ولا يطلبون الا منه ولا يكون مطلبهم الا الوصول اليه لا غير ۞ (وبك أستدل عليك) أى لا بغيرك لأنك الظاهر قبل وجود كل شئ ظاهر بل بظهورك خفيت المظاهر وقيل لبعض العارفين بم عرفت ربك فقال عرفت ربى بربى ولولا ربى ما عرفت ربى وقال أبو القاسم النصر اباذى رضى الله عنه الأشياء أدلة منه ولا دليل عليه سواه وقال أحمد بن أبى الحوارى رضى الله عنه دليل على الله سواه وانما العلم يطلب لآداب الخدمة ۞ (فاهدنى بنورك اليك) وهو نور الايمان واليقين ۞ (وأقمنى بصدق العبودية بين يديك) حتى أكون ممتثلا لأمرك مستسلما لقهرك ۞ (الهى علمنى من علمك المخزون) اضافة العلم الى الله ههنا اضافة تشريف والعلم المخزون هو العلم اللدنى الذى اختزنه عنده فلم يؤته الا المخصوصين من الأولياء كما قال الله تعالى فى شأن الخضر عليه السلام وعلمناه من لدنا علما وفى حديث أبى هريرة رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال ان من العلم كهيئة المكنون لا يعلمه الا العلماء بالله تعالى فاذا نطقوا به لا ينكره الا أهل الغرة بالله وقال بعضهم هى أسرار الله تعالى يبديها الله الى أنبيائه وأوليائه وسادات النبلاء من غير سماع ولا دراسة وهى من الأسرار التى لم يطلع عليها أحد الا الخواص وقال أبو بكر الواسطى رضى الله عنه فى قوله تعالى والراسخون فى العلم هم الذين رسخوا بأرواحهم فى غيب الغيب وفى سر السر فعرفهم ما عرفهم وخاضوا بحر العلم بالفهم لطلب الزيادة فانكشف لهم من مذخور الخزائن والمخزون تحت كل حرف وآية من الفهم وعجائب النظر فاستخرجوا الدرر والجواهر ونطقوا بالحكمة ۞ (وصنى بسر اسمك المصون) الصون المطلوب هو صيانته عن رؤية الأغيار بما يتجلى لقلبه من سر الأسرار ۞ (الهى حققنى بحقائق أهل القرب) وحقائق أهل القرب هى الفناء فى التوحيد والتحقق بالتجريد فتبطل فى حقهم رؤية الأسباب ويزول عن مطمح نظرهم كل ستر وحجاب كما قال سيدى أبو الحسن رضى الله عنه فى حزبه الكبير واقرب منى بقدرتك قربا تمحق به عنى كل حجاب محقته عن ابراهيم خليلك فلم يحتج لجبريل رسولك ولا لسؤاله منك وحجبته بذلك على نار عدوه وكيف لا يحجب عن مضرة الأعداء من غيبته عن منفعة الأحباء كلا انى أسألك أن تغيبنى بقربك منى حتى لا أرى ولا أحس بقرب شئ ولا ببعده عنى انك على كل شئ قدير ۞ (واسلك بى مسالك أهل الجذب) أهل الجذب هم المحبوبون وتمسالكهم فى غاية السهولة لا تعب عليهم فيها ولا مشقة بل يجدون اللذة والحلاوة فى أعمالهم وذلك من قبل أنه أخرجهم من

يقول اجذبني اليك حتى يسهل على سلوك الطريق وأصل اليك في أقرب مدة وأجذبني رجلاوة في الأعمال كما هو حال أهل الجذب الذين أخرجتهم عن حكم أنفسهم وتوليتهم بحفظك ورعايتك من غير مجاهدة ولا مكابدة (الهي أغنني بتدبيرك لي) (عن تدبيري وباختيارك لي عن اختياري) فان تدبيري أحوال نفسي واختياري شيئا من الأشياء بمقتضى شهوتي وميلي منازعة لك في ربوبيتك لأنك المنفرد بالتدبير والاختيار (وأوقفني على مراكز اضطراري) المراكز جمع مركز وهو موضع الاستقرار والثبوت أي مواضع اضطراري كالذل والعجز والفقر شبهت بالمواضع التي يستقر فيها فهي مواضع اعتبارية ينبغي للعبد أن لا يفارقها بل يلازمها كما يلازم الشخص مكانه الذي يستقر فيه ومعنى وقوفه عليها ملاحظتها وعدم غيبته عنها أي اجعلني ملاحظا لفقري وعجزي وذلي التي هي مواضع اضطراري أو ملازمتها وتحققه بها أي اجعلني ملازما لها ومتحققا بها واضافتها الى الاضطراري باعتبار كونها يحصل عندها اضطرار العبد للمولى واحتياجه له (الهي أخرجني من ذل نفسي) من اضافة المصدر للمفعول أي من كوني أذل نفسي لغيرك بالطمع والحرص أو للفاعل أي من كون نفسي تذلني وتوقعني فيما لا يليق (وطهرني من شكي وشركي) الشك ضيق الصدر عند احساسه بأمر مكروه فاذا ضاق أظلم القلب وأصابه الهم والحزن وطهارته منه بوجود ضده وهو اليقين اذ به يتسع الصدر وينشرح فيستنير القلب ويجد الروح والفرح بالله تعالى وبقدر ما يصيبه من نور اليقين يكون انشراحه واتساعه والشرك تعلق القلب بالأسباب عند غفلته عن المسبب ونسيانه له ومبدأ ذلك هيجان الشهوة عن استيلاء ظلمة الشك على القلب فيفزع حينئذ الى الأسباب التي يتوصل بها الى بغيته اذ لا يرى غيرها وطهارته منه بضده وهو نور التوحيد الذي يقذفه الحق في قلبه فتطمئن بذلك نفسه وتسكن من الشره والطيش الذي أصابها وكلما قوي نور التوحيد في قلبه كان خلاصه من الشرك أكبر (قبل حلول رمسي) أي قبري اذ ليس بعده تطهير الا بالنار (بك أستنصر) أي أطلب النصرة على نفسي وشيطاني وهواي (فانصرني) عليها (وعليك أتوكل) في تحصيل مطالبي (فلا تكلني) الى غيرك وان كنت لست صادقا في توكلي (واياك أسأل فلا تخيبني) وان كنت أهلا للخيبة (وفي فضلك أرغب فلا تحرمني) وان كنت أهلا للحرمان أي أرغب في فضلك لا في فضل غيرك وقولنا ان كنت الخ جواب عما يقال ان من توكل على الله وحده كفاه فلا حاجة لقوله فلا تكلني ومن سأله وحده لم يخيبه ومن رغب في فضله وحده لم يحرمه فلا حاجة لقوله فلا تخيبني ولا تحرمني

أسر نفوسهم وتولاهم بكلاءته ورعايته من غير مجاهدة منهم ولا مكابدة ۞ (الهي أغنني بتدبيرك عن تدبيري وباختيارك لي عن اختياري وأوقفني على مراكز اضطراري) المنفرد بالتدبير والاختيار والمشيئة والاقدار هو الله عز وجل فمن كان له دعوى في شيء من ذلك فقد نازع الله تعالى في ربوبيته وخلع عن عنقه ربقة عبوديته فلذلك سأله وطلب منه أن يغنيه عن تدبيره واختياره وأن يوقفه على مراكز اضطراره ليكون متحققا بصفاته ومتعلقا بصفات مولاه وقد تقدم هذا المعنى غير مرة والمراكز مواضع الاستقرار والثبوت وهي استعارة حسنة ۞ (الهي أخرجني من ذل نفسي) ذل النفس الذي طلب الاخراج منه هو ذلها لغير الله تعالى بالطمع والحرص وقد تقدم هذا المعنى عند قوله ما بسقت أغصان ذل الا على بذر طمع ۞ (وطهرني من شكي وشركي قبل حلول رمسي) الشك والشرك هما سبب وجود الطمع والحرص الموجبين لوقوع الذل والهوان وهذه الأوصاف كلها مجانبة لحقائق الايمان والتوحيد عافانا الله منها والشك ضيق الصدر عند احساس النفس بأمر مكروه يصيبها فاذا ضاق صدره بسبب ذلك أظلم قلبه وأصابه من أجله الهم والحزن وطهارته منه انما تكون بوجود ضده وهو اليقين فبه يتسع الصدر وينشرح ويزول عنه الحرج والضيق وبقدر امتلاء القلب من نور اليقين يكون انشراح الصدر واتساعه وعند ذلك يجد القلب الروح والفرح بالله تعالى وبفضله وفي الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى بقسطه وعدله جعل الروح والفرح في الرضا واليقين وجعل الهم والحزن في الشك والسخط والشرك تعلق القلب بالأسباب عند غفلته عن المسبب ونسيانه له تعلق الصيد بالشرك ويكون مبدأ ذلك هيجان الشهوة عند استيلاء ظلمة الشك على القلب فيحاول حينئذ الهوى فيفزع اذ ذاك الى الأسباب التي يتوصل بها الى بغيته اذ لا يرى غيرها فيرتبك من أجل ذلك في حبائل الشرك وطهارته منه بضده وهو نور التوحيد الذي يقذفه الحق تعالى في قلبه فتطمئن بذلك نفسه وتسكن عن الشره والطيش الذي أصابها وكلما قوي نور التوحيد في قلبه كان خلاصه من الشرك أكثر فتمحي عنه الأسباب ويثبت فيه خالص التوحيد فاذا تطهر العبد من الشك والشرك تولاه الله تعالى بالهداية والتسديد والمعونة والتأييد وفي أخبار داود عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام ان الله أوحى اليه يا داود هل تدري متى أتولاهم اذا طهروا قلوبهم من الشرك ونزعوا من قلوبهم الشك ۞ (بك أستنصر فانصرني وعليك أتوكل فلا تكلني واياك أسأل فلا تخيبني وفي فضلك أرغب فلا تحرمني

(ولجنابك) أي ذاتك والاضافة للبيان (أنتسب) لا لغيرك (فلا تبعدني) عن بابك (وببابك أقف) بالسؤال وفيه تشبيه المولى بملك عظيم يقف الطالبون ببابه (فلا تطردني) عنه (إلهي تقدس) أي تنزه (رضاك) وهو الاحسان أو ارادته (عن أن تكون له علة) ناشئة (منك) والا لكنت محتاجاً الى تلك العلة لتتكمل بها (فكيف تكون له علة مني) كأعمالي وأحوالي فرضا المولى لا يتوقف على سبب ولا علة بل رضاه وسخطه مما سبب لأعمال العاملين حسنها وسيئها رضي عن قوم فاستعملهم في خدمته وسخط على قوم فشغلهم بما يبعد عن حضرته (أنت الغني بذاتك عن أن يصل اليك النفع منك فكيف لا تكون غنياً عني) (٩٩) هذا كالتعليل لما قبله وقصد المصنف بهذه المناجاة الاسترضاء والاستعطاف وطلب المسامحة والتجاوز عن أعماله المدخولة وأحواله المعلولة (إلهي ان القضاء) وهو ارادة الله مع التعلق (والقدر) وهو ايجاد الله الأشياء على قدر معلوم ومقدار معين (غلبني) فكلما أعزم على طاعة أو ترك معصية لا يتيسر لي ذلك (وان الهوى) أي ميل النفس الى مرادها ومشتهياتها (بوثائق الشهوة) أي بالشهوة الشبيهة بالوثائق أي القيود (أسرني) أي قيدني (فكن أنت النصير لي حتى تنصرني) على أعدائي أي النفس وجنودها (وتنصر بي) أي تنصر أحبابي وأصحابي على أعدائهم بسببي قال الشاذلي قدس الله سره واجعلنا سبب الغنى لأوليائك وبرزخاً بينهم وبين أعدائك (وأغنني بفضلك) أي شهودك (حتى أستغني بك) أي بشهودك (عن طلبي) منك لأن من كان مشاهداً للحق حاضراً معه يستحي أن يطلب منه شيئاً لرؤيته أنه مطلع على حاله لا يخفى عليه شيء منها ومن كان كذلك لا معنى للطلب منه قال الشاذلي قدس الله سره والسعيد حقاً من أغنيته عن السؤال منك (أنت الذي أشرقت الأنوار) أي المعارف والأسرار (في قلوب أوليائك حتى عرفوك ووحدوك وأنت الذي أزلت الأغيار) أي المكونات والتعلق بها (من قلوب أحبابك حتى لم يحبوا سواك ولم يلجؤوا الى غيرك) وهم أولياؤك وهذا من عطف السبب على المسبب لأن زوال الأغيار سبب في شروق الأنوار (أنت المؤنس لهم) أي المدخل للسرور على قلوبهم بتجليك (حيث

ولجنابك أنتسب فلا تبعدني وببابك أقف فلا تطردني) تعلق بالله تعالى في كل مطلب من هذه المطالب وأضرب عن الوسائط والأسباب وذلك من تحققه بالتوحيد الذي سأل من مولاه أن يحققه به وتطهيره من أضداده ومعاني هذه الكلمات قريب بعضها من بعض قال أبو الحسن علي بن هند الفارسي رضي الله عنه اجتهد في أن لا تفارق باب سيدك بحال فانه ملجأ الكل فمن فارق تلك السدة لا يرى بعدها لقدميه قراراً ولا مقاماً ۞ (إلهي تقدس رضاك أن تكون له علة منك فكيف تكون له علة مني) رضا الله تعالى صفة من صفاته وصفاته قديمة لذلك امتنع عليها شقية العلل والقديم لا يكون مسبوقاً بشيء واذا كانت صفاته العلية منزهة على أن يكون لها علة منه فكيف يكون لها علة من غيره فرضا الله تعالى لا علة له ولا سبب بل رضاه وسخطه هما سبب أعمال العاملين حسنها وسيئها رضي عن قوم فاستعملهم باستعمال أهل الرضا وسخط على قوم فاستعملهم باستعمال أهل السخط قال أبو بكر الواسطي رضي الله عنه الرضا والسخط نعتان من نعوت الحق يجريان على الأبد بما جريا في الأزل يظهر أن الرسمين على المقبولين والمطرودين فقد بانت شواهد المقبولين بضيائها عليهم كما بانت شواهد المطرودين بظلامها عليهم فأنى تنفع من ذلك الألوان المصفرة والأكمام المقصرة والأقدام المتنفخة ۞ (أنت الغني بذاتك عن أن يصل اليك النفع منك فكيف لا تكون غنياً عني) الكلام في الغنى كالكلام في الرضا وكأن المؤلف رحمه الله قصد في مناجاته بهذه الكلمات الاسترضاء والاستعطاف فطلب المسامحة والتجاوز عن أعماله المدخولة وأحواله المعلولة وذلك من أحسن المقاصد للداعي ۞ (إلهي ان القضاء والقدر غلبني وان الهوى بوثائق الشهوة أسرني فكن أنت النصير لي حتى تنصرني وتنصر بي وأغنني بفضلك حتى أستغني بك عن طلبي) هذا اعتذار واعتراف والله تعالى أكرم من أن يرد عذر من اعتذر اليه أو يخيب أمل من اعترف بذنبه وأقر بها ويقال ان العبد يبتهل الى الله تعالى في الاعتذار والحق سبحانه وتعالى يقول له عبدي لو لم أقبل عذرك لما وفقتك للاعتذار وقال الكتاني رضي الله عنه لم يفتح الله تعالى لسان المؤمن بالمعذرة الا لفتح باب المغفرة فلا جرم لما وثق بذلك وقوي رجاؤه فيه طلب منه النصرة له على أعدائه ولم يقتصر على ذلك بل أضاف اليه طلب النصرة به لتكون تلك النصرة بسببه وعلى يديه كما قال أبو الحسن رضي الله عنه واجعلنا سبب الغنى لأوليائك وبرزخاً بينهم وبين أعدائك ثم لم يقنع بذلك حتى طلب منه أن يغنيه بما يستغني به عن الطلب منه وهو ما يؤتيه من فضله العظيم وكرمه الجسيم وهذه هي نهاية السعادة كما قال سيدي أبو الحسن رضي الله عنه والسعيد حقاً من أغنيته عن السؤال منك ۞ (أنت الذي أشرقت الأنوار في قلوب أوليائك حتى عرفوك ووحدوك وأنت الذي أزلت الأغيار من قلوب أحبابك حتى لم يحبوا سواك ولم يلجؤوا الى غيرك أنت المؤنس لهم حيث

أوحشتهم العوالم) التي كانوا ألفونها وتعلق قلوبهم بها من أصحاب وأولاد وأموال وغير ذلك فان من حصل له أدنى شيء من شهود الحق وتودده لم يستوحش لشيء من ذلك بل يغيب عنه ولم يستأنس بشيء منه بل ينفر عنه بقلبه (وأنت الذي هديتهم) بنور منك (حتى استبانت) أي ظهرت (لهم المعالم) أي طرق الحق التي سلكوها فان ظهور ذلك لا يكون الا بهدايتك (ماذا وجد من فقدك) أي فقد شهودك ولم يشهد الأدوات المكونات وهذا كناية عن كونه لم يجد الا شيئا حقيرا (وما الذي فقد من وجدك) أي لم يفقد شيئا بل حصل على غاية المقصود حيث كنت سمعه وبصره وجميع قواه (لقد خاب من رضي دونك بدلا) كالشهوات واللذات الدنيوية والأخروية فقد رؤي الشبلي في المنام بعد وفاته فقيل له ما فعل الله بك قال لم يطالبني بالبراهين على الدعاوي الا على شيء واحد قلت يوما لا خسارة أعظم من خسران الجنة ودخول النار فقال وأي خسارة أعظم من خسران لقائي (ولقد خسر من بغى عنك متحولا) أي طلب التحول عن حضرتك الى التعلق بغيرك كالكرامات والمكاشفات فقد تقدم أن هذا أشبه بمن طلب منه الملك أن يكون جليسه فلم يرض الا بسياسة الدواب (الهي كيف يرجى سواك) أي يتعلق القلب بالطلب منه (وأنت ما قطعت الاحسان) بل احسانك دائم مستمر (وكيف يطلب من غيرك) أي ويامن يتوجه اليه بالطلب (وأنت ما بدلت عادة الامتنان) أي عادتك الامتنان أي الاحسان (يامن أذاق أحبابه حلاوة مؤانسته) المؤانسة سرور القلب بشهود جمال المحبوب شبه بشيء له حلاوة وهي تخييل والاذاقة ترشيح (فقاموا بين يديه متملقين) التملق هو التلطف في التودد كأن

أوحشتهم العوالم) بسبب اعتناء العوالم لهم بما هي عليه من الفاقة والافتقار والحاجة والاضطرار فكل واحد منها عالة لنفسه طالب لحظه من كمال نقصه وروفاء بخسه والله تعالى غني حميد عزيز مجيد وهو مع ذلك لطيف بعباده عطوف عليهم متودد اليهم رؤف بهم فلما شاهدوا هذا كله مشاهدة يقين ومعاينة باشهاده اياهم لم يتمالكوا أن أحبوه وأووا اليه وقصروا هممهم عليه وجعلوه معتمدهم أنسهم واستغنوا به عن أبناء جنسهم فحصلوا لذلك على غاية النعيم وفازوا بالحظ العظيم قال ذو النون المصري رضي الله عنه بينما أنا أسير في بعض البوادي اذ لقيتني امرأة فقالت لي من أنت فقلت رجل غريب فقالت وهل توجد مع الله أحزان الغربة • وكتب مطرف بن عبد الله بن الشخير الى عمر بن عبد العزيز رضي الله عنهما وليكن أنسك بالله وانقطاعك اليه فان لله عبادا استأنسوا بالله فكانوا في وحدتهم أشد استئناسا من الناس في كثرتهم وأوحش ما يكون الناس آنس ما يكونون وآنس ما يكون الناس أوحش ما يكونون ۞ (وأنت الذي هديتهم حتى استبانت لهم المعالم) كانوا لى الله تعالى هداهم الى طريق التوحيد والمعرفة أبان لهم علامات ذلك ودلائله فعند نظرهم في تلك العلامات والأدلة انشرحت صدورهم بأنوار الايمان واليقين فلم يتداخلهم شك ولم يخالجهم ريب والمعالم جمع معلم كما تقدم رحمه الله تعالى بعرض في هذه الكلمات بالمطلب الذي بحصوله يستغنى عن الطلب وهو اشراق الأنوار في قلبه وازالة الأغيار عن سره وابتناء سماله وهدايته اياه وهذه الأمور مطالب متضمنة لأسنى الرغائب ۞ (ماذا وجد من فقدك وما الذي فقد من وجدك) قد تقدم غير ما مرة أن ما سوى الله تعالى عدم وظلمة وأن الوجود الحق والنور المتحقق انما هو الله عز وجل فاذا كان الأمر على هذا صح ما قاله المؤلف رحمه الله تعالى ههنا وكان حقا لا مرية فيه قال أبو علي الروذباري رضي الله عنه سألني أبو بكر الدقاق رضي الله عنه فقال لي يا أبا علي لم ترك الفقراء أخذ البلغة في وقت الحاجة فقلت لأنهم يستغنون بالمعطي عن العطاء فقال نعم ولكن وقع لي شيء آخر فقلت هات أفدني ما وقع لك فقال لأنهم قوم لا ينفعهم الوجود اذا الله فاقتهم ولا يضرهم الفاقة اذا الله وجودهم • وكان أبو حمزة البغدادي رضي الله عنه يقول في مناجاته اللهم انك تعلم أني من أفقر خلقك اليك فان كنت تعلم أن فقري اليك بمعنى هو غيرك فلا تسد فقري ۞ (لقد خاب من رضي دونك بدلا ولقد خسر من بغى عنك متحولا) هذا بين وهو مبني على ما تقدم الآن من الكلام رؤي الشبلي رضي الله عنه في المنام بعد وفاته فقيل له ما فعل الله بك فقال لم يطالبني بالبراهين على الدعاوي الا على شيء واحد قلت يوما لا خسارة أعظم من خسارة الجنة ودخول النار فقال وأي خسارة أعظم من خسران لقائي وفي معناه أنشدوا

سهر العيون لغير وجهك باطل • وبكاؤهن لغير فقدك ضائع

وقال بعضهم كان عندنا رجل مكث عندنا ثلاث عشرة سنة يصلي كل يوم وليلة بألف ركعة حتى أقعد من رجليه فاذا صلى العصر احتبى واستقبل القبلة ثم قال عجبت للخليقة كيف أرادت بك بدلا بل عجبت للخليقة كيف استأنست بسواك ثم يسكت الى المغرب • (الهي كيف يرجى سواك وأنت ما قطعت الاحسان وكيف يطلب من غيرك وأنت ما بدلت عادة الامتنان) هذا تعجب ممن كان على هذا الوصف وهو أعجب من كل عجب والمعنى في ذلك بين ۞ (يامن أذاق أحباءه حلاوة مؤانسته فقاموا بين يديه متملقين) التملق هو التلطف في التودد ورتبه على ذوقهم حلاوة مؤانسته بين

يقول الانسان حفظك الله سترك اتقوهو هنا كناية على الطلب من المولى بذلة وانكسار وترتبه على نوقيهم لحلاوة مؤانسته بين (ويامن البس أولياءه ملابس هيبته) أى ملابس هى هيبته أوهيبته الشبيهة بالملابس الحسية والمراد بالهيبة الجلالة والعظمة التى كساها الله لأوليائه فكل من رآهم حصل له رعب منهم كأنهم أسود (فقاموا بعزته مستعزين) أى قاموا بين يديه مستعزين بعزته بأن رفعوا هممهم عن تعلقها بالاغيار تيها وتكبرا عليها وثقة منهم به وذلك لما ألبسهم من ملابس هيبته حتى لم يهابوا معه غيره ولم تتأله قلوبهم الى سواه (أنت الذاكر من قبل الذاكرين) أى أنت الذى ذكرتهم بالاحسان اليهم فى الأزل بأن تعلقت ارادتك بوجوهم فبالايزال نمهذا ذكره لعباده قبل ذكرهم له ويحتمل أن يراد بذكره لهم توفيقه لهم لذكره اذ لولاه ماذكروه وقوله (وأنت البادي بالاحسان من قبل توجه العابدين) يرجع لما قبله وكذا قوله (وأنت الجواد) أى المحسن بالعطاء (من قبل طلب الطالبين وأنت الوهاب) أى كثير الهبة أى الاعطاء للعطايا كالاعمال الصالحة والأحوال السنية (ثم أنت لما وهبتنا) أى الشئ الذى وهبتناه (من المستقرضين) كأنك قلت أقرضونى هنا أعطكم بدله فى الدار الآخرة قال تعالى من ذا الذى يقرض الله قرضا حسنا واستقراضه تعالى من عبده ما وهبه غاية فى تلطفه به واعلائه لقدره وفيه اشارة الى أن احسانه تعالى واعطاءه ليس مشوبا بالعلل (الهى اطلبنى) الى القرب منك (برحمتك) أى احسانك (حتى أصل اليك) فانه لاسبيل الى الوصول اليك الا برحمتك لا بأعمالى المدخولة والطلب ان كان من الأعلى كالسلطان لم يحصل فى الوصول مشقة بخلاف ما اذا كان من الأدنى (واجذبنى بمنتك) أى احسانك فلا صبر لى قدرة على الامتناع (حتى أقبل عليك) وهو بمعنى ما قبله (الهى ان رجائى لاينقطع عنك وان عصيتك) يعرفنى أنك المبدئ بالاحسان ومن هو كذلك يرجى خيره ولو مع المعصية (كما أن خوفى لايزايلنى) أى لايفارقنى (وان أطعتك) لعلمى بأنك الفعال لما تريد فالطاعة لاتقتضى رفع سخطك وزوال عقابك خصوصا وهى مدخولة معلولة ومنشأ اعتدال الخوف والرجاء عند العارفين شهود الصفات المخوفة والمرجوة فكما أن صفاته تعالى لاتفاوت فيها كذلك شهودها لاتفاوت فيه فان وقع فيه تفاوت كان شهودا ناقصا فلذا يتصور عندهم كمال الخوف مع العمل

◆ (ويامن ألبس أولياءه ملابس هيبته فقاموا بعزته مستعزين) أشعر آزهم بعزته هو رفع هممهم عن تعلقها بغير الله تعالى تيها وتكبرا عليها وثقتهم به وذلك لما ألبسهم من ملابس هيبته حتى لم يهابوا معه غيره ولم تتأله قلوبهم الى سواه ولذلك قالوا المعرفة حقر الأقدار سوى قدره ومحو الأذكار سوى ذكره قال بعض المشايخ إذ عظم الرب فى القلب صغر الخلق فى العين وقيل فى معنى قوله تعالى تعز من تشاء قال بأن يكون لك رب معك بين يديك ◆ (أنت الذاكر من قبل الذاكرين وأنت البادي بالاحسان من قبل توجه العابدين وأنت الجواد بالعطاء من قبل طلب الطالبين وأنت الوهاب ثم أنت لما وهبتنا من المستقرضين) الحق تعالى له الأولية فيما ذكر كما ذكر قال أبو يزيد رضى الله عنه غلطت فى ابتداء أمرى فى أربعة أشياء توهمت أنى أذكره وأعرفه وأحبه وأطلبه فلما انتهيت رأيت ذكره سبق ذكرى ومعرفته تقدمت معرفتى ومحبته أقدم من محبتى وطلبه لى أولا حتى طلبته فاذا كانت له الأولية فى ذلك لم يبق للعبد وسيلة يتوسل بها سوى فضله وكرمه ومما يوافق ما ذكره المؤلف ما حكى عن الجنيد رضى الله عنه أنه كان يقول فى مناجاته ياذاكر الذاكرين بما به ذكروه وبادى العارفين بما به عرفوه ياموفق العابدين لصالح ما عملوه من ذا الذى يشفع عندك الا باذنك ومن ذا الذى يذكرك الا بفضلك واستقراض الرب من عبده ما وهبه له غاية فى رفعه لقدره وابانته لشرفه ووعده مع ذلك بجزيل الثواب عليه نهاية فى اكرامه له وتفضله عليه ◆ قال بعضهم ملكك ثم اشترى منك ما ملكك لتثبت لك معه نسبة ثم استقرض منك ما اشتراه ثم وعدك عليه من العوض أضعافا بين فيه أن نعمه وعطاياه تعيدتان أن يكونا مشوبتين بالعلل ◆ (الهى اطلبنى برحمتك حتى أصل اليك واجذبنى بمنتك حتى أقبل عليك) لاسبيل للعبد الى وصوله الى الله تعالى الا برحمته فلذلك طلب منه أن يطلبه بها ولا يتأتى له الاقبال عليه الا بمنته فلذلك طلب منه أن يجذبه اليه بها وذلك لتحقق الأولية التى ذكرناها من قبل ◆ (الهى ان رجائى لاينقطع عنك وان عصيتك كما أن خوفى لايزايلنى وان أطعتك) الخوف والرجاء حالان يتعاقبان على قلب العبد واعتدالهما واستواؤهما هو المطلوب سواء كان العبد فى طاعة أو فى معصية وقد مثلوا ذلك بكفتى الميزان وجناحى الطائر وهذا من أعلى مشاهدة العارفين والأولياء وذلك لأن منشأهما عندهم انما هو شهود الصفات المخوفة والمرجوة وصفات الله تعالى لاتفاوت فيها فكذلك مشاهدتها لاتفاوت فيها فان وقع فيها تفاوت كانت مشاهدة ناقصة وأحوالا معلولة فلذلك يتصور وجود كمال الخوف مع عمل العبد بالطاعة وغلبة الرجاء مع ارتكابه للمعصية كما وصف به المؤلف نفسه قال يحيى بن معاذ رضى الله عنه يكاد رجائى لك مع الذنوب يغلب رجائى لك مع الأعمال لأنى أجدنى أعتمد فى الأعمال على الاخلاص وكيف أحرزها وأنا بالآفة معروف وأجدنى فى الذنوب

بالطاعة وغلبة الرجاء مع ارتكاب المعصية كما وصف به المصنف نفسه (الهي قد دفعتني العوالم اليك) وذلك أني اذا توجهت الى أحد ليعطيني أو ينصرني يقول لي لا معطي الا الله ولا ناصر الا هو ويحتمل أن يراد بالعوالم جميع ما عدا الله فاذا ظهرت لي كرامة وكشف لي من شيء من الكون وأردت أن أقف عنده تقول لي حقيقته لا تعلق بي بل تعلق بمولاك وكذا ان خاطبتني الجمادات وأردت أن أقف عند ذلك تقول لي حقيقتها لا تتعلق بي بل تعلق بمولاك فكل شيء يدفعني اليك (وقد أوقفني علمي بكرمك عليك) أي على بابك كالحامل على وقوفي ببابك علمي بكرمك والكريم لا تتخطاه (١٠٢) آمال المؤملين ولا يتوجه نحو سواه طلب الطالبين الهي كيف أخيب) أي

أعتمد على عفوك وكيف لا نعفرها وأنت بالجود موصوف وقد تقدم من كلام المؤلف رحمه الله من علامة الاعتماد على العمل نقصان الرجاء عند وجود الزلل ومن دعاء سيدي أبي العباس رضي الله عنه الهي معصيتك نادتني بالطاعة وطاعتك نادتني بالمعصية ففي أيهما أخافك وفي أيهما أرجوك ان قلت بالمعصية قابلتني بفضلك فلم تدع لي خوفا وان قلت بالطاعة قابلتني بعدلك فلم تدع لي رجاء فليت شعري كيف أرى احساني مع احسانك أم كيف أجهل فضلك مع عصيانك ومن كلامه أيضا رضي الله عنه العامة اذا خوفوا خافوا واذا رجوا رجوا والخاصة متى خوفوا رجوا ومتى رجوا خافوا قال في لطائف المنن ومعنى كلام الشيخ هذا أن العامة واقفون مع ظواهر الأمر فمتى خوفوا خافوا اذ ليس لهم نفوذ الى ما وراء العبارة بنور الفهم كما لأهل الله وأهل الله اذا خوفوا رجوا عالمين أن من وراء خوفهم وما به خوفوا أوصاف المرجو الذي لا ينبغي أن يقنط من رحمته ولا أن ييأس من منته فاحتالوا على أوصاف كرمه علما منهم أنه ما خوفهم الا ليجمعهم عليه وليردهم بذلك اليه واذا رجوا يخافون غيب مشيئته الذي هو من وراء رجائهم وخافوا أن يكون ما ظهر من الرجاء اختبار العقول لهم هل تقف مع ظاهر الرجاء أو تنفذ الى خوف ما بطن في مشيئته فلذلك أثار ظاهر الرجاء خوفهم ۞ (الهي قد دفعتني العوالم اليك) انما دفعته العوالم اليه لما تضمنته من السمات الموحشة كما تقدم ولقد أحسن من قال لا وحشة مع الله ولا راحة مع غير الله وفي هذا المعنى أنشدوا

يا قرة العين سل عيني هل اكتحلت • بمنظر حسن مذ غبت عن عيني

۞ (وقد أوقفني علمي بكرمك عليك) اذ الكريم لا تتخطاه آمال المؤملين ولا يتوجه نحو سواه طلب الطالبين ۞ (الهي كيف أخيب وأنت أملي أم كيف أهان وعليك متكلي) لما تعلق بالله تعالى وتوكل عليه استبعد أن تخيب آماله أو يناله هوان يؤدي تحمله ۞ (الهي كيف أستعز وأنت في الذلة أركزتني أم كيف لا أستعز واليك نسبتني أم كيف لا أفتقر وأنت الذي في الفقر أقمتني أم كيف أفتقر وأنت الذي بجودك أغنيتني) تلونه في هذه الأوصاف المتضادة لما يغلب عليه من مشاهدة ما يوجبها والذلة المثبتة هنا هي ذلة الخليقة والعبودية والنسبة التي أشار اليها هي سر الخصوصية والافتقار بمعنى الذلة والاستغناء بمعنى العزة قال بعضهم رأيت ذل كل ذي ذل فزاد ذلي على ذلهم ونظرت في عز كل ذي عز فزاد عزي على عزهم وقال الشبلي رضي الله عنه لقد ذللت حتى عز في ذلي كل ذي ذل وعززت حتى ما تعزز أحد الا بي وبمعناه تعززت ۞ (أنت الذي لا اله غيرك تعرفت لكل شيء فما جهلك شيء وأنت الذي تعرفت الي في كل شيء فرأيتك ظاهرا في كل شيء فأنت الظاهر لكل شيء) هذا كله قد تقدم معناه ولفظه في كلام المؤلف على غاية الكمال والتمام والحاصل منه أن الظهور التام لله تعالى بكل اعتبار ثم انه عبر هنا عن ذلك بعبارة لم يذكرها فيما تقدم وهو قوله ۞ (يا من استوى برحمانيته

يحصل لي خيبة وعدم ظفر بالمطلوب (وأنت أملي) أي الذي أملت العطاء منه لأن عادتك الاحسان (أم كيف أهان) أي يحصل لي هوان وذل (وعليك متكلي) أي اتكالي واعتمادي (الهي كيف أستعز) أي يحصل لي عز في نفسي (وأنت في الذلة أركزتني) أي أقمتني في الذلة وجعلتها مركزا ومكانا لي لا أفارقها (أم كيف لا أستعز) أي يحصل لي عز بك (واليك نسبتني) أي وقد نسبتني اليك نسبة خاصة بافاضة الأنوار على ظاهري وباطني حتى صار كل من رآني يقول هذا ولي الله فأنا ذليل من وجه عزيز من آخر (أم كيف لا أفتقر وأنت الذي في الفقر أقمتني) فهو صفة لازمة لي ومن لازمه الذلة فيرجع لما قبله (أم كيف أفتقر وأنت الذي بجودك) أي بشهودك وفي بعض النسخ بجودك أي احسانك الي بالشهود فيرجع لما قبله (أغنيتني) حتى حصل لي عز بك فالافتقار يرجع للذلة والاستغناء للعزة وتلونه على في هذه الأوصاف المتضادة بحسب الظاهر لما يغلب عليه من مشاهدة ما يوجبها والذلة المثبتة هنا هي ذلة الخليقة والعبودية والنسبة التي أشار اليها هي سر الخصوصية كما تقرر (أنت الذي لا اله غيرك) يعبد أو يستند اليه في شيء (تعرفت لكل شيء) أي جعلت نفسك معروفا لكل شيء بما أودعته فيه من النور الذي عرفك به (فما جهلك شيء) بل صار كل شيء يعرفك (وأنت الذي تعرفت الي في كل شيء) بأن أودعت في نورا (فرأيتك ظاهرا في كل شيء) بسبب ذلك النور (فأنت الظاهر لكل شيء) مفرع على ما قبله (يا من استوى) أي استولى (برحمانيته) أي

رحمته (على عرشه) فصار العرش تحت حكمه وقهره كاستيلاء السلطان بجنوده على أهل بلد فتشبه المولى بسلطان ورحمته بالجنود وعرشه بأهل القرية (فصار العرش غيبا) أي غائبا ليس له وجود (في رحمانيته) أي بالنسبة لرحمته (كما صارت العوالم) أي السموات والأرضون وما فيهما (غيبا) أي غائبة (في عرشه) أي ليس لها وجود بالنسبة له ثم بين ذلك بقوله (محقت) بالله (الآثار) وهي السموات والأرضون وما فيهن (بالآثار) وهو العرش لأنه أثر الرحمة والعوالم بالنسبة له كلا شيء (ومحوت الأغيار) وهو العرش (بمحيطات أفلاك الأنوار) أي بالأنوار الشبيهة بالأفلاك المحيطة بالعرش وهي تلك الرحمة والحاصل أن رحمته تعالى أي إحسانه هو الذي اقتضى وجود العوالم كلها من عرشها الى فرشها ولولا إحسانه لها بالوجود لما وجدت فالمراد بالرحمة الرحمة العامة التي وسعت كل شيء (يامن احتجب) أي امتنع (في سرادقات عزه عن أن تدركه الأبصار) أي في عزه الشبيه بالسرادقات جمع سرادق بمعنى الخيمة التي تنصب على صحن الدار فالسرادقات الخيام وهو من إضافة المشبه به للمشبه فكما أن الخيمة تمنع من رؤية ما بعدها كذلك عز الله أي قوته العظيمة تمنع عن رؤيته بالأبصار ثم ان أريد رؤية الإحاطة فهي ممتنعة في الدنيا والآخرة وان أريد مطلقا فهي ممتنعة في الدنيا واقعة في الآخرة للمؤمنين فعزه تعالى اقتضى حجب ما سواه عن رؤيته فان العزيز معناه المنيع الذي لا يوصل اليه يقال حصن عزيز اذا تعذر الوصول اليه وقيل العزيز الذي لا يرتقى اليه وقيل العزيز الذي ضلت العقول في عظمته وحارت الألباب عن ادراك نعته وكلت الألسن عن استيفاء مدحته (يامن تجلى) على قلوب العارفين (بكمال بهائه) أي بمحاسن صفاته أي بصفة جلاله وجماله (فتحققت عظمته) أي كونه عظيما عظما لا نهاية له (الأسرار) أي بواطن القلوب (كيف تخفي وأنت الظاهر) بذاتك أي في جميع الأشياء كما يقوله أهل الشهود أو بظهور أفعالك وتصرفاتك في العالم كما يقول غيرهم (أم كيف تغيب وأنت الرقيب) أي المراقب لنا في حركاتنا وسكناتنا (الحاضر) الذي ليس بغائب وأتى به لأنه لا يلزم من المراقبة الحضور اذ قد تحصل الاحاطة بأفعال الغير وأحواله بالمكاتبة والمراسلة وهذا آخر ما تيسر رقمه على هذا الكتاب المبارك على وجه لطيف جعله الله خالصا لوجهه الكريم بمنه وكرمه آمين • تم ذلك الشرح يوم السبت المبارك لثلاث عشرة ليلة خلت من شهر شوال من شهور سنة أربع بعد المائتين والألف من الهجرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام على يد أفقر العباد الى الله عبد الله الشرقاوي الخلوتي وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

على عرشه فصار العرش غيبا في رحمانيته كما صارت العوالم غيبا في عرشه) كأنه أشار بهذا الى معنى قوله تعالى الرحمن على العرش استوى وقوله تعالى ثم استوى على العرش الرحمن ورحمانية الله تعالى كونه رحمانا والرحمن اسم لله تعالى يقتضي وجود كل موجود وهو مشتق من الرحمة والرحمة ههنا هي الرحمة العامة التي وسعت كل شيء كما وسع علمه كل شيء في قوله تعالى مخبرا عن حملة العرش اذ قالوا ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما ولذلك دخلت تحت مقتضى اسمه الرحمن جميع أسمائه تعالى الايجادية ويفهم من معنى الاستواء القهر والغلبة ومقتضاهما في حق الله تعالى أن لا يكون لغيره وجود مع وجوده ولا ظهور مع ظهوره فلا جرم لما كان الحق تعالى مستويا برحمانيته على عرشه الذي العوالم كلها في طيه كان العرش غيبا في الرحمانية والعوالم غيب في العرش لأنها في طيه فلا ظهور اذا للعرش ولا للعوالم وانما الظهور التام لله عز وجل ۞ (محقت الآثار بالآثار) كما بين العوالم والعرش ۞ (ومحوت الأغيار بمحيطات أفلاك الأنوار) كما بين العرش والرحمانية ومحيطات أفلاك الأنوار هي أسماء الله الحسنى والله تعالى أعلم ۞ (يامن احتجب في سرادقات عزه عن أن تدركه الأبصار) عز الله تعالى اقتضت كون كل ماسواه محجوبا عن رؤيته لله عز وجل فان العزيز معناه المنيع الذي لا يوصل اليه يقال حصن عزيز اذا تعذر الوصول اليه وقيل العزيز الذي لا يرتقي اليه وهم طمعا في تقديره ولا يسمو الى صمديته فهم قصدا الى تصويره وقيل العزيز من ضلت العقول في عار تعظيمه وحارت الألباب دون ادراك نعته وكلت الألسن عن استيفاء مدح جلاله ووصف جماله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك وذكر السرادقات مضافة الى عزه واحتجابه فيها مجاز حسن ۞ (يامن تجلى بكمال بهائه فتحققت عظمته الأسرار) كمال بهائه محاسن صفاته وأسمائه فبظهور ذلك وتجليه بها تحققت عظمته أسرار العارفين ۞ (كيف تخفى وأنت الظاهر أم كيف تغيب وأنت الرقيب الحاضر والله الموفق وبه نستعين) هذا كله بين لا اشكال فيه والحمد لله وقد تقدم معناه غير مامرة من كلام المؤلف رحمه الله • قال مؤلف هذا الكتاب وقد نجز بحمد الله ما أردناه وبلغنا الغرض الذي قصدناه ولا حول لنا في ذلك ولا قوة الا بالله وبذلك تبين ما عندي من مسائل الكتاب والله تعالى الهادي الى الصواب وقد تقدم في أول هذا التنبيه أني لم أقصد فيه الا هذا المعنى ولم نلتزم بكون ماذكرناه فيه صحيح المبنى حتى نحتاج الى نصب

الادلة والبراهين على ما ادعيناه فيه وانما سقنا ذلك على سبيل حكاية مذهب من المذاهب ذلك المحكي له
ذلك أن يصححه أو يبطله ان احب وما وقع فيه من نوعي استدلال على مطلب من المطالب فانما
ذلك متبرع فان صح ذلك الدليل ثم المطلوب وان بطل لم يلزم من بطلانه بطلان المدلول و نفي المذهب
قابلا للتصحيح او الابطال من غير أن نتوجه على مطالبة بذلك والذي حملني على سلوك هذا السبيل
ما فيه من وجدان السلامة من الخطر الذي يتعرض له كل من يتكلم على طريق التصوف ممن
لا تحقق له فيه ويدعي صحة ما ينظره بعقله وفهمه و ينسب ذلك الى القوم ولعل شيئا من ذلك لا يصح
عنهم فيكون بذلك مفتريا كذابا عليهم فيه من سوء الادب معهم والتقدم بين أيديهم ما لا يقوم له
شئ وعند ذلك يكون الخرس والبكم وذهاب الحس والحركة أولى به وأحمد عاقبة لتخلصه بذلك
من شر لسانه و بنانه ثم ان ما قصدناه من ذلك لا يمنع من حصول الفائدة لمن أراد الله تعالى بها و وفقه
لما فعل العقلاء أن يعمل على خلاص نفسه ولا يلزمه اتباع مرضاة غيره فقد قيل رضا الناس غاية
لا تدرك ونحن نرغب الى من وقع بين يديه هذا التأليف وظهر له فيه خطأ أو تحريف أن يصلح منه
ما ألفاه مختلا وأن ينتهج من الاعتذار عنه الطريقة المثلى وان ظهر له أن يضع في ذلك تأليفا تتضمن
تنبيها وتعريفا فذلك من المذهب الذي يرتضى ومما لم يزل من شأن من قد مضى ونحن نستغفر الله
تعالى مما يعلمه منا من التعدي والجراءة فيما تعرضنا له من بيان كلام الأولياء والراسخين من العلماء
وتقرير عباراتهم وإشاراتهم من غير اطلاع منا على كنهها ولا بصيرة فيها و نستغفره أيضا مما أقحمنا
عليه من اظهار ما ستروه واعلان ما أسروه ونستغفره أيضا مما وقع منا فيه من ذكر أحوال الأولياء
رضي الله عنهم ومقاماتهم وعرضنا على سلوك طريقهم المستقيم مع افلاسنا من جميع ذلك وعدم
احتظائنا به ونسأله مع ذلك أن لا يؤاخذنا بما انطوت عليه ضمائرنا وأكتنفته سرائرنا من أنواع القبائح
والمعايب التي يعلمها منا ولا نعلمها أو نعلمها ولا تسمح نفوسنا بالتنقي منها والتنزه عنها اغترارا منا
بحلمه واستهانة بنظره وعلمه ونرغب اليه جل وعلا أن يمن علينا بتوبة تمحو عنا كل حوبة حتى
تنقلب أعداؤنا عنا خائبين خاسئين داخرين صاغرين لم ينالوا من تحقيق ارادتهم فينا مطلبا ولم يبلغوا
من عدم اسعافه إيانا بما طلبناه منه مأربا وأن يشمل في ذلك معنا كل من أمن على
هذا الدعاء ممن سمعه وممن دعا لنا بمثله من اخواننا المسلمين وتوسل اليه في
بلوغ الامل والوصول الى التمني الاجل بما انصرفنا به عن كل
جحود وكفور وأخرجنا على يديه من الظلمات الى النور
بر صيدنا ومولانا محمد خاتم النبيين وامام المرسلين وحبيب رب
العالمين صلى الله عليه وعلى آله الطيبين الطاهرين.
وأصحابه البررة الاكرمين وتابعيهم
باحسان الى يوم الدين وسلم تسليما
كثيرا والحمد لله رب
العالمين

الحمد لله الذى شهدت بحكمته آثاره ودل على عظيم قدرته مااحتوى عليه ليله ونهاره والصلاة والسلام على سيدنا محمد المنزل عليه الكتاب والحكمة ، وهو العالم أكبر نعمة وأسمى رحمة وعلى آله ذوى الطهارة والتقديس وأصحابه البالغين من الفضل ماينصاغر لديه كل نفيس (أما بعد) فقد تم بحمده تعالى طبع شرح الامام اللوذعى والعلامة الالمى ذى العلوم اللدنية والانفاس الطاهرة القدسية من تحلت بتآليفه قلوب ذوى الهداية من العباد الشيخ محمد بن ابراهيم المشهور بابن عباد رحمه الله وأثابه رضاه على حكم الامام الربانى والعارف الصمدانى شيخ الوقت والطريقة والشارب من صافى زلال الشريعة والحقيقة الامام أبى الفضل أحمد بن عبد الكريم بن عطاء الله السكندرى قدس الله أسراره وأزهى فى الدارين أنواره وقد تحلت طرره ووشيت غرره بشرح العلامة الكامل والعارف الواصل الشيخ عبد الله الشرقاوى أجزل الله أجره ومنحه قربه ونظره فجاء كتابا حوى من المحاسن مايعجز عنه وصف اللبيب ويتحلى من درره كل أريب

الموافق فى اليوم الاربعاء .

﴿ فهرست الجزء الأول من شرح الحكم لابن عباد ﴾

صحيفة

٢ خطبة الكتاب

٣ بيان أحوال العارفين عندما يعرض لهم زلة وشرح توكلهم

٤ بيان أحوال الصادقين في التجريد عن الأسباب الدنيوية والاشتغال بها

٦ بيان أحوال العارفين في الابتعاد عن التدبير

٧ بيان أن تأخر العطاء لايمنع الانسان من الالحاح في الدعاء

٩ بيان أن معرفة الله أكبر نعمة ولا يضر معها قلة بعض الأعمال

١١ بيان أن روح الأعمال هو الاخلاص

١٢ بيان أن أضر شيء على المريد الشهرة والصيت

١٥ بيان ثمرة العزلة

١٦ بيان أن العزلة لاتتم الابالاشتغال بالفكر وأنها تتضمن الخلوة

١٧ بيان أن القلب لا يشرق بالنور وصور الأكوان منطبعة فيه

١٨ بيان ان العدم ظلمة وأن الوجود نور وان العالم عدم لولا تجلي الحق عليه بالوجود

٢٠ بيان أن من أراد تغيير ما أراده الله لم يترك من الجهل شيئا

٢١ بيان ان رعونات النفس احالة الأعمال على وجود الفراغ

٢٢ بيان أن العارف لاينبغي له أن يقف مع ما يبدو له من الأسرار

٢٣ بيان أن الطلب من العبد على أربعة أوجه

٢٤ بيان أن الانسان لايستغرب الأكدار في دار الدنيا

٢٥ بيان أن الطالب اذا كانت بالله لايتوقف قضاؤها

٢٦ بيان أن ما في القلب يظهر أثره على الوجه

٢٧ بيان الفرق بين من يستدل بالله على الأشياء و بين من يستدل بالأشياء على الله

صحيفة

٢٨ بيان أن السالكين يضيء لهم نور التوجه فيه يهتدون والواصلون تستطع عليهم أنوار المواجهة وفرق بين الاثنين

٢٩ بيان أن الانسان هو المحجوب عن الله وأما الله فلا يحجبه شيء

بيان أن ما يتعلق بأوصاف البشرية من أمر الدين نوعان وما على الانسان في ذلك

٣١ بيان أن أصل كل غفلة ومعصية الرضا عن النفس

٣٤ بيان أن الانسان اذا نزل به أمر لايدفعه الا بالالتجاء الى الله

٣٥ بيان حسن الظن بالله وأن الناس فيه قسمان

٣٦ بيان أن الاعمال لنيل الدرجات انتقال من كون الى كون وأن الكمال الانتقال الى المكون

٣٧ بيان الكلام على الصحبة وماينبغي أن يصاحبه الانسان

٣٩ بيان أن الزهد سبب عظيم في نمو الأعمال

٤٠ بيان أن الذكر أقرب الطرق الى الله

٤٢ بيان علامات موت القلب

٤٣ بيان أرجى عمل للقلوب

٤٥ بيان أن النور والظلمة جندان للقلب والنفس و بينهما دائما قتال

٤٦ بيان أن الطمع من أعظم آفات النفوس المستوجبة للذل

٤١ بيان أن اليأس من الشيء حرية من العبودية له

٥٢ بيان أن تأخير العقوبة ربما يكون استدراجا

٥٦ بيان أن المهم في المجاهدة الوفاء بالعزم

٥٨ بيان أن عباد الله ينقسمون قسمين مقربين وأبرارا

٥٩ بيان أن علامات الجهل الاجابة عن كل ماسئل

٦٠ بيان أن الله جعل الدار الآخرة محلا لجزاء أحبابه لكون الدنيا لا تسع جزاءهم
٦١ بيان أن من وجد ثمرة عمله مثل الحلاوة فيه فهو دليل على القبول
٦٣ بيان الفرق بين الرجاء والأمنية
٦٤ بيان أن مطلب العارفين الصدق في العبودية
٦٥ بيان أن البسط عند العارفين أخوف من القبض ٦٧ بيان العز الفاني والعز الباقي ومن أراد العز الباقي كيف يفعل
٦٩ بيان العبادة المدخولة والتي لم يدخلها علة
٧١ بيان أن المنع ربما يكون هو النعمة فلم يتألم من المنع الا من يفهم عن الله
٧٢ بيان أن المعصية التي تستوجب الذل خير من الطاعة التي تورث الاستكبار
٧٣ بيان أن العالم مفتقر الى الله في الايجاد والامداد
٧٤ بيان أن الفاقة للانسان ذاتية
٧٦ بيان أن العارف لا يزول اضطراره الى الله تعالى
٧٧ بيان ما يخفف ألم البلاء عن القلوب
٧٨ بيان أن من ضعف اليقين عدم رؤية اللطف في القدر
٨٢ بيان أن من الأدب مع الله اذا تأخرت الاجابة أن لا يطالبه بتأخر مطلبه
٨٥ بيان أن أفضل ما يعرض عليه العبد أوراده لا وارادته ٨٧ بيان الفرق بين الغافل والعاقل في ميزان التوحيد
٩٠ بيان أن تلون الطاعات لوجود الملل
٩١ بيان ما في الصلاة من الفوائد
٩٣ بيان فضل الله في وجود الأعمال
٩٤ بيان أن العبد محظور عليه أن يدعي شيئا من وصف الربوبية
٩٥ بيان أن انخراق العوائد لا يكون الا لمن خرق في مجاهدة نفسه العوائد
٩٧ بيان أن الذلة والافتقار يكفيان في الطلب
٩٩ بيان أن الستر على قسمين
١٠٠ بيان أن نور اليقين يقرب الآخرة ويظهر فناء الدنيا
١٠٣ بيان أن الأشياء بذاتها عدم محض ووجودها من الله تعالى
١٠٥ بيان أن الزهاد ينقبضون من الثناء بخلاف العارفين (تمت)

﴿ فهرست الجزء الثاني من شرح ابن عباد ﴾

٢ بيان أن لا دليل على الله غيره وكذلك الأولياء لا دليل عليهم غيره
٣ بيان أن الاطلاع على أسرار العباد فتنة اذا لم يرزق معه الرحمة
٤ بيان أن حظ النفس في الطاعات خفي ومداواة الخفي صعب ٥ بيان أن مداخل الرياء تخفى حتى تكون بحيث لا يراه الناس
٦ بيان ان حب الانسان أن لا يعلم الناس خصوصيته دليل على عدم الصدق
٨ بيان ما به صدق العبودية
١١ بيان هل الأفضل الدعاء أم السكوت
١٥ بيان طريقة أهل التكليف وأهل التعريف
١٦ بيان أن القلب اذا صفا وبرز منه كلام كان مؤثرا
١٩ بيان أن من تكلم لله فهمت عباراته ومن تكلم لحظ نفسه كانت أنوار حقائقه مكسوفة
٢٠ بيان أن الحكم والمواعظ أقوات القلوب وتختلف باختلاف الاستعداد كاختلاف أقوات الاجساد
٢١ بيان الشروط التي تلزم المتجردين وأهل الأسباب في الاسترزاق
٢٢ بيان أن السالك اذا أراد أن يقف قبل المقصود تناديه ألسنة الحقيقة ان المطلوب أمامك
٢٣ بيان أن المطالب لها آثار بعضها موجود وكلها عند أرباب المعارف لا تليق
٢٤ بيان أن دار الدنيا لا تخلو من الاكدار اذ هي من صفتها او وصف لا يتخلى عن الموصوف

٢٥ بيان أن قضاء الحوائج متيسر ان كان بالله ومتعسر ان كان بغيره

٢٦ بيان أن ما كان في القلوب تظهر علاماته على الوجوه

٢٧ بيان أن الاستدلال على الله بالآثار من شأن أرباب البصر المحجوبين والأصل الاستدلال بالله على غيره

٢٨ بيان أن نظر الانسان الى ما فيه من العيوب خير من بحثه عن الغيوب

٢٩ بيان أن الله لا يحجبه شئ عن شئ انما الأشياء هي المحجوبة عنه

٣١ بيان أن الرضا عن النفس سبب وقوع المرء في المعاصي وعدم الرضا عنها سبب في الطاعات

٣٢ بيان أن إيجاب الواجبات لمنفعة العبد لا لشئ يعود على الله فهو محسن بذلك

بيان أنه لا ينبغي للعبد أن يستبعد أن ينقذه الله من أسر شهواته

٣٤ بيان أن أكثر الخلق لا يعرفون النعم الا عند فقدها وذلك من الغفلة

٣٦ بيان أن الله كما لا يقبل العمل المشترك لا يقبل على القلب المشترك

٣٧ بيان أن الحقوق قسمان منها ما يمكن قضاؤه ومنها ما لا يمكن قضاؤه

٣٨ بيان أن المحبة لشئ تستلزم العبودية له والله لا يحب أن تكون عبدا لغيره

٣٩ بيان أن الوصول الى الله معناه العلم به علما خاصا

٤٠ بيان ان الحقائق التي ترد على أسرار العارفين تكون مجملة ثم تتبين لهم تفصيلها بعد

٤١ بيان أن الوارد الالهي على القلوب يهدم العوائد

٤٢ بيان أن السالك لا ينبغي له أن يطلب بقاء الوارد

٤٤ بيان أن من تمام النعمة الرزق الذي يكفي ومنع ما يطغي

٤٥ بيان أن قلة ما يفرح به هي سبب لقلة الحزن

٤٧ بيان أن ظواهر الأمور الدنيوية تسبب رغبة الجاهل وبواطنها تزهد العارف

٤٩ بيان العلم النافع وبيان ثمراته التي يستدل بها عليه ٥٧ بيان أن العبد لا ينبغي أن يكون نظره الا لمولاه

٥٩ بيان أن الشيطان مسلط على الانسان فلا ينبغي أن يغفل عنه

٦١ بيان ان من أثبت لنفسه تواضعا فهو متكبر وبيان حقيقة التواضع

٦٢ بيان شغل المؤمن بالثناء على الله تعالى ونسيانه نفسه ٦٢ بيان معنى المحب الحقيقي

٦٤ بيان السير الى الله تعالى وما لا يلاقيه السائر في سيره

٧٠ بيان أن الانسان متوسط بين ملكه وملكوته

٧١ بيان أن الذي لم يفتح له ميادين الغيوب مسجون

٧٢ بيان الفرق بين كونك مع الاكوان وكون الأكوان معك

٧٣ بيان الفرق بين المجذوب والسالك

٧٥ بيان أن تطلب العوض على الأعمال من عدم الصدق

٧٦ بيان الكرامات التي أكرم الله بها عبده

٧٧ بيان العمر المبارك فيه وغيره

٧٩ بيان أن الفكرة فكرتان

٨١ بيان سفر القلب الى حضرة الرب

٨٣ بيان أن العارف لا تنافي عنده بين وحدانية الله وشكر من جرت النعمة على يديه

٨٤ بيان حال الخاصة من أرباب الحقائق

٨٥ بيان حال خاصة الخاصة

٨٦ بيان ما يتحف الله به العارفين في الصلاة

٨٧ بيان أن الناس في ورود المنن عليهم على ثلاثة أقسام

٨٩ بيان ما استعمله المصنف من الاستغاثات

﴿ تمت ﴾

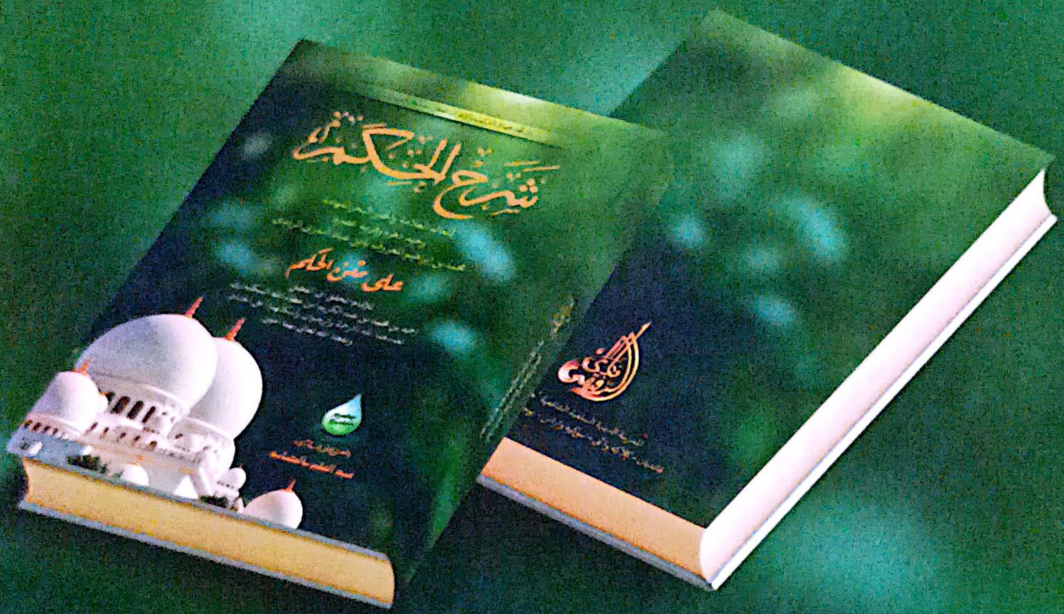
نمرة	رموز	المحل	المرموز اليه	المراد: معنى	المراد: ارتي
١	م	دي اتاس	مُبْتَدَأ	أُتَوِيْ	اَدَافُوْنْ
٢	خ	,,	خَبَرٌ	اِيْكُوْ	اَدَالَاهْ
٣	فا	,,	فَاعِلٌ عَاقِلٌ	سَفَا	سِيَافَا
٤	ف	,,	فَاعِلٌ غَيْرُ عَاقِلٍ	اَفَا	اَفَا
٥	نفا	,,	نَائِبُ الفَاعِلِ العَاقِلُ	سَفَا	سِيَافَا
٦	نف	,,	نَائِبُ الفَاعِلِ الغَيْرِ العَاقِل	اَفَا	اَفَا
٧	مف	,,	مَفْعُوْلٌ بِهِ	اِڠْ	كَفَدَا
٨	مل	,,	مَفْعُوْلٌ لِاَجْلِهِ	كَرَانَا اَرَاهِيْ	كَارَنَا اُوْنْتُوْءْ
٩	مع	,,	مَفْعُوْلٌ مَعَهُ	سَرْتَانِيْ	بَسَرْتَا
١٠	مط	,,	مَفْعُوْلٌ مُطْلَقٌ	كَلَوَنْ	دَڠَانْ
١١	ظم	,,	ظَرْفُ مَكَانٍ	اِڠْدَالَمْ	دِيْ
١٢	ظز	,,	ظَرْفُ زَمَانٍ	اِڠْدَالَمْ	فَدَا
١٣	ن	,,	نَعْتٌ	كَڠْ	يَاڠْ
١٤	ص	,,	صِلَةٌ	كَڠْ	يَاڠْ
١٥	با/بيا	,,	بَيَانِيَّةٌ	ڤَتَانِيْ	ڤَتَايَا
١٦	ب/بد	,,	بَدَلٌ	رُوْفَانِيْ	يَعْنِيْ
١٧	ح/حا	,,	حَالٌ	حَالِيَهْ	دَالَمْ كَادَاأَنْ
١٨	ش	,,	شَرْطِيَّةٌ	لَمُوْنْ	جِيْكَا
١٩	ج	,,	جَوَابٌ	مَاڠْكَا	مَاكَا
٢٠	س	دي اتاس	سَبَابِيَّةٌ	سَبَبْ	دِيْ سَبَابْكَانْ
٢١	ع	,,	تَعْلِيْلٌ	كَرَنَا	كَارَنَا
٢٢	غ	,,	غَايَةٌ	سَمْفَانْ	وَلُوْفُوْنْ
٢٣	ل	,,	لِلْمِلْكِ	كَدُوْنِيْ	مِيْلِيْكْ
٢٤	ما	,,	اِخْتِصَاصٌ	مَارِيْڠْ	كَفَدَا
٢٥	مظ	,,	مَاظَرْفِيَّةٌ	سَلَاكِيْنِيْ	سَمَاسَا
٢٦	تم	,,	تَمْيِيْزٌ	اَفَانِيْ	اَفَايَا
٢٧	مع	ديڠ بَاوَهْ	مُفَضَّلٌ عَلَيْهِ	تِيْنِيْمْبَاڠْ	كَتِيْمْبَاڠْ
٢٨	ج	,,	جَمْعٌ	فِيْرَا٢	بَبَرَافَا
٢٩	نه	,,	نَهْيٌ	اَجَا	جَاڠَانْ
٣٠	نف	,,	نَفْيٌ	اَوْرَا	تِيْدَاءْ
٣١	خم/خم	,,	خَبَرٌ مُطْلَقٌ	اِيْكُوْ مَوْجُوْدْ	سَمَاسَكَالِيْ
٣٢	ب	,,	غَيْرُ عَاقِلٍ	بَارَاڠْ	سَسُوْاتُوْ
٣٣	ـه	,,	ضَمِيْرُ الشَّأْنِ	كَهَالَاكُوْاَنْ	-
٣٤	ى	,,	لَامُ الْاِبْتِدَاءِ	تَيْكِيْ	فَاسْتِيْ
٣٥	سف	,,	تَأْكِيْدٌ	سُوْرَافَا	اَكَارْ
٣٦	سم	,,	شَرْطِيَّةٌ	سَمَاڠْسَانِيْ	سَلَاكَمَا
٣٧	مص	,,	مَصْدَرٌ	اَوْلِيْهِيْ	-
٣٨	ص	,,	مُصَنِّفٌ	تُوْكَڠْ ڠَاڠْكَارَاڠْ كِتَابْ	
٣٩	شا	,,	شَاعِرٌ	تُوْكَڠْ شَعِيْر	مَاڠْ فَكِيْر
٤٠	ش	,,	شَارِحٌ	Komentar Matan	
٤١	نا	دي باوه	نَاظِمٌ	Pembuat Nadhom	
٤٢	د		دُعَاءٌ	مُوْكَا٢	سَمُوْكَا
٤٣	ع س	سَمَاجَارْ	عَلَيْهِ السَّلَامُ	-	-
٤٤	ا	دي باوه	اَللهُ	-	-
٤٥	اى		عَطْفُ بَيَانٍ	تَكْبَنِيْ	يَا اِيْتُوْ
٤٦	شخ		شَخْصٌ	جَنْكَرَڠْ	سَسُوْرَاڠْ
٤٧	با		نِسْبَةٌ	بَاڠْصَا	كَلُوْڠَان / كَمُوْمِفُوْكْ
٤٨	اه	سَمَاجَارْ	اِنْتَهَى	تُوْتُوْكْ	سَلَسَيْ
٤٩	الخ		اِلَى اٰخِرِهِ	هِيْڠْكَا اَخِيْرِيْ	سَامْفَيْ سَلَسَيْ
٥٠	صم		صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ	-	-

مُحَمَّدْ حِكَمْ رَفِيْقِيْ

محمد حكم رفيقى

المدرسة الدينية السلفية الشافعية "هداية المبتدئين"

فانديان - كلاكه واغى - سوكيه واراس - بوجونكارا - الجاوى الشرقية



المدرسة الدينية السلفية الشافعية "هداية المبتدئين"

فانديان - بَلاكه واغى - سوكيه واراس - بوجونكارا - الجاوى الشرقية